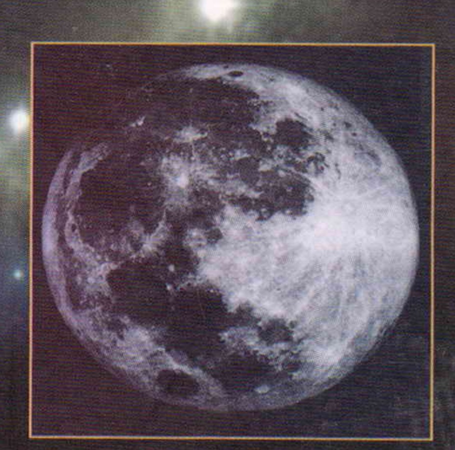
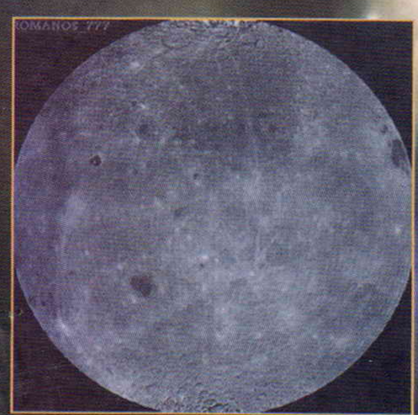
مكتبة الروضة الحيدرية

مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس







السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان عفي عنه

مكتبة الروضة الحيدرية

مزيل اللبس
في مسألتي
شق القمر و ردّ الشمس

تأليف

السيد محمد مهدي السيد حسن
الموسوي الخرسان
عفي عنه

▼

مزيل اللبس في مسألتي شق القمر و رد الشمس

محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخِرسان

منشورات دليل ما

الطبعة الاولىٰ: ١٤٢٩ هـ.ق ـ ١٣٨٧ هـ.ش

طبع في: ١٥٠٠ نسخة

المطبعة: نگارش

السعر مُجلّداً: ٧٠٠٠ توماناً

ردمک: ٤ـ٣٨٣ـ٣٩٧ـ٩٦٤ـ٩٧٨

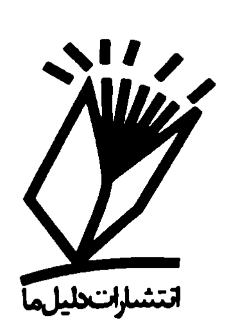
العنوان: ايران، قم، شارع معلم، ساحة روح‌الله، رقم ٦٥

هاتف وفكس: ٧٧٤٤٩٨٨ـ٧٧٣٣٤١٣ (٩٨٢٥١)

صندوق البريد: ٣٧١٣٥ـ١١٥٣

WWW.Dalilema.com

info@Dalilema.com



مركز التوزيع:

١) قـم، شـارع صـفائيه، مـقابل زقـاق رقـم ٣٨، مـنشورات دليـل مـا، الهـاتف ٧٧٣٧٠١١ ـ ٧٧٣٧٠٠١

٢) طـهران، شـارع إنـقلاب، شـارع فـخررازي، رقـم ٣٢، مـنشورات دليـل مـا، الهـاتف ٦٦٤٦٤١٤١

٣) مشـهد، شـارع الشـهداء، شـمالي حـديقة النـادري، زقـاق خـوراكـيان، بـناية گـنجينه كـتاب التـجارية، الطـابق الأول، مـنشورات دليـل مـا، الهـاتف ٥ ـ ٢٢٣٧١١٣

٤) النجف الأشرف، سوق الحويش، مقابل جامع الهندي، مكتبة الإمام الباقرالعلوم ﷺ ، الهاتف ٠٧٨٠١٥٥٣٢٨٩

سرشناسه	:خِرسان، محمد مهدي، ١٩٢٨ م ـ
عنوان و پديدآور	:مزيل اللبس في مسألتي شق القمر و ردّ الشمس / تأليف محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخِرسان.
مشخصات نشر	:قم: دليل ما، ١٣٨٧.
مشخصات ظاهرى	:٥٥٢ ص.
شابک	:ISBN 978 - 964 - 397 - 383 - 4
وضعيت فهرست‌نويسى	:فيپا.
يادداشت	:عربي.
موضوع	:محمد ﷺ، پيامبر اسلام، ٥٣ قبل از هجرت ـ ١١ ق. ـ معجزات.
موضوع	:علي بن ابي طالب ﷺ، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت ـ ٤٠ ق. ـ معجزات.
موضوع	:احاديث خاص (ردّ الشمس).
موضوع	:شق القمر.
رده‌بندى كنگره	:BP ٢٢١ / ٦ / ٤ م ٤ خ ١٣٨٧
رده‌بندى ديويى	:٢٩٧ / ٤٣
شماره كتابشناسى ملى	:١٢٢٥٨٢٨


بسم الله الرحمن الرحيم


شبكة الفكر
alfeker.net

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله ربّ العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، وصلواته التامة الدائمة على خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، الأئمة الهداة المهديين الميامين، ورضوانه عن الصحابة المهتدين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ولعنته الدائمة على المشكّكين بآياته في معجزاته و كراماته لأنبيائه وأوليائه من العالمين .

وبعد:

فهذه سطور كتبتها استجابة لحاجة في نفس يعقوب قضاها، ردّاً لعادية المشكّكين في معجزتي النبي الصادق الأمين ﷺ في مسألتي انشقاق القمر بمكة المكرمة ما قبل الهجرة تصديقاً لنبوته، ثم ردّ الشمس في المدينة المنوّرة بعد الهجرة، بفضل دعائه وكرامة لوصيه ووالد خلفائه، ثم من بعد عهده ﷺ ردّت الشمس مرة ثانية، لابن عمّه أمير المؤمنين عليه السلام ، وهي تعدّ في ردّها ثانية أيضاً معجزة للنبي ﷺ، لأنّها بفضل دعاء وصيّه، فهي كرامة له كما هي معجزة لابن عمّه، فيها تحقيق وصايته ما دامت علاقة التضايف بينهما ـ ما زالت ولم تزل ولن تزال ـ قائمة .

فعليّ عليه السلام هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بحكم آية المباهلة **﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾**[1].

وعلي عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله والنبي صلى الله عليه وآله من علي عليه السلام بحكم قول رسول الله صلى الله عليه وآله: **«علي منّي وأنا منه، ولا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو علي»**[2].

وعلي عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله والنبي صلى الله عليه وآله من علي عليه السلام وجبرئيل عليه السلام منهما كما في حديث وقعة أحد حين قَتَل عليّ عليه السلام أصحاب الألوية فقال جبرئيل عليه السلام: **«يا محمد إنّ هذه لهي المواساة، فقال صلى الله عليه وآله له: إنّه منّي وأنا منه، قال جبرئيل عليه السلام: وأنا منكما يا رسول الله»**[3].

وعليّ عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله والنبي منه بحكم قوله صلى الله عليه وآله لبريدة وقد جاء يشتكيه فقال: **«يا بريده لا تقع في علي، علي منّي وأنا منه، وهو وليّكم بعدي»**[4].

وحيث انّ المعجزات تثيرها التحدّيات، وهذا ما سيأتي الحديث عنه في مجاله إن شاء الله تعالى، وحيث أنّ المشركين الأوائل لم يذعنوا بالتصديق في مسألة شق القمر، فكذلك المشكّكين الأواخر من الزوامل خالفهم التوفيق وما حالفهم، فكانوا بئس

١- راجع كتاب علي إمام البررة ١: ٤٢٥ ستجد من المصادر أكثر من مائة مصدر كلها من التراث السني، فما بالك بالتراث الشيعي.

٢- راجع نفس المصدر ٢: ٨٠ - ٩٥ ستجد موارد الحديث سبعة، وتجد مصادر أكثر من ثمانين كلها من التراث السنّي، من بينها صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وصحيح ابن حبان، ومسند أحمد، وسنن الترمذي، وسنن ابن ماجة وغيرها فراجع واغتنم.

٣- نفس المصدر الثاني.

٤- نفس المصدر الثاني.

الخلف لأولئك السلف، فهم كالذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه، فلئن اعترفوا للنبي ﷺ بالنبوة لكنّهم لم يذعنوا للوصيّ بالكرامة فضلاً عن المعجزة، وهؤلاء هم نفس النواصب الشُمس، الذين إن صدقوا بشق القمر غير أنهم أبوا التصديق بردّ الشمس .

ولم يكتفوا بذلك بل أثاروا الشبهات والشكوك بغير حجة مقبولة، بل هي أفائك مرذولة، وما ذلك إلّا لأنّها - مسألة ردّ الشمس في المرتين - تعدّ من جملة الكرامات التي تعلن بفضل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وكرامته على الله سبحانه، وهذا ما يسخن عيون النُصّاب، فأثاروا الشك والإرتياب لدى الأغرار والأعراب، ولفّوا الفضيلة بالتعتيم والضباب، وما دروا أنّ الشمس تبقى منيرة وإن جلّلها السحاب .

فرأيت أنّ الواجب عليَّ بيان ما سنحت به الفرصة من عرض يكشف عن أولئك النفر وما عندهم من أوهام، ما زالت تخفى الإجابة عليها عند العوام، بالرغم من كثرة ما كتبه الأعلام ودبّجته الأقلام .

فلعلّ وعسى أن أكون في كتابة هذه السطور ممّن يهدي به الله رجلاً واحداً فذلك، خير لي ممّا طلعت عليه الشمس وغربت، كما هو مضمون الحديث النبوي الشريف[1]، فإن وفّقت في ذلك وأصبت فهو أقصى المنى، وإن تكن الأخرى فذلك مبلغ علمي، وفوق كل ذي علم عليم، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب، فإنّه نعم المجيب والمثيب.

---

١ - الكافي ٥ : ٢٨، التهذيب ٦ : ١٤١، مجمع البيان ٢ : ٧٥ .

وما يزال البحث يستدعي مزيداً من التفكير ومزيداً من العمل، لأنّه أكبر من هذا الجهد المتواضع مهما بذلت فيه من مجهود، وإنّما هو محاولة جادّة عسى أن تكـون بـذرة تثمر يانعاً نافعاً، من جهد الآخرين ممن وهبهم الله تعالى عقلاً كاملاً ولبّاً راجحاً، فـإنّ الحياة بخير ما دام التعاون يعمر مجالاتها مع بذل الجهد وحـسن النيـة والإخـلاص في العمل . والله ولي التوفيق .

شهر ربيع الأول سنة ١٤٢٥هـ

الراجي عفو المنّان

محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان

عفي عنه

ماذا سنبحث؟

ولقد رتّبت مطالب هذه الرسالة على النحو التالي:

تمهيد، ثم ثلاثة أبواب، ثم الخاتمة مسك الختام، وسوف أستعرض بعون الله سبحانه وتعالى الأبحاث التالية:

أبحث في التمهيد عن معرفة الشمس والقمر من خلال آي الذكر الحكيم، وانهما من الآيات اللاتي تتغير عن مسارها ومدارها، ويجريان مجرى سائر الآيات في خضوعهما لخرق القوانين الطبيعية الكونية بإرادة الخالق المبدئ والمعيد .

وأبحث في الباب الأول: ذكر المنكرين للمعجزتين ـ انشقاق القمر وردّ الشمس مرّتين ـ من خلال ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في معرفة هُوِيَّةِ المنكرين، وذلك من خلال ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في أسماء المنكرين للمعجزات جملةً وتفصيلاً، إلّا القرآن المجيد .

المبحث الثاني: في أسماء المنكرين لمعجزة شقّ القمر من الأولين والآخرين وماذا عندهم؟

المبحث الثالث: في أسماء المنكرين لمعجزة ردّ الشمس من خلال مسألتين:

المسألة الأولى في أسماء المنكرين لردها على العهد النبوي الشريف .

المسألة الثانية في أسماء المنكرين لردها على العهد العلوي المنيف .

الفصل الثاني: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في معنى الإعجاز وما هي المعجزة ؟

المبحث الثاني: ما هو الفرق بين المعجزة وبين الكرامة ؟

المبحث الثالث: في هل السحر والشعبذة يساوقان الإعجاز ؟

الفصل الثالث: في إمكانيّة خرق القوانين الطبيعية الكونية، والشواهد على ذلك دون أن يلحق بالكون الفساد .

وأبحث في الباب الثاني: في إثبات معجزة انشقاق القمر من خلال دليل الإثبات برواية الأثبات .

وأبحث في الباب الثالث المسائل التالية:

أولاً ماذا عن ردّ الشمس امكاناً ؟

ثانياً ماذا عن ردّ الشمس وقوعاً في الأمم السالفة ؟

ثالثاً الأوصياء الثلاثة الذين ردت لهم الشمس:

الأول: سليمان بن داود وصي أبيه داود عليهما السلام .

الثاني: يوشع بن نون وصي موسى عليهما السلام .

الثالث: علي بن أبي طالب وصي محمد صلوات الله عليهما وآلهما وسلم، وقد ردّت له عليه السلام مرّتين .

المرّة الأولى بالصهباء في العهد النبوي الشريف، و نبحث هناك المسائل التالية:

المسألة الأُولى: من روى ذلك من الصحابة .

المسألة الثانية: هل انّ ابن عباس روى حديث ردّ الشمس.

المسألة الثالثة: تلون أبي هريرة في روايته حديث ردّ الشمس.

المسألة الرابعة: من هم نفاة الحديث، وماذا قالوا؟

المسألة الخامسة: تصحيح الحديث لدى المحدثين.

المسألة السادسة: المؤلّفون في الحديث .

المسألة السابعة: مصادر الحديث في التراث الإسلامي الشيعي والسنّي .

المسألة الثامنة: أهازيج الشعراء منذ القرون الأولى .

المرّة الثانية ببابل بعد العهد النبوي الشريف، ونبحث المسائل التالية:

المسألة الأُولى: من ذكره من علماء الإسلام .

المسألة الثانية: زيغ البخاري في الجامع الصحيح عن التصريح مع ذكره الحديث بالتلميح ؟؟

المسألة الثالثة: مسجد الشمس في بابل-الحلة- معلم قائم وشاهد .

المسألة الرابعة: في شواهد شعرية لهذه المرّة.

وأذكر في الخاتمة مطارفة أدبية بين عالَمَينِ عَلمين شيعيّ وسنيّ حول معجزة ردّ الشمس للإمام ببابل، جديرة بأن تكون هي مسك الختام، نسأل الله تعالى التوفيق لبلوغ المرام بالتمام .

❊ ❊ ❊

تمهيد

خير بداية أستفتح بها رسالتي في البحث حول مسألتي انشقاق القمر وردّ الشمس، هي الآيات القرآنية التي تعرّفنا بالشمس والقمر معرفة تقرّبنا من إدراك معنى الإعجاز المتعلّق بهما، وأنّهما كسائر آيات الله سبحانه وتعالى وما أكثرها:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ﴾[1].

لقد ورد ذكرهما في أكثر من عشرين آية في القرآن المجيد مجتمعين ومنفردين، كلّها دالة على الخالق البارئ المصوّر وهو المبدئ والمعيد .

ومن تفكّر في عظيم المخلوقات استبصر فهماً وعلماً في عظمة الخالق جل اسمه وعظم شأنه، وأنّه القادر على كل شيء، وسأتلو بعض تلكم الآيات التي ذكر فيها الشمس والقمر أو أحدهما في دلالتها على تغير مجراهما ومدارهما، مشفوعة بشذرات نبويّة ونفحات إماميّة فيما يوضح المرام، ويعيننا على فهم ذلك في المقام، فكم للرسول الكريم ﷺ من غرر الحكم ودرر الكلم، وللإمام عليه السلام في نهج البلاغة ممّا نستوحي منه معاني القرآن، ولا عجب فهما مع القرآن والقرآن معهما كما في الحديث النبوي الشريف بالنسبة للإمام عليه السلام[2]، والآن إلى تلاوة بعض تلكم الآيات البينات .

١- فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ

١- يوسف: ١٠٥ .

٢- علي إمام البررة ١: ١٦٥ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1] .

٢- وقال سبحانه وتعالى في حديث إبراهيم عليه السلام وبدء إظهار دعوته إلى توحيد الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ رَءَا كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لآ أُحِبُّ الأفِلِينَ * فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَآ رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّآ رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةٍ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2] .

٣- وقال سبحانه و تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الأَيَتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[3] .

٤- وقال سبحانه و تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمّىً يُدَبِرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الأَيَتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[4] .

٥- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَاهُم مُّظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي

١- البقرة: ٢٥٨.

٢- الأنعام: ٧٥ – ٩٧ .

٣- يونس: ٥ .

٤- الرعد: ٢ .

فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[١] .

٦- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلقَمَرِ وَ اسْجُدُواْ لله الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٢] .

٧- وقال سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَآءِ بُرُوجاً وَ جَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً﴾[٣].

٨- وقال سبحانه وتعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[٤] .

٩- وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَتٍ طِبَاقاً * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾[٥] .

١٠- وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّ السَّمَوَتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٦] .

هذه عشر آيات كريمات من القرآن المجيد تضمّنت تعريف الإنسان بوحدانيّة الخالق البارئ المصور من خلال بعض مخلوقاته التي تجلّت فيها عظمة قدرته وبليغ صنعه، فجلّت الآؤه وعظمت نعماؤه .

١- يس: ٣٧ - ٤٠ .

٢- فصلت: ٣٧ .

٣- الفرقان: ٦١ .

٤- القمر: ١ - ٢ .

٥- نوح: ١٥ - ١٦ .

٦- الأنبياء: ٣٠ .

وكانت الشمس والقمر من جملة تلكم المخلوقات اللاتي تخضع في مجراها ومرساها لحكم الواحد القدير، حتى في خرق القوانين الطبيعية الكونية كما يحسبها الإنسان، فإنّ الله سبحانه بقدرته يغيّر ما يشاء كيف يشاء إذا اقتضت الحكمة الإلهية ذلك، لغاية من الغايات، ولله خرق العادات، كإظهار معجزة أو كرامة لنبي من أنبيائه أو ولي من أوليائه، أو تخويفاً لأعدائه **﴿إِذَآ أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ﴾**[١] .

وقال سبحانه وتعالى: **﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالأَيَتِ إِلآ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالأَيَتِ إِلا تَخْوِيفاً﴾**[٢] .

و قال سبحانه وتعالى: **﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنشِئ السَّحَابَ الثِّقَالَ * وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾**[٣] .

فالشمس و القمر من بعض آيات الله سبحانه و تعالى، وما يجري فيهما وعليهما إنّما هو بأمرٍ من الله تعالى، فالكسوف للشمس، والخسوف للقمر، لا يحدثان لموت أحد ولا لحياته ولا يدلّان على سوءَ التقدير أو التدبير إلا بتقدير اللطيف الخبير، فقد قال رسول الله ﷺ وقد صلّى بالناس صلاة الكسوف وقد أطال في صلاته ثم انصرف وقد تجلت الشمس فقال: «**إنّ الشمسَ والقمرَ آيتان من آياتِ الله لا يخسفان لموت أحدٌ ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله ...**»[٤] .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الأشباح: «**جعلَ شمسها آيةٌ مبصرةٌ لنهارها،**

١- الرعد: ١١ .

٢- الإسراء: ٥٩ .

٣- الرعد: ١٢ - ١٣ .

٤- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٣: ٨٧ عن أربعين مصدراً تقريباً .

وقمرها آيةٌ ممحوّةٌ من ليلها، فأجراهما في مناقل مجراهما، وقدّر سيرهما في مدارج درَجها، ليُميّز بين الليل والنهار بهما، وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما»[1] .

وقال أيضاً عنهما: «**والشمسُ والقمرُ دائبان في مرضاته ..**»[2] .

إلى غير ذلك من أقواله عليه السلام في نهج البلاغة وغيره .

ومن نافلة القول الإطالة في إثبات وحدانية الخالق وتصرّفه في مخلوقاته كيف يشاء، والشمس والقمر من بعض آياته، كما قال أبو العتاهية في مشهور أبياته[3]:

فوا عجباً كيف يُعصى الإله ... أم كيف يجحدهُ الجاحد؟

ولله في كل تحريكة ... وفي كل تسكينة شاهد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

❋ ❋ ❋

١- نهج البلاغة شرح محمد عبده ١: ١٦٦ .

٢- نفس المصدر ا: ١٥٨ .

٣- تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٤٥٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٣٣٨، وتاج العروس ٩: ٢٩٨ (عته)، والكنى والألقاب للقمي ١: ١٢١ في ترجمة أبي العتاهية، غير أنّ ابن كثير في تفسيره١: ٢٦ في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في الفاتحة نسب الأول والثالث إلى ابن المعتز، والصحيح لأبي العتاهية، فالشعر بسلوكه أشبه، ولم يكن ابن المعتز في الشعر أنبه .

الباب الأول

في ذكر المنكرين للمعجزتين:

انشقاق القمر وردّ الشمس مرّتين

الباب الأول

في ذكر المنكرين للمعجزتين:انشقاق القمر وردّ الشمس مرّتين، والكلام في ذلك من خلال ثلاثة فصول:

إذ لا يخفى أنّ مسألتي شق القمر وردّ الشمس هما آيتان من واد واحد – كما يقولون – يشتركان في جهة الإعجاز بفعل خرق القوانين الطبيعية الكونيّة، وإن لم يكن التحدّي مرويّاً فيهما معاً، فقد رويَ ذلك في شق القمر، ولم يروَ في رد الشمس، على انّ التحدّي ليس شرطاً أجماعياً في صدور المعجزة كما سيأتي بيانه . ومهما يكن فقد كان موقف المسلمين قديماً وحديثاً من هاتين الآيتين مختلفاً، شأنهم في كثير من المسائل العقائدية و الفقهية بل وحتى التاريخية .

فثمة من ينفي فينكر وقوع المعجزات إلا القرآن، ومنهم أنكر آية شق القمر، ومنهم من ينفي ردّ الشمس كذلكَ، على تباين في وجهات النظر عندَ النافين المنكرين المستكبرين، ولابدّ لنا من كشف حالِهم ومقالِهم، و ردّ مزاعمهم التي تثار بين حين وآخر، لزرع الشك والارتياب في صحة وقوع الآيتين في قلوب السذّج من الناشئة الذين لم يستضيئوا بنور العلم.

ولا شكَ إنّ لكل ساقطة لاقطة، فلا مناصَ لنا من عرض آراء النافين ومناقشتها بما يسع المقام لكشف الرين عن قلوب الناشئة، إذ لا شكَ في الآيتين عند من محض الإيمان في قلبه، ورأى فيها من التكريم ما يفرض عليه التسليم .

أما أُولئك الذين في قلوبهم مرض فلهم آراؤهم، وعلينا أن نعرضها إجمالاً بعد معرفة هُوِيَّةِ أولئك المنكرين المستكبرين الذين جعلوا القرآن عضين ليعرفهم القارئ .

الفصل الأول

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في أسماء المنكرين للمعجزة جملةً وتفصيلا إلا القرآن المجيد.

لابدّ لنا – ما دمنا مسلمين مؤمنين صادقين في إيماننا، ومحقّين في دعوتنا، وواثقين من أنفسنا – من وقفة إعلام جادّ وصادق نكشف بها زيف طائفة من المسلمين المخدوعين بأوهام المبشرين، الذين موّهوا عليهم بأنّ خرق القوانين والعادات ليس من العلم في شيء، واستغفلوهم عمّا يُراد لهم من سوء في عقائدهم، فغرّروا بهم باسم سلطان العقل، وتحكيم العقل، وهي كلمة حقٍ أريد بها باطل، أو أسيء فهمها .

فهم على حذر من المعجزات، ويميلون إلى عدم قبولها، فمنهم النظام، والجاحظ، وهشام بن عمرو الفوطي، وهؤلاء كلهم من المعتزلة وقد أنكروا معجزة شق القمر، وسيأتي الحديث عنهم في الباب الثاني .

والمعتزلة لهم مواقف مقبولة، وعند بعضهم مقالات مرذولة ولكن، هلمّ الخطب في بعض كتّاب العصر وليتهم كالمعتزلة، ولم يكونوا مهزلة، لقد تبعوا في مواقفهم ما وفد به عليهم الغزو الثقافي، فشايعوا من حيث لا يعلمون أعداء دينهم، بحجج موهومة واهية، لقد ذهب جلّ المنكرين لوقوع المعجزات من النبي ﷺ غير القرآن الكريم، متمسكين بأنّ النبي ﷺ لم يصح له أيّ معجزة غير القرآن الذي أذعن المشركون من قريش وغيرهم بأنّه معجزة، حيث تحدّاهم بأن يأتوا بسورة من مثله فلم يستطيعوا، ولست في مقام بيان إعجاز القرآن، وهذا ما اختلف فيه من المسلمين اثنان.

إلّا إنّي أحببت أن أُنبّه على أنّ أقصى ما عند المنكرين من حجة في ذلك، أن قالوا: إنّ المعجزة لو أتى بها متحدّياً لوجب أن تأتي ثمارها من إيمان مَن تحدّاهم، خصوصاً إذا كانوا هم طلبوا منه تلك المعجزة، ولم يُحدّث التاريخ عن موقف واحد استجابوا له فيه، بل على العكس فقد حَدّثهم بمعجزة الإسراء والمعراج فَرَجع بعض من آمن به.

وجواب النقض بأنّ الوليد بن المغيرة من زعماء المشركين كان يسمع آيات الله ثم يولي مستكبراً، ومات على شِركِهِ لعنه الله، وكم له من شبيه.

وأما الردّ عليهم في غير النقض، فإسلام خلق من الناس عظيم يوم أُخبرﷺ بأكل الأُرضة ما في صحيفة المقاطعة إلا مواضع بسم الله ﷻ[1]، ثم إنّ القرآن الكريم وهم أقرّوا بأنّه المعجزة الخالدة، جعل السبب في عدم استجابتهم لله في ذلك، لا لأنّ النبيﷺ لم يستجب لهم أولم تصدر منه معجزة تبهرهم، بل لأنّهم كانوا يطالبون بالآيات كفراً وعناداً وإمعاناً في الاستهزاء بالنبيﷺ كما هو واضح في أسلوب طلبهم ونوع مطالبهم.

فالقرآن حكى عنهم حالهم بقوله تعالى: **﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً﴾**[2] .

ولو علم الله ﷻ فيهم خيراً لأجابهم إلى جميع ما طلبوا، ولكنّهم كما وصفهم تعالى في آية أُخرى، وهي قوله: **﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا**

١- راجع تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٣ ط الغري .

٢- الإسراء: ٩٠ - ٩٣ .

سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾[١] .

وشواهد هذا ما حدث في معجزة تكثير الطعام في بدء الدعوة مثلاً، فقال أبو لهب: سحركم محمد، وفي معجزة انشقاق القمر أيضاً قالوا سحركم محمد وهكذا و هكذا، وقد حكى تعالى قولهم: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[٤] .

ولقد ولع بعض الباحثين عن حياة الرسول الكريم ﷺ، فصوّروه بإطناب كبشر عادي، وأكثروا من الاستشهاد بآيات تنفي الغلو فيه، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[٥] ويكثرون من الاستشهاد بمثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ﴾[٦] ونحو ذلك ثم هم وصفوه بالعبقرية، وبالبطولة، وبالقائد، حتى أكثروا من إصدار الكتب عنه بتلك الأسماء (عبقرية محمد) و (محمد القائد) و (محمد البطل) وأمثالها.

وهذه كلّها ممّا لا ينبغي أن تحلّ محلّ وصف محمد النبي والرسول،وما ذلك منهم إلّا لاستبعاده عن حقائق النبوة وآيات الوحي، ودلالة المعجزة الخارقة على صدقه والآية في تصديقه، فهم قلدوا المستشرقين الذين كادوا المسلمين من حيث لا يشعرون مثل جوستاف

١- الحجر: ١٤ – ١٥ .

٢- الأعراف: ١٣٢ .

٣- النمل: ١٣ .

٤- القمر: ٢ .

٥- فصلت: ٦ .

٦- العنكبوت: ٥٠ .

لوبون وغولدزيهر ولامنس وغيرهم ممن سمّموا أفكار طائفة من أناس تربّوا في مدارسهم، فكان من سوء حظهم أن صاروا ببغاوات يرددون ما يتلى عليهم، وقد خدعوا بزبرجة الألفاظ وبهرجة الألقاب في عصر النهضة العلمية، حيث هبت رياح الغرب في الشرق.

فكان من أُولئك المخدوعين في مصر - ومنها انتشرت السموم فهي مباءة الفساد باسم الثقافة العصرية - وفي بلاد الشام وغيرها طائفة من الكتاب، نذكر منهم على سبيل المثال محمد حسين هيكل، في كتابه (حياة محمد) ومحمد الغزالي في كتابه(فقه السيرة) ومحمد جميل بيهم في كتابه (فلسفة تاريخ محمد) فهؤلاء ناقشوا صدور الآيات والمعجزات للنبي ﷺ إلّا القرآن، فألحقوا باقي المعجزات بالأساطير، وما ذلك إلا لضعف إيمانهم بالدين، حتى سمى لهم شبلي شمّيل: الإيمان بالدين إيماناً بالمعجزة المستحيلة[1]، وأمثال هؤلاء في كتّاب المسلمين كثار وعُثار .

ومن الواضح انّ إنكارهم للمعجزات الخارقة الثابتة بالنقل المتواتر، دليل على عدم إيمانهم الكامل بمعنى النبوة الـ ي هي من المعاني الغيبية التي لا تخضع للمقاييس المحسوسة، ولا تثبت لمدعيها من دون إعجاز خارق، فإنكار المعجزات الخارقة هو هدم لمعنى النبوة وسلبها عن النبي ﷺ، وقد تهرّبوا من وبال النتيجة، فصاروا يصفونه بالعبقرية وبالذكاء الحادّ وقوّة الإرادة .... .

وإلى القارئ ما قاله أحدهم وهو محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) فهو في مقدمته للطبعة الثانية كشف عن مدى النقد اللاذع الذي لاقاهُ في طبعة كتابه الأُولى، وها هو في مقدمة الطبعة الثانية يترنح مبهوراً بمن ناصره على رأيه في إنكار المعجزات الخارقة، وأن ليس غير القرآن من معجزة للرسول ﷺ، وسمى الشيخ محمد رشيد رضا تلميذ محمد

١- ذكر ذلك في مقدمته لتعريب كتاب (بوكنز) في شرح مذهب داروين عن نظرية النشوء والإرتقاء.

عبده وآخرين ممن لا أطيل المقام بذكرهم .

فإلى ما قاله هيكل في كتابه (حياة محمد) قال: في صفحة ٥٤ من تقديم الطبعة الثانية:

«ولو أنّنا عرضنا كثيراً من الأُمور التي ترويها كتب السيرة وكتب الحديث على ما في القرآن لما وسعنا إلا أن نأخذ برأي الأئمّة المدقّقين .

فقد كان أهل مكة يطلبون إلى النبي أن يجري ربّه على يديه المعجزات إذا أرادهم أن يصدّقوه،فنزل القرآن يذكر ما طلبوا ويدفعه بحجج مختلفة، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنْ الأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاّ بَشَرًا رَسُولاً﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ * وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمْ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[2] ولم يرد في كتاب الله ذكر لمعجزة أراد الله بها أن يؤمن الناس كافة على اختلاف عصورهم برسالة محمد إلّا القرآن الكريم.

هذا مع أنّه ذكر المعجزات التي جرت بإذن الله على أيدي من سبق محمداً من الرسل،

١- الإسراء: ٩٠ – ٩٣ .

٢- الأنعام: ١٠٩ – ١١١ .

كما أنّه جرى بالكثير ممّا أفاء الله على محمد وما وجّه إليه الخطاب فيه، وما ورد في الكتاب عن النبي العربي لا يخالف سنة الكون في شيء .

أمّا وذلك ما يجري به كتاب الله وما يقتضيه حديث رسول الله، فأيّ داع دعا طائفة من المسلمين فيما مضى، ويدعو طائفة منهم اليوم إلى إثبات خوارق مادية للنبي العربي ؟ إنّما دعاهم إلى ذلك أنّهم تلوا ما جاء في القرآن عن معجزات من سبق محمداً من الرسل، فاعتقدوا أنّ هذا النوع من الخوارق المادية لازم لكمال الرسالة فصدّقوا ما رويَ منها وإن لم يرد في القرآن، وظنّوا أنّها كلما ازداد عددها كانت أدلّ على هذا الكمال، وادّعى أن يزداد الناس إيماناً، ومقارنة النبي العربي بمن سبقه من الرسل مقارنة مع الفارق، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو مع ذلك أول رسول بعثه الله للناس كافة، ولم يبعثه إلى قومه وحدهم ليبيّن لهم .

لذلك أراد الله أن تكون معجزة محمد معجزة إنسانية عقلية، لا يستطيع الإنس والجن الإتيان بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

هذه المعجزة هي القرآن، وهي أكبر المعجزات التي أذن الله بها، وقد أراد جلَ شأنه منها أن تثبت رسالة نبيه بالحجة البيّنة والدليل الدامغ، وأراد لدينه أن ينتصر بفضل منه في حياة رسوله، ليرى الناس في انتصاره قوة سلطانه، ولو أراد الله أن تكون المعجزة المادية وسيلة إلى إقناع من نزل الإسلام على رسوله بينهم لكانت ولذكرها في كتابه . لكن من الناس من لا يصدّقون إلا ما يقرّه العقل .

لذلك كانت الوسيلة إلى إقناع الناس كافّة برسالة محمد أوثق ما تكون اتصالاً بقلوبهم وعقولهم، فجعل القرآن، حجته البالغة، معجزة النبي الأُميّ إليهم، وجعل انتصار دينه

وقوة الإيمان به آيتين من طريق الدليل اليقيني والإقناع الصادق، والدين الذي يقوم على هذا الأساس أدعى إلى أن يؤمن الناس جميعاً به على كرّ العصور، واختلاف الأُمم وتباين اللغات» .

وقال في صفحة ٥٦ : «وإن كتب السيرة جميعاً لتذكر أنّ طائفة من الذين آمنوا برسالة محمد قبل الإسراء، قد ارتدّت عن إيمانها حين ذكر النبي أنّ الله أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك حوله . ولم يؤمن سراقة بن مالك بن جعشم لما تبع محمداً حين هجرته إلى المدينة ليأتي أهل مكة به حياً أو ميتاً طمعاً في مالهم، على رغم ما روت كتب السيرة من معجزة الله في سراقة وفي جواده، ولم يذكر لنا التاريخ أن مشركاً آمن برسالة محمد لمعجزة من المعجزات كما آمن سحرة فرعون لما لقفت عصا موسى ما صنعوا .

ثم أنّ ما ورد في كتب السيرة والحديث عن المعجزات قد اختلف فيه أحياناً، وقد كان على الرغم من ثبوته في كتب الحديث موضع النقد أحياناً أُخرى، وقد أشرنا إلى مسألة الغرانيق في هذا التقديم وذكرناها مفصلة في الكتاب، وقصة شق الصدر قد وقع فيها الخلاف على ما روته حليمة ظئر النبي لأمه، كما وقع على الزمن الذي حدثت فيه من سنَ النبي، وما روت كتب السيرة وكتب الحديث عن قصة زيد وزينب مردود من أساسه للأسباب التي أبديناها عند الكلام عن هذه القصة أثناء الكتاب .

وقد وقع مثل هذا الخلاف على ما حدث في هذا مسيرة جيش العسرة إلى تبوك، فقد روى مسلم في صحيحه عن معاذ بن جبل أنّ النبي قال لمن سار معه إلى تبوك: «**إنّكم ستأتون إن شاء الله غداً عين تبوك، وإنّكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمسَ من مائها شيئاً حتى آتي، فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان والعين مثل الشراك تبضّ بشيء من ماء، قال: فسألهما رسول الله ﷺ هل مسستما من مائها شيئاً ؟ قالا: نعم،**

فسبّهما النبي ﷺ وقال لهما: ما شاء الله أن يقول، قال: ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء . قال: وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر ـ أو قال غزير، شك أبو علي أيهما قال ـ حتى استقى الناس، ثم قال يُوشك يا معاذ إن طالت بكَ حياةٌ أن ترى ما ها هنا قد مليء جناناً»[1] .

فأما كتب السيرة فتروي قصة تبوك على صورة أخرى لا يرد فيها ذكر المعجزة، وإنّما تجري فيها الرواية على نحو غير ما ورد في صحيح مسلم . من ذلك ما رواه عنها ابن هشام إذ قال: قال ابن إسحاق: فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شَكَوا إلى رسول الله ﷺ . فدعا رسول الله ﷺ فأرسل الله سبحانه السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء .

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد الأشهل قال: قلت لمحمود: هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟ قال: نعم! والله إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفي عشيرته ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك، ثم قال محمود: لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار، فلما كان من أمر الماء بالحِجر ما كان ودعا رسول الله ﷺ حين دعا فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى تروّى الناس قالوا أقبلنا عليه نقول: ويحك ؟ هل بعد هذا شيء ؟ قال: سحابة مارّة .

وهذا الاختلاف على الوقائع يجعل تأكيدها والقطع بها أمراً غير ميسور في نظر العلم، ويقتضي من الذين يمحّصونها ألّا يقفوا عند القول الراجح والمرجوح وقوفاً لا يثبت إحدى الروايتين ولا ينفي الأُخرى، وأقل ما يجب عليهم إذا لم تثبت الرواية عندهم أن

١- راجع صحيح مسلم ٧: ٦٠ ط صبيح .

يُغفلوها . فإذا عثر غيرهم من بعد على الأدلّة اليقينية عليها فذاك، وإلا بقيت غير ثابتة ثبوتاً علميا».

هذا ما قاله في كتابه (حياة محمد) الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤هجـ، ونترك للقارئ حكمه عليه، ولا يفوتني التنبيه على تغيير مواقفه في طبعتي كتابه[١]، ولم يكن وحيد عصره ولا فريد دهره في رأيه في المعجزات الخارقة للعادات، بل هناك آخرون سابقون عليه ولاحقون له ولكلٍ ساقطة لاقطة، وذكرنا اسم رشيد رضا صاحب المنار.

ونضيف محمداً الغزالي حيث ذهب في كتابه فقه السيرة[٢] إلى نفي وقوع ذلك، راجع ما كتبه بعنوان (النبي وخوارق العادات) فقد جاء فيه: « جرت حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ـ الخاصة والعامة – على قوانين الكون المعتادة، فلم تخرج – في جملتها – عن هذه السنن القائمة الدائمة ... ومن المحققين من يرى أنّ القرآن هو المعجزة الفريدة لرسول الله عليه الصلاة والسلام، وهم يلحظون في هذا الحكم التعريف اللفظي للمعجزة من أنّها خارق للعادة مقرون بالتحدّي، ولم يعرف هذا التحدّي إلّا بالقرآن، وقد ملنا إلى قريب من هذا الرأي لا

١- لاحظ صفحة ١٠٤ من الطبعة الأولى تجده ذكر حديث بدء الدعوة ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾.

فذكر قول النبي ﷺ: «... فأيّكم يوازرني على هذا الأمر وأن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟: فأعرضوا عنه وهموا بتركه، لكن علياً نهض وما يزال صبياً دون الحلم وقال: أنا يا رسول الله عونك، أنا حرب على من حاربت ...» فإنّه أسقط من الحديث أولاً ما فرّع به رسول الله ﷺ كلامه من قوله لعلي: فأنت أخي ووصيي ووارثي، ثم نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام ثانياً أنّه قال: أنا يا رسول الله عونك أنا حرب على من حاربت، وهذا ما لم يقله أمير المؤمنين عليه السلام، بل الذي قاله كما في تاريخ الطبري وغيره: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبته وقال: إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فأسمعوا له وأطيعوا . وهذا ما حذفه في الطبعة الثانية في سنة ١٣٥٤هجـ في صفحة ١٣٩، ولعلّه لو طبعه ثالثة لغيّر وبدّل بما شاء له الهوى وأملاه عليه الموروث .

٢- فقه السيرة: ٣٤ ط دار الكتاب العربي سنة ١٣٧٢ .

بالنظر إلى التعريف اللفظي للمعجزة، بل بالنظر إلى القيمة الذاتية للخوارق الأُخرى بالنسبة إلى الأهداف الرفيعة التي جاء بها الإسلام، على أنّه لا صلة للعقيدة ولا للعمل بهذه البحوث، فالرجل الفاسد لا يغفر له فساده إيمانه بأنّ الرسول عليه الصلاة والسلام أظلته غمامة، أو كلّمه جماد، والرجل الصالح لا يغمز مكانته إنكاره لهذه الخوارق ... فإن هذه البحوث ترجع إلى التقدير العلمي لأدلّة الأبحاث، والتقويم المحض لما في الوقائع نفسها من معان، وليس للخطأ والصواب فيها مساس بإيمان ... » إلى غير ذلك ممّا قاله بحجة وبغير حجة .

ونحن لا نقول بأنّ الإيمان بصدور المعجزات هو ميزان الثواب والعقاب، بل نقول بأنّ تكذيب صدورها من النبي ﷺ يستلزم تكذيبه فيما جاء به وأخبر عنه من غيب علّمه اللطيف الخبير .

وأعطف عليهم محمد جميل بيهم في كتابه (فلسفة تاريخ محمد) ولم يذكر مكان الطبع وأحسبه في بيروت، فقد ابتدأ الفصل الثاني عشر بعنوانه: على أيّ شيء قام دين محمد ؟ فقال:

«يخيّل لفئة من المسلمين أنّ الفوز الذي أحرزه النبي في معركة النضال ضد المشركين يعود إلى ما أجراه الله على يديه من المعجزات، وإنّ هذه المعجزات كان لها شأن، وأيّ شأن، في إقبال الناس على الإيمان برسالته ... ونحن نعالج هنا هذا الموضوع لنثبت أنّ الإسلام لم يقم على المعجزات ... » هل قام الإسلام على المعجزات ؟ عنوان جاء فيه:

«تحيط بالأنبياء والرسل هالة من التعظيم مشفوعة بالمحبة، درج المؤمنون بهم على تزويدها بمقدار كبير من أنباء المعجزات يتفق مع تعظيمهم لهم ومحبتهم، وكان بعض رجال الإيمان يجيزون لأنفسهم الأخذ بذلك التزويق بغية حمل الناس على الإيمان بذويهم

من أصحاب الرسالة، على اعتبار أنّ الغاية تبرّر الواسطة، واستناداً إلى علمهم بأنّ عامة الشعوب هم كالأطفال يستطيبون السير بقدر ما فيها من عجائب وغرائب .

وقد اقتبس بعض المسلمين هذه الطريقة حينما تناول الأعاجم منهم تدوين التاريخ، ذلك بأنّ فريقاً من هؤلاء كانوا يشتهون أن لا تبقى سيرة النبي مجرّدة عن الخوارق والمعجزات التي تحفل بها سيَر أنبيائهم في أديانهم السابقة، فراحوا ينسبون لمحمد معجزات لم يرد ذكرها في القرآن، ولم يشر إليها الحديث . وعلى ما روى كتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم ص٢٦: «فإنّ معجزات الرسول بلغ عددها ٤٠٥٠ معجزة جمعت في مجلدين» .

ولما وضعوا سيرة مولد النبي استساغ بعض الفرس الذين أسلموا أن يزجّوا فيها تلك الخرافات التي كانت تحفل بها سيرة نبيّهم السابق زرادشت، فجاءت قصة المولد على شكل مليء بالخوارق التي لا تتفق مع مصادر الإسلام، ومليء بالسخائف التي لا تتلاءم مع عظمة محمد .

وقد قال محمد عبد الله السمّان في هذه المناسبة: «إنّه لمن دواعي الأسف أن يكون محمد هذا كل نصيبه اليوم من التقدير أن ترتفع عقائر المؤذّنين من فوق مآذنهم، ومحترفي التواشيح الدينية في إذاعاتهم وحفلاتهم لتتحدّث عن محمد ... كحيل العينين، أحمر الخدين، جميل الوجه، الذي ظلله الغمام، وكلّمته الغزالة، وحنّ إليه الجذع، وشكا إليه البعير، وسبّح له الحصى، ونبع الماء من بين أصابعه»[1].

والواقع أن ثِقات العلماء من المسلمين كابن رشد في كتابه (الكشف عن مناهج الأدلة) أجمعوا على أنّ محمداً كان في دعوته إنّما يعتمد على الإقناع والإيمان، وكان كما وصفه حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) «حريصاً على أن يقدر المسلمون أنّه بشر مثلهم يوحى إليه، حتى كان لا يرضى أن تنسب إليه المعجزة غير القرآن» وأنكر هؤلاء الثِقات

١- محمد رسول البشر: ١٢٤.

على أمثال البيهقي وأبي نعيم والقاضي عياض تكديسهم المعجزات فيها وضعوه من أسفار.

وقد عالج هذا الموضوع الشيخ محمد عبده في كتابه (الإسلام والنصرانية) وقال عن محمد: «كان لا يعتمد على شيء في دعوته إلى الإيمان بالله ووحدانيته سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري، فلا يدهشك بخلاف العادة، ولا يغشي بصرك بأطوار غير معتادة».

وجرى محمد رشيد رضا في كتاب (الوحي) مجرى أُستاذه الشيخ محمد عبده وقال: «إنّ محمداً لم يدع أحداً من الناس، ولا أمة من الأمم، إلى الإيمان برسالته، بأن قدّم بين يدي دعواه خارقاً من الخوارق الأفعال، مثل قلب عين من الأعيان إلى عين أُخرى ..».

وكان استناد هؤلاء الثِقات يقتصر على القرآن الذي بين أيدينا، وعلى الحديث الصحيح، وهما وحدهما المرجع في هذا الشأن والحكم، ففي القرآن آيات متعدّدة تشير إلى تكرار طلب المشركين من النبي أن يجري ربه على يديه المعجزات حتى يؤمنوا به، وفي الجواب على هذا التحدّي كان القرآن يرد عليهم:

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً﴾[1].

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

١- الإسراء: ٩٠ – ٩٣.

٢- الأنعام: ١٠٩.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[1] .

وفي الحديث الشريف: «ما من الأنبياء نبي إلّا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثر تبعاً» .

وبعد هذا الكلام الصريح في الجواب على تحدّي المشركين في صدد طلب المعجزات، ألا يحق لنا أن نتساءل من أين جاؤا بـ(٤٠٥٠) معجزة نسبوها لمحمد ؟ ثم نتساءل من أين استقى واضعوا تلك السير النبوية الخوارق التي زجّوها فيها ؟

بلى إنّ هناك آية واحدة لمحمد أشار إليها القرآن في معرض طلبات المشركين المتكررة أن يأتيهم بالمعجزات، وهي تنزيل الكتاب عليه:

﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهَّ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾[2] .

فبعد ما قرأناه من أقوال كتّاب المسلمين في إنكارهم لمعجزات الرسول جملة وتفصيلاً، فلا عجب لو رأينا كاتبا مسيحياً كالدكتور نظمي لوقا يذهب إلى ذلك في كتابه (محمد الرسالة والرسول) فيقول في ص٨٦ – ٨٧: «إنّ رسول الإسلام هو أول رسول بُعث إلى الناس،وانبرى لدعوتهم إلى دينه من غير مدد من المعجزات الخاطفة للأبصار الخالبة للأنظار، فقد أُريد للناس أن يشعروا أنّ رسولهم مثلهم حقاً وصدقاً كما جاء في سورة الكهف، لا يملك من الخوارق أكثر ممّا يملكون، وليس له من سلطان عليهم، وإنّما الأمر إليهم .. كي يكون اهتداؤهم نابعاً من قدراتهم البشرية، وعن إقناعهم الذاتي، بغير

١- الكهف: ١١٠ .

٢- العنكبوت: ٥٠ – ٥١ .

تأثير غريب عن معدن العقل والضمير ...»[١] .

وقال في ص٨٨: «وفي يقيني أنّ تأييد حق بخارقة غير طبيعية مسألة لا تستساغ إلّا في حالات انحطاط العقل البشري، فهذا أشبه بالإحتيال على الطفل ليقبل الطعام الذي يقيم أوده، وهو حري أن يطلبه ويلجّ في طلبه لو أوتي الرشد.

كذلك العقل السويّ يجد امتهاناً له أن يحتال عليه صاحب دعوى بخارقة لا علاقة لها بصدق تلك الدعوى، فإنّ كل دعوى صادقة أو كاذبة لذاتها لا لأمر خارج عنها، فالحقيقة لآية نفسها ولا مراء في ذلك ..».

وقال في ص٩٠: «ولا أملك نفسي من الإعجاب أن أورد هنا ما قاله الإمام محمد عبده في مفتتح كتابه (الإسلام والنصرانية): فالإسلام في هذه الدعوة لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري، فلا يدهشك بخارق العادة، ولا يغشي بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة آلهية .

وقد اتفق المسلمون إلّا قليلاً ممن لا يعتقد برأيهم فيه، على أنّ الإعتقاد بالله مقدّم على الإعتقاد بالنبوات، وأنّه لا يمكن الإيمان بالرسل إلّا بعد الإيمان بالله، فلا يصح أن يؤخذ الإيمان بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة، فإنّه لا يعقل أن تؤمن بكتاب أنزله الله إلّا إذا صدّقت قبل ذلك بوجود الله، وبأنّه يجوز أن ينزل كتاباً أو يرسل رسولاً، رحم الله الأُستاذ الإمام» .

أقول: هؤلاء النماذج من جملة الزبارج وإن كانوا هم الذين يتحملون وزر الناشئة

١- محمد الرسالة والرسول تأليف الدكتور نظمي لوقا، مقدمة بقلم السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم للجمهورية العربية المتحدة، قررت وزارة التربية والتعليم تدريس هذا الكتاب بمدارسها بإقليمي الجمهورية / الطبعة الثانية أغطس ١٩٥٩م طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم. تراجع الصفحات التالية منه ٨٦ – ٨٧ – ٨٨ .

المشككة، إلّا انّ لهم سلف فماذا عنهم؟

المبحث الثاني: في معرفة أسماء المنكرين لمعجزة شق القمر من الأولين والآخرين.

أما الذين أنكروا وقوع آية انشقاق القمر، بمكة وحملوا الآية في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[1] على كونه فيما بعد، فمنهم الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠هجـ، وعطاء المكي المتوفى سنة ١٣٥ هجـ والبلخي ؟ ولابدّ من التعريف بهؤلاء الثلاثة لتقييم موقفهم في إنكار وقوع آيةِ الانشقاق، ومبلغ حجتهم من الصحة .

فأما الأولان وهما الحسن البصري وعطاء المكّي فكلاهما من التابعين، وقد طعن العلماء في أخبارهما، حتى قال أحمد بن حنبل: «ليس في المراسيل أضعف من مراسيل الحسن وعطاء، كانا يأخذان عن كل أحد » فما ظنك بآرائهما، وسيأتي مزيد عن ذلك إن شاء الله.

وأما ثالث القوم فذكرَ المفسرون بأنّه البلخي ولم يفصحوا عن اسمه، ولدى الفحص عن المعروفين من المفسرين بهذه النسبة، وجدنا أسماء أربعة كلّهم يلقّب بالبلخي:

أولهم مقاتل بن حيّان البلخي الخراز من تابعي التابعين، ذكره النووي في تهذيب الأسماء واللغات ٢: ١١٠ وقال: روى عن... وعطاء بن أبي رباح... والحسن البصري... واتفقوا على توثيقه والثناء عليه ...[2] .

ثانيهم مقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة ١٥٠ هجـ، وهذا ورد في ذمه الكثير حتى قال البخاري: مقاتل بن سليمان خراساني منكر الحديث سكتوا عنه، وقال السعدي عنه: كان دجّالاً جسوراً، سمعت أبا اليمان يقول: قدم هاهنا فلما أن صلّى الإمام أسند ظهره إلى

١- القمر: ١ .

٢- تهذيب الأسماء واللغات ٢: ١١٠ .

القبلة قال: سلوني عما دون العرش ـ وحُدِّثْتُ أنّه قال مثلها بمكة ـ فقام إليه رجل فقال: أَخبرني عن النملة أين أمعاؤها ؟ فسكت[١].

وذكره الداودي في طبقات المفسرين[٢] فقال: كذّبوه وهجروه، ورمي بالتجسيم، وهذا روى عن عطاء ومجاهد والسبيعي والزهري والضحاك بن مزاحم.

فهذا أحد الرجلين اللذين اسم كلٍ منهما مقاتل، وكل منهما منسوب (البلخي) فيا هل ترى من هو المقصود ؟ وأقرب احتمالاً أن يكون هو المراد بالبلخي ؟ وكل منهما يروي عن عطاء إلّا أنّ الأول يروي عن الحسن البصري فربما كان هو المراد، وإن وردَ مدحه على لسان مترجميه، وقد يكون هو الثاني لشهرته بالتفسير كما قال ابن أبي حاتم في تعريفه: هو صاحب التفسير والمناكير . وهو الأرجح عندي .

ثالثهم هو أبو زيد أحمد بن سهلٍ البلخي المتوفى سنة ٣٢٢ هجـ، وهذا الرجل تحامل عليه أبو حيان في الإمتاع والمؤانسة[٣] بغير حقٍ وقد ذكره الداودي في طبقات المفسرين[٤]، فحكى عن النديم في الفهرست فقال: كان فاضلاً في علومٍ كثيرة، وكان يسلك طريق الفلاسفة، ويقال له: جاحظ زمانه، وكان يرمى بالإلحاد (؟!) يحكى عن أبي القاسم البلخي الذي ذكره أنّه قال: هذا رجلٌ مظلوم، وإنّما هو موحّد ـ يعني معتزلياً - وأنا أعرف

١- رواه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٦: ٤٣٥، وذكر النووي في تهذيب الأسماء واللغات ٢: ١١١ ط المنيرية أنّ الأوزاعي كان حاضراً فقال لرجل: قم إليه فاسأله ما ميراثه من جدتيه ؟ فحار ولم يكن عنده جواب، فما بات فيها إلّا ليلة واحدة فخرج من الغداة .

٢- طبقات المفسرين ٢: ٣٣٠ .

٣- الإمتاع والمؤانسة ٢: ١٥ .

٤- طبقات المفسرين ١: ٤٢ .

به من غيري، وقد نشأنا معاً وقرأنا المنطق .... .

وذكروا له عدة كتب منها (عصمة الأنبياء) و (نظم القرآن) و (غريب القرآن) و (بيان أنّ سورة الحمد تنوب عن جميع القرآن) و (الحروف المقطعة في أوائل السور) و (كتاب في تفسير الفاتحة) و (قوارع القرآن) إلى غير ذلك من مؤلّفات تكذّب زعم رميه بالإلحاد .

ولم يذكر عنه شيء في إنكار وقوع شق القمر، بل على العكس من ذلك فقد ذُكِرَتْ معاجز النبي ﷺ في كتاب البدء والتاريخ المنسوب إليه[1]، فقال: ثم كان انشقاق القمر، يقول الله ﷻ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[2] .

ثم غلبة الروم بقول الله ﷻ: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾[3] .

وله كلام غير هذا في عدّة مواضع من الكتاب المشار إليه، غيرَ أنّ نسبة الكتاب إليه لا تصح لورود تواريخ في ضمن الكتاب من بعد سنة ٣٢٢ هـ التي أرّخوا فيها وفاة أبي زيد أحمد بن سهل البلخي، ولعلّ الكتاب لمطهر بن طاهر المقدسي كما كتب على ظهره، ومهما تكن صحة النسبة وعدَمها، فإنّ البلخي المنسوب إليه القول بعدم صدور معجزة شق القمر ليس أحمد بن سهل هذا .

رابعهم عبد الله بن أحمد بن محمود أبو القاسم البلخي الحنفي، ويعرف بالكعبي عالم متكلّم رئيس أهل زمانه توفيَ سنة ٣١٩ هـ ، وله عدّة تصانيف ذكرها النديم في الفهرست، وابن خلكان في الوفيات، والخطيب في تاريخ بغداد وغيرهم، وهو ليس المنسوب إليه

١- البدء والتاريخ ٢: ١٥٧ – ١٥٨ ط أُفست المثنى والخانجي .

٢- القمر: ١ .

٣- الروم: ١– ٤ .

القول بإنكار وقوع شق القمر .

ثلاثة آخرون أنكروا ولم يُذكروا:

لئن كان الحسن وعطاء ومقاتل البلخي أنكروا وقوع انشقاق القمر بمكة، لكنهم لم ينكروا وقوعه بعد ذلك في يوم القيامة .

ولكن هلمّ الخطب في ثلاثة آخرين أنكروا ذلك جملة وتفصيلاً، وهؤلاء لم يذكرهم المفسرون، بل ذكرهم المتكلّمون وأصحاب المقالات والفرق عند ذكرهم، وهم:

أولهم إبراهيم بن سيار النظام توفيَ سنة ٢٣١ هـ، من شيوخ المعتزلة، نسب إليه القول بذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه تثبيت دلائل النبوة وسيأتي كلامه في ذلك .

ثانيهم عمرو بن بحر الجاحظ توفيَ سنة ٢٥٥ هـ، نسب إليه القول بذلك المرزوقي المتوفّى سنة ٤٥٣ هـ في كتابه الأزمنة والأمكنة، وسيأتي كلامه في ذلك .

ثالثهم هشام بن عمرو الفوطي - معاصر المأمون العباسي - نسب إليه القول بذلك صديق حسن خان القنُوجي المتوفّى سنة ١٣٠٧ هـ في كتابه خبيئة الأكوان[1]، وسيأتي كلامه في ذلك.

---

١ - راجع خبيئة الأكوان، لصديق حسن خان القنوجي ص٢٤٢ ط الجوائب سنة ١٢٩٦ هـ جاء في سير أعلام النبلاء ٩: ٢١٧ ط دار الفكر: هشام بن عمرو أبو محمد الفوطي المعتزلي الكوفي... صاحب ذكاء وجدال، وبدعة ووبال... . وذكره ابن النديم في الفهرست: ٢١٤ ط رضا تجدد تحت عنوان (ذكر قوم من المعتزلة أبدعوا وتفرّدوا) وذكر بعض مقالاته الفاسدة منها: «إنّ الشيطان لا يدخل في الإنسان وإنّما يوسوس له من خارج والله جلّ عن ذلك، يوصل وسوسته إلى قلب ابن آدم ليبتليه. وذكره عبد القاهر البغدادي المتوفّى سنة ٤٢٩ هـ في كتابه الفَرقُ بين الفِرق: ٩٦ - ٩٩ ط عزت العطار سنة ١٣٦٧ هـ وقال: وفضائحه بعد ضلالته تترى منها، ثم عدّ ثمانيَ فضائح كما سماها، ونحا نحوه أبو المظفر الإسفرايني المتوفّى سنة ٤٧١ هـ في كتابه التبصير في الدين: ٤٦ ط عزت العطار سنة ١٣٥٩ هـ بمصر، فعد جملة من فضائحه، وذكر قوله: إنّ انشقاق القمر وفلق البحر وقلب العصا حية لا يدل على شيء من معجزاتهم» فإن صح هذا فيس هو بإنكار للانشقاق كما ذكره صديق حسن خان في خبيئة الأكوان .

فهؤلاء الثلاثة الذين عثرت على أسمائهم ممن أنكروا معجزة شق القمر، وكلّهم من المعتزلة مضافاً إلى الثلاثة السابقين، وثلاثة أيضاً من الآخرين ولعل لهم أتراباً وأضراباً، فلا نطيل الوقوف فعلاً عندهم، فمن وراء الجميع يوم الحساب .

المبحث الثالث: في أسماء المنكرين لمعجزة ردّ الشمس والكلام في مسألتين:

المسألة الأولى في أسماء المنكرين لردّها على العهد النبوي الشريف .

والمسألة الثانية في المنكرين لردها على العهد العلوي المنيف .

فالمسألة الأولى في المنكرين لردّ الشمس في أيام الرسول صلى الله عليه وآله، وهم فيها أحصيت ثمانية، وإنّ إنكار الأبناء الثمانية لكرامة ردّ الشمس هو الثابت والمحقق عندي، ولا غرابة من هؤلاء لأنّهم أُناس لم يستمرئوا طعم الإيمان من خلال حبُ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: حبّه من الإيمان وبغضه من النفاق[1] ولما أنكروا ردّ الشمس، عددناهم من النواصب الشُمس، وهؤلاء الأبناء الثمانية، هم التالية أسماؤهم:

١- ابن المديني المتوفى سنة ٢٣٤ هجـ .

٢- ابن فورك المتوفى ٤٤٦ هجـ .

٣- ابن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦ هجـ .

٤- ابن عساكر الشافعي الشامي المتوفى سنة ٥٧٣ هجـ .

٥- ابن الجوزي الحنبلي المتوفى سنة ٥٩٧ هجـ .

٦- ابن تيمية الحراني الحنبلي المتوفى سنة ٧٢٨ هجـ .

٧- ابن قيم الجوزية الحنبلي المتوفى سنة ٧٦٧ هجـ .

١- راجع كتاب علي إمام البررة ١: ٩٣ - ١٠١ .

٨- ابن كثير الشامي الشافعي المتوفى سنة ٧٧٤ هجـ.

هؤلاء هم أصحاب الشبهات والتشكيكات الذين وقفت على آرائهم في **مسألة ردّ الشمس في العهد النبوي الشريف**، فضلاً عن إنكارهم لها في العهد العلوي المنيف، فقد تبدت صفحاتهم السُّودُ عن نُصبهم وعنادهم، فسوّدوا صفحاتهم بمدادهم، إذ لم يستسيغوا أن يكون حديث ردّ الشمس وفيه كرامة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يكون صحيحاً، فناقشوا في إسناده تارة وفي متنه أُخرى، ولم يأتوا بالمفيد، وإنّما هو اجترار يتلمّظه القريب منهم من البعيد، وفي ذلك إنكار قدرة المبدئ والمعيد.

وإلى القارئ قبل ذكر أقوالهم ومعرفة أحوالهم، بما يسعه المجال، أن ننبّهه على أمر ذي بال، وهو أنّ ردّ الشمس في جوهره من سنخ آية شق القمر، فكلاهما من وادٍ واحد، فمن سلّم بتلك الآية فيجب عليه أن يذعن مسلّماً للآية الأُخرى، لأنّهما في حقيقتهما كانا معجزة للنبي صلى الله عليه وآله، فما صدر على عهده، بنزول الوحي السماوي بمدّه، فكذلك ما صدر من بعده، فهو صادر من وصيّه أمام جنده، وقد ثبتت وصايته، وصحت روايته، كما سيأتي تفصيل ذلك. والآن إلى مزيد من معرفة أولئك النفر المنكرين المستكبرين، فنقول:

أولهم علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح ... السعدي مولاهم البصري المعروف بابن المديني (ت ٢٣٤ هجـ) ذكره العقيلي في الضعفاء وقال: جنح إلى ابن أبي دؤاد والجهمية[1] وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال[2]، وتحامل على العقيلي في ذكره لابن المديني في كتابه ومع ذلك الدفاع المستميت عنه حكى في سير أعلام النبلاء قول الأصمعي لعلي بن المديني:

١- الضعفاء للعقيلي ٣: ٢٣٥ برقم ٤٢٥.

٢- ميزان الاعتدال ٣: ١٣٨.

والله يا علي لتتركن الإسلام وراء ظهرك[1].

أقول: (ويل لمن كفَّرهُ النمرود) إذا كان مثل الأصمعي الناصبي يقول مثل هذا القول لعلي بن المديني فما ظنّك به ... وحكى الذهبي خبر الرقعة التي ناولها ابن أبي دؤاد لابن المديني وقال: هذه طرحت في داري، فإذا فيها:

يا ابن المدينيّ الذي شُرعت له ... دنيا فجاد بدينه لينالها

ماذا دعاك إلى اعتقاد مقالة ... قد كان عندك كافراً من قالها

أمرٌ بدا لك رُشدَه فقبلتَه ... أم زهرةَ الدنيا أردت نوالها

فلقد عَهدتك لا أباً لك مرة ... صعب المقادة للتي تدعى لها

إن الحريب لَمَنْ يصابُ بدينهِ ... لا مَنْ يُرَزّى ناقةً وفصالَها[2]

فهذا الرجل الذي كان مع ابن أبي دُؤاد وطعم من دنياه فطمع هو الآخر في دينه، وكلاهما من زمرة وعاظ السلاطين الذين كانوا مع المتوكل الناصبي المعلن بنصبه لعنه الله، لا يستغرب منه لو قال: خمسة أحاديث يروونها ولا أصل لها عن رسول الله ﷺ حديث: «لو صدق السائل ما أفلح من ردّه» وحديث: «لا وجع إلّا وجع العين، ولا غمّ إلّا غم الدين» وحديث: «أنّ الشمس ردّت لعليّ بن أبي طالب» وحديث أنّه قال ﷺ: «أنا أكرم على الله من أن يدعني تحت الأرض مائتي عام» وحديث: «أفطر الحاجم والمحجوم انّهما كانا يغتابان»[3].

١- سير أعلام النبلاء ٣: ٣٤٥.

٢- الأبيات في تاريخ بغداد ١١: ٤٦٩ - ٤٧٠.

٣- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ٣: ١٩٥ ط المنيرية، وعنه أفست دار الكتاب العربي بيروت، ولم يعقب ابن ←

ثانيهم محمد بن الحسن الأصفهاني ويعرف بابن فورك وصفه الذهبي بقوله: (الإمام العلّامة الصالح شيخ المتكلّمين ...) (... حمل مقيّدا إلى شيراز للعقائد ...) وهذا يستدعي وقفة تأمل، والبحث عن سبب حمله مقيّداً، ولئن دمدم الذهبي في ذكره فقد أبانه أبو الوليد الباجي بقوله: (أنّ السلطان محموداً سأله عن رسول الله، فقال: كان رسول الله وأما اليوم

←القيم على ذلك بشيء، وكأنّه ارتضى ذلك من ابن المديني مع أنّ الأحاديث التي ذكرها كلها لها تخريجات صحيحة في دواوين الحديث، وإليك ذكر المصادر وعلى القارئ المراجعة لُلتأكُّدِ من كذب ابن المديني ومن وافقه .

الحديث الأول (لو صدق السائل ما أفلح من ردّه) ذكر في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٦: ٧٦٢ نقل عن ثمانية مصادر منها التمهيد لابن عبد البر وإتحاف المهرة بزوائد المسانيد العشرة لابن حجر العسقلاني وغيرها فراجع .

الحديث الثاني (لا وجع إلّا وجع العين، ولا غمّ إلّا غم الدين) ورد في الموسوعة المشار إليها آنفاً بلفظ (لا وجع إلّا وجع العين، ولا همّ إلّا هم الدين) عن سبعة مصادر منها مجمع الزوائد في مكانين، ومنها سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٧٤٦ وغيرها فهو إذن له أصل وإن كان بعض رواته ضعيفاً .

الحديث الثالث (انّ الشمس ردّت لعليّ بن أبي طالب) وهذا هو بيت القصيد عند ابن المديني الذي كان يلحس قصاع ابن أبي دؤاد وهما معاً من زبانية المتوكل الناصبي العنيد، وسيأتي البحث حوله سنداً ومتناً بما يغني ويفيد.

الحديث الرابع (أنا أكرم على الله من أن يدعني تحت الأرض مائتي عام) ورد في الموسوعة المشار إليها آنفاً ٢: ٥٠٩ نقلاً عن الحاوي واللئالي فراجع .

الحديث الخامس (أفطر الحاجم والمحجوم انهما كانا يغتابان) ورد في الموسوعة نقلاً عن أكثر من ثلاثين مصدراً بينها سنن أبي داود في أربعة مواضع، والترمذي في موضع واحد، وابن ماجة في ثلاثة مواضع، ومسند أحمد في خمسة عشر موضعاً، وسنن البيهقي في ثلاثة مواضع، وسنن الدارمي في موضعين، ومصنف عبد الرزاق في خمسة مواضع، ومعجم الطبراني الكبير في سبعة مواضع إلى غير ذلك من المصادر من دواوين الحديث لأعلام المحدّثين، فكل هؤلاء لم يستضيئوا بنور علم ابن المديني، وخفي عليهم ما علمه ابن المديني، وفيهم أحمد بن حنبل و كان معاصراً له ومصاحباً له، ثم جفاه لأنّه دخل مداخل السوء وضلع في ركاب الظالمين .

فلا، فأمر بقتله بالسم) وقال ابن حزم: (كان يقول: إنّ روح رسول الله قد بطلت وتلاشت، وما هي في الجنة)[١] .

وذكر الذهبي في ترجمة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي في سير أعلام النبلاء [٢] أنّ ابن فورك دخل على السلطان محمود فقال: لا يجوز أن يوصف الله بالفوقية لأنّ لازم ذلك وصفه بالتحتية، فمن جاز أن يكون له فوق جاز أن يكون له تحت، فقال السلطان: ما أنا وصفته حتى يلزمني، بل هو وصف نفسه، فبهت ابن فورك، فلما خرج من عنده مات، فيقال: انشقت مرارته .

أقول: ومن العجب من الذهبي في وصفه للرجل (بالإمام العلّامة الصالح شيخ المتكلّمين..) فأين منه الصلاح وهو صاحب هذه المقالات الشنيعة الفظيعة!؟ ومع ذلك فقد حكى عن ابن خلكان قوله: ومشهده بالحيرة يزار ويستجاب الدعاء عنده، وعن عبد الغافر قوله: قبره بالحيرة ـ من نيسابور ـ يُستسقى به .

فهذا الرجل أنكر ردّ الشمس بدعوى امتناع خرق النواميس الطبيعية الكونية، لأنّ ذلك يستلزم حدوث اختلال في النظام الكوني في المجموعة الشمسية، ولو صحّ ذلك لزم أن يراه جميع أهل الأرض، وينقل إلينا بالتواتر لأنّه حدث مهمّ، وهذا لم ينقل فهو إذن لم يكن، وهذه مقالة بعض الفلاسفة، وتبعهم على هذه الشبهة بعض المتكلمين ومنهم ابن فورك المذكور آنفاً . فقد قال ذلك في كتابه الفصول، بعد أن أخرج الحديث عن أسماء بنت عميس، فاعترض وقال: إنّه لو كان صحيحاً لرآه جميع الأبشار ـ يعني البشر ـ في سائر الأقطار.

١- سير أعلام النبلاء ١٣: ١٣٠ ط دار الفكر .

٢- المصدر نفسه ١٣: ٣١٤ .

وهذا ما حكاه عنه البياضي في الصراط المستقيم[١] ثم قال البياضي رداً عليه: أجبنا بانشقاق القمر للنبي المختار، ولم تعترف به طوائف الكفار، وقد اختلف الناس بما هو أظهر من ذلك، البسملة والوضوء وغيره ممّا كان النبي ﷺ يكرّره .

ثالثهم علي بن أحمد ابن حزم الظاهري الأموي هوىً وولاءً، والمجوسي أصلاً وابتداءً، راجع بشأنه تاريخ ابن خلكان في ترجمته، ستجد طائفة من أقوال العلماء فيه، نحو: كان كثير الوقوع في العلماء المتقدّمين، لا يكاد يسلم أحد من لسانه، وكان لسان ابن حزم وسيف الحجاج بن يوسف الثقفي شقيقين[٢]، إلى غير ذلك .

فهذا الرجل أنكر ردّ الشمس وشتم الرافضة لقولهم بذلك كما في كتابه الفِصَل في الملل والنحل، وقد ذكر ذلك ثلاث مرّات .

١- قال: ولا يختلفون ـ الرافضة ـ في أنّ الشمس ردّت على علي بن أبي طالب مرّتين: أفيكون في صفاقة الوجه وصلابة الخد وعدم الحياء على الكذب أكثر من هذا، على قرب العهد وكثرة الخلق[٣] .

٢- وقال: ولا فرق بين من ادّعى شيئاً ممّا ذكر ـ وقد ذكر جملة من الخرافات ـ وبين دعوى الرافضة ردّ الشمس على علي بن أبي طالب مرّتين[٤] .

٣- وقال: وأقلّ الروافض غلواً يقولون: إنّ الشمس ردّت على علي بن أبي طالب مرّتين.

أقول: وهذا الذي قاله ابن حزم كله مجرّد شتائم، ولم يذكر كلمة واحدة وجهاً

١- الصراط المستقيم ١: ٢٠١ – ٢٠٣ .

٢- دائرة معارف القرن العشرين، فريد وجدي ٢: ٤٣٢ عن ط مصر أفست دار الفكر بيروت .

٣- الفِصَل ٤: ١٣٩ ط مصر سنة .

٤- نفس المصدر ٥: ٣ .

للتكذيب، فكل ما فاه به هو سب وسخرية واستهزاء، وساوى بين الحديث الثابت ـ كما سيأتي ـ وبين الخرافة وجعل ذلك من الغلوّ، ولم يَشفَعهُ بحجة مقبولة أو مرذولة، لكي ينظر القارئ فيها قبولاً أو ردّاً، فكان مبلغ علمه قبح الكلام وشتم الكرام، الذي هو سلاح اللئام.

ونحن بعد أن قدّمنا معرفته للقارئ في تطاوله على من يخالفه الرأي، فلا نطيل الوقوف معه في محاسبته، ونكتفي بما قاله فيه محمد بن عبد الهادي ـ تلميذ ابن تيمية ـ: «وهو كثير الوهم في الكلام على تصحيح الحديث وتضعيفه، وعلى أحوال الرواة»[1] وبما قاله الشيخ ناصر الدين الألباني تعقيباً على ذلك: «فينبغي أن لا يؤخذ كلامه على الأحاديث إلا بعد التثبت من صحته وعدم شذوذه، شأنه في الفقه الذي يتفرّد به، وعلم الكلام الذي يخالف السلف فيه ..»[2] وحكى ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان في ترجمة ابن حزم أقوال من جرحوه وفيهم مؤرخ الأندلس .

أقول: كيف يتأتى النظر فيما قاله في الحديث هنا إذ لم يأت في إنكاره بغير شتم الرافضة! فإنكاره من الدفع بالصدر وزيادة في الأصر .

رابعهم من المنكرين المستكبرين هو ابن عساكر الشافعي الشامي، فهو لدة ابن حزم في دفعه بالصدر، وإن كان هو غيره في ازدياد الأصر، فقد ذكر الحديث بأسانيده في كتابه تاريخ مدينة دمشق الكبير في (ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) وعقّب على ذلك بقوله: «هذا حديث منكر، وفيه غير واحد من المجاهيل»[3].

١- مختصر طبقات المحدّثين: ٤٠١ كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١: ١٤١ .

٢- سلسة الأحاديث الصحيحة ١: ١٤١ .

٣- تاريخ مدينة دمشق (ترجمة الإمام) ٢: ٢٩٢ تحقيق الشيخ المحمودي .

أقول: ولابدّ لنا من تعقيب على ذلك حين نذكر الحديث بأسانيده، عند النظر في رجاله، لنُري القارئ مَن هم المجاهيل الذي عناهم، فيعلم صدقه من كذبه، في حكمه على المتن بالنكارة، وعلى غير واحد في رجال الإسناد بالجهالة . وهذا ما سنقرؤه للقارئ في الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

خامسهم: من المنكرين المستكبرين هو ابن الجوزي الحنبلي، فقد ذكر الحديث في كتابه الموضوعات[1] ذكره بعدة طرق، وعقّب عليها بقوله: «هذا حديث موضوع بلا شك، وقد اضطرب الرواة فيه » ثم نثر ما في مخيّلته من أقصى حيلته، فاتهم به ابن عقدة الزيدي، وختم كلامه بقوله: «قلت: ومن تغفيل واضع هذا الحديث أنّه نظر إلى صورة فضيلة، ولم يتلمح إلى عدم الفائدة، فإنّ صلاة العصر بغيبوبة الشمس صارت قضاء، فرجوع الشمس لا يعيدها أداءً . وفي الصحيح عن النبي ﷺ: إنّ الشمس لم تحبس على أحد إلّا ليوشع».

أقول: لقد كفانا مؤنة الرد عليه جماعة من الحفّاظ وفي مقدّمتهم سبطه يوسف بن قزأوغلي في كتابه تذكرة الخواص، كما ردَ عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني والسيوطي، وغير هؤلاء، كما سيأتي محكي أقوالهم في الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

سادسهم من المنكرين المستكبرين هو ابن تيمية الحراني الحنبلي الذي تحامل بظلم على العلامة الحلي في رده على كتابه (منهاج الكرامة) بكتابه (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية) فقد قال فيه[2]:

فصل: قال الرافضي ـ يعني به العلّامة الحلي ـ التاسع: رجوع الشمس له مرّتين . . . .

والجواب أن يقال: فضل علي وولايته لله، وعلوّ منزلته عند الله، معلوم عند الله ولله

١- الموضوعات ١: ٣٥٥ – ٣٥٧ ط الأولى نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٢- منهاج السنّة٤: ١٨٥– ١٩٥ ط بولاق .

الحمد من طرق ثابتة، أفادتنا العلم اليقيني، لا يحتاج معها إلى كذب، ولا إلى ما لا يعلم صدقه . وحديث ردّ الشمس له، قد ذكره طائفة كالطحاوي والقاضي عياض وغيرهما، وعدّوا ذلك من معجزات النبي ﷺ، لكنْ المحققون من أهل العلم والمعرفة بالحديث، يعلمون أنّ هذا الحديث كذب موضوع، كما ذكره ابن الجوزي في كتاب الموضوعات، فرواه من كتاب أبي جعفر العقيلي في الضعفاء (ثم حكى ما ذكره ابن الجوزي) إلى أن قال: أما الثاني ببابل، فلا ريب أنّ هذا كذب، وإنشاد الحميري لا حجة فيه، لأنّه لم يشهد ذلك الكذب قديم فقد سمعه فنظمه، وأهل الغلو في المدح والذم ينظمون مالا تتحقق صحته، لا سيما والحميري معروف بالغلوّ .

أقول: وسيأتي الردّ عليه في الباب الثالث حين يقرأ القارئ رواية الصحابة والتابعين والأعلام من الحفاظ للحديث، ويقف على أسماء جمع ممّن خصّه بتأليف خاص، هنالكم سيعرف من هو الكذّاب الأشر، ويتبيّن له مبلغ ابن تيمية في العلم والدين .

سابعهم من المنكرين المستكبرين هو ابن قيم الجوزية ـ وهذا تلميذ ابن تيمية ـ وعلى شاكلته في ترسم خطاه وتكذيبه لحديث ردّ الشمس، فقد أنكره في كتابه (المنار المنيف في الصحيح والضعيف)[1] .

ثامنهم من المنكرين المستكبرين هو ابن كثير الشافعي الشامي، وهو كسابقه في تلمذته على ابن تيمية، واقْتِفاء أَثَرِهِ فقد قال[2]: «أما حديث ردّ الشمس بسبب عليّ ؓ، فقد تقدّم ذكرنا له من طريق أسماء بنت عميس وهو أشهرها، وأبي سعيد وأبي هريرة

١- المنار المنيف في الصحيح والضعيف:٥٧- ٥٨ ط مكتب المطبوعات الإسلامية في حلب في الفصل العاشر الحديث/ ٨٣.

٢- البداية والنهاية ٦: ٢٨٢ ط السعادة بمصر .

وعلي نفسه، وهو مستنكر من جميع الوجوه، وقد مال إلى تقويته أحمد بن صالح المصري الحافظ، وأبو جعفر الطحاوي، والقاضي عياض، وكذا صحّحه جماعة من العلماء الرافضة كابن المطهر وذويه، وردّه وحكم بضعفه آخرون من كبّار حفاظ الحديث ونقّادهم، كعلي بن المديني، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، وحكاه عن شيخه محمد ويعلى بن عبيد الطنافسيين، وكأبي بكر محمد بن حاتم البخاري المعروف بابن زنجويه أحد الحفّاظ، والحافظ الكبير أبي القاسم ابن عساكر، وذكره الشيخ جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب الموضوعات.

وكذلك صرّح بوضعه شيخاي الحافظان الكبيران أبو الحجاج المزي وأبو عبد الله الذهبي . وقال: وأغرب من هذا ما ذكره ابن المطهر في كتابه المنهاج: إنّها ردت لعليّ مرّتين، فذكر الحديث المتقدّم ثم قال: وأما الثانية فلما أراد أن يعبر الفرات ببابل، اشتغل كثير من أصحابه بسبب دوابهم، وصلّى لنفسه في طائفة من أصحابه العصر، وفاتت كثيراً منهم فتكلموا في ذلك، فسأل الله ردّ الشمس فرُدّت .

أقول: وله نحو هذا في الشمائل: ١٤٤ – ١٦٣ . ولا كثير غرابة من ابن كثير، بعد أن عرفناه تلميذ ابن تيمية، وقد حبس معه في سجن القلعة مرة في حياته، ودفن معه بعد مماته، له مواقف ناصبية معلنة في أحداث السقيفة وما بعدها، وسيأتي في الباب الثالث ما يدحض مزاعمه في هذا الحديث .

فهؤلاء الأبناء الثمانية الذين أصرّوا مستكبرين على نفي وقوع حادثة ردّ الشمس في أيام النبي ﷺ، فضلاً عن إصرارهم بتكذيب حدوثها من بعده، وقبل الشروع في الرد عليهم، من الخير أن نبصّر القارئ الكريم بمعنى الإعجاز، وما المعجزة ؟ وما هو الفرق

بينه وبين الكرامة، وهل السحر والشعبذة يساوقان الإعجاز ؟

وقبل الإجابة عَنْ هذه المسائل، نقول: إنّ باب المعجزات التي صدرت عن الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، يستعظمه أهل الشك والإلحاد، لما فيه من مخالفة الطبع والخروج عن العادة، وقد ردَ عليهم أعلام المسلمين، بما يغني عن الإطالة في الرد عليهم، فأودعوا كتبهم، دلائل الإعجاز بالشواهد والآثار، وسبيل المعجزات للأنبياء عليهم السلام في خروجها عن العادة سبيل إيجاد أعيان الخلق لا من سابقة، كما انّ إيجاد الخلق لا من شيء لا مفهوم ولا معقول، ولكن يُعرف ويُعلم بقيام الأدلّة عليه، كذلك معجزات الأنبياء عليهم السلام غير موهومة ولا معقولة، وإنّما تعلم بقيام الأدلّة عليها .

والآن إلى الفصول التالية من هذه الرسالة:

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني

في الجواب عن الشبهات من خلال ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في حقيقة الإعجاز وما هي المعجزة ؟

أولاً تعريف الإعجاز والمعجزة:

١- قال علماء اللغة[١] انّ معنى الإعجاز الفوت والسبق، يقال: أعجزني فلانٌ أي فاتني، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، وأصل العجز التأخّر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر، وصار اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، قال تعالى: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾[٢] وأعجزت فلاناً وعجّزته: جعلته عاجزاً .

وقد نوقش في ذلك بأنّه صح لغة بمقتضى المواضعة، إذ لا تصح المعجزة إلّا عن ما تصح القدرة عليه[٣] وقالوا: إن المعجزة مشتقة من الإعجاز، وهي اسم فاعل له لحقته التاء للتأنيث بعد نقله من الوصفيّة إلى الإسميّة .

٢- وقال علماء الكلام: الإعجاز أن يأتي المدّعي لمنصب من المناصب الإلهية، بما يثبت دعواه وتفوّقه وسبقه في كل مجال كان فيه التحدي، ويعجز عنه غيره، وهو ما لا يقدر عليه في صفته أو في جنسه، فأما ما لا يقدر عليه في [illegible] مثل فلق البحر، فإنا وإن كنا نقدر على

١- لسان العرب وتاج العروس ومفردات الراغب (عجز) .

٢- المائدة: ٣١ .

٣- راجع تقرير المناقشة والجواب عَنْها في البيان عن الفرق بين المعجزة والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات لابن الباقلاني: ٨ - ٣١، منشورات جامعة الحكمة في بغداد، سلسلة علم الكلام / ٢ .

تفريق الأجسام المؤتلفة، لكن لا على تلك الصفة، فتلك الحالة لا نقدر عليها .

وأما ما لا يقدر عليه في جنسه مثل إحياء الموتى، وقلب العصا ثعباناً .

وأما مالا يقدر عليه لا في صفته ولا في جنسه مثل شق القمر فلقتين .

فأما الإخبار بالغيوب فليس بمعجز، ولا وقوع المخبر به على ما أخبر معجز، إذ يجوز على خبر الغيب أن يكون صدقا أو كذباً كسائر الأخبار، إلا أن يكون المخبر نبياً أو وصي نبيّ، فذلك يكون حجة .

أما ما يقوله أهل الكهانة والعرافة، فلا يجب التصديق به، وليس هو من الإخبار بالغيب الذي يلزمنا الإيمان به على نحو ما ورد في الكتاب المجيد: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] .

فتبيّن: أنّ المعجزة تطلق على الأمر الخارق للعادة، المقرون بالتحدّي، السالم من المعارضة، وهذا أوجز تعريف وأشهره وهو جامع مانع، وما قيل معه من بيان فهو توسّع بقصد التوضيح .

وقد دخل في قولهم (الأمر) كل أنواع المعجزات الحسية والمعنوية ممّا كان من قبيل القول كالقرآن الكريم .

أو من قبيل الفعل كعصا موسى عليه السلام، أو من قبيل ترك الخاصة كعدم إحراق النار سيدنا إبراهيم عليه السلام .

وقد خرج عن المعجزة بقولهم (الخارق للعادة) كل ما جرت به العادة وتوصّل إليه

١- البقرة: ١ – ٥ .

عن طريق الأسباب والسنن الطبيعية، كالسحر والشعبذة، والمخترعات العلمية بأنواع مكتشفاتها .

وخرج بقولهم: (المقرون بالتحدّي) الكرامة، وما فيه خوارق للعادة من دون تحَدٍّ .

وخرج بقولهم: (السالم عن المعارضة) كل ما أمكن الإتيان بمثله من مظاهر غير معتادة يتوصّل إليها بضرب من التمرين والرياضة .

وإنّما تكون المعجزة شاهد صدق صاحبها فيما إذا أمكن صدق دعواه، أما إذا لم يمكن ذلك، بل كان ممتنعاً بحكم العقل، كدعوى الإلهية مع الله تعالى أو بدونه، لاستحالة ذلك ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا﴾[1] أو ممتنعاً بحكم النقل، كدعوى النبوة بعد الخاتم ﷺ فلا يمكن تصديق المدعي لقول الخاتم ﷺ: «لا نبي بعدي»[2] ولا يجب على الله إبطال ذلك بعد حكم العقل بالاستحالة في زعم الإلوهية، وحكم النقل الثابت الصحيح بنفي النبوة بعد الخاتم ﷺ .

فَتحَصّلَ في تعريف الإعجاز بأنّه أمر له حقيقة واقعية، غير انّه جارٍ على غير سنن الطبيعة، بل هو أمر خارق للعادة ومقرون بالتحدّي، وأما المقدّمات الطبيعية فهي مطويّة فيه، وتتحقّق المعجزة بلا وساطة سبب عادي، بل بالإرادة الربانيّة المحيطة بالأسباب والمسبّبات، المهيمنة على تأثير السبب في المسبَّب، وتأثر المسبَّب بالسبب، وعندما تحصل المعجزة يحصل اليقين بأنّ الله سبحانه فعلها تصديقاً لنبيّه أو وصي نبيّه .

١- الأنبياء: ٢٢ .

٢- راجع حديث المنزلة وهو قوله ﷺ لعليّ عليه السلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي» وهو من الأحاديث المتظافرة نقلها عنهُ الخاصة والعامة، وحسبك أنّ الحافظ أبا حازم خرّجه بخمسة آلاف سَنَدٍ، راجع كتاب علي إمام البررة ١: ٢٥٣ – ٢٨٦ .

ولو لم يكن صادقاً في دعواه، لكان حدوث المعجزة على يده تصديقاً لكاذب، وهذا موجب لإضلال الناس، وهو قبيح، وتعالى الله سبحانه عن فعل القبيح، خلافاً لمن جوّز ذلك عليه، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علّواً كبيراً .

ثانياً شروط المعجزة:

لقد ذكر العلماء شروطاً للمعجزة الظاهرة على أيدي أنبياء الله تعالى ورسله، وسماها بعضهم بالصفات والأحكام، ولا مشاحّة في الإصطلاح، ولنقرأ بعض ما ذكروه .

فقال أبو بكر الباقلاني: «أن تكون آياتهم - يعني الأنبياء عليهم السلام - من أفعال الله سبحانه التي ينفرد بالقدرة عليها دون سائر خلقه ... وأن يكون ظهور المعجزة ممّا يخرق العادة وينقضها، وأن يكون غير النبي أو الرسول ومن أكرمه الله تعالى ممنوعاً وعاجزاً من إظهار ذلك على يده، وأن يكون مفعولاً عند تحدّي الرسل أن يأتي غيره بمثله»[1].

وما ذكره تضمن أربعة شروط، إلا أن غيره زاد عليها، فالعلّامة الحلي رحمه الله قال:

ولابدّ في المعجزة من شروط:

أحدهما: أن تعجز عن مثله أو عمّا يقاربه، الأمّة المبعوث إليها .

الثاني: أن يكون من قبل الله تعالى أو بأمره .

الثالث: أن يكون في زمان التكليف، لأنّ العادة تنتقض عند إشراط الساعة.

الرابع: أن يحدث عقيب دعوى المدّعي للنبوّة، أو جارياً مجرى ذلك، ونعني بالجاري مجرى ذلك، أن يظهر دعوة النبي في زمانه، وأنّه لا يدّعي النبوة غيره، ثم يظهر المعجزة بعد أن ظهر معجزاً آخر عقيب دعواه .

١- الفرق بين المعجزة والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات لابن الباقلاني: ٨ - ٣١ منشورات جامعة الحكمة في بغداد سلسلة علم الكلام / ٢ .

الخامس: أن يكون خارقاً للعادة[1] .

ولم يبعد هذا أيضاً عمّا ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره حيث ذكر أيضاً خمسة شروط، إن اختلّ أحدها فلا تكون معجزة، وهي باقتضاب:

١ - أن تكون ممّا لا يقدر عليه إلّا الله سبحانه كفلق البحر وانشقاق القمر ممّا لا يقدر عليه البشر .

٢ - أن تكون خارقة للعادة، ولو لم تكن كذلك لم تكن معجزة، كجعل العصا ثعبانا، وخروج الناقة من شق الحجر، ونبع الماء من بين الأصابع، ونحو ذلك من الآيات الخارقة للعادة .

٣ - أن يدّعيها مدعي الرسالة على الله سبحانه فيقول: آيتي هذه .

٤ - أن تقع على وفق دعوى المتحدّي بها المستشهد بكونها معجزة له .

٥ - عَجْزُ الآخرين عن الإتيان بمثلها على وجه المعارضة **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾**[2] .

هذه خلاصة ما قاله القرطبي، وقد زاد الشيخ المجلسي رحمه الله على تلك الشروط فجعلها سبعة حتى يتحقّق الإعجاز بها، فقال في حقيقة المعجزة: وهي أمر يظهر بخلاف العادة من المدّعي للنبوة أو الإمامة عند تحدّي المنكرين على وجه يدلّ على صدقه، ولا يمكنهم معارضته، ولها سبعة شروط:

الأول أن يكون فعل الله أو ما يقوم مقامه من التروك، كما إذا قال معجزتي أن أضع يدي على رأسي وأنتم لا تقدرون .

---

١ - كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٢١٨ مطبعة الحكمة بقم .

٢ - تفسير القرطبي ١: ٧١، والآية في سورة هود: ١٣ .

الثاني أن يكون خارقاً للعادة .

الثالث أن يتعذّر معارضته فيخرج السحر والشعبذة .

الرابع أن يكون مقروناً بالتحدّي، ولا يشترط التصريح بالدعوى، بل تكتفي قرائن الأحوال .

الخامس أن يكون موافقاً للدعوى، فلو قال معجزتي كذا، وفعل خارقاً آخر لم يدلّ على صدقه، كما نقل من فعل مسيلمة وأنّه تفل في البئر ليزيد ماؤه فنضب ويبس[1].

السادس أن لا يكون ما أظهره مكذّباً له، كما لو أنطق الضبّ فقال: إنّه كاذب، فلا يعلم صدقه، بل يزداد اعتقاد كذبه، بخلاف أن يحيي الميت فيكذّبه، فإنّ الصحيح أنّه لا يخرج عن المعجزة، لأنّ إحياءه معجزة وهو غير مكذِب، وإنّما المكذَب ذلك الشخص بكلامه، وهو بعد الإحياء مختار في تصديقه وتكذيبه، فلا يقدح تكذيبه، ومنهم من قدح فيه مطلقاً، ومنهم من فرّق بين استمرار حياته وبين ما إذا خرّ ميّتا في الحال، فقدح في الثاني دون الأول، والأظهر ما ذكرناه .

السابع أن لا تكون المعجزة متقدماً (كذا) على الدعوى، بل مقارناً (كذا) لها أو متأخراً (كذا) عنها بزمان يسير معتاد مثله، والمشهور انّ الخوارق المتقدّمة على دعوى النبوة كرامات وإرهاصات أي تأسيسات للنبوة[2] .

وللراغب الإصفهاني كلام في مقدّمة التفسير، قال في فصل إعجاز القرآن نذكر بعضاً منه نختم به هذا المبحث قال:

المعجزات التي أتى بها الأنبياء عليهم السلام ضربان: حسيّ وعقلي، فالحسيّ يدرك بالبصر

١- قارن تفسير القرطبي ١: ٧١ .

٢- بحار الأنوار ١٧: ٢٢٢ ط الإسلامية .

كناقة صالح، وطوفان نوح، ونار إبراهيم، وعصا موسى عليه السلام ، والعقلي ما يدرك بالبصيرة كالإخبار عن الغيب تعريضاً وتصريحاً والإتيان بحقائق العلوم التي حصلت عن غير تعلّم .

فأما الحسيّ فيشترك في إدراكه العامّة والخاصّة، وهو أوقع عند طبقات العامة، وآخذ بمجامع قلوبهم وأسرع لإدراكهم، إلّا أنّه لا يكاد يفرّق بين ما يكون معجزة في الحقيقة وبين ما يكون كهانة أو شعبذة أو سحراً أو سبباً اتفاقياً، أو مواطاة أو احتيالاً هندسياً أو تمويهاً وافتعالاً، إلا ذو سعة في العلوم التي يعرف بها هذه الأشياء .

وأما العقلي فيختصّ بإدراكه كله الخواص من ذوي العقول الراجحة، والأفهام الثاقبة، والرؤية المتناهية، الذين يغنيهم إدراك الحق، وجعل تعالى أكثر معجزات بني إسرائيل حسياً لبلادتهم وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلياً لذكائهم وكمال أفهامهم التي صاروا بها كالأنبياء، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**كادت أُمتي أن تكون أنبياء**»[1] ولأنّ هذه الشريعة لما كانت باقية على وجه الدهر غير معرضة للنسخ، وكانت العقليات باقية غير مبتذلة جعل أكثر معجزاتها مثلها باقية.

وما أتى به النبي صلى الله عليه وآله من معجزاته الحسيّة كتسبيح الحصا في يده، ومكالمة الذئب له، ومجيء الشجرة إليه، فقد حواها وأحصاها أصحابه .

وأما العقليات فمن تفكّر بما أورده عليه الصلاة والسلام من الحكم التي قصرت عن بعضها أفهام حكماء الأمم بأوجز عبارة، اطلع على أشياء عجيبة، وممّا خصّه الله به من المعجزات القرآن، وهو آية حسيّة عقلية، صامتة ناطقة، باقية على الدهر، مبثوثة في الأرض، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ**

١- لم أقف عليه ولا على مثله لفظاً، وإنّما ورد بلفظ «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» وهو من الأحاديث الضعيفة راجع موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥: ٤٥٤ .

﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾[١] .

ودعاهم ليلاً ونهاراً مع كونهم أولي بسطة في البيان، إلى المعارضة نحو قوله: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[٢] .

وفي موضع آخر: ﴿وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣] .

وقال: ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٤] فجعل عجزهم علماً للرسالة، فلو قدروا ما قصروا، ولبذلوا أرواحهم في إطفاء نوره وتوهين أمره، فلما رأيناهم تارة يقولون: ﴿لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾[٥] وتارة يقولون لو شئنا لقلنا مثل هذا[٦]، وتارة يصفونه بأنه: ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[٧] وتارة يقولون: ﴿لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾[٨] وتارة يقولون: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾[٩] .

كل ذلك عجزاً عن الإتيان بمثله علمنا قصورهم عنه، ومحال أن يقال إنه عورض

١- العنكبوت: ٥٠ – ٥١ .

٢- البقرة: ٢٣ .

٣- هود: ١٣ .

٤- الإسراء: ٨٨ .

٥- فصلت: ٢٦ .

٦- إشارة إلى أول الآية التالية، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ الأنفال: ٣١ .

٧- الأنفال: ٣١ .

٨- الفرقان: ٣٢ .

٩- يونس: ١٥ .

فلم ينقل، فالنفوس مهتزة لنقل ما دقّ وجلّ، وقد رأينا كتباً كثيرة صُنفت في الطعن على الإسلام قد نقلت وتداولت[١].

وأخيراً فاقرأ ما قال عمر فرّوخ في كتاب تاريخ الفكر العربي إلى أيّام ابن خلدون[٢]:

والقرآن الكريم معجزة الرسول الكبرى في الإسلام وفي غير الإسلام، بمادته وأسلوبه، فليس في التاريخ كتاب بقي كيوم نزل معنى ونصّاً كالقرآن، ثم كان له من الأثر ما كان للقرآن الكريم في جميع ميادين الحياة، إنّ اسلوب القرآن الكريم هو الاسلوب الأمثل لأقدم اللغات الحيّة، وإنّ موضوعاته أصحّ الموضوعات، وهو الذي حفظ الإسلام، وحفظ اللغة العربية، وحفظ الأمة الإسلامية، ثم عجز البشر عن معارضته بالإتيان بسورة من مثله، أو بجزء من سورة.

ما هي العادة وما هو خرق العادة ؟

ج - لابدّ لنا من معرفة معنى العادات وانخراقها، وأنّها إذا انخرقت دلّت على صدق الرّسل، فنقول: إنّ العادة هي تكرار علم العالم بوجود الشيء المعتاد على طريقة واحدة، إما بتجدّد صفته وبتكرّرها، أو ببقائه على حالة واحدة، كما يقال: عادة فلان إفشاء السلام، وعادة فلان إطعام الطعام، وعادة فلان الهذر وكثرة الكلام، إلى غير ذلك ممّا يتكرر وقوعه على طريقة واحدة، أو تكون الصفة به لازمة، فتكون العادة هي الأمر المعتاد المتكرّر على وجه واحد، وإن كان ذلك بالإعتياد أيضاً بمعنى هو الوجود له والعلم به.

وقد تكون العادات ممّا يستوي فيها الناس وجميع أهل الأعصار والأمصار كالأكل

١- مقدّمة التفسير للراغب الإصفهاني، ملحقة طباعة بكتاب (تنزيه القرآن) للقاضي عبد الجبار المعتزلي: ٤٢٧ - ٤٢٨ ط الجمالية بمصر سنة ١٣٢٩ هجـ.

٢- تاريخ الفكر العربي: ١٧٥ ط دار العلم للملايين بيروت.

والشرب والنوم، فلا معجزة في خرق ذلك، أو يستوي فيها أهل عصر دون غيرهم، وأهل مصر دون غيرهم، فلا يكون خرق العادة عند أهل ذلك العصر خرقاً لغيرهم، وإنّما يكون خرق العادة بالشيء الذي يفعله الله سبحانه معجزة لنبيّه الذي يتحدّى قبيله، ويحتجّ بها على نبوته ليلزمهم العلم بصدقه، وأنّه مرسل إليهم من الله تعالى .

فإن أرسل بشراً أرسله بما يخرق عادة البشر، وإن أرسل جنيّاً أظهر على يده ما هو خارق لعادة الجن، وإن أرسل طيراً أظهر على يده ما هو خارق لعادة الطير، وهكذا .

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾[1] .

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾[2] .

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[3] .

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[4].

فالعادة هي الحالة المستمرّة في نظام الطبيعة عند تلك الأمة، فحدوث خرق العادة ليس في وسع العلم إنكاره، كما أنّه ليس كل خرق عادة يكون معجزة، بل العادة أحد شروطها كما مرّ بيانه.

وثمة سؤال حول كلام النبي ﷺ مع قتلى الكفّار في قليب بدر، هل فيه خرق للعادة فهو معجزة أم لا ؟

قال ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز: فيشبه أن قصةَ بدرٍ خرقُ عادةٍ لمحمد ﷺ في

١- فاطر: ٢٤ .

٢- الأنعام: ١٣٠ .

٣- الإسراء: ١٥ .

٤- الأنعام: ٣٨ .

أن ردّ الله إليهم إدراكاً سمعوا به مقاله، ولولا إخبار رسول الله ﷺ بسماعهم لحملنا نداءه إياهم على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة، وعلى معنى شفاء صدور المؤمنين .

أقول: روى البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وأحمد بن حنبل جميعاً، والحديث بإسناد الأول عن قتادة قال: ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أنّ رسول الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فقذفوا في طويّ من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشُدّ عليها رحلها، ثم مشي وتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلّا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الرّكي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان أيسرّكم أنّكم أطعتم الله ورسوله ؟ فإنّا قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ قال أبو طلحة: فقال عمر: يا رسول الله ما تكلّم من أجساد لا أرواح فيها ؟ فقال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم .

قال قتادة - أحد رواة الحديث عن أنس -: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمةً وحسرةً وندما[1] .

ومن المؤسف أن نجد البخاري يذكر هذا الحديث، ثم يذكر في الكتاب نفسه في آخر الباب بسنده عن ابن عمر قال: وقف النبي ﷺ على قليب بدر فقال: هل وجدتم ما وعد ربّكم حقاً إنّهم الآن يسمعون ما أقول، فذكر لعائشة فقالت: إنّما قال النبي ﷺ إنّهم الآن ليعلمون أنّ الذي كنت أقول لهم هو الحق، ثم قرأت: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ حتى قرأت الآية .

أقول: فإحدى روايتي البخاري غير صحيحة لا محالة، رغم كونها في صحيح

١- صحيح البخاري كتاب المغازي باب قتل أبي جهل / ٥ / ٧٦/ ط بولاق، السيرة النبوية لابن كثير ٢: ٤٤٩ - ٤٥٠ تحقيق مصطفى عبد الواحد مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر سنة ١٣٨٤ هجـ.

البخاري، ورغم أنّ راويها من الصحابة لتنافي الروايتين بين (يسمعون) وبين (ليعلمون)، فأيّها الصحيح ؟ وكيف بقداسة كتاب الصحيح ؟

وحتى هذه المعجزة لم تسلم من عبث الرواة، ليتطرّق الريب في صحتها، وهذه بليّة تقديس الموروث، وأنّ ما ورد في الصحيحين لا يسع ردّه، وهذا من أفظع القول وأبخسه لحق أئمّة المذاهب الأربعة الذين ردّوا بعض ما أخرجه الشيخان من بعد في صحيحيهما «وقد أورد ابن القيم أكثر من مائة شاهد على ذلك في كتابه إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، ولم يُضَلِّلْ أحدٌ أئمّة المذاهب ولا علماءهم بسبب ذلك»[1].

وأما ما يجري الله سبحانه من خرق العوائد على أيدي بعض الأولياء من قلب بعض الأعيان ذهباً أو فضةً أو نحو ذلك، فهذا أمر لا ينكره مسلم، ولا يردّه مؤمن، وهذا ليس من قبيل الصناعات، وإنّما هذا عن مشيئة الله تعالى، واختياره وفعله، إكراماً لوليه، فأجرى تفعيله على يده، وأحسب هذا كافياً في بيان معنى الإعجاز والمعجزة والعادة.

المبحث الثاني: في الفرق بين المعجزة وبين الكرامة، وماذا عن الكرامة ؟

سبق أن ذكرنا تعريف المعجزة وشرائطها، وهو يكفي لمعرفة الفرق بينها وبين الكرامة، لولا أنّ الكرامة وهي أيضاً نفحة من نفحات القدس تشرق على روح الوليّ، فَيَدْعُوْ الله سبحانه وتعالى، فيستجيب له، وتصدر على يديه أمور خارقة للعادة، فقد تظن أنّها معجزة، وليست كذلك.

وبعيداً عن دعاوى بعض المغالين في كرامات بعض الأولياء وزعمها لكل من هبّ ودبّ، وبعيداً أيضاً عن خوارق قد تصدر عن بعض أصحاب الرياضات التي تهذّب

١- باقتضاب من كتاب نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث لإسماعيل الكردي: ٣٣٣ ط دار الأوائل سنة ٢٠٠٢م .

نفوسهم، فتصفو حتى تشرق الروح، وإنّ للروح تسلطاً على الماديات، فتصدر منهم بعض الخوارق ممّا يحسبه الظمآن ماء، وهو كسراب بقيعة فيحسبها الجاهل بأنّها كرامة لذلك المرتاض، وهي ليست كذلك .

ولتقريب المراد إلى الأذهان نقولُ: إنّها مسألة قوة روحية تهيمن على الإنسان سواء كان طائعاً أم عاصياً، مسلماً أو غير مسلم، كما في مسألة تحضير الأرواح حيث يتجرّد الوسيط عن حالته العادية، ويصير في حالة أُخرى تحت سلطان روحه، فليس ما يصدر عنه بكرامة، لأن الكرامة التي نبحث عنها لا تصدر إلا من الطائع لله تعالى من نبي أو وصي أو ولي امتحن الله قلبه بالإيمان، وهي من جميعهم بفضل من الله الحكيم العليم، الذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ولا يأتي لهم جميعاً استعمال تلك القوّة الروحية في مقام التنفيذ في كل حين .

وكم قرأنا في تاريخ الأنبياء والأوصياء والأولياء ما أصابهم من عظيم البلاء، فكانوا يصبرون على شدة اللأواء، وإيمانهم على قوته في السرآء والضرآء، فهم يصيبهم ما يصيب الناس، ويألمون كما تألمون، ومع ذلك لم يستغلّوا تلك القوّة الروحيّة في دفع ما أصابهم، ويبقى عظيم الفرق بين المعجزة وبين الكرامة هو التحدي في الأولى دون اشتراطه في الثانية، ويمكن لنا أن نقسّمها إلى عدّة اعتبارات فيما نحن عليه من الإعتقاد كمسلمين .

أولاً: إعتقاد جواز وقوعها بإشاءة الله تعالى وقدرته، فيوقعها إذا شاء إظهاراً لكرامة عبده من دون سبب، وهذا ممّا لا نزاع فيه بين المسلمين .

ثانياً: إعتقاد تحقّق وقوعها بالفعل لأُناس ثبتت لهم بالنص من الكتاب المجيد، سواء كان صاحبها نبياً كما في قصة إبراهيم عليه السلام حين جعل الله النار عليه برداً وسلاماً، أو غير نبي كما في قصة مريم عليها السلام عند ولادتها عيسى عليه السلام .

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[1] .

وما دونها قصّة الذي عنده علمٌ من الكتاب، وقد أحضر لسليمان عليه السلام عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين قبل أن يرتد إليه طرفه، واعطف على هذا قصّة أصحاب الكهف ونحو ذلك ممّا لا جدال في صحّة وقوعه لوروده في القرآن المجيد .

ثالثاً: تصديق وقوع الكرامة لأُناس صحّ فيها النقل برواية الآثار الثابتة الصحيحة، فيلزمنا تصديق ما ورد، ما دامت أدلّة الإثبات تامة الحجية عن الأثبات، كما في بعض الكرامات التي وقعت لبعض الأنبياء أو الأوصياء، فإنّها لم ترد صراحة في الكتاب العزيز، وما طلب الإشارة لمن طلبها فيه بعزيز، كما في مسألة ردّ الشمس على سليمان عليه السلام ، أو ليوشع بن نون عليه السلام ، أو للنبي صلى الله عليه وآله، أو لأمير المؤمنين عليه السلام ، كما سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى .

فهذا النوع دون ما سبق آنفاً، فذلك نعتقد صحته من دون تردد، لأنّ القرآن نصّ عليه في آياته، وهذا لم ينصّ عليه بل كان طريق إثباته ما صحّ من الروايات، فهو صحيح عند من يرى ذلك، ولا إثم على من لا يرى ذلك إن كان محايداً ولم يكن معانداً .

رابعاً عدم لزوم التصديق بكل ما ينسب إلى بعض من يرى الناس فيهم خيراً، ما دام لم يأت بذلك نصّ صريح من كتاب أو خبر صحيح، وهذا هو القسم الذي يقع فيه النزاع لأنّه مجال للتردّد والتشكيك، لأنّه نقل إلينا عن طريق التاريخ كسائر ما فيه من أخبار

١- مريم: ٢٣ – ٢٥ .

الحوادث والآثار، فهو دون القسم الثاني بلا شك، بل ولا كالقسم الثالث.

فمتى توفّرت شروط الصحة في قبول النقل، كان على من توفّرت لديه أن يذعن بالتصديق، ومن لم تتوفّر لديه، فلا جناح عليه .

فإذا قيل لك: إنّ لفلان الولي كرامة كذا، فهو كما إذا قيل لك إنّه وُلد سنة كذا، أو حجّ سنة كذا، أو مات سنة كذا، فإن أقنعك الناقل الراوي بصدقه صدّقته في خبره عن الكرامة التي نسبها لوليّه ولا تكابره، وإلّا كنت معذوراً في الرفض، وليس للمخبر عنه من سلطان يفرض عليك تصديقه، ما دمت غير واثق من صدقه، ولا هو ممّن جعل الشارع قوله حجة عليك في الدين .

أما إذا كان الراوي ممّن أمرنا الشارع بتصديقه لإيمانه وعدالته ووثاقته، فليس لنا أن نردّ قوله، بل علينا ترتيب الأثر على خبره، والردّ عليه يكون حينئذٍ مكابرة مقيتة وعناداً للحق .

فتحصّل أنّ الكرامة وقوعاً إنّما يكون ثبوتها بالآثار الصحيحة، كما أنّ ثبوتها لشخص معيّن لا يستلزم ثبوت مثلها لشخص آخر، ولا مانع من أن يقع مثلها لآخرين إذا صحّ النقل، فما يحدث لأولياء الله تعالى من الكرامات الظاهرة التي لا شك فيها ولا شبهة ممّا ورد ذكره في الكتاب، هو حق صحيح لا امتراء فيه، لأنّه ورد في محكم التنزيل من قصص الصالحين الذين أجرى الله سبحانه لهم وعلى أيديهم من الكرامات الظاهرة، كما في قصّة ذي القرنين وممّا تهيأ له ممّا تعجز عنه الطباع البشرية، فقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[1] .

---

١ - الكهف: ٨٣ – ٨٤ .

وقد مرّت الإشارة منّا إلى قصّة إبراهيم عليه السلام، ومريم عليها السلام، وقصّة آصف بن برخيا الذي عنده علم من الكتاب، فأتى بعرش بلقيس لسليمان عليه السلام قبل أن يرتد إليه طرفه، فهذا كله حق ومن شك في ذلك كافر .

فتبيّن أنّ وقوع الكرامة من غيرهم ممّن كانوا هم من أهل الولاية والكرامة، فهو حق عند من تحقّق لديه الوقوع بالدليل الذي يطمئن إليه ويؤمن به قلبه، وليس لأحد أن ينازعه في ذلك المعتقد، ولا أن يشنّع عليه، كما أنّه هو أيضاً ليس له أن ينازع غير المعتقد ليحمله على مشاركته له في اعتقاده .

نعم له أن يطرح عقيدته وحجته بالتي هي أحسن فمن استجاب أجاب، ومن لم يستجب فلا تثريب عليه، ولا شك أنّ اختلاف الرؤى إنّما يحدث نتيجة القناعة الشخصية، وربما خضعت لبعض المؤثرات الخارجية كما لو كان الإنسان واقعاً تحت طائلة الرواسب من طائفية أو بيئية وغير ذلك، وكان منساقاً مع هواه، فلا مانع من تنبيهه إلى خطأ ما هو واقع فيه بالتي أحسن، فإن ارعوى فاهتدى فذلك، وإن أصرّ معانداً ومستكبراً فالإعراض عنه أولى وأجدى .

﴿فَمَنْ يُرِدْ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[1] .

وللجاحظ كلام في اختلاف أحوال الناس عند سماع الغرائب، يجدر بنا نقله في المقام، قال: وأكثر الناس لا تجدهم إلّا في حالتين، إما في حال إعراض عن التبيّن وإهمال للنفس، وإما في حال تكذيب وإنكار وتسرّع إلى أصحاب الاعتبار وتتبع الغرائب، والرغبة في الفوائد.

١- الأنعام: ١٢٥ .

ثم يرى بعضهم أنّ له بذلك التكذيب فضيلة، وانّ ذلك باب من التوقي، وجنس من استعظام الكذب، وانّه لم يكن كذلك إلّا من حاقّ الرغبة في الصدق، وبئس الشيء عادة الإقرار والقبول، والحق الذي أمر الله تعالى به ورغّب فيه وحثَ عليه: أن ننكر من الخبر ضربين: أحدهما ما تناقض واستحال، والآخر ما امتنع في الطبيعة وخرج من طاقة الخلقة.

فإذا خرج الخبر من هذين البابين وجرى عليه حكم الجواز، فالتدبّر في ذلك التثبت، وأن يكون الحق في ذلك هو ضالتك، والصدق هو بغيتك، كائناً ما كان، وقع منك بالموافقة، أم وقع منك بالمكروه، ومتى لم تعلم أنّ ثواب الحق وثمرة الصدق أجدى عليك من تلك الموافقة لم تقع على أن تعطي الثبت حقه[1].

ونعود إلى الكرامة وحقيقتها عند صاحب العقائد النسفية، وهو كتاب يقول به شطر كبير من أشاعرة هذه الأُمة، قال النسفي في كتابه العقائد النسفية: «وكرامات الأولياء حق فيظهر ـ الله سبحانه – الكرامة على طريق نقض العادة للولي من قطع المسافة البعيدة في المدّة القليلة، وظهور الطعام والشراب واللباس عند الحاجة، والمشي على الماء وفي الهواء، وكلام الجماد والعجماء، أو غير ذلك من الأشياء.

ويكون ذلك معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من أُمته، لأنّه يظهر بها أنّه ولي، ولن يكون ولياً إلّا وأن يكون محقّاً في ديانته، وديانته الإقرار برسالة رسوله»[2].

وقال التفتازاني في شرح العقائد النسفية: «والدليل على حقيقة الكرامة ما تواتر عن كثير من الصحابة ومن بعدهم بحيث لا يمكن إنكاره، خصوصاً الأمر المشترك، وإن كانت التفاصيل آحاداً، وأيضاً الكتاب ناطق بظهورها من مريم ومن صاحب سليمان عليه السلام كما تقدّم.

١- كتاب الحيوان ٣: ٢٣٨ تحقيق عبد السلام هارون.

٢- العقائد النسفية المطبوع بآخر شرحه للتفتازاني: ١٢٥ باستانبول سنة ١٣٢٦هجـ.

وينبغي أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه، فإن كان متمسّكاً بالشريعة، متجنّباً للموبقات، فالذي يظهر على يده من الخوارق يعدّ كرامة، وإلا فهو سحر وشعبذة. كما أنّ الكرامة ينبغي لصاحبها كتمان التحدّث بها من جهة رؤية النفس، فلا يأمن السلب من جهة العُجب ومن جهة الرياء لئلا يتشاغل عن الشكر لله عليها بالحديث عنها عند الناس، كما أنّه لا يأمن الحسد عليها فيوقع غيره في المحذور.

وقد يستأنس لهذا الأخير بقول سيدنا يعقوب عليه السلام كما حكاه القرآن المجيد بقوله: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾[1].

وقد كتب السبكي في طبقات الشافعية[2] بحثاً طويلاً استعرض فيه الكرامات وشُبَه القدرية في منعها وذكر فساد تلك الشُبَه، وساق جملة ممّا زعم صدوره من الكرامات على أيدي الصحابة والتابعين، ثم ذكر من أنواع الكرامات خمسةً وعشرين نوعاً وختم كلامه بقوله: وأظن أنواع كراماتهم تربو على المائة، وفيما أوردته دلالة على ما أهملته، ومقنع وبلاغ لمن زالت عنه غفلته.

وما من نوع من هذه الأنواع إلّا وقد كثرت فيه الأقاصيص والروايات، وشاعت فيه الأخبار والحكايات، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولا بعد بيان الهدى إلّا المحال، وليس للموفَق غير التسليم وسؤال ربّه أن يلحقه بهؤلاء الصالحين، فإنّهم على صراط مستقيم، ولو حاولنا حصر ماجرياتهم لضيقنا الأنفاس وضيّعنا القِرطاس، ونحن نقول أيضاً: ولنترك الأمر إلى قناعة الناس.

١- نفس المصدر: ١٧٥.

٢- طبقات الشافعية ٢: ٣١٤ – ٣٤٤.

المبحث الثالث: في السحر والشعبذة هل يساوقان المعجزة في الإعجاز ؟

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون﴾[1].

وهنا ثلاث مسائل نمرّ بها باختصار:

الأُولى في حقيقة السحر من خلال تعريفه .

الثانية في حقيقة السحر من خلال تفعيله .

الثالثة في حقيقة السحر من خلال تحريمه .

المسألة الأُولى: لقد قيل في تعريفه: السحر أصله التمويه بالحيل والتخاييل، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني، فيُخَيل للمسحور أنّها بخلاف ما هي به، كالذي يرى السراب من بعيد، فيُخَيّل إليه أنّه ماء، وكراكب السفينة السائرة سيراً حثيثاً يخيّل إليه أنّ ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه . وقيل: هو مشتق من سحرت الصبي إذا خدعته، وكذلك إذا عللّته، والتسحير مثله، قال لبيد:

فإن تسألينا فيم نحن فإننّا عصافير من هذا الأنام المسحّرِ

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ الْمُسَحَّرِينَ﴾ وقيل: أصله الخفاء، فإنّ الساحر يفعله في

---

١ - البقرة: ١٠٢ .

خفية . وهناك أقوال غير هذا تلتقي عند قول الجوهري: السحر الأخذة، وكل ما لطف مأخذه ودقَ فهو سحر، وقد سحره يسحره سحراً، والساحر: العالم، وسحره أيضاً بمعنى خدعه . وهذا ما يسمّى في الجاهلية بالعضه، والعضه عند العرب شدة البُهت وتمويه الكذب . قال الشاعر:

أعوذ بربّي من النافثات في عضه العاضه المعضه

المسألة الثانية في تفعيله، لقد اختلف هل له حقيقة أم لا ؟ فذكر الغزنوي في عيون المعاني له: أنّ السحر عند المعتزلة خدع لا أصل له، وعند الشافعي وسوسة وأمراض، قال: وعندنا أصله طلّسم يبني على تأثير خصائص الكواكب، كتأثير الشمس في زئبق عِصّي فرعون، أو تعظيم الشياطين ليسهّلوا له ما عسر .

وقال الشيخ الطوسي في كتاب الخلاف[1]: السحر له حقيقة ويصحّ منه أن يعقد، ويرقى، ويسحر فيقتل ويمرض ويكوّع[2] الأيدي، ويفرّق بين الرجل وزوجته، ويتفق له أن يسحر بالعراق رجلاً بخراسان فيقتله، عند أكثر أهل العلم أبي حنيفة وأصحابه، ومالك والشافعي، وقال أبو جعفر الاسترابادي[3] من أصحاب الشافعي: لا حقيقة له، وإنّما هو تخييل وشعبذة، وبه قال المغربي من أهل الظاهر، وهو الذي يقوى في نفسي .

ويدلّ على ذلك قوله تعالى مخبراً في قصّة فرعون والسحرة: **﴿فَإِذَا حِبالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنها تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى﴾**[4]

١- الخلاف ٥: ٣٢٧ .

٢- أي تعوّج اليد مما تلي الابهام، نهاية ابن الأثير (كوع) .

٣- من فقهاء الشافعية كما في طبقاتهم لابن هداية الله: ٢٦ .

٤- طه: ٦٦ – ٦٧ .

وذلك أنّ القوم جعلوا من الحبال كهيئة الحيّات، وطلوا عليها الزيبق، وأخذوا الموعد على وقت تطلع فيه الشمس، حتى إذا وقعت على الزيبق تحرّك فخيّل لموسى أنّها حيّات تسعى، ولم يكن لها حقيقة، وكان هذا في أشدّ وقت السحر، فألقى موسى عصاه فأبطل عليهم السحر فآمنوا به.

وأيضاً فإنّ الواحد منّا لا يصح أن يفعل في غيره، وليس بينه وبينه اتصال، ولا اتصال بما اتصل بما فعل فيه، فكيف يفعل من هو ببغداد فيمن هو بخراسان وأبعد منها ؟ ولا ينفي هذا قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[1] لأنّ ذلك لا يمنع منه، وإنّما الذي منعنا منه أن يؤثّر التأثير الذي يدّعونه، فأما أن يفعلوا ما يتخيل عند أشياء فلا يمنع منه .

فرية بلا حياء:

وقال الشيخ الطوسي أيضاً: ورووا عن عائشة أنّها قالت: مكث رسول الله ﷺ ستة أشهر، وفي رواية أخرى: أياماً يُخيّل إليه أنّه يأتي النساء ولا يأتيهنّ، وذكر تمام الحديث[2] .

وروى زيد بن أرقم قال: سحَر رسول الله ﷺ رجل من اليهود، واشتكى ذلك أياماً، فأتاه جبرئيل، فقال له: إنّ رجلاً من اليهود سحرك، وعقد لك عُقُداً في بئر كذا، فبعث علياً فأخرجه، وكلّما حلّ منه عَقَداً وجد رسول الله ﷺ راحة، فلمّا حلّ الكل فكأنّما نشط من عقال[3] وهذا نص .

ثم قال الشيخ الطوسي: وهذه أخبار آحاد لا يُعمل عليها في هذا المعنى، وقد روي

١- البقرة:٢:١٠٢ .

٢- صحيح البخاري وصحيح مسلم، وفي شروحهما طامات في ذلك .

٣- معجم الطبراني الكبير ٥: ١٨٠ بتفاوت يسير في اللفظ، ومجمع الزوائد ٦: ٢٨١.

عن عائشة أنّها قالت: سُحِرَ رسول الله ﷺ فما عمل فيه السحر، وهذا يعارض ذلك .

وقال ابن إدريس الحلي: ولا حقيقة للسحر وإنّما هو تخيل وشعبذة، وعند بعض المخالفين إنّ له حقيقة ... والرسول ﷺ ما سُحر عندنا بلا خلاف، لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ﴾ وعند بعض المخالفين أنّه سحر، وذلك بخلاف التنزيل[1] .

وقال الجصّاص الحنفي[2]: وقد أجازوا من فعل الساحر ما هو أطمّ من هذا وأفظع، وذلك أنّهم زعموا أنّ النبي ﷺ سُحر، وأنّ السحر عمل فيه حتى قال فيه: إنّه يتخيل لي أنّي أقول الشيء وأفعله ولم أقله ولم أفعله، وأنّ امرأة يهوديّة سحرته في جفّ طلعته .... .

وقد قال الله تعالى مكذباً للكفّار فيما ادّعوه من ذلك للنبي ﷺ فقال جلّ من قائل: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً﴾ ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تلعّباً بالحشو الطغام، واستجراراً لهم إلى القول بإبطال معجزات الأنبياء عليهم السلام والقدح فيها، وأنّه لا فرق بين معجزات الأنبياء وفعل السحرة، وإنّ جميعه من نوع واحد .

قال القرطبي: وعندنا له حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء، وقال: ذهب أهل السنّة إلى أنّ السحر ثابت وله حقيقة، وذهب عامة المعتزلة وأبو إسحاق الاسترابادي من أصحاب الشافعي إلى أنّ السحر لا حقيقة له، وإنّما هو تمويه وتخيل وإيهام لكون الشيء على غير ما هو به، وأنّه ضرب من الخفة والشعوذة كما قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[3] ولم يقل تسعى على الحقيقة، ولكن قال: ﴿يخيّل إليه﴾.

١- السرائر٦: ٢٦١ بتحقيقنا .

٢- أحكام القرآن ١: ٤٩ ط مصورة عن طبعة دار الخلافة العثمانية سنة ١٣٢٥ هجـ .

٣- طه: ٦٦ .

وقال أيضاً: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾[1] وهذا لا حجة فيه، لأنّا لا ننكر أن يكون التخيّل وغيره من جملة السحر، ولكن ثبت وراء ذلك أُمور جوّزها العقل، وورد بها السمع، فمن ذلك ما جاء في هذه الآية من[2] ذكر السحر وتعليمه، ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمه، ولا أخبر تعالى أنّهم يعلّمون الناس السحر، فدلّ على أنّ له حقيقة، وقوله تعالى في قصة سحرة فرعون: ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾...[3] .

وقال القرطبي أيضاً: قال علماؤنا: لا يُنكر أن يظهر على يد الساحر خَرق العادات ممّا ليس في مقدور البشر، من مرض وتفريق وزوال عقل وتعويج عضو، ذلك ممّا قام الدليل على استحالة كونه من مقدورات العباد .

قالوا: ولا يبعد في السحر أن يستدقّ جسم الساحر حتى يتولّج الكوّات والخوخات، والانتصاب على رأس قصبة، والجري على خيط مستدق، والطيران في الهواء، والمشي على الماء وركوب كلب وغير ذلك .

ومع ذلك فلا يكون السحر موجباً لذلك، ولا علّة لوقوعه، ولا سبباً مؤكداً، ولا يكون الساحر مستقلاً به، وإنّما يخلق الله تعالى هذه الأشياء ويُحدثها عند وجود السحر، كما يخلق الشبع عند الأكل، والريّ عند شرب الماء.

روى سفيان عن عمّار الدهني أنّ ساحراً كان عند الوليد بن عقبة يمشي على حبل، ويدخل في أست الحمار ويخرج من فيه، فاشتمل له جندب على السيف، فقتله جُندب ـ هذا هو جندب بن كعب الأزدي ويقال البجلي – وهو الذي قال في حقه النبي ﷺ: «يكون في

١- الأعراف: ١١٦ .

٢- إشارة إلى الآية الكريمة التي مر ذكرها في أول المبحث .

٣- تفسير القرطبي ٢:٤٣ – ٤٦ .

أُمتي رجل يقال له جندب يضرب ضربة بالسيف يفرّق بين الحق والباطل» فكانوا يرونه جندبا هذا قاتل الساحر[١] .

المسألة الثالثة أجمع المسلمون على حرمته «ولا خلاف بينهم أن تعليمه وتعلّمه وفعله محرّم لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ فذمّ على تعليم السحر، وروي عن ابن عباس أنّه ﷺ قال: ليس منّا من سَحَر أو سُحر له، وليس منّا من تَكَهّن أو تُكهّن له، وليس منّا من تطيّر أو تُطيّر له»[٢] .

وإن اختلفوا في حكم الساحر المسلم والذمي، فذهب مالك إلى أنّ المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفراً يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته، لأنّه أمر يَستَسّر به كالزنديق

١- ترجمه ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢:١١٨، جندب الخير الأزدي العامري قاتل الساحر،يكنّى أبا عبد الله له صحبة، يقال انّه جندب بن زهير، ويقال جندب بن عبد الله، ويقال جندب بن كعب بن عبد الله، روى عن النبي ﷺ: «حد الساحر ضربة بالسيف» وعن سلمان الفارسي وعلي، وعنه حارثة بن وهب الصحابي والحسن البصري .... .

وترجمه أيضاً في الإصابة ١: ٢٥١ ونقل عن البخاري في تاريخه من طريق خالد الحذاء عن أبي عثمان قال: كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنساناً وأبان رأسه فعجبنا فأعاد رأسه، فجاء جندب الأزدي فقتله . ونقل عن البيهقي في الدلائل من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبي الأسود أنّ الوليد بن عقبة كان أميراً على العراق، وكان بين يديه ساحر يلعب فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيقوم خارجا فيرتد فيه رأسه، فقال الناس: سبحان الله يحيي الموتى، ورآه رجل صالح من المهاجرين فنظر إليه، فلما كان من الغد اشتمل على سيفه فذهب يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه وقال: إن كان صادقاً فليحيي نفسه، فأمر به الوليد فسجن... وروي في أواخر ترجمته أنّ عثمان رفع إليه أمره فقال: أشهرت سيفاً في الإسلام لولا ما سمعت رسول الله ﷺ فيك لضربتك بأجود سيف بالمدينة، وأمر به إلى جبل الدخان ... .

أقول: هذا خليفة المسلمين وأخوه لأمه والي المسلمين عاقبا رجلاً من المسلمين لقتله ساحر المسلمين، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

٢- السرائر لابن إدريس ٦: ٢٦١ من التنضيد بتحقيقي .

والزاني، ولأنّ الله تعالى سمّى السحر كفراً بقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ﴾ وهو قول أحمد والشافعي وأبي حنيفة.

وإن كان الكلام الذي ذكر أنّه سحر به ليس بكفر لم يجز قتله، فعن الشافعي لا يُقتل الساحر إلّا أن يقتل بسحره ويقول تعمّدت القتل، وإن قال لم أتعمّد لم يقتل، وفي الفقهاء من قال غير ذلك على تفصيل مذكور في كتب الأحكام ولسنا بصدده، وخلاصة ما عندنا ما رواه الكليني والصدوق عن النبي ﷺ قال: «**ساحر المسلمين يقتل وساحر الكفّار لا يقتل، فقيل: يا رسول الله ولم لا يقتل ساحر الكفّار؟ قال: لأنّ الكفر أعظم من السحر، ولأنّ السحر والشرك مقرونان**»[1] .

لفت نظر وتصحيح خطأ:

وهنا لابدّ لنا أن نلفت نظر القارئ إلى تصحيح خطأ حفلت به بعض كتب التفسير والحديث، وذلك هو أنّ الرسول الكريم ﷺ سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، أو هو وبناته في قصّة سنذكرها، فرواها الرواة وتحيّر في فهمها بعض العلماء فحاول تبرير صحتها، وأنكرها آخر جملةً وتفصيلاً ، وهي غير منسجمة تماماً، مع طبيعة النبوة ومهمّة الرسالة، لذلك رأيت الإلمام باختصار برواية سحر النبي ﷺ وتخلخل عمودها الفقري - إن صح التعبير - لمجافاتها للرسالة.

فهي بالمفهوم المطروح لدى رواتها أنّه ﷺ يجوز عليه جميع ما يجوز على المسحور من فقدان الوعي والاختلال في الأقوال والأفعال، وبتعبير أعدائه ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾[2]

١- وسائل الشيعة ٥٨: ٢٦٥ ط مؤسسة آل البيت.

٢- القلم: ٥١ .

ولست أدري لماذا الإصرار من بعض أصحاب الكتب على إثباتها، والتمحل في تبريرها ما دامت روايتها مخدوشة سنداً، ومردودة متناً كما يلي إيضاح ذلك .

أولا: رواها شيخ المحدّثين عند أصحابه، ومن جعلوا كتابه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى وهو البخاري، فقد أخرج القصّة في صحيحه مكرراً، ففي كتاب الطب في باب السحر وقول الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ وفي كتاب الدعوات في باب تكرير الدعاء، وهذا ما رواه بإسْنادٍ ينتهي إلى هشام عن أبيه عن عائشة، ومع ذلك تفاوت عنده النقل، وإليك ذلك:

هشام عن أبيه عن عائشة قالت: سَحَرَ رسول الله ﷺ رجل من بني زُريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يُخيّل إليه أنّه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى كان ذات يوم ـ أو ذات ليلة ـ وهو عندي، دعا ودعا ثم قال: يا عائشة، أشَعَرتِ أنّ الله تعالى أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل ؟ فقال: مطبوب، قال: مَن طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أيّ شيء؟ قال: في مشط ومشاطة وجفّ طلع نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان.

فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء، فقال: يا عائشة كأنّ ماءها نقاعة الحنّاء، وكأنّ رؤوس نخلها رؤوس الشياطين، قلت: يا رسول الله أفلا استخرجته؟ قال: قد عافاني الله، فكرهت أن أثير على الناس فيه شراً، فأمر بها فدفنت .

وهذا أخرجه مسلم أيضاً في كتاب الطب في باب السحر بتفاوت يسير في ألفاظه فهو من المتفق عليه عند أصحابه .

وأخرج القصّة ثانياً في كتاب الطب أيضاً باب هل يستخرج السحر؟ وفي كتاب الأدب باب قول الله: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[1] الآية، قال: حدّثني عبد الله بن محمد قال: سمعت ابن عُيَيْنَة يقول: أول من حدّثنا به ابن جريج يقول: حدّثني آل عروة عن عروة، فسألت هشاماً عنه فحدّثنا عن أبيه عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ سُحِر، حتى كان يرى أنّه يأتي النساء ولا يأتيهنّ، فقال: يا عائشة، أعلمت أنّ الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل ؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبّه ؟ قال: لبيد بن الأعصم رجل من بني زُريق حليف ليهود كان منافقاً، قال: وفيم ؟ قال: في مشط ومشاطة، قال: وأين ؟ قال: في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان .

قالت: فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه، فقال: هذه البئر التي أُريتها، وكأن ماءها نقاعة الحنّاء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين، قال: فاستخرج، قالت: فقلت: أفلا تنشّرت؟ فقال: أما والله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً .

ولما كان الحديث رواه هشام عن أبيه عن عائشة، وهشام هذا هو ابن عروة الذي قال عنه الإمام مالك: «هشام بن عروة كذّاب»[2] وذكر ابن حجر في ترجمته في تهذيب التهذيب وهدي الساري ما يفي بمعرفة سقوطه لتدليسه، فقد حكى عن ابن خراش قوله: كان مالك لا يرضاه .. بلغني أنّ مالكاً نقم عليه حديثه لأهل العراق، قدم الكوفة ثلاث مرات، قدمة كان يقول: حدّثني أبي قال: سمعت عائشة، وقدم الثانية فكان يقول: أخبرني أبي عن عائشة، وقدم الثالثة فكان يقول: أبي عن عائشة .

١- النحل: ٩٠ .

٢- تاريخ بغداد١ : ٢٢٣ .

وذكر ابن حجر عن الآجري عن أبي داود لما حدّث هشام بن عروة بحديث أم زرع هجره أبو الأسود يتيم عروة، وقال العقيلي: قال ابن لهيعة: كان أبو الأسود يعجب من حديث هشام عن أبيه، وربما مكث سنة لا يكلّمه .

أما أبوه عروة بن الزبير مضافاً إلى نُصبه فقد وقفت على كذبه في حديثه، قال: كنت غلاماً لي ذؤابتان فقمت أركع ركعتين بعد العصر، فبصرني عمر بن الخطاب ومعه الدِرَّةُ، فلما رأيته فررت منه، فأحضر في طلبي حتى تعلّق بذؤابتي فنهاني، فقلت: يا أمير المؤمنين لا أعود.

أقول: ولما كانت ولادة عروة لستٍ خلون من خلافة عثمان، وكان بينه وبين أخيه عبد الله عشرون سنة، كما يقول ذلك مصعب الزبيري ـ وهو أعرف الناس بأنساب أهل بيته وتواريخهم ـ فقد أحرج الذين قالوا عنه كان ثقة كثير الحديث فقيهاً عالماً ثبتاً مأموناً ـ كما عن ابن سعد ـ فصاروا يتصنّعون له العذر، فقال ابن حجر في تهذيب التهذيب بعد ذكره الخبر الكاذب: وقع منه وهم، ولعلّ ذلك جرى لأخيه عبد الله بن الزبير، وسقط اسمه على بعض الرواة .

ولا نطيل عند بقية رجال السند بدءاً من البخاري الذي عدّوه من المدلّسين[1]، واعتذروا عنه في هدي الساري، وفي آخر تاريخه أنّه أخرج من بخارا لفتياه بنشر الحرمة في الرضاع من لبن البهيمة[2]، وانتهاء بأم المؤمنين التي حظيت دون غيرها من أمهات المؤمنين بأحاديث عجيبة وغريبة، رووها على لسانها وغلب على الكثير من أحاديثها طابع الغريزة الجنسية وما يمت إليها.

وأما الحديث من جهة المتن، فإنّ إشكالية أكثر المسلمين في هذا العصر اعتقادهم بأنّ النبي ﷺ هو كغيره يعتريه ما يعتري سائر الناس من الأمراض الجسمية والنفسية بل وحتى العقلية، وهنا موطن الخطأ، وهنا موضع الضرر.

١- كتاب التبيين لأسماء المُدَلّسِينَ: ١٤ لسبط ابن العجمي ط الأولى حلب سنة ١٣٥٠ هجـ.

٢- المبسوط للسرخسي ٥: ١٣٩-١٤٠ و٣٠: ٢٩٧ ط أوفست دار المعرفة بيروت سنة ١٣٩٨هجـ.

واختصاراً في الطريق نطلب من أولئك أن يرضوا لمن قام بعده تلك الصفات، وليس من السهل زحزحتهم عن معتقدهم بعد أن ورثوا تركة ثقيلة في معتقدهم بأن ماضيهم هو الذي يملك الحقيقة، ولم يَسْمَعُوْا لمن ناقش أو عارض فضلاً عمّن نقد أو خطّأ، فهنالك الويل والثبور. وتبعة ذلك كله على من قالها بصلف « إنّه هجر » «إنّه يهجر» «إنّه قد غلب عليه الوجع» كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

وعلى من قال يخيّل إليه أنّه كان يأتي النساء ولا يأتيهنّ - كما مرّ آنفاً - وازداد الشر تفاقماً حين احتلت شخصيات وكتب مواضع القداسة، فلا مجال للبحث النقدي، بل يجب الخضوع للنقل مادام الحديث من رواية الشيخين وهو في الصحيحين، وكانّهما وحي منزل (!).

فعلينا أن نعقل ما ننقل ثم نقبل أو لا نقبل، فليست كثرة الرواية من غير وعي ودراية بشيء محمود، وقد مرّ بنا ما يتعلّق بسند الصحيح من التجريح، ولنعد إلى ما في متن الحديث من نقد يسقط عن الاعتبار، وحسبنا ما ذكره ابن حجر العسقلاني في فتح الباري[1] فقد أطال الكلام مدافعاً وإن لم يكن مقنعاً.

فمن ذلك ما ورد في أحد الحديثين المذكورَيْنِ آنفاً، أنّ السحر استخرج وورد في الآخر لم يستخرج، وكلا الحديثين في البخاري عن هشام عن أبيه عن عائشة، وللتوفيق بين الحديثين انبرى للجمع شرّاح البخاري لكل طريق ولم يحالفهم التوفيق، إذ قالوا إن المستخرج هو جفّ الطلع، ومراد من قال بعده الاستخراج هو المشط والماشطة ممّا كان في داخل جفّ الطلع. وهذا ممّا يضحك وشرّ البلية ما يضحك.

ثم الاختلاف في الساحر من هو ؟ لبيد بن أعصم، أم بناته، أم غلام يهودي كان يخدم النبي ﷺ يقال له لبيد بن أعصم وكان تعجبه خدمته، وهذا من رواية عمرة عن عائشة كما

١- فتح الباري ١٠: ٢٣٧ - ٢٤٥.

في دلائل النبوة للبيهقي[1]، وهو خبر منكر إذ لم يعهد أن استخدم النبي ﷺ غلاماً يهودياً.

ولو سلّمنا لما رواه ابن حجر في فتح الباري بأنّ اسمه عبد القدوس، وقد مات وهو صبي نقلاً عن ابن بشكوال عن صاحب العتبية، ينافي ما تقدّم عن دلائل النبوة للبيهقي، وفي هذا الكتاب جملة روايات في قصة السحر متنافرة، لا نطيل الوقوف عندها، ولا عند غيرها من روايات مهلهلة الإسناد، متنافرة المتون.

وممّا يضحك في المقام ذكر الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح أنّه تكرّر سحره ﷺ مرتين؛ ليتم له الجمع بين روايتي سحره لبيد بن أعصم، ورواية سحرته بنات لبيد، وأحسبه لم يقف على رواية البيهقي سحره غلام كان يخدمه واسمه عبد القدوس، ولو اطلع عليها لجعل السحر ثلاث مرّات .

ثم إنّ المصيبة ما ذكروه من أَنَّـهُ ﷺ أقام مسحوراً أربعين ليلة، كما في المستخرج للإسماعيلي، وفي رواية أحمد عن الزهري ستة أشهر، وفي إرشاد الساري سنة[2]، وليتهم حدّدوا لذلك سنة معيّنة لننظر متى كان كذلك حتى إنّه يخيّل إليه أنّه يفعل الشيء وما فعله، وتاريخه ﷺ معدودة أحداثه فمتى كانت تلك السنة أو الستة أشهر، بل وحتى الأربعون ليلة.

وما بال هذا الحدث لم يشعر بحدوثه من أزواجه سوى عائشة إن صحّت الرواية عنها؟ أليس كان لكلهنّ القَسَم، وهنّ على حد سواء مع عائشة في شؤون الحياة الزوجية، فما بالها روت ذلك وحدها، ولم يرد عن أمهات المؤمنين في ذلك شيء يذكر .

وقالوا في شأن نزول المعوذتين إنما كان لتعويذه ﷺ ممّا ألمّ به من السحر، وانّهما مدنيتان بينما البيهقي وهو ممّن روى السحر، ذكر السور المكية وعدّ منها المعوذتين، كما في دلائل

١- دلائل النبوة ٧: ٩٢ – ٩٤ .

٢- إرشاد الساري ٨: ٤٠٥ .

النبوة[1] وعنه في الإتقان للسيوطي[2]، وتجد فيه نقولاً شتّى في أنّ السورتين نزلتا بمكة، بينما القصّة المزعومة كانت بالمدينة، وقد تَمَحَّلَ بعضهم فعدهما مدنيّتين تمشية لقصة السحر .

وقد صرّح غير واحد من أعلام الإسلام بكذب ما ورد في ذلك .

فقال العلّامة الحلي في كتابه (منتهى المطلب) في مبحث محرمات التجارة[3] بعد إيراده رواية البخاري: وهذا القول عندي باطل، والروايات ضعيفة، خصوصاً رواية عائشة، لاستحالة تطرّق السحر إلى الأنبياء عليهم السلام .

وقال الشيخ البهائي: اعلم إنّا معاشر الإمامية على أنّ السحر لم يؤثر في النبي صلى الله عليه وآله، وأمره في هذه السورة ـ يعني الفلق ـ بالاستعاذة من سحرهن لا يدل على تأثير السحر فيه صلى الله عليه وآله وهو كالدعاء في **﴿رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا﴾**[4] وأما ما نقله المخالفون عنه أنّ السحر أثّرفيه صلى الله عليه وآله، كما رواه البخاري ومسلم من أنّه صلى الله عليه وآله سُحر حتى أنّه كان يُخيل إليه أنّه فعل الشيء ولم يكن فعله، فهو من جملة الأكاذيب، ولو صحّ ما نقلوه لصدق قول الكفّار: **﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا﴾**[5]. ولما كان بعض كتب أصحابنا وردت فيها القصة وفاقاً لروايات العامة، فتلك أخبار آحاد مخدوشة الإسناد لا يعمل بها .

قال السيد الجواد في مفتاح الكرامة[6]: قد ورد في بعض أخبارنا وفاقاً لروايات العامة عن عائشة أنّه صلى الله عليه وآله سحره لبيد بن أعصم اليهودي، فقد أنكره الشيخ في الخلاف،

١- دلائل النبوة ٧: ١٤٢ .

٢- الاتقان ١: ٤٠ .

٣- منتهى المطلب ٢: ١٠٠٣ ط حجرية .

٤- البقرة: ٢٨٦.

٥- الإسراء: ٤٧ .

٦- مفتاح الكرامة ٤: ٧٣ .

والمصنف ـ يعني العلّامة الحلي ـ في المنتهى، وجماعة وهو كذلك قطعاً، تقضي به أصول المذهب، والروايات شاذة ضعيفة، محمولة على التقية، مخالفة للأصول والقواعد والإعتبار فلا يلتفت إلى ما احتمله في البحار ..

وعلى نحو ما مرّ قال الجصاص الحنفي في أحكام القرآن مستنكراً إثبات حقيقة السحر: وقد أجازوا من فعل الساحر ما هو أطمّ من هذا وأفظع، وذلك أنّهم زعموا أنّ النبي عليه السلام سُحر، وأنّ السحر عمل فيه حتى قال فيه أنّه يتخيّل لي أنّي أقول الشيء وأفعله ولم أقله ولم أفعله، وإنّ امرأة يهودية سحرته في جف طلعة ومشط ومشاقة - ما يسقط من المشط- حتى أتاه جبريل عليه السلام فأخبره أنّها سحرته في جف طلعة وهو تحت راعوفة البئر، فاستخرج وزال عن النبي عليه السلام ذلك العارض .

وقد قال الله تعالى مكذّباً للكفّار فيما ادّعوه من ذلك للنبي صلى الله عليه وآله، فقال: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا﴾[1] ثم قال: ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تلعّباً بالحشو، الطغام، واستجراراً لهم إلى القول بإبطال معجزات الأنبياء عليهم السلام والقدح فيها، وإنّه لا فرق بين الأنبياء وفعل السحرة، وأنّ جميعه من نوع واحد .

وقال: والعجب ممّن يجمع بين تصديق الأنبياء عليهم السلام وإثبات معجزاتهم، وبين التصديق بمثل هذا من فعل السحرة، مع قوله تعالى: ﴿وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ فصدّق هؤلاء من كذّبه الله، وأخبر ببطلان دعواه وانتحاله .

وجائز أن تكون المرأة اليهودية بجهلها فعلت ذلك ظناً منها بأنّ ذلك يعمل في الأجساد، وقصدت به النبي عليه السلام فأطلع الله نبيّه على موضع سرّها، وأظهر جهلها فيما ارتكبت وظنت، ليكون ذلك من دلائل نبوّته لا أنّ ذلك ضرّه وخلط عليه أمره، ولم يقل

١- الإسراء: ٤٧ .

كل الرواة أنّه اختلط عليه أمره، وإنّما هذا اللفظ زيد في الحديث ولا أصل له»[1].

وقد ندّد الشيخ محمد عبده المصري بالقائلين بسحر النبي ﷺ، فقال بعد كلام له في ذلك: «وقد قال كثير من المقلّدين الذين لا يعقلون ما هي النبوة ولا ما يجب لها: إنّ الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة، بصحة السحر، فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح والحق الصريح في نظر المقلّدة بدعة ـ نعوذ بالله ـ يحتج بالقرآن على ثبوت السحر، ويعرض عن القرآن في نفيه السحر عن النبي ﷺ وعدّه من افتراء المشركين عليه، ويؤول في هذه الآية ولا يؤول في تلك، مع أنّ الذي يقصده المشركون ظاهر، لأنّهم كانوا يقولون: إنّ الشيطان يلابسه عليه السلام، وملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم وضرب من ضروبه، وهو بعينه أثر السحر الذي نسب إلى لبيد، فإنّه خالط عقله وإدراكه في زعمهم.

والذي يجب اعتقاده أنّ القرآن مقطوع به، وأنّه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ، فهو الذي يجب الإعتقاد بما يثبته، وعدم الإعتقاد بما ينفيه، وقد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه، ووبخهم على زعمهم هذا، فإذن هو ليس بمسحور قطعاً.

وأما الحديث ـ على فرض صحّته ـ فهو آحاد، والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد، وعصمة النبي من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون ....

ولو كان هؤلاء يقدّرون الكتاب قدره، ويعرفون من اللغة ما يكفي لعاقل أن يتكلّم، ما هذروا هذا الهذر، ولا وصموا الإسلام بهذه الوصمة، وكيف يصح أن تكون هذه السورة نزلت في سحر النبي ﷺ مع أنّها مكية في قول عطاء والحسن وجابر وفي رواية

١- أحكام القرآن١ : ٦٠ .

كُريب عن ابن عباس، وما يزعمون من السحر إنّما وقع بالمدينة، لكن من تعوّد القول بالمحال، لا يمكن الكلام معه بحال، نعوذ بالله من الخبال».

فتبيّن لنا الفرق بين المعجزة والكرامة وبين السحر والشعوذة، ومن أظهر الفوارق أنّ المعجزة غايتها الدعوة إلى الله سبحانه من غير معلّم، وتزداد ظهوراً مع الزمن، بينما السحر والشعبذة تفتقر إلى معلم ومرشد، وهي تظهر عند أناس يعرفون بالفساد، وأنّ الساحر يحتال على الناس بالتخيل كما نطق الكريم العليم في قرآنه العظيم في سحرة فرعون.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[1].

ولا شك انّ التخييل يحتاج إلى إعمال فكر ونظر، وتقديم الأسباب والألآت، وقد تخطئ وقد تصيب، بينما المعجزة إنّما تحصل لصاحبها النبي بمجرّد توجّهه بنفسه الكاملة، إلى المبدأ الأعلى جل شأنه فيطلبها منه عند حصول شرائطها كما قدّمنا ذكرها، أما الساحر فليس كذلك، وإن أتى بكل ما أتى به من خوارق للعادة وقوانين الطبيعة المألوفة، وحسبنا بهذا كبير الفرق.

مضافاً إلى أنّ صاحب المعجزة يؤيّده الله سبحانه وتعالى بإظهارها تأييداً لنبيّه، بينما الساحر لا يفلح سعيه، كما قال تعالى مخاطباً نبيه موسى عليه السلام ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[2].

ولما كان السحر مهما أتقن الساحر صنعته، وقوّى أثره ورفع قوّته، فهو عند المسحور ينتهي بانتهاء الساعة، ويزول أثره عند إبطاله، ولا يبقى زمناً طويلاً، أما المعجزة والكرامة فليستا كذلك، فإنّهما يُبقيان أثراً في نفوس المؤمنين فيزدادوا إيماناً، كما قال تعالى مخاطباً نبينا ﷺ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا

١- طه: ٦٦.

٢- طه: ٦٩.

لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ * وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[1] .

ولما كان النبي الكريم كما قال الحافظ ابن شهراشوب له معجزات لم تكن لغيره، وذكر أنّ له أربعة آلاف وأربعمائة وأربعين معجزة، ذكرت منها ثلاثة آلاف تتنوع أربعة أنواع، ما كان قبله، وبعد ميلاده، وبعد بعثته، وبعد وفاته، وأقواها وأبقاها القرآن، لوجوه:

أحدها: إنّ معجزَ كل رسول موافق للأغلب من أحوال عصره، كما بعث الله موسىعليه السلام في عصر السحرة بالعصا فإذا هي تلقف، وفلق البحر يبساً، وقلب العصا حيّة، فأبهر كل ساحر وأذلّ كل كافر .

وقوم عيسىعليه السلام أطباء فبعثه الله بإبراء الزمنى وإحياء الموتى، بما دهش كل طبيب وأذهل كل لبيب .

وقوم محمدصلى الله عليه وآله بلغاء فصحاء فبعثه الله بالقرآن في إيجازه وإعجازه بما عجز عنه الفصحاء، وأذعن له البلغاء وتبلّد فيه الشعراء، ليكون العجز عنه أقهر، والتقصير فيه أظهر .

والثاني: إنّ المعجز في كل قوم بحسب أفهامهم، وعلى قدر عقولهم وأذهانهم، وكان في بني إسرائيل من قوم موسى وعيسى بلادة وغباوة، لأنّه لم ينقل عنهم من كلام جزل أو معنى بكر، وقالوا لنبيهم حين مروا على قوم يعكفون على أصنامٍ لهم، اجعل لنا إلهاً، والعرب أصح الناس أفهاماً وأحدّهم أذهاناً، فخصّوا بالقرآن بما يدركونه بالفطنة دون البديهة، لتخصّ كل أُمة بما يشاكل طبعها .

والثالث: أنّ معجز القرآن أبقى على الأعصار وأشهر في الأقطار، ومادام إعجازه فهو أحج وبالاختصاص أحق، فانتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقاً وغربا، قرناً بعد قرن، عصراً بعد

١- محمد: ١٦ – ١٧ .

عصر، وقد انقرض القوم وهذه سنة سبعين وخمسمائة من بعثته فلم يقدر أحد على معارضته[١].

ولنختم المبحث هذا كما بدأنا به بآية من آياته تعالى التي ذكر فيها نبينا الكريم بأقصى ما ورد في حقه، قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[٣].

قال ابن عباس: يقول له لا ذُكرتُ إلّا ذُكرتَ معي في الأذان والإقامة والتشهّد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى، وأيام التشريق، ويوم عرفة، وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وفي خطبة النكاح، وفي مشارق الأرض ومغاربها، ولو أنّ رجلاً عبد الله جلّ ثناؤه، وصدّق بالجنة والنار وكل شيء، ولم يشهد أنّ محمداً رسول الله، لم ينتفع بشيء وكان كافراً[٤].

وعلى ذلك كان قول حسان بن ثابت:

أغرّ عليه للنبوّة خاتمٌ ... من الله مشهود يلوح ويُشهَدُ

وضمّ الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذنّ أشهدُ

قال الرازي في تفسيره: واعلم أنّه عامٌّ في كل ما ذكروه من النبوة، وشهرته في الأرض والسماوات، اسمه مكتوب على العرش، وأنّه يذكر معه في الشهادة والتشهّد، وأنّه تعالى ذكره في الكتب المتقدّمة، وانتشار ذكره في الآفاق، وأنّه ختمت به النبوة، وأنّه يذكر في الخطب والأذان ومفاتيح الرسائل، وعند الختم، وجعل ذكره في القرآن مقروناً بذكره ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ

١- مناقب ابن شهرآشوب ١: ١٢٥ – ١٢٦ ط الحيدرية.

٢- القلم: ٤.

٣- الشرح: ٤.

٤- تفسير القرطبي ٢٠: ١٠٦ – ١٠٧.

أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾[1] و ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾[2] و ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[3] .

ومناداته باسم الرسول والنبي، حين ينادي غيره بالاسم يا موسى يا عيسى، وأيضاً جعله في القلوب بحيث يستطيعون ذكره، وهو معنى قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَانُ وُدًّا﴾[4] كأنّه تعالى يقول: أملأ العالم من أتباعك كلهم يثنون عليك ويصلّون عليك ويحفظون سنتّك، بل ما من فريضة من فرائض الصلاة إلا ومعه سنة، فهم يمثلون في الفريضة أمري، وفي السُنَة أمرك .

وجعلت طاعتك طاعتي وبيعتك بيعتي: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[5] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾[6] .

لا تأنف السلاطين من أتباعك، بل لا جراءة لأجهل الملوك أن ينصب خليفة من غير قبيلتك، فالقراء يحفظون ألفاظ منشورك، والمفسرون معاني فرقانك، والوعاظ يبلغون وعظك، بل العلماء والسلاطين يصلون إلى خدمتك، ويسلّمون من وراء الباب عليك، ويمسحون وجوههم بتراب روضتك، ويرجون شفاعتك، فشرفك باق إلى يوم القيامة[7] .

* * *

١- التوبة: ٦٢ .

٢- النساء: ١٣.

٣- النساء: ٥٩ .

٤- مريم: ٩٦ .

٥- النساء: ٨٠ .

٦- الفتح: ١٠ .

٧- التفسير الكبير للفخر الرازي ٣٢: ٥ ط عبد الرحمن محمد بمصر.

الفصل الثالث

في إمكانية خرق النواميس الطبيعية والشواهد على ذلك دون أن يلحق بالكون الفساد

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَأَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الأنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[1].

أولاً: لابدّ لنا من إيمان:

نحن إذ نحاول تقريب صدور المعجزات أو الكرامات إلى الأذهان، لنثبت وقوع معجزتي انشقاق القمر وردّ الشمس، فلابدّ لنا أن نؤمن أولاً: بأنّهما خلقان مطيعان لأمر خالقهما ومدبّرهما كسائر مخلوقاته .

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾[2] .

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[3].

ونؤمن ثانياً: بأنّ خرق النواميس الطبيعيّة الكونيّة ـ بمعنى خرق النظام الطبيعي ـ على أيدي الأنبياء والرسل عليهم السلام لا يتم إلّا بإذن خاصّ من الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ

١- إبراهيم: ٣٢ – ٣٤ .

٢- الأنعام:٧٣ .

٣- الأنبياء: ٣٣ .

وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1] .

ونؤمن ثالثاً: بأنّ الأنبياء عليهم السلام لم يكن فيهم من ادّعى لنفسه الإتيان بمعجزته من صنعه وبقدرته، بل كانوا يقولون إنّها من عند الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[2] .

فإذاً نحن آمَنّا بأنّ الله تعالى هو الخالق والمقدّر، فهو القادر على تغيير ناموس ذلك النظام الذي أتقن صنعه، فيغيّره بقدرته آناً مّا استجابة لدعوة نبي من أنبيائه عليهم السلام ، عند طلبه ذلك التغيير لمصلحة يراها، إتماماً للحجة على العباد، فأيّ محذور عقلي، أو أيّ تناقض، أو اختلال في سنن الطبيعة التي أتقن صنعها لو استجاب لدعائه نصرةً لأنبيائه ؟ دون أن يلحق بالكون الفساد .

نعم إنّما يكون ذلك التغيير الآني هو خرقاً لما هو مألوف عند الناس عادة، ولله خرق العادات، وهل إظهار المعجزة إلا خرق آني للنواميس الطبيعيّة المألوفة؟

ولما كانت الخوارق لسنن الطبيعة التي حدثت في الكون منذ تكوينه لا يمكن حصرها، ولا يحصيها إلّا من هو مبديها ومعيدها، جلّت قدرته وعظمت الآؤه، وعدم العلم بها جميعاً لا ينافي في ادّعاء الكثرة بعد أن وجدنا القرآن الكريم أشار إلى عدد منها في جملة من آياته .

كحدوث الطوفان أيام سيدنا نوح عليه السلام ، فهو في بدئه ونهايته آية من آيات ربّه الكبرى، قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾[3] .

١- غافر: ٧٨ .

٢- العنكبوت: ٥٠ .

٣- الفرقان: ٣٧ .

وتخلّف النار عن الإحراق كما في قصّة سيدنا إبراهيم عليه السلام : ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[1] .

وخروج الناقة من الحجر آية سيدنا صالح عليه السلام : ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] .

وانفلاق البحر لسيدنا موسى عليه السلام ، وَضَرْبُ طريقٍ يَبَسٍ فيه لبني إسرائيل، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَساً﴾[4] .

وتحوّل عصاه إلى أفعى تلقف ما يأفكون، ومطر السماء الجراد والقمّل والضفادع والدم، إلى غير ذلك من الآيات التي كانت في الأُمم السابقة.

وما وقع لنبينا صلى الله عليه وآله من الآيات التي فيها خرق لنظام الطبيعة كثيرة، ولعلّ من أهمّها الإسراء، والمعراج، وانشقاق القمر، وردّ الشمس إلى غير ذلك ممّا فيه دلالة على وقوع التغيير في السنن الكونيّة عند توفّر دواعيه من دون حاجة إلى تعليل وتفسير، ما دامت القدرة الإلهية هي المهيمنة على التسيير والتغيير ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾[5] ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾[6] .

١- الأنبياء: ٦٩ .

٢- الأعراف: ٧٣ .

٣- الشعراء: ٦٣ .

٤- طه: ٧٧ .

٥- البقرة: ٢٥٥ .

٦- النساء: ١٢٦ .

قال العالم الإنكليزي وليم جونز: القدرة التي خلقت العالم لا تعجز عن حذف شيء منه، أو إضافة شيء إليه، ومن السهل أن يقال عنه في أنّه غير متصوّر عند العقل، ولكن الذي يقال عنه أنّه غير متصوّر، ليس غير متصوّر إلى درجة وجود العالم[١].

وقال الفيلسوف مالبرانشي: إنّما نرى نحن توالي الحادثات، ولا نرى الرابطة التي تربط أحد الطرفين بالآخر، فلماذا تبقى هذه الرابطة متخفية عنّا ؟ لكونها شيئاً الهياً لا يوجد مثله في المخلوق[٢].

ثانياً: لآيات لقومٍ يعقلون:

قال تعالى: **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**[٣].

«إذا أنعمت النظر في هذه الآية وجدتها تشير إلى أنّ كل شيء بتدبير، وأنّه مقصود، لأنّ تعاقب الليل والنهار يُحدث التغيرات الجوية، ويُحدث الرياح، ويَنشأ عن ذلك مواسم المطر والجفاف على نظام مستقر، ومعنى هذا أنّ حياة الكائنات وموتها مرتبطان بسير الأرض في مدارها، فهل هذا كله مصادفات بحتة ؟ أليست كل هذه الأمور مرتبطة بعضها ببعض؟

١- كبرى اليقينات الكونية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: ٢٤٢ ط الثانية نقلاً عن كتاب موقف العقل والعلم ٢: ١٢٣ .

٢- نفس المصدر عن المرجع نفسه ٤: ٣٤ .

٣- البقرة: ١٦٤ .

هذه كائنات كثيرة ويعمل كل منها في دائرته، وفي الوقت يعاون غيره من الكائنات، لتحقيق غرض واحد، وهي مجتمعة تحيي الأرض بعد موتها .

هذا ما يقوله العلم الحديث المؤيد بالتجارب في المعامل والمراصد ... على أننا إذا ألقينا نظرة شاملة على ما في الكائنات ألفينا أنّ كل كائن مرتبط بحياتنا، وأنّها جميعاً صادرة عن تدبير واحد، لها غرض واحد، وموجدها واحد، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ﴾[١] ...»[٢] .

فمن الأجدر بنا النظر في آيات الرسل وبيّنات النذر بنظرة معتبر ومتفكر لنصدق في قولنا: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٣] .

ثالثاً: من كان يعلم في عهد الرسالة ما هي الأنواء الجوية والمناخية:

لا شك أنّ معرفة ذلك كانت عند الأمة العربية ضئيلة، وكل ما عندهم هو بعض المعلومات البدائية بقدر ما عندهم من قوة ملاحظة شخصية، وهو بحكم موقع بلادهم وتمازجهم مع جيرانهم من الروم والفرس، وما يرونه من مظاهر الحياة حولهم، استفادوا خبرة بمعرفة ارتباط الكثير من شؤون الحياة بظواهر كونية، فعرفوا الفصول الأربعة، فكيّفوا حالهم بطبيعة الظروف المناخية، ومدى تقلّبها من مكان لآخر ومن زمان إلى آخر.

فكانت الرحلة في الصحاري أيضاً تزيدهم خبرة بالنجوم وبالأزمنة والأمكنة، بقدر قوّة ملاحظتهم لما يسيّرون به حالتهم الحياتيّة والبيئيّة، وفسّروا بعض الظواهر الكونية

١- آل عمران: ١٩١ .

٢- محمد المثل الكامل تأليف محمد أحمد جاد المولى بك:١٧١ ط الاستقامة بمصر سنة ١٣٧١هجـ .

٣- آل عمران: ١٩١ .

كالعواصف والرعد والبرق وحتى الخسوف والكسوف تفسيراً يتناسب ومداركهم، لعدم ذات يدهم من وسائل العلم يومئذٍ .

ولنا ـ تسامحاً ـ أن نقول:إن كان عند بعضهم من علم الفلك النظري والعملي بعض الشيء، فهم في أشعارهم وأمثالهم يذكرون الكواكب والنجوم، فالشمس والقمر والثريا وسهيل والزهرة والشعرى، كثر ذكرها، بل وحتى أنّ بعضهم كان يعبد بعضها[1]،وما النسيء عندهم وحساب السنين إلّا نتيجة ضبط الشهور والأيّام على الشمس والقمر .

ولما منّ الله تعالى عليهم بأن بعث في الأُميين رسولاً منهم، يُطَهِرُهُمْ ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة، وجاءهم بالآيات البيّنات، فرأوا في قرآنه عَجَباً، فآمن به من آمن فهدي، وكفر به من كفر فغوى، والسؤال كم هم الذين كانوا أهل معرفة متطوّرة، وإيهان بعلاقة الأرض مع السماء ؟ وقليل ما هم.

نعم ازدادوا علماً بعد الفتوحات واطلاعهم على تراث الآخرين، وعرفوا المراصد والمناظير، وفرّقوا بين الإشعاع الشمسي المائل والعمودي، ومدى تأثيره في طول النهار وقصره، فصاروا بعد ذلك بقرون يعرفون خطوط الطول والعرض، وأنّ طول النهار لا يكون متساوياً على جميع دوائر العرض.

فعند الخط الاستوائي يبلغ أقصى النهار (١٢) ساعة، وعند دائرة عرض (٦٦ْ) شمالاً أو جنوباً يبلغ (٢٤) ساعة، بينما طوله يبلغ (٢٠) ساعة عند دائرة عرض (٦٣ْ) شمالاً أو جنوباً .

وإنّ هذا التباين يؤدّي إلى زيادة الفترة التي تكسب بها الأرض الاشعاع الشمسي، ولذا نجد الفصل الصيفي الحار في السنة في تلك الأقاليم، يكون مصاحباً للفترة التي يكون فيها النهار طويلاً، في حين نجد فصل الشتاء البارد يكون فيه النهار قصيراً، كل هذا

١- بلوغ الأرب للآلوسي ٢: ٢٣٧ – ٢٤٠ ط الثالثة مطابع دار الكتاب العربي بمصر .

لم يكن يعرفه المسلمون الأولون، فضلاً عن الكفّار في أول عهد الرسالة حين قالوا للنبي ﷺ أن يدعوا القمر فينشق وقد فعل وقال اشهدوا اشهدوا، كما سيأتي بيان ذلك في الباب الثاني .

ونحو ردّ الشمس، كما يأتي في الباب الثالث، بل ولم يعرفه حتى من جاء بعدهم من المنكرين لتلك الآيات حين قالوا: لو كان قد حدث ذلك لرآه العالم كله .

وأنّى لهم معرفة ذلك وهم لا يعلمون بأنّ النهار الذي هم فيه هو ليل عند غيرهم، والصيف الذي هم فيه هو شتاء عند غيرهم، وربيعهم هو خريف عند غيرهم، فكيف يطلبون ما ظهر في

سمائهم أن يظهر في سماء غيرهم في نفس ذلك الوقت ؟!

رابعاً: آيات كونية في السماء والأرض:

ولزيادة تنوير القارئ نرجوه أن يقرأ قوله تعالى في سورة الكهف[1]: ﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا**﴾ .

ولنتأمّل في قوله تعالى: ﴿**إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ**﴾ وليعرف معنى ﴿**تَّزَاوَرُ**﴾ وهو كما في اللغة: بمعنى مال عنه، فيكون تميل الشمس عنهم ذات اليمين، ثم قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ**﴾ أي تميل عن شمالهم، لأنها لو طلعت عليهم قبالتهم لأحرقتهم وثيابهم، فكانت تميل عنهم طالعة وغاربة وجارية، فلا تبلغهم فتؤذيهم بحرّها وتغيّر ألوانهم وتبلي ثيابهم.

١- الكهف: ١٧ .

ففعل الشمس هذا هو آية من آيات الله تعالى، كما هو صريح قوله تعالى في نفس الآية المذكورة آنفاً: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ﴾ ولو لم يكونوا في معرض الشمس شروقاً وغروباً ومع ذلك لم تصبهم الشمس، ولو لم تكن تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال لكانوا تعفّنوا، أليس هذا خرقاً لمسيرة الشمس عادة، ولو لم يكن في ذلك من آية لما ذكرها القرآن المجيد.

فقدرة القادر القدير هي التي جعلت الشمس تزاور عن كهفهم، وتميل في سيرها الطبيعي من دون أن يحسّ بها سائر الناس، وهم يعيشون تحت نورها كل يوم، وهي هي القدرة التي تحبس الشمس أو تردّها إلى الأفق عند اقتضاء الحكمة بحدوث تلك الآية، وهي المعجزة من دون أن يحسّ بها جميع أفراد من تحت الشمس، وسيأتي من الشواهد النقليّة على وقوع المعجزتين للنبي ﷺ ـ شق القمر وردّ الشمس ـ فهما صنوان في الذكر الحكيم، جلّ خالقهما ومقدّرهما أحسن تقدير.

ولنا في حدوث الكسوف والخسوف، وهما من الظواهر المعتادة رؤيتها في غالب السنين، ومع إحساس الناس الذين هم في مقابلة الجهة التي يحدث فيها الكسوف والخسوف، فإن غيرهم ممن ليسوا في واجهتها لا يحسّون بحدوثهما، وهذا أمر محسوس بالوجدان، ولا تحتاج معه إلى إقامة البرهان.

ومن ساوره الشك في ذلك فليلمّ قليلاً بحال ساكني القطبين الشمالي والجنوبي من الكرة الأرضية، حيث ينعدم النهار ستة أشهر في أحدهما، ومقابله انعدام الليل ستة أشهر في الآخر، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾[1].

١- الأعراف: ٥٤.

وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[1].

من خلال هذه الآيات الكريمة يمكننا أن نلمّ إجمالاً بتحرّكات الشمس والقمر والكرة الأرضية ممّا أدركه علماء الفلك بعد ذلك بقرون، فالقرآن الكريم صرّح بأنّ الشمس تجري إلى حد معيّن، وهذا ما أدركه العلم الحديث بأنّ الشمس تتحرّك مع مجموعتها الشمسية بسرعة ١٩ كيلو متراً في الثانية في اتجاه نقطة تقع في مكان ما في كوكبة الجاثي.

وصرّح القرآن الكريم في الآية الثانية بأنّ الشمس والقمر والأرض تتحرّك، ولكن غير الحركة الأولى حيث قال: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ فالشمس لها حركة أخرى وهي دورانها حول نفسها، كما تدور الأرض حول نفسها، وكذلك القمر له حركة يدور حول نفسه، ودوران الأرض أشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ فدوران الأرض حول نفسها هو الذي يسبب الليل والنهار بانتظام، هذه حقائق علميّة أشار إليها القرآن قبل أن يدرك العلم عنها شيئا.

خامساً: ماذا قال العلم الحديث في المقام؟

ومن الخير إلمام القارئ بماذا قاله العلم الحديث عن هذا، لنصل إلى الحديث عن الإعجاز في مسألتي انشقاق القمر وردّ الشمس.

لقد ذكر العلم الحديث أنّ الفصول الأربعة تنشأ نتيجة لدوران الأرض حول الشمس خلال العام في مدار يميل مستواه على خط الإستواء الأرضي بزاوية قدرها

١- يس: ٣٨ - ٤٠.

(٥،٢٣) تقريباً، وهي نفس الزاوية المحصورة بين محور دوران الأرض حول نفسها ومحور دورانها حول الشمس، فيترتب على ذلك تنقل الشمس في حركة ظاهرية مكوكية شمالاً وجنوباً حول خط الإستواء الأرضي؛ لتصل أشعّتها إلى الأطراف الشمالية والجنوبية لكوكب الأرض خلال فترات زمنية معيّنة.

ولنا أن نتخيّل لو كانت زاوية الميل هذه مساوية للصفر، فماذا تكون النتيجة؟ طبعاً سوف تتعامد الشمس فقط على خط الإستواء، ولا تصل أشعتها إلى أطراف الأرض الشمالية والجنوبية لكوكب الأرض، الأمر الذي يؤدّي إلى تراكم الجليد عند قطبي الأرض، وزيادة مطردة في مساحة المناطق القطبية المتجمّدة، بينما تزداد حرارة المناطق الاستوائية إلى حدود خطيرة غير محتملة، تعمل على انتشار الجفاف والتصحّر في هذه المناطق لتصبح جرداء لا نبات فيها ولا ماء.

وعلى العكس يؤدّي انحراف الشمس شمالاً وجنوباً حول خط الاستواء إلى تغيّرات دورية في درجة الحرارة، والظروف المناخية بصفة عامة، تعمل على تلطيف الجو عند العروض المختلفة على الأرض، ويتغيّر تبعاً لذلك الغطاء النباتي، ممّا يتيح للأحياء التمتّع بظروف معيشيّة متنوّعة ومتجدّدة، حيث تتنوّع المحاصيل والثمار التي تعيش عليها الأحياء من آن لآخر .

وخلال الرحلة السنويّة للأرض حول الشمس تتعامد الأشعة الشمسيّة على خط الإستواء مرتين في العام .

احداهما: عند بداية الربيع في ٢١ مارس، ويعرف هذا الموضع بنقطة الإعتدال الربيعي.

أما المرة الثانية: فتحدث عند بداية الخريف في٢١ سبتمبر، وتعرف بنقطة الإعتدال

الخريفي، وتنحرف الشمس شمالاً تتعامد على مدار السرطان (خط عرض ٣٢،٥° شمالاً) عند بداية الصيف في ٢١ يونيو، حيث تقع الشمس عند نقطة الإنقلاب الصيفي .

وتقع الشمس في نقطة الإنقلاب الشتوي في ٢١ ديسمبر، حيث تتعامد أشعتها على مدار الجدي (خط عرض ٢٣،٥° جنوباً) وفي حقيقة الأمر يوجد فصلان في آن واحد على الكرة الأرضية، فعندما يحلّ الصيف في نصف الكرة الشمالي، يحلّ الشتاء في نصف الكرة الجنوبي، وعندما يحلّ الربيع في أحد نصفي الكرة الأرضية،يحلّ الخريف في النصف الآخر .

ويختلف طول النهار والليل خلال الفصول الأربعة حيث يطول النهار ويقصر الليل صيفاً، ويحدث العكس في فصل الشتاء، أما الإعتدالان الربيعي والخريفي، فيتساوى عادة طول الليل والنهار بواقع ١٢ ساعة لكل منهما .

وإذا ما اتجهنا إلى القطب الشمالي في فصل الصيف، نجد أنّ طول النهار يتزايد تدريجياً بينما يتناقص طول الليل في نفس الوقت، حيث يمتدّ طول النهار عند نقطة القطب الشمالي صيفاً إلى ستة شهور .

وعندما يحلّ النهار في منطقة القطب الشمالي يحلّ الليل لحظياً في منطقة القطب الجنوبي، ويستمرّ لستة شهور أيضاً ، وتظل الشمس دائمة الإشراق خلالها على الدائرة القطبية (خط عرض ٦٦،٥° شمالاً) عند نقطة الإعتدال الربيعي ٢١ مارس، وتستمر في إشراقها حتى تغرب في ٢١ سبتمبر عند نقطة الإعتدال الخريفي في ٢١ سبتمبر .

ونظراً لاختلاف ميل الأشعة الشمسيّة الساقطة في موقع ما على الأرض خلال فصل معيّن من السنة، تتفاوت درجة الحرارة والعوامل المناخية الأخرى من منطقة إلى أخرى على سطح الأرض، ويؤدّي ذلك إلى تنوّع في النباتات والمحاصيل والثمار التي تعين الأحياء

على الأرض في سدّ حاجتهم من المقومات الحياتية [1] .

فهذا الذي اكتشفه العلم الحديث بعد عدّة قرون بوسائله العلمية التقنية، كشف عنه القرآن الكريم من قبل بأنّ النظام الشامل في الكون سائر على قانون إِلهِيّ لا يتخلّف، وأنّ النظام الشمسي جزء من ذلك النظام الشامل، تسير عليه الكواكب بحساب دقيق لا يأذن باصطدامها، مع أنّ بعض تلك الكواكب غير منتظم في سيره، ومع ذلك فهو غير مغلوب بقانون الجاذبية لأحد من تلك الكواكب، إلا إذا أراد ذلك خالق الكون، ومن يجهل المذنبات والشهب والنيازك التي يراها الإنسان بالعين المجردة ؟ وهي معلومة للإنسان من قبل أن يعرف المراصد ووسائل الاكتشافات الحديثة من مرصد ومنظار .

سادساً: وقفة أدبية عابرة وذات عبرة:

قال أبو تمام الطائي - وهو شاعر عربي كبير وشهير - في قصيدة له يمدح بها المعتصم في فتح عمورية وهي من روائع الشعر العربي وأولها:

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ ... في حدّهِ الحدّ بين الجدِّ واللعب

حتى قال فيها:

أين الروايةُ أم أين النجومُ وما ... صاغوه من زُخرفٍ فيها ومن كَذبِ

تخرّصاً وأحاديثاً مُلفقّةً ... ليست بنبع إذا عُدّت ولا غَرَبِ

عجائباً زعموا الأيامَ مُجفِلةً ... عنهنّ في صَفر الأصفار أو رَجَب

وخوّفوا الناس من دهياءَ مظلمةٍ ... إذا بدا الكوكب الغربيّ ذو الذنب

وصيّروا الأبرج العُليا مُرتبةً ... ما كان منقلباً أو غير منقلب

---

١ - الفصول الأربعة مقتبس من مواقع الانترنيت .

يقضون بالأمر عنها وهي غافلةٌ ... ما دار في فلكٍ منها وفي قطبِ

لو بيّنت قطَ أمراً قبل موقعه ... لم تُخفِ ما حلّ بالأوثان والصُلب[١]

قال الدكتور أحمد زكي مدير جامعة القاهرة في كتابه (مع الله .. في السماء) [٢] تحت عنوان مذنب أبي تمام، وذكر بيتين من الشعر المتقدّم على النحو التالي: الرابع ثم الثاني، وقال: وهي ـ المذنبات ـ كما قال شاعرنا العربي الكبير، قد أثارت الناس أجيالاً طوالاً وأذعرتهم وأفزعتهم، ورأوا فيها نذر الشر وسوء الطالع، بل وعلامة على قيام الساعة، وانتحر قوم رهباً ، وفرّت ملوك من عروشها هرباً، وتوقفت حروب تطيّراً .

ورحم الله شاعرنا العربي إذ قال عنها في ذلك العهد البكر، في القرن التاسع الميلادي، إنّها تخرّص وأقاويل، وخرافات وتهاويل، ولقد ظلّ القدماء يرجمون فيها بالظن ويخافون، قال أرسطو: إنّها أنفاس تخرج من الأرض، فلا تكاد تصعد إلى الطبقات العليا من الجو حتى تلتهب.

وظلّ الناس يرون ما رأى أرسطو إلى نحو القرن السابع عشر، وبدأت بشائر العلم الأولى تهل، فرأى العلماء إنّها أشياء تبعد عن الأرض بُعداً أكبر كثيراً من بُعد القمر، فما هي للأرض بأنفاس، ثم رأوا أنّها تدور حول الشمس، مقبلة عليها، فإذا انثنت حولها بَعُدت مدبرة عنها . فهي تدور في قطع مخروطي عظيم، الشمس بؤرته، وقال آخرون: بل هي تدور في دائرة .

مذنب هالي:

ثم قال: حتى إذا جاء العالم الفلكي الرياضي أدمند هالي - ولد عام ١٦٥٦ ومات عام ١٧٤٢ - اكتشف مذنّبه عام ١٦٨٢ الشهر الذي أطلقوا عليه اسمه، وعُرف في التاريخ بأنّه

١- شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي ١: ٤٧ – ٥٠ ط دار المعارف بمصر .

٢- مع الله في السماء: ١٥٢ ط دار الهلال .

مذنب هالي، ودرس مذنّبه هذا، ودرس سجلات ظهور مذنبات سبقت ومداراتها . وخرج من ذلك على أن مذنباً ظهر في السماء عام ١٥٣١، وآخر عام ١٦٠٧، ومذنّبه هو عام ١٦٨٢ كلها مذنب واحد، يذهب ويختفي ثم يعود ويظهر مرة كل نحو من ٧٦ عاماً .

وأنّ هذه المذنبات تدور حول الشمس في مدار بيضاوي اهليلجي، كبير التفرطح، الشمس في احدى بؤرتيه (؟؟؟) وهو فعل أكثر من ذلك . تنبأ بأنّ هذا المذنب سيعود بناءً على ذلك عام ١٧٥٩، ومات الرجل عام ١٧٤٢ . وجاء عام ١٧٥٩ بعد موته، وانتظر الناس مجيء هذا المذنّب، فإذا به يجيء ولا يخلف موعداً .

ومن الأحياء بيننا من رآه عام ١٩١٠، وهم يذكرون ما أثاره ظهور هذا المذنّب، مذنب هالي عند ذاك في مصر وغير مصر، من مخاوف، كانت أصداء قليلة ظلّت تتردّد من أعماق الماضي البعيد . وعام ١٩١٠كان موعد مجيئه، وهو بين عام ١٧٥٩ وعام ١٩١٠ ظهر مرة واحدة كانت عام ١٨٣٥ .

وقبل مجيء الفلكي هالي، أثبتت السجلات ظهور هذا المذنّب في دوره هذا رجوعاً إلى الوراء، إلى عام ٩٨٩ م وأقرأ بيت أبي تمام، فيخطر لي أن مذنّب أبي تمام هذا، «ذلك الكوكب الغربي والذنب» ما هو إلا مذنّب هالي.

فهو لابدّ ظهر قبل عام ٩٨٩ بـ (٧٦ عاماً) ، أي لابدّ ظهر عام ٩١٣، ثم لابدّ قبل هذا العام بـ (٦٧ عاماً) أُخرى أي عام ٨٣٧ م أي وأبو تمام في أوج حياته الشعرية القصيرة، أي وهو ابن ٣٤ عاماً، فهو مات وعمره ٤٢ عاماً.

نفى أبو تمام الخوف من هذا المذنّب وأشباهه، نفاه هذا الشاعر السقّاء الذي كان يدور بالماء على الناس في جامع عمرو بالفسطاط ، نفاه عام ٨٣٧ م، ونفاه شعراً .

ونفى هالي الخوف عن هذا المذنّب وأشباه له، نفاه ذلك العالم خريج جامعة

أكسفورد، نفاه عام ١٦٨٢ونفاه علماً .

وقال أيضاً في ص ١٥٤ : وقد مرّ مذنب هالي بالأرض عام ١٩١٠، وفي الليلة التاسعة عشر من مايو، فسحب ذيله على سطح الأرض واجتمع العلماء حيث الذيل يفحصون ويسجلون، ومضت الليلة فما رأوا شيئاً، ولا سمعوا شيئاً، ولا قاسوا شيئاً، ومرّ الذيل فيهم فلم يصب منهم حساً .

ومن العلماء من قدرّ أنّ كتلة المذنّب لا تزيد عن جزء من مليون من كتلة الأرض، ومع هذا فهو في هذه الحدود قد يبلغ ملايين كثيرة من الأميال الطوال.

وقال أيضاً: وقد ينفلق رأس المذنّب فلقتين، فينتج عن ذلك مذنّبان، حدث ذلك في مذنّب بيلا، ودورته ٦ و ٦ من السنوات . حدث هذا عام ١٨٤٦، ولما حان موعده عام ١٨٥٢عاد المذنّبان معاً، قد تباعد ما بينهما . ومضت دورات ثلاث بعد ذلك لا يعثر عليه، فلما حانت الدورة الرابعة، صادف أنّ الأرض تمرّ بمداره، فعثروا مكانه، في الطريق الذي وجب أن يسلكه، وفي الموعد المرتقب على شهب ناصعة رائعة، وجاءت الدورة التالية فرأوا مكانه شهباً أيضاً، إذن لقد تكسّر المذنّب فلم يعد إلّا حطاماً .

سابعاً: لماذا الحديث عن المذنّبات ؟

لأنّ الإنسان غير المؤمن، بل وحتى ضعيف الإيمان، أصبح يتطلّب البرهان المادي المحسوس ليؤمن به قبل أن يقتنع بما وراء المادة من قوة قاهرة تدبّر أمر الكون عن طريق الإيمان بالغيب.

بل لقد سرى الداء إلى بعض المؤمنين من حيث لا يشعرون، فصار حين يسأل عن معجزتي شق القمر وردّ الشمس، فيجاب بها في الكتاب والسنّة، يبقى واجماً على أحسن تقدير، وإلّا فهو يظل في دوامة النقاش، أما إذا أجبته بأنّ وكالة (ناسا) في أميركا ذكرت

هذا في مكتشفاتها، أو مرصد (فلوريدا) ذكر هذا في أخباره آمن بذلك من دون تردّد، لماذا هذا ؟ إنّه من ضعف الإيمان .

ولما كانت المذنّبات عرفها الإنسان منذ أن عرف تاريخه، وحتى اعتبر ظهورها نذير شر مستطير وشيك الوقوع، فهو يتطيّر منها، ولسنا بحاجة إلى بيان حول سخف تلك الرهبة من ظهور المذنّب، وإنّما الحاجة أن نتابع ما يقوله علماء الفلك في تلك المذنّبات وظهورها، إذ لا يخلو عام بل ولا شهر في الغالب من مذنّب في متناول المرقب، وسمّي بعضها باسم مكتشفها كمذنّب (أنكى) ومذنّب (هالي)، والمجلات الفلكية تنشر أسماء المذنّبات بين حين وآخر، المنتظر ظهورها ومواعيدها، أما المذنّبات الكبيرة فالصحف والإذاعات عادة تنشر عنها.

ومعظم المذنّبات تتكرّر رؤيتها مرة بعد مرة، ويمكن اعتبارها من جملة المنظومة الشمسية التي أرضنا بعضاً منها، لأنّ لها مدارات محدّدة حول الشمس هكذا يقول الفلكيّون، وإن لم تحمل الصفات التي تتحلّى بها الكواكب والأقمار، لأنّ أشكالها غير ثابتة تتغيّر بين حين وآخر، ومدارات معظمها مفلطحة شديدة الاستطالة، وهي لا تسير دائماً في منطقة البروج، فقد تأتي من أيّ اتجاه في السماء.

وأول ما يبدوا المذنّب بقعة غبشاء لا نميّز منها إلّا الرأس أو اللمّة لأنّه مثل كتلة شعر، وفي بعض الأحيان نرى نقطة صغيرة مشرقة من الضوء منغمسة في اللمّة تسمّى النواة. ويتراوح قطر اللمّة بين (٣٠٠٠٠) مليون ميلاً ، وإذا صار المذنّب على بعد (٢٥٠) مليون ميلاً، من الشمس حتى تزداد إضاءة اللمّة، ويزداد بريق النواة إذا كان في المذنب نواة .

ثم تأخذ اللمّة بالإنتفاش، وتطرد كثيراً من المادة المحيطة بها إلى الجهة البعيدة عن الشمس لتضع الذَنَب، ربما كان الضغط الإشعاعي من الشمس هو الذي يطرد هذه المادة،

فالذنب دائماً إلى الجهة البعيدة عن الشمس .

والذنب هو المنظر المدهش حقاً في المذنّب، فهو يمتد في السماء ملايين عديدة من الأميال، ويحتلّ بقعة من الفضاء لا يجاريه إلا عملاق ضخم من النجوم أو عنقود نجومي أو مجرة، فهو ظاهرة غريبة، فهو رقيق جداً بحيث لا يخفي ما وراءه من نجوم، وهو دائماً يحافظ على اتجاه معين، فهو يشير إلى الجهة البعيدة عن الشمس، وقد ينقسم أحياناً أمام العين المجردة إلى قسمين أو أكثر .

ومن الذي ينكر رؤية الشُهب التي تهوي كنجم يخرّ من السماء كالنجم الثاقب؟ ومن الذي ينكر رؤية المذنّبات التي ترى بالعين المجرّدة، فضلاً عمّا لا تراه إلّا المراصد والمناظير، فترى بوضوح أذنابها الطويلة، وحين تتقاطع الأرض في مدارها مع مدار المذنّب تتساقط الشهب على الأرض لاَقْتِرابها من نطاق جاذبية الأرض، فتهوى بسرعة تقارب ٣٠ ميل في الثانية، ترتفع حرارتها بالإحتكاك بجوّ الأرض فتصل إلى درجة الإشتعال.

وهي كلها عادة إلّا الضخم منها تتبخّر في أثناء ذلك بحيث لا يصل شيء منها إلى الأرض، ويشتعل عادة الشهاب على ارتفاع ١٠٠ ميل عن سطح الأرض، ويتلاشى على ارتفاع أكثر من ثلاثين ميلاً .

والآن فلنتذكّر ما مرّ بنا عن مذنّب هالي، وما قاله أبو تمام الطائي الشاعر العربي فيه، وما قاله هالي الفلكي الإنجليزي فيه حتى سمّي باسمه، وقد ذكر الدكتور عبد الرحيم بدر مجموعة من المذنّبات وأسماءها وأوقات ظهورها، فمن أرادها فليرجع إلى كتابه [1] كما رجعت إليه فيما تقدّم من المعلومات باقتضاب .

ولقد مرّ بنا قول الدكتور أحمد زكي في كتابه مع الله في السماء عن مذنّب هالي، وقد مرّ

---

١ - دليل السماء والنجوم : ٧١ ط دار الهلال بغداد .

بالأرض ١٩١٠، وفي الليلة التاسعة عشرة من مايو فسحب ذيله على سطح الأرض، واجتمع العلماء حيث الذيل يفحصون ويسجلون، ومضت الليلة فما رأوا شيئاً، ولا سمعوا شيئاً، ولا قاسوا شيئاً ، ومرّ الذيل فيهم فلم يصب منهم حسّاً .

فبماذا يفسّر المنكرون لمعجزتي شق القمر وردّ الشمس، وأنّهما لو كانا لرآهما جميع الناس، فهذا مذنّب هالي قد رآه من كان يحسب له حسابه من الفلكيين، ولما مرّ بالأرض حتى سحب ذيله على سطح الأرض اجتمع العلماء حيث الذيل يفحصونه ويسجلون، ومضت الليلة فما رأوا شيئاً، ولا سمعوا شيئاً، ولا قاسوا شيئاً، ومرّ الذيل فيهم فلم يصب منهم حسّاً ؟

فكيف يتوقّعون أن يرى معجزتي شق القمر وردّ الشمس جميع الناس، وهما وقعا في جهة من الأرض على خط عرض مختلف عمّا هم عليه من خطوط أُخرى بعداً وقرباً من الشمس .

فهل يعقل أن يراه من كان على غير ذلك الخط من العرض، كمن هو عند أحد القطبين الشمالي والجنوبي مثلاً، إنّه مكابرة وعناد، وهذا أمر محسوس بالوجدان، فحدوث المعجزتين إنّما يحسّ بهما من كان مقابلاً لجهتهما حين الحدوث، وملتفتاً إلى ذلك، لا من هو في غفلة عنها .





الباب الثاني

في

معجزة شق القمر

بين النفي والإثبات

الباب الثاني

في معجزة شق القمر بين النفي والإثبات والكلام في ذلك من خلال بدايات تمهيدية، ثم في مبحثين:

المبحث الأول: من هم النفاة ؟ وما الذي قالوه ؟

المبحث الثاني: مع المثبتين وفيه أربعة محاور:

الأول: ما هي أدلّة الإثبات عند المفسّرين ؟

الثاني: ما هي أدلّة الإثبات عند المحدّثين ؟

الثالث: ما هي أدلّة الإثبات عند المتكلّمين ؟

الرابع: ما هي أدلّة الإثبات عند المؤرّخين ؟

خاتمة: ماذا عن هذه المعجزة في العلم الحديث ؟

والآن إلى بدايات تمهيديّة بين يدي الباب:

الأولى- خير ما نفتتح به الباب، آي من الذكر الحكيم في الكتاب المجيد . قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[1] .

١- القمر: ١ – ٨ .

لقد تقدّم الحديث في الباب الأول عن المعجزة بما أحسب فيه الكفاية في حدود ما أنعم الله تعالى به علينا من بيان ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾[١] واني أعترف بقصوري عن بلوغ أقصى المنى، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً ﴾[٢] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[٣] .

والآن لنقرأ شيئاً عن معجزة شق القمر، وهي مسألة يجب أن تبحث بعناية بالغة، تعتمد حجج الإثبات عن طريق الكتاب والسنة، كما يلزم أن نلمّ بما عند النفاة من حجة، ولا مانع من الاستئناس بما في العلم الحديث مما يوضّح لنا المزيد من المعلومات التي تؤيد ما قاله المثبتون، فإنّ كثيراً من الناس أصبحوا ينساقون مع إعلام وكالات الفضاء ويؤمنون بما تقوله وكالة ناسا الأمريكية، أو فيما ينشره مرصد فلوريدا، أو غيرهما من سائر المراصد والوكالات الفضائية العالمية.

ولسنا ممّن يحاول تقليل أهمية ما تنشره تلك الوكالات، ولكن مهما بلغوا في التقدّم العلمي، وأُتيح لهم النفوذ في أقطار السماوات بسلطان، فلا يزالون في مرحلة النظريات، والنظرية ربما تتبدّل عند اكتشاف المجهول فعلاً المعلوم غداً .

والطريقة التي ينبغي أن نعتمدها نحن كمسلمين في الاستدلال على صحة وقوع معجزة شق القمر، هي الإعتماد على القرآن المجيد والسنّة النبوية، وما صح من أخبار لا تصادم ما ورد فيهما، وبهذه الطريقة السليمة نصل بطبيعة الحال إلى نتيجة مقنعة، يقرّها العقل، إذ تفرضها الحجة بالحكمة الحسنة لمن يفقهها.

١- القمر: ١٧ .

٢- الإسراء: ٨٥ .

٣- يوسف: ٧٦ .

والله سبحانه وتعالى لم يتعبّد الإنسان بالإيمان إلّا عن طريق العقل، مضافاً إلى تنويره الفكر بصحيح النقل عن طريق الوحي، فيدرك المرء بالبرهان مبلغاً من المعرفة يستنير به في الكشف عن سنن الوجود وعجائب الكون .

وهذه هي السبيل الأمثل التي دعا إليها نبينا ﷺ، وسار عليها مبلّغاً دعوته عن طريق قرآنه الخالد الذي هو معجزة عقلية قاهرة باهرة، قبل أن يكون معجزة قولية في نُظمه وأحكامه .

وقد اعترف بفضله من آمن به ومن لم يؤمن به، بل وحتى تجاوز في إعجازه أن بهر الملحد فضلاً عن الموحّد، وإليك نموذجاً مما قاله بعضهم من ملحد وموحّد .

الثانية ـ النبي الكريم وقرآنه المجيد بين ملحد وموحّد:

لم أجد أبدع مما قاله الدكتور شبلي شميّل وهو عالم طبيعي مشهور بالإلحاد، وقد مرّ ذكره في الباب الأول، وهو مع ما كان عليه من عدم الإيمان برسالة النبي الكريم ﷺ إلّا أنّه كان معجباً به وبالقرآن، مبهوراً بإعجازه، فقال:

دع من محمد في صدى قرآنه ... ما قد نحاه للحمة الغايات

إنّي وإن أك قد كفرت بدينه ... هل أكفرنّ بمحكم الآيات

ومواعظ لو أنّهم عملوا بها ... ما قيّدوا العُمران للعادات

من دونه الأبطال في كل الورى ... من حاضر أو غائب أو آت[1]

فالرجل على كفره لم يجد أمامه غير الاعتراف بأنّ العقل البشري لا يغني وحده إلّا ما كانت الآيات المحكمات تعضده، وهي من رسالة محمد ﷺ التي دعا الناس إليها، ولو أنّهم

---

١ - محمد الغزالي، نظرات في القرآن : ١٥٤ نقلاً عن إعجاز القرآن للسيد هبة الدين الشهرستاني رحمه الله .

عملوا بها ما قيّدوا العمران للعادات، لذلك فهو مفضَّل على كل الأبطال في الورى سواء من كان حاضراً أو غائباً قد مرّ في التاريخ، أو آت من بعد، فكلهم دون محمد النبي الأمي ﷺ .

هذا ما قاله الملحد في النبي ﷺ وفي قرآنه، والآن إلى مؤمن موّحد وما قاله في النبي ﷺ وقرآنه:

ولم أجد موحّداً قال قولاً خيراً مما قاله البوصيري في قصيدته البردة، فأورد منه في المقام عدّة أبيات تبرّكاً بذكره وتيمّناً باسمه ﷺ :

محمد سيد الكونين والثقلين — والفريقين من عُرب ومن عجم

نبيّنا الآمر الناهي فلا أحد — أبرَّ في القول لا منه ولا نعم

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته — لكل هولٍ من الأهوال مقتحم

دعا إلى الله فالمستمسكون به — مستمسكون بحبل غير منفصم

فاق النبيين في خَلقٍ وفي خُلُقٍ — ولم يدانوه في علم ولا كرَم

وكلهم من رسول الله ملتمس — غَرَفاً من البحر أو رشفاً من الدِيم

وواقفون لديه عند حدّهم — من نقطة العلم أو من شَكلُة الحِكم

فهو الذي تمَ معناه وصورته — ثم اصطفاه حبيباً بارئُ النسَم

منزّه عن شريك في محاسنه — فجوهرُ الحسنِ فيه غيرُ منقسم

دعْ ما ادعته النصارى في نبيهم — واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف — وانسب إلى قدره ما شئت من عِظم

فإنّ فضل رسول الله ليس له — حدّ فيعربَ عنه ناطق بفمِ

لـو ناسـبتْ قـدرَه آياتـه عِظـماً أحيى اسمُهُ حين يُدعى دارسَ الـرمم

لم يمتحنـا بـما تعيـا العقـول بـه حرصـاً علينـا فلـم نرتـب ولم نَهِـم

أعيى الورى فهمُ معناه فليس يُـرى للقُـرب والبعـد منـه غـير مـنفحم

كالشمس تظهـر للعينـين مـن بُعُـدٍ صـغيرةً وتكـلّ الطـرفَ مـن أَمَـم

وكيـف يُـدرِك في الـدنيا حقيقتـه قـومٌ نيـامٌ تـسلّوا عنـه بـالحُلم

* * *

أقـسمت بـالقمر المنـشقّ إنّ لـه مـن قلبـه نـسبة[1] مـبرورة القـسَم

آيـاتُ حـق مـن الـرحمن محَدَثـة قديمـة صـفة الموصـوف بالقَـدم

لم تقـترن بزمـان وهـي تخبرنـا عـن المعـاد وعـن عـاد وعـن إرم

دامـت لـدينا ففاقـت كـل معجـزة مـن النبيـين إذ جـاءت ولم تـدم

محكـمات فـما تبقـين مـن شُـبهٍ لذي شـقاق ومـا تبغـين مـن حكـم

ما حوربت قطّ إلا عـادَ مـن حَـربٍ أعدى الأعادي إليهـا ملقـي الـسَلم

ردّت بلاغتهـا دعـوى معارِضِـها ردّ الغَيـورِ يـدَ الجـافي عـن الحَـرَم

لهـا معـان كمـوج البحـر في مـددٍ وفـوق جـوهره في الحـسن والقـيم

فـما تعـدّ ولا تحـصى عجائبهـا ولا تـسامُ عـلى الإكثـار بالـسأم

قـرّت بهـا عـين قاريهـا فقلـتُ لـه لقـد ظفـرت بحبـل الله فاعتـصم

---

١ - والنسبة المناسبة وهي الشق فيهما.

إن تتلها خيفة من حرّ نار لظى أطفأتَ نار لظى من وردها الشَبَم[1]

كأنّها الحوض تبيّض الوجوه به من العصاة وقد جاؤوه كالحُمم

وكالصراط وكالميزان معدلة فالقسط من غيرها في الناس لم يَقُم

لا تعجبنَ لحسودٍ راح ينكرها تجاهلاً وهو عين الحاذق الفهم

قد تنكر العين ضوء الشمس من رَمَدٍ ويُنكِر الفم طعمَ الماء مِنْ سَقَم[2]

هذان انطباعان متفقان هدياً، من شخصين مختلفين عقيدة وسلوكاً، من ملحد وموّحد، اتفقا على أنّ القرآن فيه من الآيات البيّنات ما فيه هدى للعالمين، ونقول فيه أيضاً كم من أسرار تكتنف جوهر ذات الإنسان وهو لا يعلمها، ممّا هو خارج نطاق المحسوس لديه وما هو مشاهدٌ للعيان عنده، فتلك الروح التي بها قوامه فهو في دوامة السؤال عنها، وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[3].

فإنّ حقيقة الروح لا يزال أمرها مجهولاً لدَى الإنسان، وإنّما هي من الأسرار الخفيّة التي يستحيل رؤيتها تحت المجهر، أو معرفة حقيقتها حين دخولها عالم الجسد، أو مفارقتها له عند النوم أو الموت، فضلاً عن تمايزها لدى الأفراد، ثم هل هي النفس أو أنّها هي غيرها، ولكل من النفس ومن الروح نحو ارتباط بالجسد، ويبقى الإنسان هو ذلك المجهول في أكثر من ناحية ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[4] .

١- الورد:الماء المورود، والشبم:البارد .

٢- المجموعة النبهانية ٤ : ٩ – ١٠ .

٣- الإسراء : ٨٥ .

٤- الشمس : ٧ – ٨ .

وتبقى اللا أدرية طاغية على العلم بحلّ ذلك الطلسم، الـذي لا يعلـم تأويلـه إلا الله والراسخون في العلم، ويبقى القرآن هو المعجزة الخالدة وفيه تبيان كل شيء كما قال تعـالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1] .

ويبقى هو يفضل سائر معجزاته، بل وحتى سائر معاجز الأنبياء صـلوات الله علـيهم أجمعين ، لأنّ تلك المعجزات كانت حسيّة، فهـي محـدودة بحـدود الزمـان والمكـان الـذي ظهرت فيه، فانقضت بانقضاء زمان حدوثها، فلم يشاهدها إلّا من حضرها، ولولا القرآن الذي أخبرنا عنها لضاع ذكرها أيضاً .

بينما القرآن فاق بنواحي إعجازه بقاؤه وحْياً وحَياً من الحياة وغضّاً طريّـاً كـما انـزل يوم أنزلت آياته من لدن حكيم خبير، ولا يبعد شاهداً في المقام ما رواه الشيخان ـ البخاري ومسلم ـ عنه ﷺ قال: **«ما من الأنبياء نبيّ إلا أعطي ما مثله آمن عليـه البـشر، وإنـما كـان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة »**[2] .

وقد نقل عن الإمام الشافعي أنّه قال: ما أعطى الله نبيّاً شيئا إلّا وأُعطي محمـداً ﷺ ما هو أكثر منه، فقيل له: أُعطي عيسى بن مريم إحياء الموتى، فقال الشافعي: حنين الجـذع أبلغ، لأنّ حياة الخشبة أبلغ من إحياء الميت، ولو قيل: كان موسى فلق البحر عارضنا بفلق القمر، وذلك أعجب لأنّه آية سماوية .

وإن سئلنا عن انفجار الماء من الحجر عارضناه بانفجار الماء من بين أصـابعه ﷺ، لأنّ خروج الماء من الحجر معتاد، أما خروجه من اللحم والدم فأعجب، ولو سئلنا عن تسخير

---

١ - النحل: ٩٨ .

٢ - صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب كيف نزل الوحي وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان.

الرياح لسليمان عارضناه بالمعراج[1] .

ولا شك أنّ معجزات النبي ﷺ فاقت معجزات سائر النبيين كماً وكيفاً ونعتاً ووصفاً[2]، واعتنى الأعلام بجمعها، فعقد لها البخاري باباً كبيراً في صحيحه بعنوان دلائل النبوة، وذكر النووي في مقدمة شرح مسلم أنّ معجزات النبي تزيد على ألف ومائتين، وألّف البيهقي وأبو نعيم كتابيهما باسم (دلائل النبوة) والحاكم في الإكليل، والقاضي عياض في الشفا وغيرهم خصّوها بالتأليف.

وقال الزمخشري في الكشاف: إنّ النبي ﷺ أعطاه الله آيات كثيرة وصلت إلى ألف آية أو أكثر ولو لم يؤت إلا القرآن وحده لكفى به فضلاً منيفاً على سائر ما أوتي الأنبياء، لأنّه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات[3] .

وقال الحافظ ابن حجر: وأما ما عدا القرآن من نبع الماء بين أصابعه، وتكثير الطعام، وانشقاق القمر، ونُطق الجماد، فمنه ما وقع التحدّي به، ومنه ما وقع دالاً على صدقه من غير سبق تحدٍ، ومجموع ذلك يفيد القطع بأنّه ظهر على يده ﷺ من خوارق العادات شيء كثير[4].

الثالثة ـ المعجزة الخالدة هي الحجة الشاهدة:

لا شك عند جميع المسلمين أنّ القرآن المجيد هو المعجزة الخالدة، ولـمّا كانت سورة القمر فيه هي إحدى كرائم سوره ـ وكلها كرائم ـ وقد ذكرنا افتتاح الباب ببعض آياتها من

١- انظر مناقب الشافعي: ٣٨ .

٢- النعت أخص من الوصف، فتقول: زيد عاقل وحليم، وعمرو جاهل وسفيه، فوصفت زيداً بالعقل والحلم، وليس كل عاقل بحليم ولا كل جاهل بسفيه .

٣- الكشاف في تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الآية في سورة البقرة: ٢٥٣ .

٤- فتح الباري ٦ : ٤٥٢ ط البهية .

أولها، وتلكم الآيات الكريمة ـ كسائر آيات القرآن الكريم ـ أنزلت بلسان عربي مبين، فلابدّ لنا من التدبّر في قوله تعالى في أول السورة: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

قال الشيخ الطوسي في التبيان: هذا إخبارٌ من الله تعالى بدّنو الساعة وقرب أوانها، فقوله: ﴿اقْتَرَبَتْ﴾ أي دنت وقربت، وفي ﴿اقْتَرَبَتْ﴾ مبالغة، كما أنّ في(اقتدر) مبالغة على القدرة، لأنّ أصل (افتعل) طلب إعداد المعنى بالمبالغة نحو (اشتوى) إذا اتخذ شوى في المبالغة في اتخاذه، وكذلك (اتخذ) من (أخذ) والساعة القيامة.

وقال الطبري: تقديره اقتربت الساعة التي تكون فيها القيامة، وجعل الله تعالى من علامات دنوّها انشقاق القمر المذكور معها، وفي الآية تقديم وتأخير، وتقديره انشقّ القمر واقتربت الساعة، ومن أنكر انشقاق القمر وأنّه كان، وحمل الآية على كونه فيما بعد ـ كالحسن البصري وغيره واختاره البلخي ـ فقد ترك ظاهر القرآن، لأنّ قوله: ﴿انْشَقَّ﴾ يفيد الماضي، وحمله على الاستقبال مجاز.

وقد روى انشقاق القمر عبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك، وابن عمر، وحذيفة، وابن عباس، وجبير بن مطعم، ومجاهد، وإبراهيم، وقد أجمع المسلمون عليه، ولا يعتدّ بخلاف من خالف فيه لشذوذه، لأنّ القول به أشهر بين الصحابة فلم ينكره أحد، فدلّ على صحّته، وأنّهم أجمعوا عليه، فخلاف من خالف فيما بعدُ لا يلتفت إليه، ومن طعن في انشقاق القمر بأنّه لو كان لم يخف على أهل الأقطار فقد أبعد.

لأنّه يجوز أن يحجبه الله عنهم بغيم، ولأنّه كان ليلاً فيجوز أن يكون الناس كانوا نياماً فلم يعلموا به، لأنّه لم يستمر لزمان طويل، بل رجع فالتأم في الحال، فالمعجزة تمّت بذلك[١].

فالإنذار بقرب الساعة أولاً: لا يستلزم انشقاق القمر بعدها أو عند قيامها، ثانياً:

---

١ - التبيان ٩: ٤٤٢ – ٤٤٣ ط النعمان النجف الأشرف بتحقيق القصير.

بزعم أن العطف بالواو، يقتضي الترتيب أو التشريك بمعنى إذا جاءت الساعة سينشق القمر ـ كما هو المنقول عن الحسن البصري وعطاء والبلخي ـ وهذا من سخف الرأي، ومرذول القول . لأنّ الفعل الماضي دالّ على وقوع في زمان مضى وانقضى، وحمله على الإستقبال مجاز، يفتقر إلى قرينة تنقله عن حقيقته، ودليل يسنده، وليس ذلك موجوداً في ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ .

والعطف على ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ﴾ لا يقتضي الترتيب ولا التشريك زماناً أو مكاناً، وكم من آية في القرآن الكريم معطوفة بالواو من غير ترتيب الثاني على الأول، بل على العكس.

وأوضح مثال وأقرب منال لدى كل مسلم هو ما يتلوه في كل يوم عشر مرات في فرائض صلاته على أقلّ تقدير، وهو قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في سورة الفاتحة، ومن الواضح أنّ طلب الاستعانة على العبادة يكون قبلها، وكم من نظير، وخذ إليك أظهر الشواهد، ويعرفه كل راكع وساجد، وذلك قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [١] ومن نافلة القول بيان أنّ الركوع قبل السجود، مع أنّ الآية الكريمة ورد فيها خلاف ذلك .

وأيضاً في ذلك قوله تعالى لعيسى بن مريم: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [٢] والرفع قبل التوفّي، ورحم الله ابن عباس حبر الأمة قيل له: تزعم أنّ العمرة قبل الحج، وقد قال الله ﷻ:﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ للهِ ﴾ [٣] قال ابن عباس: فكيف تقرأ: ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي

١- آل عمران : ٤٣ .

٢- آل عمران : ٥٥ .

٣- البقرة : ١٩٦ .

بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾[١] أفبالدَين تبدأ ؟ أم بالوصية وقد بدأ بالوصية [٢] .

ومالنا نذهب بعيداً عن نفس السورة التي افتتحنا بها الباب ـ وهي سورة القمر ـ فقد وردت فيها ست آيات مختومة بقوله تعالى: ﴿ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ أربع منها على نسق واحد، وذلك قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾[٣] واثنتان منها بلفظ واحد، وهو قوله تعالى: ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[٤].

ومن المعلوم أنّ النذُرُ إنّما هم قبل العذاب، لأنّه تعالى قال في محكم كتابه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[٥] وقال: ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[٦] .

فتبيّن أنّ العطف بالواو لا يقتضي الترتيب أبداً ولا التشريك، نعم ربـّما قيل لتقديم المقدّم حظاً وفضلاً على المؤخّر، كما نقل عن ابن جنّي متسائلاً بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ ﴾[٧] فقدّم المؤخّر في موضع تعداد النعم فكان أولى[٨] .

فلنا أن نقول أيضاً: ما دام تقديم المؤخّر في موضع تعداد النعم كان أولى، فكذلك في موضع التخويف بالنقم أيضاً فهو أولى، فإنّ التهديد باقتراب الساعة التي كان المشركون

١- النساء : ١١ .

٢- التمهيد لابن عبد البر ٧ : ٢١٥ ط دار الكتب العلمية بيروت .

٣- الآيات : ١٦ – ١٨ – ٢١ – ٣٠ .

٤- الآيتان: ٣٧ – ٣٩ .

٥- الإسراء : ١٥ .

٦- النساء : ١٦٥ .

٧- الفتح : ٢٤ .

٨- معاني القرآن للزجاج ١ : ١٥٤ تحقيق إبراهيم الأبياري ط تراثنا بمصر سنة ١٩٦٣ .

يكذّبون بها كما قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴾[١] وكانوا يسألون النبي ﷺ عنها مستهزئين، فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾[٣] .

فقد خوفهم تعالى بقوله: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ وهددّهم لما طلبوا من النبي ﷺ متحدّين له ومعاجزين أن يشق لهم القمر، فدعا ربّه وانشق القمر حتى رأوه فلقتين والنبي ﷺ يقول إشهدوا إشهدوا، كما سيأتي بيان ذلك موثقاً، فازدادوا عتوّاً كما حكى الله تعالى حالهم: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾[٤] فزاد تعالى في تخويفهم بقوله في أواخر السورة: ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾[٥] .

فمعجزة شق القمر قد دلّ عليها القرآن المجيد، ومن أظهر دلائل حدوثها قوله تعالى حكاية عن مشركي قريش الذين هم طلبوا أن يريهم النبي ﷺ تلك المعجزة الظاهرة والآية الباهرة، فلما أراهم ذلك وقال إشهدوا إشهدوا أعرضوا وقالوا: سَحَركم محمد، فقال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾.

ولو تخلّينا عن عقولنا وقلنا بما قاله الحسن وعطاء والبلخي، وأنّ انشقاق القمر سيحدث عند قيام الساعة، فكيف لنا بالجواب عن معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾؟ وهل بعد قيام الساعة من تكليف ودعوة إلى الإيمان والإتيان بآية حتى يؤمنوا فلم يؤمنوا ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ ؟

١- الفرقان : ١١ .

٢- النازعات : ٤٢ .

٣- الأحزاب : ٦٣ .

٤- القمر : ٢ .

٥- القمر : ٤٦ .

والله سبحانه وتعالى قال في كتابه: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾[1].

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[2].

الرابعة ـ وما أوتيتم من العلم إلّا قليلا:

فإنّ فضل رسول الله ليس له ... حَدٌّ فيعربُ عنه ناطقٌ بفم

لو ناسبت قدرَه آياتهِ عِظماً ... أحيى اسمه حين يُدعى دارس الرمم

لم يمتحنا بما تعيى العقول به ... حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم

أعيى الورى فهمُ معناه فليس يُرى ... للقُرب والبُعد منه غيرُ منقحم

كالشمس تظهرُ للعينين من بُعُدٍ ... صغيرةً وتكلّ الطرفَ من أَمَم

وكيف يُدرِك في الدنيا حقيقته ... قوم نيامٌ تسلوا عنه بالحُلم

رحم الله البوصيري حين أشار إلى القوم الذين لم يدركوا الحقيقة المحمدية بأبعادها وأمجادها، فشبهّهم بقوم نيام تسلّوا عنه بأضغاث الأحلام .

إنّ مسألة انشقاق القمر وردّ الشمس كسائر المسائل التي يجب أن تُبحث بعناية تامة، تعتمد حجج الإثبات عن طريق الكتاب والسنة، وإذا ما وجدنا في وسائل العلم الحديث ما يزيدنا إيضاحاً نستطيع آنئذٍ أن نقنع المنكرين أو المشككين بالطريقة العلمية، وعندها نصل بطبيعة الحال إلى نتيجة مقنعة يقرها العقل وتفرضها الحجة.

١- الروم: ١٢ .

٢- الروم: ١٤ – ١٦ .

فمثلاً إذا أمعنّا النظر في علم تشريح الأفلاك وعلم تشريح الإنسان، لوجدنا الثاني أقرب إلينا معرفة لأنّا نعيشه إحساساً، بخلاف الأول إذ نعتمد فيه على الحدس غالباً، ومهما تقدّم العلم عبر وسائله المتطوّرة فإنّما يتجلّى لنا انّا لم نبلغ من العلم إلّا قليلاً.

فدقائق الوجود وعجائب الكون وأسرار الخليقة، ما زالت طلاسم فوق طاقة العقل في إدراكه، وكم مرة مررنا بالآية الكريمة ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

فمثلاً أسرار الكهرباء، وتحطيم الذرة، وما نشأ عنهما من المخترعات قرّبت إلى العقل فهم إمكان تحوّل المادة إلى طاقة وقوّة، ثم تحوّل القوّة والطاقة إلى مادة، وما زلنا بعد في بدايات الطريق، فأنّى لنا بلوغ ذروة العلم ومنتهاه لنعرف الحقيقة وكنهها، وكل ما أدركته العقول هو الآثار لتلك الحقيقة المجهولة سراً، المعلومة قدراً.

وقس على ذلك علم استحضار الأرواح مثلاً الذي شاع وذاع، فقد فسّر للناس كثيراً ممّا كانوا يجهلونه، وشيئاً كثيراً مما كانوا يختلفون فيه، وأعان على فهم تجرّد الروح، وإمكان انفصالها، وفهم ما تستطيعه من السرعة في طيّ الأبعاد، وهذا ممّا أعان على تقريب معجزة الإسراء والمعراج وكرامة طيّ الأرض، ونحوها ممّا صدر لنبيّنا ﷺ.

ولو أنّا تجرّدنا عن رواسب موروثة، وخداع دعايات مسمومة مبثوثة، لعرفنا أنّا نملك أمثل الوسائل لتمحيص السيرة ممّا علق بها من روايات مكذوبة، من أُناس دخيلين على الإسلام، أمثال كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وأبي الجلد وأضرابهم، ممّن دسّوا أنفسهم بين المسلمين، وبثّوا سمومهم في أخبار إسرائيلية طفحت بها كتب السيرة والتاريخ والتفسير.

وزاد المستشرقون المبشّرون في الطين بلّة، وفي النفس الضعيفة علّة، فكثر الدسّ وكثر

١- فصلت : ٥٣ .

الشك واستجاب أصحاب الإيمان المستودع لدعاة التشكيك وزادوا بالإنكار، ولو أنّهم كانوا ممّن محّص الله قلوبهم بالإيمان تمحيصاً يؤمنون معه بجلال عظمة الخالق، لآمنوا بما أفاضه تعالى على نبيّه المصطفى ﷺ من رفيع المقام، منذ أن اختاره وانتخبه فابتعثه، هادياً ووليّاً ومرشداً، وداعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة .

وتوالى بعدهم ذكر أنماط في الأسقاط، فمنهم من صدّق بانشقاق القمر، لكنه أنكر معجزة ردّ الشمس، كابن تيمية وله أشباه وأشياع، ومنهم من أنكرهما معاً إذ لم يستمرؤا طعم الإيمان على حقيقته، فضاقت نفوسهم أن يؤمنوا بما لم يروا، وحملهم التعصّب والعناد حتى على إنكار ما رووا، وزادهم النصب تعقيداً، وهم يتلون الكتاب ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1] .

الخامسة ـ العلم يدعو إلى الإيمان:

هذا العنوان اسم كتاب صدر في مصر أيام الغزو الإلحادي الذي هبّت رياحه على المسلمين، فتهاوى الهشيم ممّن على أرض الإسلام مقيم، وليس عليّ من مؤاخذة لو أخذته من ذلك الكتاب وأنا أعترف له بالسبق .

إنّ التقدم العلمي في وسائل الاكتشافات الحديثة، يساعد كثيراً على فهم أسرار في الإعجاز القرآني العلمي، وقد أشار إلى جملة منها الكاتب الإسلامي عبد الرزاق نوفل في كتابه (القرآن والعلم الحديث) وقد صدر في الطبعة الأُولى سنة ١٣٧٨ هجـ ـ ١٩٥٩م فقد جاء فيه «ومن يعارض في أنّ القرآن كتاب علم فليتدبر آياته ليرى أنّ ألفاظ العلم قد تكرّرت في القرآن أكثر من ١٦٠ مرة، وأنّه قد حوى ٦٢٣٦ آية منها حوالي ٧٥٠ آية كونيّة وعلميّة، والباقي آيات للتشريع والمعاملة والعبادات والعقائد والتكاليف والتوحيد

---

١ - محمد : ٢٤ .

والتأمل وقصص الأنبياء السابقين ... .

ومن يقول إنّ الآية الشريفة: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾[1] آية معاملة أو تشريع أو تأمل أو توحيد ؟ ... أو ليست هذه الآية قد ضمّت أُصول علم الأجنة الذي يقرّر أنّ الجنين بعد نموّه يكون محاطاً بثلاثة أغشية صماء لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الحرارة تعرف باسم المنبارية، والأمبونية، والخربونية ... أولا يسمّى مثل هذا الغشاء الأصم في اللغة العربية ظلمة ؟

ومن يقول أنّ الآية الشريفة: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[2] ليست آية علميّة، قد قرّرت حقيقة لم تعرف إلّا في السنين الأخيرة، وعندما اكتشفت نظرية (لابلاس) في خلق السماوات والأرض اعتبر ذلك نصراً للعلم، في حين أنّ القرآن يقرّرها من عشرات المئات من السنين ...

والآيات المشابهة مئات، حيث علوم الطبيعة والفلك والجيولوجيا والنبات والحيوان والزراعة والوراثة وعلم النفس والطب الاجتماعي والصحة والتاريخ والجغرافيا والميتافيزيقا وما لا سبيل إلى حصره .

وإذا أوضحنا للعالم غير العربي أنّ القرآن معجزة علميّة قد حوى أُصول العلم الحديث، وسبق إلى كل مستحدث من العلوم، ألا يكون هذا الوجه من إعجاز القرآن كافياً لإقناع رجال الغرب بمعجزة القرآن .. لاسيما أنّ حديث العلم هو القول الفصل الذي لا يستطيع أي مكابر أن يجادل معه أو يشك فيه.

أولا يكون إعجاز القرآن العلمي بذلك .. هو السبيل إلى تبليغ الدعوة الإسلامية

---

١ - الزمر: ٦ .

٢ - الأنبياء : ٣٠ .

لغير العرب ؟

إنّ اليوم الذي ننشر على العالم بلغاته المختلفة ما قد سبق القرآن إلى القول بـه، وأثبتـه التقدّم العلمي في مختلف العلوم، لهو اليـوم الـذي يكـون فيـه قـد أدّينـا الرسـالة، وأبلغنـا الدعوة... وأظهرنا معجزة القرآن لغير العرب»[1] .

وقد ذكر في كتاب نوفل شواهد في جملة من فروع العلم ورد في القرآن الكريم سبقه إليهـا قبل اكتشاف العلم الحديث لها . إلى أن قال في ص٩٧ من علـم الـديناميكا: «لم يعـرف العلـم شيئاً عن علم الديناميكا، أو ما يسمى بعلم الحركة إلّا بعد عام ١٦٦٤ حينما لاحظ العالِم نيوتن سقوط تفاحة بجواره على الأرض ولم يدهشه أنّها تـسقط وإنّـما فكّـر في الـسبب الـذي يجعـل التفاحة تسقط من أعلى الشجرة ومن فوق رأس برج أو من على قمة جبل شاهق.

وتساءل إلى أيّ مدى يمتد جذب الأرض للجسم ... وهـل تجـذب الأرض القمـر كذلك .. وهل لذلك كله حساب دقيق، وعكـف عـلى هـذه الدراسـات إلى أن وصـل إلى قوانين أساسية في علم الحركة خاصّة بحركة كل الأجسام والثقل ورد الفعل .

وفي أوائل القرن الحالي ـ القرن العشرين ـ ظهر العـالم أينـشتين الـذي أدخـل بعـض التعديلات على نظريات نيوتن، وخلص منها بنظريته النسبية التي يقول عنهـا العلـماء أنّهـا تعتبر بحق فاتحة عصر جديد في تطور العلوم الرياضية والطبيعيـة والفلكيـة، بـل في تطـور التفكير الفلسفي نفسه.

وهذه النظريّة معقّدة إلى درجة كبيرة تحوي نظريات ومعادلات رياضيّة لإثباتها، ومن نتائج هذه النظريّة أنّ الحوادث التي تحدث في مكان واحـد يـسهل عـلى مـن يقـيم في هـذا المكان أن يرتبها ترتيباً زمنياً من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل، ولكن إذا كانـت الحـوادث

---

١ - القرآن والعلم الحديث: ٢٤ - ٢٥ ط دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٨ هجـ .

واقعة في أماكن متباعدة فكيف نحكم على تعاقبها الزمني ؟

إذا شاهد العالم خسوف القمر في الساعة الحادية عشرة، فمعنى هذا أنّ القمر لم يخسف في هذه الساعة، وإنّما خسف قبل المدّة التي قضاها الضوء في الوصول من القمر إلى الأرض ... ولو حدث أن كان عالم يرصد الخسوف من كوكب آخر، فإنّه يراه في لحظة تختلف عن اللحظات التي يشاهدها الباحث الأرضي بقدر اختلاف البُعد بين الكوكب الآخر والقمر وبُعد الأرض عن القمر، إذاً فلا يوجد زمان مطلق، وكذلك البُعد بين نقطتين على سطح الأرض، قد يكون حقيقة مطلقة يسهل على أهل الأرض الإتفاق عليها.

ولكن ما معنى البُعد بين نجمين يبعد كل منهما عنّا ملايين الملايين من الأميال .. هل نفترض أن سكان الأرض وسكان كوكب آخر سيتفقان على مقدار البُعد ؟

إذاً فالزمن والكُتلة والمسافة كلها أشياء نسبية ـ وأقرب توضيح لذلك قول القائل إنّه مسافر من القاهرة إلى الإسكندرية بالقطار السريع، فيصل إليها في ساعتين ـ فقد يندهش شخص تعوّد السفر بالدابة، إذ يقطع هذه المسافة في أيام وليال ويقول: ما أسرع هذا القطار! وقد يندهش آخر تعوّد السفر بالطائرة، فهو يقطع المسافة في دقائق ويقول: ما أبطأ القطار... فالذي يعتبره الإنسان سريعاً قد يراه غيره بطيئاً، وما ذلك إلّا لأنّ كلاً منهما قد نسبه إلى سرعة معيّنة اعتادها، بل نحن في أغلب الأحيان نحسّ بثقل الوقت وبطء مروره، وفي أحيان أخرى نحسّ بسرعته وخفّة جريانه، وما ذلك إلّا تبعاً لحالة معيّنة نعانيها.

والقرآن الكريم قطعاً أول كتاب علمي أو ديني قد جاء بأساس النسبية، فقرر أنّ هناك يوماً طويلاً يبلغ ألف سنة مما نعدّ .. وهناك يوم يبلغ خمسين ألف سنة، وذلك في الآية الخامسة من سورة السجدة التي نصّها: ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ** ﴾.

والرابعة من سورة المعارج التي نصّها: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ .

أما طول اليوم الذي تقول عنه الآية ١٧ من سورة المزمّل ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ فقد ذكرته الآية ٤٧ من سورة الحج ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾[1] .

السادسة ـ خظرفة القمر من دون اختلال في الفلك:

قبل الشروع في بيان ذلك علينا أن نبصّر القارئ بمعنى (الخظرفة) فنقول: قال الجوهري في الصحاح: خظرف البعير في سيره، لغة في خَذَرَفَ إذا أسرع ووسّع الخطو، بالظاء المعجمة[2] .

أقول: لكن ورد في بقية المعاجم بالطاء المهملة ، قال صاحب القاموس: خطرف أسرع في مشيته أو جعل خطوتين خطوة في وساعته... والخطريف كقنديل السريع، وكعصفور السريع العَنَق..، وفي نهاية ابن الأثير: خطرف في حديث موسى والخضر عليهما السلام .

وإنّ الاندلاث والتخطرف من الانقحام والتكلّف، تخطرف الشيء إذا جاوزه وتعداه.

وفي لسان العرب نحو ما تقدّم، وحكى عن ابن بري يقال: خظرف في مشيته بالظاء والطاء أيضاً .

وفي تاج العروس: خطرف هكذا هو في سائر النُسخ بالسواد، وليس هو في الصحاح، وكذا قال الصاغاني في التكملة، أهمله الجوهري، والموجود في نُسخ الصحاح هو خظرف بالظاء المعجمة، وقد اشتبه على المصنف ذلك أو هو من النسّاخ، ورأيت شيخنا رحمه الله قد نبه

---

١ - القرآن والعلم الحديث: ٩٧ – ٩٩ .

٢ - الصحاح: ١٣٥٣ (خظرف) .

على ذلك وعلّله بقوله: لأنّه لو كان بالمعجمة لأخره عن خطف .

قال ابن دريد : خطرف الرجل أسرع في مشيته وخطر ، أو خطرف البعير جعل خطوتين خطوة في وساعته كتخطرف فيها أي في الإسراع وجعل الخطوتين خطوة .

والآن إلى خظرفة القمر وخطرفته، فقد ذكر ابن الأجدابي المتوفى حوالي سنة ٦٥٠ هجـ في كتابه الأزمنة والأنواء [١] قال:

وربما خطرف القمر فنزل بالتي تليها، وربما قصّر عنها فنزل دونها، وربما عدل عن المنزلة فنزل بغيرها ممّا يتصل بها، فمن ذلك الهنعة، ربما عدل عنها فنزل بالتحايي [٢]، ومن الناس من يعد التحايي من الهنعة، وربما عدل عن الذراع فنزل بالذراع الأُخرى [٣]، وربما عدل عن السماك فنزل بعرش السماك، ورّبما قصّر عن الشولة فنزل بالفقار[٤] فيما بين القلب والشولة، وربما عدل عن البلدة فنزل بالقلادة[٥]، وربـّما قصّر عن الفَرغ[٦] الثاني فنزل

١- الأزمنة والأنواء:٨٧-٨٨ تحقيق الدكتور عزة حسن ط وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق سنة١٩٦٤م منازل القمر .

٢- التحايي: ثلاثة كواكب حذاء الهنعة، واحدها تحياة، وهي بين المجرّة وبين توابع العيّوق. وكان أبو زياد الكلابي يقول: التحايي هي الهقعة، انظر الأنواء: ٤٢-٨٦، والأزمنة ١ :١٨٩، والآثار الباقية:٣٤٢- ٣٥١ واللسان، (حيا).

٣- القمر ينزل بالذراع المقبوضة، وإذا عدل عنها نزل بالذراع المبسوطة وهما ذراعا الأسد . انظر الأنواء: ٤٨-٤٩، والمعجم الفلكي: ٣٨ كما في المصدر .

٤- الفقار: ستة كواكب، كل كوكب منها فقرة، وهي في ذنب العقرب . انظر الأنواء: ٨٦، والأزمنة١ : ١٩١ .

٥- القلادة: ستة كواكب مستديرة صغار خفيّة، تشبه بالقوس، ويسميها قوم القوس، وتسمى الأدحي . انظر الأنواء: ٧٥، والأزمنة ١ : ٩٤ .

٦- في الأصل المخطوط: القرع، وهو تصحيف .

بالكَرَبَ[١]،وهو وسط الفرَغَيَن[٢]، وربما نزل ببلدة الثعلب بين[٣] الدلو والسمكة .

أقول: بعد هذا العرض اللغوي لمعنى كلمة (خطرف) والعرض الفلكي لمعنى خطرفة القمر، تبيّن لنا أنّ للقمر في سيره حالات مختلفة، فقد يسرع فيطوي ما بين المنزلتين بسير منزلة، وهذا ما فصّله ابن الأجدابي بقوله ربّما ربّما، ولم يذكر أنّ الفلك اختلّ في سيره مرة، بل ولا كان ذلك محسوساً لجميع الناس، بل لم يعرفه إلّا ذوو الإختصاص من الفلكيين، وربما باستعانة المراصد.

فإذن مسألة انشقاق القمر لا يلزم التصديق بها إلى معرفة جميع الناس، بل يكفي معرفة أُولئك الذين طلبوا الآية من النبي ﷺ، وأُولئك السُفار الذين أحسّوا به للتوسع في ذلك .

فنقول: لقد رآه من كان بالهند كما في حديث رتن الهندي، وهو المعمّر المترجم في الإصابة ومعدود في الصحابة، ولا عبرة بتشكيك الذهبي بوجوده مع النقض عليه والإبرام، وحسبنا في المقام نقل ما عند ابن حجر من كلام .

قال الشيخ البهائي العاملي رحمه الله :

تذنيب: القمر إذا أسرع في سيره فقد يتخطّى منزلاً في الوسط، وإن أبطأ فقد يبقى ليلتين في منزل، أول الليلتين في أوله، وآخرهما في آخره، وقد يُرى في بعض الليالي بين منزلين[٤].

١- انظرالأنواء: ٨٦، والأزمنة ١: ١٩٦، والكرب من الدلو: ما شد به الحبل من العراقي وهو وسطها .

٢- في الأصل المخطوط: القرعين، وهو تصحيف .

٣- في الأصل المخطوط: من، وهو تصحيف، والتصويب من الأنواء: ٧٦، والأزمنة ١ : ١٩٦ .

٤- الحديقة الهلالية : ٨٥ ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام .

فما وقع في الكشاف وتفسير القاضي عند قوله تعالى: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾[١] من أنّه ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطّاه، ولا يتقاصر عنه[٢] ليس كذلك فاعرفه .

السابعة ـ رؤية رتن لانشقاق القمر في الهند:

قال في الإصابة[٣]: رتن بن عبد الله الهندي... شيخ خفي خبره بزعمه دهراً طويلاً إلى أن ظهر على رأس القرن السادس، فادّعى الصحبة فروى عنه ولداه محمود وعبد الله وموسى بن مجلي... ثم عدّ أسماء تسعة غيرهم ممّن روى عنه الحديث، ثم ذكر كلام الذهبي في تجريده وميزانه في تكذيبه، وإنّه ألّف في أمره جزءاً، وقد ظفر به ابن حجر ونقل عنه، فكان بعض ما فيه جملة أحاديث، منها:

قال عليه السلام: من مات على بغض آل محمد مات كافراً... .

وقال: ما من عبد يبكي يوم أصيب ولدي الحسين إلا كان يوم القيامة مع أولي العزم .

واستمر ابن حجر يستعرض بقية ما في النسخة، ثم ذكر ما عند الذهبي من كلام في شأن تلك المرويات، والتشكيك بوجود رتن، وذكر غلاة الصوفية، واستبعاده وجود رتن، واستمر ابن حجر يحكي أقوال الذهبي إلى قوله:

ولعمري ما يصدّق بصحبة رتن إلّا من يؤمن بوجود محمد بن الحسن في السرداب، ثم بخروجه إلى الدنيا فيملأ الأرض عَدلاً، أو يؤمن برجعة علي، وهؤلاء لا يؤثر فيهم علاج .

وختم بقوله: انتهى ما ذكره الذهبي في خبر كسروثن رتن ملخصاً .

١- يس : ٣٩ .

٢- الكشاف ٤ : ١٦، وأنوار التنزيل ٤ : ١٨٨ .

٣- الإصابة ٢ : ٥٢٣ .

ثم قال: وقد وقفت على الجزء الذي أشار إليه، وفيه أكثر من ثلثمائة حديث كما قال، ثم وقفت على طريق أخرى إليه فأنبأنا غير واحد عن المحدث المكثر الرحال جمال الدين الاقشهري نزيل المدينة المنوّرة، عن علي بن عمران الصنعاني، عن رفيع الدين عمر بن محمد بن أبي بكر السمرقندي أنّه حدّثه من لفظه بالمسجد الجامع بصنعاء سنة أربع وثمانين، عن أبي الفتح موسى بن مجلّي، فذكر النسخة بطولها .

وفي نسخة الإربلي المذكور قال رتن: كنت في زفاف فاطمة أنا وأكثر الصحابة ... إلى أن قال في ص٥٣٠: وقرأت بخط المؤرخ شمس الدين محمد بن إبراهيم الجزري في تاريخه قال: سمعت النجيب عبد الوهاب بن إسماعيل الفارسي الصوفي بمصر سنة اثني عشرة وسبعمائة يقول: قدم علينا بشيراز سنة خمس وسبعين وستمائة الشيخ المعمر محمود ولد بابا رتن فأخبرنا أن أباه أدرك ليلة شق القمر وكان ذلك سبب هجرته... .

ثم قال ابن حجر : وقرأت قصّته من وجه آخر مطوّلة بخط الأديب الفاضل صلاح الدين الصفدي في تذكرته، وأنبأني عنه غير واحد شفاهاً إنّه قرأ في تذكرة الأديب الفاضل علاء الدين الوداعي، ثم ساق ما أنبأه به علي بن محمد بن أبي المجد شفاهاً عن الوداعي، فذكر الحديث بطوله فجاء فيه من قول رتن:

فلمّا تطاولت المدّة على ذلك كنّا جلوساً في فناء ضيعتنا هذه في ليلة مقمرة ليلة البدر، والبدر في كبد السماء إذ نظرنا إليه وقد انشق نصفين. فغرب نصف في المشرق، ونصف في المغرب ساعة زمانية، وأظلم الليل، ثم طلع النصف الأول من المشرق والنصف الثاني من المغرب إلى أن التقيا في وسط السماء كأن أول مرة، فتعجبنا من ذلك غاية العجب، ولم نعرف لذلك سبباً.

فسألنا الركبان عن خبر ذلك وسببه، فأخبرونا أنّ رجلاً هاشمياً ظهر بمكة، وادعى

انّه رسول الله إلى كافة العالم، وأنّ أهل مكة سألوه معجزة كمعجزات سائر الأنبياء، وأنهم اقترحوا عليه أن يأمر القمر أن ينشق في السماء ويغرب نصفه في المشرق ونصفه في المغرب، ثم يعود إلى ما كان عليه، ففعل لهم ذلك بقدرة الله تعالى .

فلـمّا سمعت ذلك من السُفار اشتقت إلى أن أرى المذكور، فتجهّزت في تجارة وسافرت إلى أن دخلت مكة، فسألت عن الرجل الموصوف فدلّوني على موضعه، فأتيت إلى منزله، فاستأذنت عليه فأذن لي، فدخلت عليه فوجدته جالساً في وسط المنزل والأنوار تتلألأ في وجهه، وقد استنارت محاسنه، وتغيّرت صفاته التي كنت أعهدها في السفرة الأُولى فلم أعرفه.

فلمّا سلّمت عليه نظر إليَّ وتبسّم وعرفني وقال: وعليك السلام، أدن منّي،وكان بين يديه طبق فيه رطب، وحوله جماعة من أصحابه يعظّمونه ويبجّلونه، فتوقّفت لهيبته، فقال: يا أبانا أدن منّي وكل، الموافقة من المروءة، والمنافقة من الزندقة.

فتقدّمت وجلست وأكلت معهم من الرطب، وصار يناولني الرطب بيده المباركة إلى أن ناولني ستّ رطبات سوى ما أكلت بيدي، ثم نظر إليَّ وتبسم، وقال: ألم تعرفني ؟ قلت: كأني غير أني ما أتحقق . فقال: ألم تحملني في عام كذا، وجاوزت بي السيل حين حال السيل بيني وبين ابلي، فعرفته بالعلامة، وقلت له: بلى، يا صبيح الوجه، فقال لي: أمدد يدك، فمددت يدي اليمنى إليه فصافحني بيده اليمنى وقال: قل أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله، فقلت ذلك كما عَلّمني، فسُرّ بذلك، وقال لي عند خروجي من عنده: بارك الله في عمرك، بارك الله في عمرك، بارك الله في عمرك.

فودّعته وأنا مستبشر بلقائه وبالإسلام، فاستجاب الله دعاء نبيّه، وبارك في عمري بكل دعوة مائة سنة وها عمري اليوم ستمائة سنة، وزيادة وجميع مَن في هذه الضيعة

العظيمة أولادي وأولاد أولادي، فتح الله عليَّ وعليهم بكل خير وبكل نعمة ببركة رسول الله ﷺ .

ثم قال ابن حجر: وقد وقعت لي روايات أخرى غير ما ذكره الذهبي إلى رتن، منها ما قرأت في كتاب الوحيد في سلوك أهل طريق التوحيد للشيخ عبد الغفار بن نوح القوصي، وقد لقيت حفيده الشيخ عبد الغفار بن أحمد بن عبد الغفار ... وساق الحديث عنه ثم عن البهاء الجَنَدي في تاريخ اليمن وعن غيره ممّا يؤكد وجود رتن والحديث عنه، وقد أطال في ذلك إلى أن قال:

وقد تكلّم الصلاح الصفدي في تذكرته في تقوية وجود رتن، وأنكر على مَن ينكر وجوده، وعوّل في ذلك على مجرّد التجويز العقلي .. وليس النزاع فيه، إنّما النزاع في تجويز ذلك من قبل الشرع بعد ثبوت حديث المائة في الصحيحين، والاستبعاد الذي عوّل عليه الذهبي ... .

ثم قال ابن حجر: ولما اجتمعت بشيخنا مجد الدين الشيرازي شيخ اللغة بزَبَيد من اليمن ـ وهو إذ ذاك قاضي القضاة ببلاد اليمن ـ رأيته ينكر على الذهبي إنكار وجود رتن، وذكر لي انّه دخل ضيعته لما دخل بلاد الهند، ووجد فيها من لا يحصى كثرة ينقلون عن آبائهم وأسلافهم عن قصة رتن، ويثبتون وجوده، فقلت: هو لم يجزم بعدم وجوده، بل تردّد، وهو معذور إلى آخر ما في جعبة ابن حجر من حجر .

وأنا لا أروم إثبات أو نفي وجود رتن الهندي، فمهما يكن من أمره، ولكنّي أقول لا يوجد دخان من دون نار، ولا دار من دون ديّار، فإذا كان الرجل كاذباً فلماذا ترجمه ابن حجر في الإصابة؟ فذلك هتك للصحابة، كضم الحجر إلى الجوهر، والعبد إلى القمر الأزهر، إذاً ليس هو خرافة بعد كل ما رواه عنه الذهبي وغيره من أحاديث ليس فيها من

نكارة، سوى استبعاد صحبته وروايته عن النبي ﷺ، فليكن من قبيل أهل البدع، لنا روايته وعليه بدعته، خصوصاً بعد أن لم نجد بعض مرويّاته فيها ما يناقض الدين، بل ولا مثل ما عند الآخرين من مرويات الكذابين، وأخشى أن تكون دوافع بعض ما تقدّم من حديثه في ذكر أهل البيت الطاهرين عليهم السلام هو سبب الطامة التي لحقته حتى عدّ في الكذابين.

شاهد تصديق لما رواه رتن:

وفي إحدى المخطوطات الهندية القديمة، والمحفوظة في مكتبة المركز الهندي بمدينة لندن تحت رقم٢٨٠٧ / ١٥٢ – ١٧٣، ذكر المفكر الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور محمد حميد الله في كتابه المعنون محمد رسول الله أنّ أحد ملوك ماليبار – وهي إحدى مقاطعات جنوب غربي الهند – وكان اسمه شاكرواتي فارماس (Chakarawati Farmas) شاهد انشقاق القمر على عهد رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) وأخذ يحدّث الناس بذلك.

وحدث أن مرّ عدد من التجار المسلمين بولاية ماليبار، وهم في طريقهم إلى الصين، وسمعوا حديث الملك شاكرواتي فارماس عن انشقاق القمر، فأخبروه أنّهم أيضاً قد رأوا ذلك، وأفهموه أنّ انشقاق القمر معجزة أجراها ربّنا (تبارك وتعالى) تأييداً لخاتم أنبيائه ورسله (صلّى الله عليه وسلم) في مواجهة تكذيب مشركي قريش لنبوته ولرسالته .

فأمر الملك بتنصيب ابنه وولي عهده قائماً بأعمال مملكة ماليبار، وتوجّه إلى الجزيرة العربية لمقابلة المصطفى (صلّى الله عليه وسلم) .

وبالفعل وصل الملك الماليباري إلى مكة المكرمة وأعلن إسلامه أمام رسول الله (صلّى الله عليه وسلم)، وتعلّم ركائز الدين الأساسية، وأقل راجعاً، ولكن إرادة الله (تعالى) أن ينتهي أجله قبل مغادرته أرض الجزيرة العربية، فمات ودفن في أرض ظفار، وحين وصل

الخبر إلى ماليبار كان ذلك حافزاً لدخول أهلها الإسلام زرافات ووحداناً [1] .

والآن وبعد هذه البدايات التمهيدية، فلنقرأ بإمعان لنتابع ماذا عن انشقاق القمر في التراث الإسلامي، وذلك من خلال مبحثين: الأول فيمن أنكر حدوث معجزة شق القمر وما هي حجته؟ والمبحث الثاني فيمن أثبت ذلك بوسائل الإثبات التي عنده .

المبحث الأول:

لقد مرّ بنا في آخر الباب الأول ماذا قال العلم الحديث في المقام ؟ وذكرت ما يقرب إلى ذهن القارئ الذي ينتظر كلمة العلم الحديث، إمكانية خرق القوانين الطبيعية في الآيات الكونية، من دون تعرّض الكون للفساد، والآن أود التنبيه على أنّ الذين قالوا بالاستحالة إنّما هم ممّن فاتهم الإذعان بقدرة الله تعالى أولاً، ولم يكن لديهم إشارة من علم الفلك ثانياً .

وإذا كان فيهم مَن لديه حرف منه فهو على هيئة بطليموس، ونظريته التي ثبت بطلانها بعد تقدّم العلم الحديث، وأصحاب تلك النظرية تصوّروا السماوات السبع والأرضين السبع مثل بصلة، تعلو قشورها بعضاً فوق بعض، ويحيطها جميعاً فلك الأفلاك، وهي عندهم سبعة أفلاك، يتصل بعضها بالآخر اتصالاً وثيقاً غير قابل للإنفكاك، مع وجود فواصل متفاوتة بين كواكبها، وكل منها مستقر في فلكه، غير أنّه مرتبط مع غيره، فإذا حدث في واحد ما يغيّره جرى ذلك إلى البقية، وسرى إليها الإختلال وتأثر الجميع بذلك الإنحلال، لأنّ العالم كله بأفلاكه وأملاكه محدود في فضاء متناه .

---

١ - مقتبس من مواقع الانترنيت .

هكذا رأي الهيئة القديمة التي نسبت إلى بطليموس، وتابعه عليها من تابعه ممن قال باستحالة الآيات الكونية، ومنها انشقاق القمر وأعطف عليه ردّ الشمس، بناءً على هذه المقالة الفاسدة .

أما اليوم والعلم الحديث بلغ مبلغاً في الكشف العلمي بقوة غزا الكواكب بها حتى نفذ إلى أقطار السماوات بسلطانه، فأدرك بعض أسرار الإعجاز القرآني في آياته البيّنات نحو قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾[١] .

وأدركوا أنّ الفضاء لا نهاية له وهو في اتساع، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[٢].

وقد توصّل العلماء إلى أنّ المجموعة الشمسيّة التي كوكب الأرض وكوكب القمر من توابعها ولها توابع نحوهما، إنّما هي إحدى مجموعات كثيرة وكبيرة من شموس أُخرى، وكوكب القمر في مجموعتنا الشمسية هو أقرب كواكبها الأخرى إلى الأرض، وتلك كواكب على غرار كوكبنا الأرضي في تابعيته للشمس، وإن اختلف شكلاً وحجماً وحركةً وقرباً وبعداً من الشمس.

كما توصّل العلماء عن طريق الأجهزة المتطوّرة أنّ بعض الكواكب سبق لها في الماضي السحيق أن حدث فيه انفجارات لا تزال أجزاء ما تناثر منه تسبح في الفضاء اللامتناهي نتيجة ذلك الإنشطار، وربما بعضها اتخذ مداراً حول شمسنا بفعل الجاذبية منها، وهذا كله

١- الرحمن: ٣٣ .

٢- الذاريات : ٤٧ .

لم يؤثّر على سير بقية أفلاك المجموعة الشمسية: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[١] .

فنقول للمنكرين الذين أعجزهم الجهل وعدم الإيمان بحدوث انشقاق القمر: ما بالكم تنكرون آية دلّ القرآن الكريم عليها، كما مرّ في المعجزة الخالدة هي الحجة الشاهدة، بحجة أنّ الإنشقاق فيه خرق وثم التئام، وهذا حدث عظيم ينبغي أن يراه العالم، وأن يكتبه المؤرّخون من سائر الأمم وأن .. وأن ...

نقول لهم: أيّها النفاة اتحدّوا وأعدّوا، وأنّى لكم وأنتم بين مشرّق ومغرّب، على اختلاف الزمان والمكان، وعلينا أن نجمع شتاتكم ونعرّف فئاتكم كما نعرض فُتاتكم .

من هم النفاة ؟

يمكننا أن نجعلهم فريقين يتجاذبان الإنكار، ولكن كل فريق يحطب بحبله، ويخطب بعقله .

فالفريق الأول: ويمثّله الحسن البصري، وعطاء المكي، ومقاتل بن سليمان البلخي، فهؤلاء أوائل الذين أساؤوا فهم لغة القرآن، ولم يستضيئوا بنور العلم من معدنه، فقالوا في تفسير الآية الكريمة: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ إنّ الإنشقاق سيحصل عند قيام الساعة، وهو من أشراطها، وأنّ الآية الكريمة وإن جاءت بلفظ الماضي، لكنها أرادت المستقبل.

ومعنى (انشقّ) سينشق، فالآية غير دالّة على تحقيق الوقوع، وهذا ما حكاه عنهم غير واحد من المفسّرين، وقد ردّوه عليهم ردّاً بليغاً، سيأتي ذلك إن شاء الله تعالى .

وقد وجدت لهم تبعاً في زلل هذا القول هو الحليمي، وقد حكاه عنه الرازي في كتابه

---

١ - يس : ٤٠ .

(نهاية القولِ) وستأتي مقالته عند التعريف به .

والفريق الثاني: قد تجاوز الحدّ حتى في العدّ، فكـان منـه جماعـة مـن شـيوخ المعتزلـة، كهشام بن عمرو الفوطي، والنظّام، والجاحظ، وأبو الحسينK وكان مـنهم مـن الأشـاعرة أبو إسحاق، والحليمي الآنف الذكر أيضاً فهـؤلاء أنكـروا جملـة مـن المعجـزات، وكـان انشقاق القمر واحداً منها، بحجة منع حدوث الخوارق سواء كانت معجزة أو كرامة .

وفي العصر الحاضر وجدنا من لا يؤمن بهذا الحديث ـ معجزة شق القمر ـ أسفا، ولـه فيما كتب من تفسير هَدَفا، وقد ضلّ وأضلّ به كثيراً ممّن اتخذه كهفاً وكنفـاً، ربـما أتينـا عـلى ذكره في آخر المبحث ولو بنحو الإشارة .

ونعود إلى النفاة فنعرّفهم للقرّاء حسب ما يقتضي المقام .

فأوّلهم الحسن البـصري (ت/ ١١٠ هجـ) ذكـره مترجمـوه في التـابعين، ووصـموه بالتدليس حتى قال عنه ابن العجمي في التبيين لأسماء المدلّسين: من المشهورين بالتـدليس، وقد قال ابن سيرين: لا تأخذوا بمراسيل الحسن، فإنّه لا يبالي عمّن أخذ حديثه[1] .

وقد استقصى حافظ ثناء الله الزاهدي ـ في كتابه تحقيق الغاية بترتيـب الـرواة المـترجم لهم في نصب الراية في ترجمة الحسن البـصري ـ كلـمات الأعـلام في مرويـات الحـسن عـن الصحابة وتفنيد سماعه منهم، وهو مفيد في إثبات تدليسه، فراجع[2].

ولـمّا كانت معجزة انشقاق القمر مذكورة في القرآن، وإنّما يصحّ لأمثاله الكـلام فيهـا عن علم تعلّمه مما رواه غيره في تفسيره، ولما لم يذكر أحداً لنـرى صـحة روايتـه، فهـو إذاً لم يكن ما قاله عن رواية، وإنّما كان ذلك رأياً منه، فحينئذٍ لا عبرة برأيـه مـا دام فـسّر القـرآن

١-التبيين لأسماء المدلّسين:٧ ط حلب سنة ١٣٥٠ هجـ .

٢- تحقيق الغاية بترتيب الرواة المترجم لهم في نصب الراية: ١٢٨ - ١٣٢ .

برأيه، وكيف نقبل قوله وقد ورد التغليظ في ذلك حتى ورد مرفوعاً: **«من فسرَّ القرآن برأيه فأصاب تكتب ـ كتبت ـ عليه خطيئة»** وفي لفظ **«فليتبوأ مقعده من النار»** [١] .

وثانيهم عطاء هو ابن رباح المكي (ت / ١٣٥ هجـ) وهذا كسابقه في عدم الأخذ بمرسلاته حتى قال أحمد بن حنبل: وليس في المرسلات أضعف من مرسلات الحسن وعطاء، فإنّهما كانا يأخذان عن كل أحد [٢]، وفوق هذا فقد ذكره أبو القاسم الكعبي أنّه كان من المرجئة [٣]، وذكر ابن حجر انّه قرأ بخط الذهبي قول ابن المديني: كان ابن جريج وقيس بن سعد تركا عطاء بآخره ...

فهو إذن في سماعه إشكال، وفي رأيه مثل ذلك خصوصاً في الإرجاء الدال على فساد معتقده.

وثالثهم مقاتل بن سليمان البلخي (ت / ١٥٠ هجـ) وقد مرّ بعض تعريفه، ويكفي في ذلك قول ابن أبي حاتم فيه صاحب التفسير والمناكير: فهو ساقط لمناكيره، فلا نطيل الوقوف عنده لالتماس معاذيره، أنّى ذلك وهو من المجسّمة كما جاء في (المواقف) حيث قال: والمجسّمة قالوا هو جسم حقيقة فقيل مركّب من لحم ودم كمقاتل بن سليمان [٤] .

وفي ميزان الإعتدال في ترجمته من التصريح بأضاليله حتى نقل عن أبي حنيفة قوله: أفرط جهم في نفي التشبيه، حتى قال أنّه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل - يعني في الإثبات - حتى جعله مثل خلقه، وقال ابن حبّان: كان يأخذ عن اليهود والنصارى من

١- راجع موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٨ : ٤١٨ - ٤١٩ .

٢- تهذيب التهذيب ٧ : ٢٠٢ .

٣- قبول الأخبار ومعرفة الرجال ١ : ٢٥٨ - ٢٥٩ ط دار الكتب العلمية بيروت .

٤- شرح المواقف في علم الكلام ٣ : ٣٨ .

علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان يشبّه الربّ بالمخلوق، وكان يكذب في الحديث .

وفي تاريخ بغداد: قال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي: أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم في الدنيا نظير ـ في البدعة والكذب ـ جهم بن صفوان، وعمر بن صبيح، ومقاتل بن سليمان، وروى أبو يوسف أنّه قال: بخراسان صنفان ما على الأرض أبغض إليَّ منهما: المقاتلية والجهمية [1] .

ورابعهم: هو إبراهيم بن سيّار النظّام (ت / ٢٣١ هجـ) من شيوخ المعتزلة، وهو صاحب القول بالطفرة حتى أضحت مثلاً فيقال لمالا يعقل ويتم بدون مقدّمات كطفرة النظام، بمعنى بلوغ المرحلة الثالثة من دون المرور بالثانية، وله مقالات شاذة أُخرى، والذي يعنينا من إنكاره معجزة شق القمر، وقد حكى ذلك عنه القاضي عبد الجبار في كتابه [2]، وردّ عليه وعلى غيره، وسنقرأ ذلك في: ماذا عند المتكلّمين .

وخامسهم عمرو بن بحر الجاحظ (ت / ٢٥٥ هجـ) من شيوخ المعتزلة البصريين، وهو في شهرته من خلال كتبه غني عن التعريف، ففي مقدّمات المطبوع منها كالبيان والتبيين، وكتاب الحيوان، ورسائله جمع السندوبي، وكذا الدراسات الخاصة به سوى المقالات الكثيرة، راجع بشأنها معجم المؤلّفين لكحالة [3] ففي جميع ذلك ما يغنينا في ذكره، ولا يعنينا في أمره سوى التنبيه على إنكاره معجزة شق القمر.

فقد ذكر ذلك عنه المرزوقي في كتابه فقال: وأما انشقاق القمر فإنّ الجاحظ كان ينفيه، ويقول: لم يتواتر الخبر به، ويقول أيضاً: لو انشق حتى صار بعضه في جبل أبي قبيس لوجب

١- تاريخ بغداد ١٣: ١٦٤ .

٢- تثبيت دلائل النبوة .

٣- معجم المؤلّفين ٨: ٧ – ٩ ط الترقي بدمشق سنة ١٣٧٨ هجـ .

أن يختلف التقويمات، لأنّه قد عُلم سيره في كل يوم وليلة، فلو انشق القمر لكان وقت انشقاقه لا يسير[1].

فأما قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ فإنّما معناه سينشق، ونحن نثبته ونقول يكون كذلك، دليلاً خُصَ به عبد الله بن مسعود ﵁، وإنّ سائر الناس لم يروه، لأنّ الله حال بينهم وبين رؤيته بغمامة أو غيرها، ويجوز أن يكون غير عبد الله رآه، فاقتصر في نقله على رواية عبد الله، وعلى ما نطق به القرآن من ذكره .

وسادسهم هشام بن عمرو الفوطي، من المعتزلة وله مقالات شاذة، كما له أتباع يسمون بالهشامية، وهم يقولون بجواز الإمامة، بمعنى عقدها في أيام الإتفاق والسلامة، أما في أيام الفتنة فلا ـ وهذا كذلك هو مذهب المحكّمة الأُولى من الخوارج، فإنّهم أجازوا ألا يكون في العالم إمام أصلاً ـ .

ومن مقالات الفوطي السيئة في القرآن عدم إعجازه وقال: إنّ القرآن لم يجعل عِلَماً للنبي وهو عرض من الأعراض، والأعراض لا يدلّ شيء منها على الله ولا على نبوة النبي، وفي كتب المقالات والفِرَق يجد الباحث أقوالاً شاذة أخرى، ومنها إنكاره معجزة شق القمر، كما أنّ في ترجمته في كتب التراجم نقولاً عنه شتى في ذلك .

فالذهبي ذكره في سير أعلام النبلاء وقال: أبو محمد الفوطي المعتزلي الكوفي ... صاحب ذكاء وجدال، وبدعة ووبال... [2] .

ونهى عن قول (حسبنا الله ونعم الوكيل) وقال: لا يعذّب الله كافراً بالنار، ولا يحيي أرضاً بمطر، ولا يهدي ولا يضلّ ...، وحكى عن المبرّد حكاية رجل مع هشام، وقد سأله

١-الأزمنة والأمكنة ١ :١١٥ ط حيدر آباد سنة ١٣٣٢ هجـ .

٢- سير أعلام النبلاء ١٠: ٥٤٧ ط مؤسسة الرسالة سنة ١٤١٣هجـ بيروت .

عن عمره وتقعّره في الجواب، ثم قال الذهبي: هذا غاية ما عند هؤلاء المتقعّرين من العلم، عبارات وشقاشق لا يعبأ الله بها، يحرفون بها الكلم عن مواضعه قديماً وحديثاً، فنعوذ بالله من الكلام وأهله، ونحوه .

وفي تاريخ الإسلام [١]، وذكره في ذيل ترجمة داود الجواربي في ميزان الإعتدال، وعدّ جماعة هو منهم فقال: هذا الضرب لا أعلم له رواية... فلكونهم لم يرووا الحديث لم احتفل بذكرهم ولا استوعبتهم، فأراح الله منهم .

وقد ذكره ابن النديم في الفهرست [٢] وذكر من مقالاته: إنّ الشيطان لا يدخل في الإنسان، وإنّما يوسوس له من خارج والله ـ جل عن ذلك ـ يوصل وسوسته إلى قلب ابن آدم ليبتليه .

وقال ابن الأثير في اللباب في تهذيب الأنساب [٣]: وأما الهشامية الثالثة فهم أصحاب هشام ابن عمرو الفوطي، وفضائحه كثيرة، منها انّه حرّم على الناس أن يقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وقد نطق القرآن بذلك، وظن أنّ الوكيل يقتضي موكلاً، ولم يعلم أنّ الوكيل بمعنى الحفيظ، كقوله تعالى: ﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [٤] أي بحفيظ .

وأخيراً نكتفي بما قاله القاضي عياض عنه وعن معمر الصيمري في الشفاء [٥]:... وكذلك من أنكر القرآن أو حرفاً منه ... أو زعم أنّه ليس بحجة للنبي ﷺ أو ليس فيه

١- تاريخ الإسلام ١٦: ٤٤١ ط دار الكتاب العربي سنة ١٤٠٧ هجـ .

٢- الفهرست: ٢١٤ ط رضا تجدد .

٣- اللباب في تهذيب الأنساب ٣: ٣٨٩ ط دار صادر .

٤- الأنعام: ٦٦ .

٥- الشفاء ٢: ٢٨٩ ط دار الفكر بيروت سنة ١٤٠٩ هجـ .

حجة ولا معجزة، كقول هشام الفوطي، ومعمر الصيمري، إنّه لا يدلّ على الله ولا حجة فيها لرسوله، ولا يدلّ على ثواب أو عقاب ولا حكم، ولا محالة في كفرهما بذلك القول، وكذلك نكفرهما بإنكارهما أن يكون في سائر معجزات النبي ﷺ حجة له .... .

ويمكن إلحاق جماعة آخرين بمن تقدّم ذكرهم من النفاة، حيث وردت أسماؤهم في بعض المصادر فمنهم الحليمي كما ذكره الرازي في كتابه (نهاية العقول) فقال: أما الإنشقاق فقد منع الحليمي وقوعه، بحمل انشقاق القمر على أنّه سينشق، وإن سلّمنا وقوعه فلعلّ المشاهدين ما كانوا في حد التواتر، لأنّه آية ليلية، وأكثر الناس تحت السقوف فلذلك لم ينتشر.

ولا غرابة بعد أن عرفنا الحليمي من خلال ذكر الشريف الجرجاني له ولآخرين ممن منعوا صدور الكرامات للأولياء مطلقاً، فقد قال في شرح المواقف: المقصد التاسع: في كرامات الأولياء وأنّها جائزة عندنا، خلافاً لمن منع جواز الخوارق واقعة، خلافاً للأستاذ أبي إسحاق والحليمي منّا، وغير أبي الحسين من المعتزلة .. [1] .

إنّما الغرابة كل الغرابة أن يفاجأ القارئ بأنّ الحليمي هذا حكي عنه انشقاق القمر في عصره(!) فإلى رواية ذلك .

رواية الإمام الحليمي في رؤيته شق القمر في زمانه:

ذكر الشمس الصالحي الشامي في كتابه (سبيل الهدى والرشاد) [2] بعد كلام له حول معجزة شق القمر فقال: وذكر الإمام الحليمي أنّ القمر انشق في عصره، وأنّه شاهد الهلال في الليلة الثالثة منشقًّا نصفين، عرض كل واحد كعرض القمر ليلة أربع أو خمس، ثم اتصل فصار في شكل أترجة إلى أن غاب .

١- شرح المواقف ٨: ٢٨٨ .

٢- سبيل الهدى والرشاد ٩: ٤٣١ ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٤ هـ .

ونحن ازاء هذه الرواية نحتاج إلى الوقوف على معرفة هذا الراوي الموصوف بالإمامة، فمن هو ؟ وما مدى صدقه ؟ حتى يمكن لنا تصديقه .

ولا شك أنّ خير سبيل إلى معرفته، قراءة ترجمته بأقلام غير أهل مذهبه ونحلته، وحسبنا ما قاله الحافظ الذهبي في تذكرته، فهو الناقد الخبير في الرجال، وأكتفي به في هذا المجال في الحال .

قال في تذكرة الحفاظ [1]: الحليمي العلّامة البارع رئيس أهل الحديث بما وراء النهر، أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي، صاحب وجوه حسان في المذهب، وكان من أذكياء زمانه ومن فرسان النظر، له يد طولى في العلم والأدب، أخذ عن الأستاذ أبي بكر القفّال و. . . .

له تصانيف مفيدة، حدّث عنه أبو عبد الله الحاكم مع تقدمه ونبله و. . . وهو من فرسان هذا الشأن مع أنّ له فيه عملاً جيداً، يقع لي حديثه عالياً، توفي في ربيع الأول سنة ثلاث وأربع مائة. . . .

أقول: ثم ساق عنه حديثاً بإسناده إليه عالياً، فقال:

أخبرنا المسند الجليل شرف الدين أبو الفضل أحمد بن هبة الله بن تاج الأمناء سنة خمس وتسعين وست مائة بقراءة أبي الحجاج الحافظ عن عبد المعز ـ بن ـ محمد قال: أنا أبو القاسم المستملي، أنا أبو سعد أحمد بن عبد الرحمن النيسابوري، أنا الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي، أنا بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي، نا أحمد بن الحسين، نا مقاتل بن إبراهيم، نا نوح بن أبي مريم، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: لصاحب القرآن دعوة مستجابة عند ختمه.

١- تذكرة الحفاظ ٣: ١٠٣٠ ط الهند حيدر آباد .

ثم عقّب الذهبي بقوله: نوح الجامع مع جلالته في العلم ترك حديثه، وكذلك شيخه مع عبادته، فكم من إمام في فن مقصر عن غيره، كسيبويه مثلاً إمام في النحو ولا يدري ما الحديث، ووكيع إمام في الحديث ولا يعرف العربية، وكأبي نواس رأس في الشعر عَريّ من غيره، وعبد الرحمن بن مهدي إمام في الحديث لا يدري ما الطب قط، وكمحمد بن الحسن رأس في الفقه ولا يدري ما القراءات، وكحفص إمام في القراءة تالف في الحديث. وللحروب رجال يعرفون بها.

وفي الجملة: وما اؤتوا من العلم إلا قليلا، وأما اليوم فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل في أناس قليل، ما أقلّ من يعمل منهم بذلك القليل، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

أقول: لو نشر الذهبي اليوم قبل يوم النشور، فماذا كان يقول بعدما مرّ في السطور من نفثة الصدور، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

نعيبُ زماننا والعيبُ فينا ولو نطق الزمان إذاً هجانا

ونعود إلى الإمام الحليمي في روايته ورؤيته فنقول: لقد ذكر له الأسنوي في طبقات الشافعية ترجمة، حكى فيها عن إمام الحرمين قوله في النهاية عن الحليمي: كان الحليمي عظيم القدر، لا يحيط بكنه علمه إلّا غوّاص .... .

وقال الأسنوي: ومن مصنّفاته (شعب الإيمان) كتاب جليل جمع أحكاماً كثيرةً، ومعاني غريبة، لم أظفر بكثير منها في غيره [1]، وترجمه ابن السبكي في طبقات الشافعية ترجمة مطوّلة، أورد فيها غرائب وعجائب من فتاوى الإمام الحليمي !؟ [2] فراجع .

١- طبقات الشافعية ١ : ٤٠٤ تحقيق عبدالله الجبوري ط أوقاف بغداد .

٢- طبقات الشافعية ٤ : ٣٣٣ - ٣٤٣ تحقيق الحلو والطناجي، ط عيسى البابي الحلبي بمصر .

المبحث الثاني: في أدلّة إثبات معجزة انشقاق القمر من خلال أربعة محاور:

١- عند المفسّرين .

٢- عند المحدّثين .

٣- عند المتكلّمين .

٤- عند المؤرّخين .

وقبل ذلك عدّة مسائل:

المسألة الأولى: إنّ الشاك في مسألتي انشقاق القمر وردّ الشمس، لا يخلو حاله إمّا أن يقول باستحالة ذلك عقلاً أو عادة .

فأما زعم الإستحالة العقلية فليس بشيء بعد أن لم يكن ذلك من المحال العقلي الذي مثّلوا بإجماع الضدين مثلاً، فلا يبقى إلّا زعم الإستحالة عادة، وهذا هو معنى الإعجاز الذي يأتي به النبي ﷺ لإثبات غرضه مع التحدّي، وربما كان بدونه .

ثم إنّ المشكك المنكر إما أن يكون مؤمناً بالله تعالى أو غير مؤمن به ـ والعياذ بالله ـ والثاني لا كلام لنا معه، لأنّ الإيمان هو الأصل، والتصديق بالمعجزة فرع من الإيمان، والمؤمن بالله سبحانه ـ من أيّ الديانات كان أو المذاهب ـ وأياً كان موقعه من الدين ومبلغه من العلم، لا يسعه إنكار قدرة الباري جلّ وعلا، كما لا ينكر أصل الإعجاز وحدوث المعجزة للأنبياء، كيف وجميع الكتب السماوية تثبت ذلك .

وما دام الإنسان المسلم ـ مع غضّ النظر عن هويّته المذهبيّة ـ لا ينكر إمكان الوقوع، وإنّما هو قد يستبعد ثبوت الوقوع، فنقول له: إنّ مجرّد الاستبعاد في المقام ليس بشيء بعد بيان أدلّة الإثبات .

المسألة الثانية: لـمّا كان انشقاق القمر وردّ الشمس آيتان مرّ على حدوثهما عدّة قرون، فلا مناص لنا إلّا النظر في أدلّة إثباتهما نقلاً بعد تجاوزنا مرحلة التصديق عقلاً، فعلينا البحث من الآن في الأخبار التي وردت مثبتة لكل من الآيتين، ومن الطبيعي أن نقدّم البحث عن آية الإنشقاق لأنّها أقدم زماناً، وأقوى إيماناً حيث يثبتها القرآن الكريم .

المسألة الثالثة: إنّ سورة القمر مكية، كما هو رأي جملة من المفسرين، وإن قيل بنزول بعض آياتها بالمدينة المنوّرة، ولا عبرة بقول من زعم أنّها نزلت ببدر، وحسبنا معرفة شأن النزول فهو كافٍ في إثبات كونها مكية، وذلك إنّ المشركين سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية على صدقه، فدعا ربه أن يشق لهم القمر فاستجاب الله تعالى لنبيّه، كما سيأتي الحديث عن كيفية الإنشقاق في المسألة الآتية في معرفة من رأى ومن روى.

وقد استفاضت روايات أهل البيت عليهم السلام وروايات غيرهم باتفاق أهل الحديث والمفسّرين على قبول تلك الروايات، وعدّوا انشقاق القمر من جملة معجزات النبي ﷺ، ولم يأب ذلك إلّا نفرٌ لم يتجاوزوا العشرة، وهم الذين سميناهم النفاة، وهم الغواة إذ قالوا بآرائهم ما ليس مقبولاً عند الرواة، فقالوا: معنى انشق القمر سينشق عند قيام الساعة، والتعبير بالماضي لتحقق الوقوع.

وهذا من السخف الظاهر، لأنّ التعقيب عليه بقوله تعالى: **﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾** شاهد على إعراضهم عند رؤيتهم تلك الآية العظيمة فقالوا: **﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾** وهذا القول لا معنى له في الآخرة إذ ليس في ذلك اليوم من يطلب منهم التصديق حتى يقولوا إنّه: **﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾** فيوم القيامة يوم جزاء ولا عمل، وهذا كافٍ في الدلالة على الوقوع في الدنيا .

المسألة الرابعة: لا شك في أنّ اليهود والنصارى قد استحوذوا على كثير من مواقع

القوّة في هذه الحياة الدنيا، وزاولوا كثيراً من أساليب الخداع والتمويه لإغواء الناس ممن لا إيمان قوي لديهم فيصدهم عن الوقوع في شرك الصيادين، وازدادوا علّواً في الأرض وفساداً حين انتشرت مواقعهم على الانترنت سوى مالهم من مجلات وجرائد ووسائل إعلامية مرئية في الفضائيات أعجزت أولي القوة في الدنيا .

والذي يعنينا في المقام ما نشروه بعنوان (دراسة عقلانية موضوعية لخرافة انشقاق القمر) اقتربت الساعة وانشق القمر .

من أين أتى محمد بهذه الآية؟؟ بهذه الدراسة الساخرة نشروا دراستهم على الموقع، وسنأتي على ما في دراستهم من تهويش في آخر ما سنذكره من أدلّة الإثبات في خاتمة الباب إن شاء الله تعالى، والآن إلى:

المحور الأول: في أدلّة الإثبات عند المفسرين:

إنّ كتاب الله سبحانه الذي لا تنقضي عجائبه يحتوي على ما سلف من عبر الماضين وسير التالين، وأحكام العباد بالدينونة لرب العالمين، ولم يتركهم ربّهم من دون فهم لكتابه عن طريق نبيه ﷺ في شريف خطابه ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾[1].

وكان له حفظة يحفظونه تلاوة ويفهمونه تدبّراً، وقد فهموا ما فيه من أفكار دقيقة ومعاني سامية، ربما تخفى على كثير من المسلمين ممّن أوتي حظاً من فهم، لذلك كان المفسّرون الأوائل من الصحابة الذين لا خلاف في شأنهم هم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم تلميذه حبر الأُمة عبد الله بن عباس، ثم الباقون على مراتبهم في الحفظ والاستيعاب[2].

١- النحل: ٤٤ .

٢- قال محمد حسين الذهبي: فأبو بكر وعمر وعثمان لم يرد عنهم في التفسير إلاّ النزر اليسير: التفسير والمفسّرون ١: ٦٣ ط مصر سنة ١٣٨١ هجـ.

وخضع بعض المفسّرين الذين لعقوا فتات الموائد عند الحاكمين فقالوا بأهوائهم، فكان الإنحراف الضال، وقد أخذوا دورهم في مروياتهم في كتب التفسير، وقد نبّه غير واحد إلى مروقهم، وكان الإسناد في التفسير بالمأثور أقلّ ضرراً من التفسير بالرأي، ووصل الحال ببعضهم إلى الخروج حتى على قواعد اللغة العربية، كما فيما نحن فيه في المقام، في آية الانشقاق، ولنقرأ بعض ما عند المفسّرين في ذلك .

ما الذي قاله المفسّرون ؟

سأذكر أقوال المفسّرين من مختلف المذاهب الإسلامية من شيعة وسنة بمن فيهم من الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة، وإلى القارئ بعض ما قالوه:

أولاً: من الشيعة ما قال الشيخ الطوسي في تفسير التبيان [١]:

ومن أنكر انشقاق القمر وأنّه كان، وحمل الآية على كونه فيما بعد، كالحسن البصري وغيره واختاره البلخي، فقد ترك ظاهر القرآن، لأنّ قوله (انشق) يفيد الماضي، وحمله على الاستقبال مجاز، وقد روى انشقاق القمر عبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك، وابن عمر، وحذيفة، وابن عباس، وجبير بن مطعم، ومجاهد، وإبراهيم، وقد أجمع المسلمون عليه، ولا يعتدّ بخلاف من خالف فيه لشذوذه، لأنّ القول به اشتهر بين الصحابة فلم ينكره أحد، فدلّ على صحته وأنّهم أجمعوا عليه، فخلاف من خالف فيما بعدُ لا يُلتفت إليه .

ومن طعن في انشقاق القمر بأنّه لو كان لم يخف على أهل الأقطار فقد أبعد [٢] ، لأنّه يجوز أن يحجبه الله عنهم بغيم، ولأنّه كان ليلاً فيجوز أن يكون الناس نياماً فلم يعلموا به،

١- تفسير التبيان ٩ : ٤٤٣ ط النجف الأشرف .

٢- لقد ذكر الملا علي القاري في شرح الشفا بهامش نسيم الرياض ٣ : ٨ فقال: وقد نقل الحافظ المزي عن ابن تيمية أنّ بعض المسافرين ذكر أنّه وجد في بلاد الهند بناءً قديماً مكتوباً عليه بني ليلة انشق القمر.

لأنّه لم يستمر لزمان طويل، بل رجع فالتأم في الحال، فالمعجزة تمّت بذلك .

ثانياً: ما قاله الطبري في تفسيره جامع البيان [1]:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ ﴾ دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة ...

وقوله: ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وانفلق القمر، وكان ذلك فيما ذكر على عهد رسول الله ﷺ وهو بمكة قبل هجرته إلى المدينة، وذلك انّ كفار أهل مكة سألوه آية، فأراهم ﷺ انشقاق القمر آية، حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوته، فلما أراهم أعرضوا وكذّبوا وقالوا: هذا سحر مستمر، سحرنا محمد، فقال الله جلّ ثناؤه: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ . وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار، وقال به أهل التأويل .

ثم ذكر الطبري الآثار المروية في ذلك، والأخبار عمّن قالها من أهل التأويل، فساق رواية أنس بستة أسانيد وهي صريحة في أنّ أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين، وفي لفظ: فريقين، وفي لفظ: فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما، ثم ساق رواية ابن مسعود قال: انشق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ بمنى حتى ذهبت منه فرقة خلف الجبل، فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا.

وفي لفظ آخر عنه قال: رأيت الجبل من فرج القمر حين انشق، وفي لفظ ثالث أيضاً عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة سحركم، فسلوا السُفار، فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأيناه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ .

ثم استمر الطبري في ذكر بقية الآثار والأخبار عن حذيفة، وجبير بن مطعم، وابن عباس، ومجاهد، وأبي سنان، وإبراهيم ـ النخعي ـ .

---

١ - جامع البيان ٢٧: ٨٤ ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

ثالثاً: ما قاله الفخر الرازي الشافعي في تفسيره الكبير[1]:

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ أول السورة مناسب لآخر ما قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿أَزِفَتْ الآزِفَةُ﴾، فكأنّه أعاد ذلك مع الدليل، وقال: قلت :أزفت الآزفة وهو حق إذا انشق القمر .

والمفسّرون بأسرهم على أنّ المراد أنّ القمر انشق، وحصل في الإنشقاق، ودلّت الأخبار على حديث الإنشقاق، وفي الصحيح خبر مشهود، رواه جمع من الصحابة وقالوا سئل رسول الله ﷺ آية الإنشقاق بعينها معجزة، فسأل ربه فشقّه ومضى .

وقال بعض المفسّرين: المراد سينشق، وهو بعيد ولا معنى له، لأنّ من منع ذلك وهو الفلسفي يمنعه في الماضي والمستقبل، ومن يجوزه لا حاجة إلى التأويل، وإنّما ذهب إليه ذلك الذاهب، لأنّ الإنشقاق أمر هائل، فلو وقع لعتم وجه الأرض، فكان ينبغي أن يبلغ حد التواتر .

نقول: النبي ﷺ لما كان يتحدى بالقرآن، وكانوا يقولون: إنّا نأتي بأفصح ما يكون من الكلام، وعجزوا عنه، فكان القرآن معجزة باقية إلى قيام القيامة لا يتمسك بمعجزة أخرى . فلم ينقله العلماء بحيث يبلغ حد التواتر .

وأما المؤرّخون فتركوه، لأنّ التواريخ في أكثر الأمر يستعملها المنجم، وهو لما وقع الأمر قالوا بأنّه مثل خسوف القمر، وظهور شيء في الجو على شكل نصف القمر في موضع آخر، فتركوا حكايته في تواريخهم، والقرآن أدلّ دليل وأثبت مثبت له، وإمكانه لا يشك فيه، وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه .

وحديث امتناع الخرق والالتئام حديث اللئام، وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على

---

١ - التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٩ : ٢٨ ط الأولى، التزام عبد الرحمن محمد بميدان الجامع الأزهر بمصر .

السماوات، وذكرناه مراراً فلا نعيده .

رابعاً: ما قاله القرطبي المالكي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن [١]:

قال: ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ أي وقد انشق، وكذا قرأ حذيفة (اقتربت الساعة وقد انشق القمر) بزيادة (قد) وعلى هذا الجمهور من العلماء، ثبت ذلك في صحيح البخاري وغيره من حديث ابن مسعود، وابن عمر، وأنس، وجبير بن مطعم ،وابن عباس ﷺ.

وعن أنس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشق القمر بمكة فرقتين، فنزلت: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ إلى قوله: ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ .

ثم قال القرطبي: وقد ثبت بنقل الآحاد العدول انّ القمر انشق بمكة، وهو ظاهر التنزيل، ولا يلزم أن يستوي الناس فيها، لأنّها كانت آية ليلية، وأنّها كانت باستدعاء النبي ﷺ من الله تعالى عند التحدي ...

خامساً: ما قاله السيوطي الشافعي في الدر المنثور [٢]:

أخرج النحاس عن ابن عباس قال: نزلت سورة القمر بمكة .

وأخرج ابن الضريس، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: نزلت بمكة سورة اقتربت الساعة ... .

أخرج عبد الرزاق، وأحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، وابن جرير، وابن المنذر، والترمذي، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن أنس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة فرقتين، فنزلت: ﴿ اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ- إلى قوله- سِحْرٌ

١- الجامع لأحكام القرآن ١٧: ١٢٥ .

٢- الدر المنثور ٦: ١٣٣ ط أفست إسلامية .

مُسْتَمِرٌّ ﴾ أي ذاهب، وأخرج البخاري ومسلم وابن جرير عن أنس أنّ أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما .

وأخرج عبد بن حميد والحاكم ـ وصحّحه ـ وابن مردويه ،والبيهقي في الدلائل من طريق مجاهد عن أبي معمر، عن ابن مسعود قال: رأيت القمر منشقاً شقتين بمكة قبل أن يخرج النبي ﷺ، شقة على أبي قبيس وشقة على السويداء، فقالوا: سحر القمر فنزلت: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ .

قال مجاهد: يقول كما رأيتم القمر منشقاً فإنّ الذي أخبركم عن اقتربت الساعة حق .

وأخرج عبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن جرير، وابن مردويه، من طريق أبي معمر عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة على الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا .

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، وأبو نعيم في الدلائل من طريق الأسود عن عبد الله قال: رأيت القمر على الجبل وقد انشق، فأبصرت الجبل من بين فرجتي القمر .

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي كلاهما في الدلائل من طريق مسروق عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد النبي ﷺ، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، فقالوا: انتظروا ما يأتيكم به السُفار فإنّ محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فجاء السُفار، فسألوهم فقالوا: نعم قد رأيناه، فأنزل الله: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾. . . .

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، والحاكم، وأبو نعيم، والبيهقي

عن جبير بن مطعم في قوله: ﴿انْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ قال: انشق القمر ونحن بمكة على عهد رسول الله ﷺ حتى صار فرقتين، فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل، فقال الناس: سحرنا محمد، فقال رجل: إن كان سحركم فإنّه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم... .

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ قال: اجتمع المشركون على عهد رسول الله ﷺ منهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والعاصي بن هشام، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والنضر بن الحرث فقالوا للنبي ﷺ: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان، فقال لهم النبي ﷺ إن فعلت تؤمنوا ؟ قالوا: نعم، وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله ﷺ ربّه أن يعطيه ما سألوا، فامسى القمر نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان، ورسول الله ﷺ ينادي: يا أبا سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم اشهدوا .

وأخرج أبو نعيم من طريق عن ابن عباس قال: انتهى أهل مكة إلى النبي ﷺ فقالوا: هل من آية نعرف انك رسول الله ؟ فهبط جبريل فقال: يا محمد قل يا أهل مكة إن تختلفوا هذه الليلة فسترون آية، فأخبرهم رسول الله ﷺ بمقالة جبريل، فخرجوا ليلة أربع عشرة، فانشق القمر نصفين، نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة، فنظروا بأبصارهم فمسحوها ثم أعادوا النظر، فنظروا ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا، فقالوا: يا محمد ما هذا إلّا سحر ذاهب، فأنزل الله: ﴿ اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ .

سادساً: قال الجزيّ في التسهيل لعلوم التنزيل في سورة القمر [1]، هذا إخبار بما جرى

---

١ - التسهيل لعلوم التنزيل ٤: ٧٩ .

في زمان رسول الله ﷺ وذلك أن قريشاً سألته آية فأراهم انشقاق القمر فقال ﷺ: اشهدوا، وقال ابن مسعود: انشق القمر فرأيته فرقتين فرقة وراء الجبل وأخرى دونه، وقيل: معنى انشق القمر إنّه ينشق يوم القيامة، وهذا قول باطل تردّه الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر، وقد اتفقت الأُمة على وقوع ذلك، وعلى تفسير الآية بذلك إلّا من لا يعتبر قوله: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ هذه الضمائر لقريش، والآية المشار إليها انشقاق القمر، وعند ذلك قالت قريش سحر محمد القمر .

سابعاً: وقال الحافظ ابن شهرآشوب: أجمع المفسّرون والمحدّثون سوى عطا والحسن والبلخي في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ إنّه قد اجتمع المشركون ليلة بدر[1] إلى النبي ﷺ فقالوا: إن كنت صادقاً فشقّ لنا القمر فرقتين، قال:**إن فعلت تؤمنون** ؟ قالوا: نعم، فأشار إليه بإصبعه فأنشق شقتين رؤي حراء بين فلقيه ـ وفي رواية نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قيقعان، وفي رواية نصف على الصفا ونصف على المروة ـ فقال ﷺ: اشهدوا اشهدوا، فقال ناس: سحرنا محمد، فقال رجل: إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم، وكان ذلك قبل الهجرة، وبقي قدر ما بين العصر إلى الليل وهم ينظرون إليه ويقولون هذا سحر مستمر، فنزل: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ قارن تفسير السمعاني والبغوي والسمرقندي وغيرهم .

وفي رواية: إنّه قدم السّفار من كل وجه، فما من أحد قدم إلّا أخبرهم أنّهم رأوا مثل ما رأوا ، قال نصر بن المنتصر:

والقمر البدر المنير شقّه   فقيل سحر عجب لما رأى

---

١ - أي ليلة أربع عشرة من الشهر، وهي ليلة تمام البدر وكماله .

تمام البرهان في الميزان:

قال المرحوم السيد الطباطبائي في تفسير الميزان [1]:

كلام فيه إجمال القول في شق القمر: آية شق القمر بيد النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة باقتراح من المشركين ممّا تسلّمها المسلمون بلا ارتياب منهم .

ويدلّ عليها من القرآن الكريم دلالة ظاهرة قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[2] فالآية الثانية تأبى إلّا أن يكون مدلول قوله: ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ آية واقعة قريبة من زمان النزول أعرض عنها المشركون كسائر الآيات التي أعرضوا عنها وقالوا سحر مستمر، ويدلّ عليها من الحديث روايات مستفيضة متكاثرة رواها الفريقان وتسلّمها المحدّثون، وقد تقدّمت نماذج منها في البحث الروائي .

فالكتاب والسنّة يدلّان عليها، وانشقاق القمر كرة من الكرات الجوية ممكن في نفسه لا دليل على استحالته العقلية، ووقوع الحوادث الخارقة للعادة ـ ومنها الآيات والمعجزات ـ جائز .

وقال: ومن الاعتراض عليها ما قيل: إنّ الإنشقاق لا يقع إلا ببطلان التجاذب بين الشقين وحينئذٍ يستحيل الإلتيام، فلو كان منشقاً لم يلتئم أبداً .

والجواب عنه انّ الاستحالة العقلية ممنوعة، والاستحالة العادية بمعنى اختراق العادة لو منعت عن الإلتيام بعد الإنشقاق، لمنعت أولاً عن الإنشقاق بعد الإلتيام ولم تمنع، وأصل الكلام مبني على جواز خرق العادة .

١- تفسير الميزان ١٩ : ٥٩ نشر جماعة المدرسين في قم .

٢- القمر :١ – ٢ .

تطوّر جديد في تفسير القرآن عند مُحدثي المفسّرين:

لقد قرأنا شيئاً من أقوال المفسّرين الأوائل حول معجزة انشقاق القمر، ومرّ بنا أن! الذين خالفوهم في تلك الرؤية ثلاثة من الأوائل، هم الحسن وعطاء والبلخي، وتبعهم أربعة من الزوامل، وذكرت ما وسع المجال للمقال في تعريفهم، غير أنّ في المتأخّرين المعاصرين وقريباً منهم من نحا نحوهم، فتلمظ أقوال النافين على استحياء، بعد وضوح خلافهم لإجماع المفسّرين والمحدّثين الذين مرّ بنا قريباً ذكره عن الحافظ ابن شهرآشوب .

ولا ينقضي العجب من أمثال المشايخ المصريين: طنطاوي والمراغي وسيد قطب، فلهم مواقف متأرجحة بين النفي والإثبات، ويظهر منهم الميل إلى النفي، فلنقرأ ماذا عند المشايخ .

أولاً : رأي الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره الجواهر[1]:

مذكرات بالساعة وعذاب الدنيا بالهلاك، التفسير اللفظي:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ أي سينشق يوم القيامة، أو أنّه قد انشق، كما روي عن أنس: (إنّ أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين) أخرجه البخاري ومسلم، وكيفية ذلك أنه انشق فلقتين: فلقة فوق الجبل، وفلقة دونه، ومعنى هذا أنّه يقول سبحانه: اقتربت القيامة، وهاهو ذا القمر انشق من الآن، كما تقول: أقبل الأمير وقد جاء البشير بقدومه، فإنّ انشقاق القمر دلالة على ما سيؤول عليه حال العوالم العلوية والسفلية، فإنّ مآلها الإنحلال والبوار .

يقول الله: انظروا أيها الناس، إنّكم تظنون الكواكب والشمس والقمر لا يعتريها

١- تفسير الجواهر ٢٣: ٢٦٥ – ٢٦٦ ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ٢٠٠٤ م .

البلى، إنّ القمر يقبل الفناء، والدليل على ذلك انشقاقه الذي استبان لكم، ليدلّكم على أنّه سيبيد من الوجود كما تبيد أرضكم، والممكنات بأسرها تقبل الفناء .

يقول المؤلّف: ومن العجب أنّ علماء الهيئة في العلم الحديث لم يذكروا أنّ شيئاً اشتق من الأرض إلّا القمر .

ويقولون: إنّه أثناء دورانها قديماً انحلّ عنها ودار حولها، وهذا نوع من الإنشقاق، ولكنه انشق من غيره، وانشقاق القمر من الأرض دليل على أنّ الأرض تبدل غير الأرض والسموات، فإذن يكون انشقاق القمر في القرآن من المعجزات العلمية، لا من حيث انّ قريشاً رأوه منشّقاً، وجبل حراء بين فلقتيه على رواية ابن مسعود فحسب، بل إنّ هذا حصل زمن النبوة تذكرة بانشقاقه من الأرض وانفصاله عنها، فكما انشق القمر نصفين هكذا كان هو مع الأرض سابقاً وانشقت الأرض فانفصل عنها القمر، ومعنى هذا تجزّؤ المادة وفناؤها وذهابها وتبدّلها، هذا ما تشير إليه الآية، وإلا فلماذا خصّ القمر بالإنشقاق ؟

ولماذا لم يختر الله له الشمس أو كوكباً من الكواكب، ذلك لهذه النكتة، وهو أنّ القمر هو محل البحث الحديث، وأنّ له انشقاقاً عن غيره، فانشقاقه شقين عن الجبل، ودونه يشير إلى ما كان له ذلك من انشقاقه من الأرض، ويكون ذلك من دواعي العلم والكشف والبحث .

وقال في معنى الآية: إنّ القمر قطعة من الأرض، وهي جزء من الشمس انفصلت عنها، فهما ـ القمر والأرض ـ من التوابع للشمس، وانّ الإنشقاق المراد بهذه الآية ﴿ انْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ هو انفصال القمر عن الأرض (؟ !) .

وهذا الرأي ما أنزل الله به من سلطان، ولا قامت عليه حجة ولا برهان، ويأبى عليه التصديق به والإذعان ما تعقّب الآية من قوله تعالى حكاية عن حال المكذّبين: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا

﴿آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ إذ لم ينقل عن أحد أنّه قال بانشقاق القمر عن الأرض سحر مستمر، وفات على فضيلة الشيخ أنّ لفظ (آية) نكرة في سياق الشرط يفيد العموم، بمعنى أنّهم كلما رأوا آية قالوا: ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾.

ثانياً: رأي الشيخ محمد مصطفى المراغي في تفسيره [1]:

وهذا أعجب وأغرب فقد قال: إن آية الإنشقاق خبر عن حدث مستقبل لا عن انشقاق ماضٍ فقال: ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ أي وسينشق وينفصل بعضه من بعض حين يختلّ هذا العالم وتبدّل الأرض غير الأرض، ونحو هذا قوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ وقوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ وكثير غيرها من الآيات الدالّة على الأحداث الكبرى التي تكون حين خراب هذا العالم وقرب قيام الساعة.

ويرى جمع من المفسّرين أنّ هذا حدث قد حصل، وأنّ القمر صار فرقتين على عهد رسول الله ﷺ قبل الهجرة بنحو خمس سنين، فقد صحّ من رواية الشيخين وابن جرير عن أنس أنّ أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء (جبل بمكة) بينهما، وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة على الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ اشهدوا.

وجاء عنه أيضاً: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، فقال رجل: انتظروا ما يأتيكم به السُفّار، فإنّ محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس، فجاء السُفّار فاخبروهم بذلك. رواه أبو داود الطيالسي.

وفي رواية البيهقي: فسألوا السُفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا: رأيناه، فأنزل الله

---

١ - تفسير المراغي ٢٧: ٧٦ - ٧٧.

تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ثم قال المراغي: والذي يدلّ على أنّ هذا إخبار عن حدث مستقبل لا عن انشقاق ماضٍ أُمور:

١- إنّ الإخبار بالإنشقاق أتى اثر الكلام على قرب مجيء الساعة، والظاهر تجانس الخبرين، وأنّهما خبران عن مستقبل لا عن ماضٍ .

٢- إنّ انشقاق القمر من الأحداث الكونية الهامة التي لو حصلت لرآها من الناس من لا يحصى كثرة من العرب وغيرهم، ولبلغ حداً لا يمكن أحداً أن ينكره، وصار من المحسوسات التي لا تدفع، ولصار من المعجزات التي لا يسع مسلماً ولا غيره إنكارها .

٣- ما ادعى أحد من المسلمين إلّا من شذّ إنّ هذه معجزة بلغت حد التواتر، ولو كان قد حصل ذلك ما كان رواته آحادا، بل كانوا لا يعدون كثرة .

٤- إنّ حذيفة بن اليمان وهو ذلكم الصحابي الجليل خطب الناس يوم الجمعة في المدائن حين فتح فارس فقال: ألا إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، ألا وإنّ الساعة قد اقتربت، ألا وانّ القمر قد انشق، ألا وانّ الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإنّ اليوم المضمار وغداً السباق، ألا وإن الغاية النار، والسابق من سبق إلى الجنة.

فهذا الكلام من حذيفة في معرض قُرب مجيء الساعة وتوقّع أحداثها، لا في كلام عن أحداث قد حصلت تأييداً للرسول وإثباتاً لنبوته، لأنّ ذلك كان في معرض العظة والإعتبار .

أقول: انظروا إلى الشيخ المراغي كيف راغ وزاغ، فهو ينقل عن الشيخين ـ البخاري ومسلم ـ في الصحيحين وعن ابن جرير حديث أنس وابن مسعود في وقوع الإنشقاق، وعنده وعند قومه ما رواه الشيخان متفق عليه، يعني لا شك فيه، ثم رجع عن ذلك

مستدلاً بأربعة أُمور على أنّه حدث مستقبل .

وللرد على أُموره، نقول أما الأول وهو تجانس الخبرين في ﴿ اقترب وانشق﴾ فنقول له ما رأيه في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ هل عنده أنّ العبادة قبل الإستعانة ؟ لتجانس الخبرين، أوليست الإستعانة هي قبل العبادة ليكون العبد قادراً عليها، وأصرح من ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ أو ليس النذْرُ هم في الدنيا والعذاب في الآخرة ؟ وقد مرت الإشارة إلى ذلك من قبل .

وأما ردنا ثانياً على قوله: لو كانت لرآها من الناس من لا يحصى كثرة من العرب وغيرهم ...، فنقول له: إنّ كثيراً من الأحداث الهائلة مرّت في الدنيا ولم يتناقلها جميع أهل الأرض كطوفان سيدنا نوح عليه السلام ومع طول مكثه ستة أشهر أو أقل، ومع ذلك فقد أنكره الفرس والصينيون وكثير من الشعوب الشرقية، بينما تناقله الغربيون لاسيما بعد التنقيبات الحديثة، وأيضاً وقوف الشمس ليوشع بن نون وصي موسى عليهما السلام في حربه ضد (الآموريين) فهذه الحادثة الهائلة العالمية أيضاً لم يتناولها المؤرخون، ولولا الكتب المقدسة لضاع خبرها .

وأما ثالثاً زعمه أنّه لم يدّع التواتر إلا من شذّ، ولماذا هذا شاذ، ومن أنكر يكون غير شاذ ؟ إنّه منطق مفلوج .

وأما رابعاً ما نقله من خطبة حذيفة فهو في نقله صادق صائب، لكنه في تفسيره خاسر خائب، ويقال له: اقلب تصب، وذلك أنّ حذيفة كان يقرؤها ﴿ قد انشق القمر﴾ فمن كانت قراءته كذلك، لا يجعل من قوله في خطبته بالمدائن دليلاً على نفي الوقوع، مع أنّ هناك من استدل بقول حذيفة على الوقوع كما سيأتي .

ثالثاً: رأي السيد قطب في تفسيره في ظلال القرآن حيث بدا متأرجحاً بين الفريقين،

فهو يصدّق بوقوع انشقاق القمر بالنص القرآني والروايات المتواترة ـ على حد تعبيره ـ لكنه سرعان ما ينكص عند تعليله الذي ذكرته بعض الروايات، ولئلا نتجنّى عليه فللقرّاء ما قال:

فالقول بأنّ انشقاق القمر كان استجابة لطلب المشركين آية ـ أي خارقة ـ يبدو بعيداً عن مفهوم النصوص القرآنية، وعن اتجاه هذه الرسالة الأخيرة إلى مخاطبة القلب البشري بالقرآن وحده، وما فيه من إعجاز ظاهر، ثم توجيه هذا القلب ـ عن طريق القرآن ـ إلى آيات الله القائمة في الأنفس والآفاق وفي أحداث التاريخ سواء .... .

فأما ما وقع فعلاً للرسول ﷺ من خوارق شهدت بها روايات صحيحة، فكان إكراماً من الله لعبده، لا دليلاً لإثبات رسالته .

ومِن ثمّ نثبت ـ حادث انشقاق القمر ـ بالنص القرآني، وبالروايات المتواترة التي تحدّد مكان الحادث وزمانه وهيئته، ونتوقّف في تعليله الذي ذكرته بعض الروايات، ونكتفي بإشارة القرآن إليه مع الإشارة إلى اقتراب الساعة، باعتبار هذه الإشارة لمسة القلب البشري ليستيقظ ويستجيب[1] .

ولعلّ أقومهم طريقة، وأحسنهم سليقة هو الشيخ محمد محمود حجازي من علماء الأزهر في كتابه (التفسير الواضح)[2] فقد قال: سورة القمر، وهي مكية كلها في قول الجمهور، وهو الصحيح ... ثم ذكر ثماني آيات من أول السورة، وفسرّ المفردات ثم ذكر في ص٣٤ رواية أنس قال: خطب رسول الله ﷺ وقد كادت الشمس تغيب فقال: (ما بقي من دنياكم فيما مضى إلّا مثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى) قال الراوي: وما نرى من الشمس إلّا يسيراً.

١- في ظلال القرآن ٢٧: ٨٣ ط الأولى بمصر .

٢- التفسير الواضح ٢٧: ٣٣ – ٣٤ ط الثانية دار الكتاب العربي بمصر .

وثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث ابن مسعود وابن عمر وأنس وغيرهم أنّه قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر، ورواية البخاري انشق القمر فرقتين، وقد كذبه أهل مكة، وقالوا: سحرنا ابن أبي كبشة، فنزلت الآية: ﴿ اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ... ﴾ إلى أن قال: فانشقاق القمر آية ظاهرة على هذا القرب وعلى إمكانه في العقول والأذهان، وقيل: إنّه آية على قرب الوقوع ومعجزة للنبي ﷺ كما مضى، وعلى ذلك فانشقاق القمر من معجزاته ﷺ، ويؤيّده الحديث السابق أول الكلام، وظاهر الآيات هنا، فإنّ قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ يقتضي أنّ الإنشقاق آية رأوها وأعرضوا عنها وكذّبوا بها .

ورأى بعضهم أنّ انشقاق القمر عبارة عن انشقاق الظلمة وقت طلوعه، لا انفلاقه فلقتين كما روي في البخاري .

وبعضهم يرى أنّه كناية عن وضوح الأمر وظهوره، ولست أرى داعياً إلى إنكار انشقاق القمر على أنّه معجزة، فالمعجزة أمر خارق للعادة، وعدم تواتره لا يقدح، فإنّها آية ليلية، وقد ذكرت في القرآن والصحيح أنّ منكرها لا يكفر بها لعدم تواترها في السنة، وليست الآية نصاً فيها .

هذه نماذج من التفاسير الجديدة لمشايخ العلم في الأزهر الشريف، وكم فيها من الآراء والأهواء، ما صار سبباً للإغواء والإغراء، لدى العوغاء والدهماء، مع أنّ أصحابها إن لم يكونوا رووا فقد رأوا ما في تراث المسلمين جميعاً من قوله ﷺ: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» وقوله الآخر ﷺ: «من فسّر القرآن برأيه فأصاب تكتب ـ كتبت ـ عليه خطيئة» وقوله ﷺ: «من فسّر القرآن برأيه وهو على وضوء ـ وضوئه ـ فليُعد

الوضوء»[١].

المحور الثاني: ماذا عند المحدّثين ؟

لقد مرّت بنا بعض الأحاديث في وقوع معجزة انشقاق القمر، فيما قرأناه عند المفسّرين، وفي ذلك كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد، ولكن لزيادة طالب المزيد، نذكر ما عند المحدّثين، ونبدأ بذكر من روى الحديث من الصحابة، ثم من أخرج أحاديثهم من أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن والسير.

١ - **الإمام أمير المؤمنين** عليه السلام، ذكره غير واحد منهم القاضي عياض والملا علي القارئ في شرح الشفاء[٢] فقال: (فقال علي) كرّم الله وجهه (من رواية أبي حذيفة الأرحبي) وهو من الثقات المشهورين (انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والجملة حالية، وضمير نحن لعليّ ومن كان معه...

٢- **عبد الله بن مسعود**، وحديثه أخرجه البخاري في مناقب الأنصار (باب انشقاق القمر) وأخرجه مسلم في صفات المنافقين (باب انشقاق القمر) وأخرجه الترمذي في التفسير (باب ومن سورة القمر) وقبلهم أخرجه أحمد في المسند[٣] وابن جرير في التفسير في سورة القمر كما مرّ وغيرهم وغيرهم. حتى زاد السيوطي في الدر المنثور في نسبته إلى عبد بن حميد والحاكم وصحّحه وابن مردويه.

وقال السيوطي في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ عن

١- راجع بشأن هذه الأحاديث موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٨: ٤١٨ - ٤١٩ ط عالم التراث بيروت.

٢- شرح الشفاء ٣ : ٦ بهامش نسيم الرياض للخفاجي.

٣- مسند أحمد ١: ٤١٣ - ٤٤٧.

ابن مسعود قوله: كل ما وعدنا الله ورسوله فقد رأيناه غير أربع: طلوع الشمس من مغربها، والدجّال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، فأما الدخان فقد مضى، وكان سنيّ كسنيّ يوسف، وأما القمر فقد انشقّ على عهد رسول الله ﷺ، وأما البطشة الكبرى فيوم بدر.

أقول: وأما حديثه في الإنشقاق فقد قال: رأيت القمر منشقاً شقّين بمكة قبل مخرج النبي ﷺ، شقة على أبي قبيس وشقة على السويداء، فقالوا: سحر القمر، فنزلت: ﴿ **اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ** ﴾ يقول: كما رأيتم القمر منشقاً، فإنّ الذي أخبرتكم عن اقتراب الساعة حق.

٣- **جبير بن مطعم**، وحديثه أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه [١] في ترجمة محمود بن أحمد أبو بشر الكرجي رواه بسنده عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: انشق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ بمكة... وأخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق [٢].

وأخرجه الفاكهي في أخبار مكة [٣].

٤- **حذيفة بن اليمان**، وأخرج حديثه غير واحد، منهم ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمته [٤]، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق [٥] بسنده عن أبي عبد الرحمن السُلمي

١- تاريخ بغداد ١٣: ٩٥.

٢- تاريخ دمشق ٤: ٣٧٥ ط دار الفكر.

٣- أخبار مكة ٤: ٩٦ ط دار خضر بيروت سنة ١٤١٤ هجـ.

٤- الاستيعاب ١: ٣٢٣ تحـ البجاوي.

٥- تاريخ دمشق ١٢: ٢٨٧.

قال: جمّعت ـ يعني صلّيت الجمعة ـ مع حذيفة بالمدائن فسمعته يقول: إنّ الله تعالى يقول: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ألا إن القمر قد انشق على عهد رسول الله ﷺ، ألا انّ الساعة قد اقتربت ... قال الملا علي القاري في شرح الشفاء ص٢ بهامش نسيم الرياض: ويؤيّده قراءة حذيفة :(وقد انشق القمر) ويقوّيه قوله ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً﴾ أي معجزة ﴿يُعْرِضُوا﴾ أي عن الإيمان بها ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ أي دائم لترادف الآيات وتتابع المعجزات .

٥- **عبد الله بن عباس**، وحديثه في صحيح البخاري، قال ابن حجر في فتح الباري[١]: ذكر عن ابن عباس أسماء الذين طلبوا من النبي ﷺ انشقاق القمر، ومَن هم الذين خاطبهم بقوله: اشهدوا، نقلاً عن دلائل النبوة لأبي نعيم من حديث ابن عباس ﷺ أنّ السائل الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاصي بن وائل، والعاصي بن هشام، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، وابنه زمعة، والنضر بن الحارث، وهم الذين قالوا سحرهم، والمخاطب بقوله: اشهدوا، أبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، وابن مسعود .

وذكر الطحاوي أيضاً حديث ابن عباس، ونختم الكلام بما قاله ابن عباس ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ قال: لو ظل المشركون يصعدون في تلك المعارج، وينظرون إلى ملكوت الله تعالى وقدرته وسلطانه، وإلى عبادة الملائكة الذين هم من خشيته مشفقون لشكّوا في تلك الرؤية، وبقوا مصرّين على كفرهم وجهلهم كما جحدوا سائر المعجزات من انشقاق القمر، وما خُصّ به النبي ﷺ من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والإنس أن يأتوا بمثله[٢] .

١- فتح الباري ٢: ٥٩ ط مصطفى البابي الحلبي بمصر .

٢- تفسير الفخر الرازي ١٩: ١٣٢ .

٦- **أنس بن مالك**، وحديثه أخرجه البخاري في باب انشقاق القمر في مناقب الأنصار، ومسلم أيضاً بعدة أسانيد عنه قال: إنّ أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين .

قال البيهقي في دلائل النبوة [١]: رواه البخاري في الصحيح عن عبد الله بن محمد، ورواه مسلم عن زهير بن حرب كلاهما عن يونس بن محمد، ثم ذكر له روايتين وقال: وكان يذكر هذا الحديث عند تفسير هذه الآية :﴿**اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**﴾ وقال: رواه البخاري عن يزيد بن زريع إلا أنه لم يذكر فيه ولا في حديث يونس بن محمد عن شيبان قوله (مرّتين) وقد حفظه عن قتادة هؤلاء الثلاثة، والله أعلم .

٧- **عبد الله بن عمر**، وحديثه أخرجه مسلم في باب انشقاق القمر في صفات المنافقين، بعدّة أسانيد عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عمر في قوله ﷻ: ﴿**اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**﴾ قال: وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلقتين، فلقة من دون الجبل وفلقة من خلف الجبل، فقال رسول الله ﷺ: اللّهمّ اشهد.

والآن إلى ما قاله المحدّثون:

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: وقد ورد انشقاق القمر أيضاً من حديث علي وحذيفة وجبير بن مطعم وابن عمر وغيرهم، فأما أنس وابن عباس فلم يحضرا ذلك، لأنّه كان بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين، وكان ابن عباس إذ ذاك لم يولد، وأما أنس فكان ابن أربع أو خمس بالمدينة، وأما غيرهما فيمكن أن يكون شاهد ذلك، وممّن صرّح برؤية ذلك ابن مسعود .

١- دلائل النبوة ٢: ٤١ . والحديث في مسند الشاميين للطبراني ٤/ ١٠ برقم ٥٨١ ط الرسالة بيروت وفيه: في قراءة حذيفة (قد انشق القمر).

وقال: وجدت في بعض طرق حديث ابن عباس بيان صورة السؤال، وهو وإن كان لم يدرك القصة، لكن في بعض طرقه ما يشعر بأنّه حمل الحديث عن ابن مسعود، فأخرج أبو نعيم في الدلائل من وجه ضعيف عن ابن عباس قال: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ منهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبي ﷺ: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين، فسأل ربّه فانشق، فقال: اشهدوا[1] .

وقال أيضاً: ذهب بعض أهل العلم من القدماء أنّ المراد بقوله: ﴿انشَقَّ الْقَمَرُ﴾ أي سينشق كما قال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ﴾ أي سيأتي . والنكتة في ذلك إرادة المبالغة في تحقق وقوع ذلك، فنزّل منزلة الواقع، والذي ذهب إليه الجمهور أصح، كما جزم به ابن مسعود وحذيفة وغيرهما، ويؤيّده قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ فإنّ ذلك ظاهر في أنّ المراد بقوله: ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ وقوع انشقاقه، لأنّ الكفّار لا يقولون ذلك يوم القيامة، وإذا تبيّن أنّ قولهم ذلك إنّما هو في الدنيا تبيّن وقوع الإنشقاق وأنّه المراد بالآية التي زعموا أنّها سحر أهـ[2].

قال ابن عبد البر: قد روى هذا الحديث جماعة كثيرة من الصحابة، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين، ثم نقله عنهم الجمّ الغفير إلى أن انتهى إلينا، ويؤيّد ذلك بالآية الكريمة، فلم يبق لاستبعاد من استبعد من عذر، وقد يطلع على قوم قبل طلوعه على آخرين، وأيضاً فإنّ زمن الإنشقاق لم يطل ولم تتوفّر الدواعي على الإعتناء بالنظر إليه، ومع ذلك فقد بعث أهل مكة إلى آفاق مكة يسألون عن ذلك، فجاءت السُّفار وأخبروا بأنّهم

١- تحفة الاحوذي ٦: ٤١٠ ط ٢ الفجالة بمصر سنة ١٣٨٥ هجـ.

٢- نفس المصدر: ٤١٢ .

عاينوا ذلك [١] .

وقال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنّه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس ممّا يطمع في الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر، وقد أنكر ذلك بعضهم، فقال: لو وقع ذلك لم يجز أن يخفى أمره على عوام الناس لأنّه أمرٌ صدر عن حسّ ومشاهدة، فالناس فيه شركاء، والدواعي متوفّرة على رؤية كل غريب، ونقل ما لم يعهد، فلو كان لذلك أصل لخلّد في كتب أهل التسيير والتنجيم، إذ لا يجوز إطباقهم على تركه، وإغفاله مع جلالة شأنه ووضوح أمره [٢] .

والجواب عن ذلك أنّ هذه القصّة خرجت عن بقية الأُمور التي ذكروها، لأنّه شيء طلبه خاص من الناس فوقع ليلاً، لأن القمر لا سلطان له بالنهار، ومن شأن الليل أن يكون أكثر الناس فيه نياماً ومستكنين بالأبنية، والبارز بالصحراء منهم إذا كان يقظان يحتمل أنّه كان في ذلك مشغولاً بما يلهيه من سَمَرٍ وغيره، ومن المستبعد أن يقصدوا إلى مراصد مركز القمر ناظرين إليه لا يغفلون عنه، فقد يجوز أنّه وقع ولم يشعر به أكثر الناس، وإنّما رآه من تصدّى لرؤيته ممّن اقترح وقوعه .

ولعلّ ذلك إنّما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر [٣] .

قال الصالحي في كتابه سبل الهدى والرشاد في الباب الثالث من أبواب معجزاته ﷺ في الجزء التاسع تنبيهات:

١- نفس المصدر: ٤١١ .

٢- نفس المصدر: ٤١١ .

٣- نفس المصدر: ٤١٢ .

الأول: لم ينشق القمر لأحد غير نبيّناﷺ.

الثاني: وقع في بعض الروايات عن أنس: فأراهم انشقاق القمر بمكة مرتين، رواه الإمام أحمد ومسلم، قال الحافظ ابن كثير: في ذلك نظر، والظاهر أنّه أراد فرقتين، وتكلّم ابن القيم على هذه الرواية فقال: المرات يراد بها الأفعال تارة والأعيان أُخرى، والأول أكثر، ومن الثاني انشق القمر مرتين، أي شقتين وفرقتين، وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين، وهذا ممّا يعلم أهل الحديث والسير أنّه غلط، لأنّه لم يقع إلّا مرة واحدة .

وقال البيهقي: قد حفظ ثلاثة من أصحاب قتادة وهم سعيد بن أبي عروبة، ومعمر بن راشد، وشعبة، لكن اختلف عن كل منهم في هذه اللفظة، ولم يختلف على شعبة وهو أحفظهم، ولم يقع في شيء من طرق حديث ابن مسعود بلفظ مرتين، إنّما فيه: (فرقتين) أو (فلقتين) بالراء أو باللام، كذا في حديث ابن عمر (فلقتين)، وفي حديث جبير بن مطعم (فرقتين) وفي لفظ عنه (فانشق باثنتين).

وفي رواية عن ابن عباس عن أبي نعيم في الدلائل: فصار (قمرين)، وفي لفظ (شقين)، وعند الطبراني من حديثه: (حتى رأوا شقين) .

أقول: ونقل عن السيد الشريف الجرجاني في شرح المواقف، وعن ابن السبكي في شرح المختصر: انّ الحديث متواتر لا يمتري في تواتره عند أهل السنة .

وقال الصالحي: ثم انّ ذلك أنّه وقع في الليل، وزمان الغفلة، وكان في زمان قليل، ورؤية القمر في بلد لا تستلزم رؤيته في جميع البلاد، ضرورة اختلاف المطالع، فقد يكون القمر طالعاً على قوم غائباً عن آخرين، ومكسوفاً عند قوم غير مكسوف عند آخرين،

والإعتناء بأمر الارصاد لم يكن بمثابته اليوم، وغفلة أهلها لحظة غير مستبعد، والإنشقاق لا تختلف به منازله، ولا يتغيّر به سيره، غاية ما في الباب أن يحدث في القطعة الشرقية قوة سير لتلحق أختها الغربية .

وأيّ مانع من أن يخلق الله تعالى فيها من السرعة نحو ما خلق الله سبحانه في ضوء الشمس، فقد قال أهل الحكمة الجديدة أنّ بين الأرض والشمس ثلثمائة ألف فرسخ وأربعين ألف فرسخ، وأنّ ضوءها ليصل إلى الأرض في مدّة ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية، فيقطع الضوء في كل ثانية سبعين ألف فرسخ، ولا يلزم أن يعلم سبب كل حادث، بل كثير من الحوادث المتكرّرة المشاهدة لم يوقف على أسبابها، كرؤية الكواكب قريبة مع بُعدها المفرط، فقد ذكروا أنّهم لم يقفوا على سببه، ويكفي في ذلك عدم وقوفهم على سبب الإبصار بالعين على الحقيقة، ولو أخبرهم مخبر بفرض إن لم يكن لهم أبصار بخواص البصر مع كونه قطعة شحم صغيرة معروفة أحوالها عند أهل التشريح، لأنكروا عليه غاية الإنكار، وكذّبوه غاية التكذيب ونسبوه إلى الجنون .

ومن سلم تأثير النفوس إلى حد أن يصرع الشخص بمجرد النظر إليه وتوجيه نَفسَه نحوه، لم يستبعد أن يكون هناك سبب نحو ذلك، وقد صحّ في إصابة العين أنّ بعض الأعراب ممّن له عين صائبة يفلق سنام الناقة فلقتين، وربما تصور له من رمل فينظر إليه ويغلفه، فينفلق سنامها مع عدم رؤيته لها نفسها، وهذا كله من باب المماشاة، وإلّا فإرادة الله تعالى كافية في الإنشقاق، وكذا في كل المعجزات وخوارق العادات.

ولو كان لكل حادث سبب لزم التسلسل، وقد قامت الأدلّة على بطلانه، وكون الخرق يوجب صوتاً هائلاً ممنوع فيما نحس فيه، ومثله التجاذب، والأجسام مختلفة من حيث الخواص، فلا يلزم اتحاد جرم القمر والأرض فيها، ويمكن أن يكون احدى

القطعتين كالجبل العظيم بالنسبة إلى الأرض إذا ارتفع عنها بفاس مثلاً جذبته إليه إذا لم يخرج عن حد جذبها على ما زعموه، ويلتزم في تلك القطعة عدم الخروج عن حد الجذب، على أنّا في غنى عن كل ذلك أيضاً بعد إثبات الإمكان لشمول قدرته ﷻ، وأنّه سبحانه فعّال لما يريد .

والحاصل أنّه ليس عند المنكر سوى الاستبعاد، ولا يستطيع أن يأتي بدليل على الاستحالة الذاتية ولو انشق، والاستبعاد في مثل هذه المقامات قريب من الجنون عند من له عقل سليم .

وروي عن الحسن أنّه قال هذا الإنشقاق بعد النفخة الثانية، والتعبير بالماضي لتحقق الوقوع، وروى ذلك عن عطاء أيضاً، ويؤيّد ما تقدّم الّذي عليه الأكثرون قراءة حذيفة (وقد انشق القمر) فإنّ الجملة عليها حالية فتقضى المقارنة لاقتراب الساعة ووقوع الإنشقاق قبل يوم القيامة، وكذا قوله: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ وإن يروا آية يعرضوا فإنّه يقتضي أنّ الإنشقاق آية رأوها وأعرضوا عنها .

وقد أجاب أبو اسحاق الزجاج في المعاني فقال: أنكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملّة انشقاق القمر، ولا إنكار للعقل فيه لأنّ القمر مخلوق له، يفعل فيه ما يشاء كما يكوّره يوم البعث ويفنيه، وأما قول بعضهم لو وقع لجاء متواتراً، واشترك أهل الأرض في معرفته، ولما اختص بها أهل مكة.

فجوابه: انّ ذلك وقع ليلاً وأكثر الناس نيام، وقلّ من راصد السماء إلّا النادر، وقد يقع بالمشاهدة في العادة، أي ينكسف القمر وتبدو الكواكب العظام وغير ذلك في الليل، ولا يشاهدها إلا الآحاد، فكذلك الإنشقاق كان آية وقعت في الليل لقوم سألوا واقترحوا

فلم يتأهب غيرهم لها .... .

وذكر الإمام الحليمي أنّ القمر انشق في عصره، وأنّه شاهد الهلال في الليلة الثالثة منشقاً نصفين، عرض كل واحد كعرض القمر ليلة أربع أو خمس، ثم اتصل فصار في شكل أترجه إلى أن غاب [١] .

أقول: ولابن قتيبة كلام في ردّه على النظام بعض مقالاته الفاسدة في طعنه على الخلفاء وبعض الصحابة، ومنها قوله في ابن مسعود حيث قال: وزعم أن القمر انشق وأنه رآه، وهذا من الكذب الّذي لا خفاء به، لأنّ الله تعالى لا يشق القمر له وحده، ولا لآخر معه، وإنّما يشقّه ليكون آية للعالمين، وحجة للمرسلين، ومزجرة للعباد، وبرهاناً في جميع البلاد، فكيف لم تعرف بذلك العامة، ولم يؤرخ الناس بذلك العام، ولم يذكره شاعر، ولم يسلم عنده كافر، ولم يحتج به مسلم على ملحد .... .

فقال ابن قتيبة في رده: ثم طعنه على عبد الله بن مسعود ﷺ بقوله إنّ القمر انشق وأنّه رأى ذلك، ثم نسبه فيه إلى الكذب، وهذا ليس بإكذاب لابن مسعود، ولكنه بخس لعلم النبوة، وإكذاب للقرآن العظيم، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ فإن كان القمر لم ينشق في ذلك الوقت وكان مراده سينشق فيما بعد، فما معنى قوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ بعقب هذا الكلام.

أليس فيه دليل على أنّ قوماً رأوه منشقاً فقالوا: هذا سحر مستمر من سحره وحيلة من حيله، كما قد كانوا يقولون في غير ذلك من أعلامه ؟ وكيف صارت الآية من آيات النبي ﷺ والعَلَم من أعلامه، لا يجوز عنده أن يراها الواحد والإثنان والنفر دون الجميع ؟

---

١ - سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ٩: ٤٣١ ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٤ هـ .

أوليس قد يجوز أن يخبر الواحد والإثنان والنفر والجميع، كما أخبر مكلّم الذئب بأنّ ذئباً كلّمه[١]، وأخبر آخر أنّ بعيراً شكا إليه[٢]، وأخبر آخر أنّ مقبوراً لفظته الأرض[٣] ؟

وقد عقد السيوطي في كتابه الخصائص الكبرى[٤] باباً خاصاً في ذلك وسمّاه: (باب انشقاق القمر) وذكر فيه عدّة أحاديث نقلاً عن الشيخين في الصحيحين والبيهقي وغيرهم، رواها ابن مسعود وابن عباس وابن عمرو جبير بن مطعم وأنس، وهؤلاء الصحابة فيهم من حضر وشاهد فروى ما قد رأى كابن مسعود وجبير بن مطعم، ومنهم من لم يشاهد إلّا أنّه روى عمّن رأى كابن عباس وابن عمر وأنس، وحديث أنس أخرجه الشيخان فقال: إنّ أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين، وهذا حديث متفق عليه عند من يحتج بالصحيحين .

كما أنّ حديث ابن مسعود المروي في الصحيحين أيضاً قال: انشق القمر بمكة على عهد رسول الله ﷺ شقتين، فقال رسول الله ﷺ: (إشهدوا) ففي حديث أنس أنّ أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم، وفي حديث ابن مسعود ما يصدّقه حيث جاء في آخره فقال رسول الله ﷺ: (إشهدوا) فإذا لم يكن ثمّة طلب، ولم يكن ثمة تحدّ، على ماذا قال ﷺ: (إشهدوا) ويؤيّد ذلك أيضاً ما قاله السيوطي بعد ذكره أحاديث الصحابة في ذلك فقال:

قال العلماء: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنّه

١- الخصائص الكبرى للسيوطي ٢: ٢٦٧ .

٢- المصدر نفسه ٢: ٢٥٧ .

٣- المصدر نفسه ٢: ٣١٢ .

٤- المصدر نفسه ١: ٣١٢ - ٣١٣ .

ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما في هذا العالم المركّب من الطبائع، فليس ممّا يطمع في الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر .

المحور الثالث : ماذا عند المتكلّمين ؟

لا أطيل التطواف مع مقالاتهم ولكل وجهة هو مولّيها، ولكنني أكتفي بذكر نماذج من المعتزلة، وآخرين من الأشاعرة، ثم من الإمامية الاثني عشرية .

فمن المعتزلة نقرأ ما كتبه القاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه تثبيت دلائل النبوة[1] قال: باب آخر: وهو ما كان بمكة من انشقاق القمر فإنّ رسول الله ﷺ مرّ بمكة في ليلة قمراء ومعه نفر من أصحابه، فاجتاز بنفر من المشركين، فقالوا له: يا محمد إن كنت رسول الله كما تزعم فاسأل ربّك أن يشق هذا القمر، فسأل الله ذلك فشقّه، فقال المشركون: ساحروا بصاحبكم من شئتم فقد سرى سحره من الأرض إلى السماء، فنزلت القصة في ذلك، وهذا من الآيات العظام والبراهين الكرام على صدقه ونبوته ﷺ.

فإن قيل: ومن أين لكم أنّ القمر قد انشقّ له كما ادّعيتم ؟ أتعلمون ذلك ضرورة أم بدلالة ؟ أوليس النظّام[2] قد شك في هذا وقال: لو كان قد انشقّ لعلم بذلك أهل الغرب والشرق لمشاهدتهم له ؟ وهذا شيء سيكون عند قيام الساعة ومن أشراط القيامة، فبأيّ شيء تردّون قوله وتبيّنون غلطه إن كان قد غلط ؟

قيل له: ما نعلم ذلك ضرورة ولكن نعلمه بدلالة، فمن استدلّ عرف، ومن لم يستدلّ لم يعرف، ومن قصر عن الاستدلال والنظر غلط كما غلط إبراهيم النظّام .

١- تثبيت دلائل النبوة: ٥٥ تحـ الدكتور عبد الكريم عثمان ط دار العربية بيروت سنة ١٣٨٦ هـ .

٢- هو إبراهيم بن سيّار النظّام أحد شيوخ المعتزلة المشهورين، انفرد بآراء خاصة وله أتباع عرفوا بالفرقة النظامية توفي سنة ٢٣٢ .

فوجه الدلالة على ذلك أنّ رسول الله ﷺ قد احتج بذلك على المسلمين والمشركين، وتلا هذا القول عليهم من سورة القمر: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ ولم يكن ليقدم ويحتج على العدو والوليّ بما لا حاجة فيه، ويشير إلى أمر ظاهر يُشار إليه ويشاهده الناس، فلو أراد أن يكذّب ويردّ قوله ما زاد على هذا، وهذا لا يقع من عاقل ولا يختاره محصّل كائناً مَن كان، فكيف يقع ممّن يدّعي النبوة والصدق، وهو أشد حرصاً بالناس كلهم على تصديقه واتباعه؟ فلو أراد أن يكذبوه ويردوا قوله ما زاد على هذا، وهذا لا يذهب على متأمّل .

فإن قيل: فما تنكرون على من قال: إنّه ﷺ ما احتج بهذا على نبوّته ؟ قيل له: لا فرق (بين) من ادّعى ذلك أو ادّعى في جميع ما أتى به من القرآن وغيره أنه ما احتج بشيء من ذلك على صدقه ونبوته .

وممّا يزيدك علماً بذلك، ويبيّن لك غلط النظّام وجهل كل من ذبّ عن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ فانظر كيف قال: اقتربت الساعة، وأخبر عن أمر قد كان ومضى، ثم قال على نسق الكلام: ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ فجاء بأمر قد كان وانقضى فنسق على الماضي بالماضي، ولو كان على ما ظنّ النظّام لقال: اقتربت الساعة وانشقاق القمر، أو كان يقول: وسينشقّ القمر، فلما لم يقل ذلك وقال: وَانشَقَّ الْقَمَرُ، علمت أنّه أخبر عن شيئين واقعين قد وقعا وكانا وحصلا.

ثم قال على نسق الكلام: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ فأخبر أنّها آية مرئية وحجة ثابتة، ثم قال على نسق الكلام: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ وهذا لا يقال فيما لم يقع ولم يكن، فتأمل هذا التقريع والتعنيف لتعلم أنّه أمر قد كان، ولا يسوغ أن يقال في أمر لم يكن ولم يقع هذا القول .

وأيضاً فإنّ ما يقع في القيامة وعند قيام الساعة لا يكون حجة على المكلّفين، ولا يعنّفون في ترك النظر والتأمّل له، فإنّ التكليف حينئذٍ زائل مرتفع.

فأما قول النظّام: فلِمَ لا يشاهد هذه الآية كل الناس، فليس هذا بلازم، لأنّ الناس لم يكونوا من هذا على ميعاد، وإنّما هو شيء حدث ليلاً وما كان عندهم خبر بأنّه سيحدث وسيكون في وقت كذا فينظرونه، وإذا كان كذلك فقد بطل ما قد ظنّه، يزيدك بياناً أنّ القمر قد ينكسف كله، فلا يرى ذلك من الناس إلّا الواحد بعد الواحد النفر اليسير لنومهم، فكيف بانشقاق القمر الّذي انشقّ ثم التأم من ساعته بعد أن رآه أولئك القوم الذين طلبوه.

وأيضاً فقد يجوز أن يحجبه الله ﷻ لمصالح العباد إلّا عن أولئك القوم، لأنّه قد يجوز أنّ في بعض البلاد من المكذّبين والمحتالين في تلك الساعة من لو رأى ذلك لقال: إنّما انشق شهادة لي على صدقي، ولا يكون ما ذكره النظّام قد جاء في ذلك من هذا الوجه أيضاً وبطل ما توهّمه.

ومدار الأمر أن يكون هذا أمراً قد كان، وقد ذكرنا الدلالة على كونه فلا عذر لمن شك فيه، ومن الدلالة أيضاً أنّ ذلك قد كان، انّ الصحابة بعد رسول الله ﷺ قد تذاكروه، فما فيهم من شك ولا ارتاب ولا توقّف، بل وقع إجماع منهم على كونه ووقوعه، فلا معتبر بمن جاء بعدهم ممّن خالفهم.

وقد ذكر انشقاق القمر علي بن أبي طالب، وع د الله بن مسعود، وجبير بن مطعم، وابن عمر، وابن عباس، وأنس بن مالك، وخطب الناس مدينة [1] بن مالك بالمدائن وذكر فيه انشقاق القمر، وكانوا يقولون: خمس قد مضين: الروم والقمر والدخان والبطشة

١- هكذا المطبوع في المصدر، ولم ينبه المحقق على الوهم في ذلك والصواب هو حذيفة بن اليمان وهو الّذي كان يقرأ في المدائن ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ .

واللزام [١] يتذاكرون هذا بينهم رحمة الله عليهم.

وقد ذكرنا ما في العقل من الحجة في ذلك، وهي تلزم كل عاقل بلغته الدعوة، سواء كان من المسلمين أو من غيرهم، وفي ذلك أتمّ كفاية، ثم ذكرنا تذاكر الصحابة بذلك وهي دلالة أُخرى إذ لا يجوز أن يقول عاقل بحضرة جماعة، وقد أقبل على من يحدّثه قد كنّا في وقت كذا حتى حدث كذا وكذا ـ وهو يستشهد بالذي حدث بحضرتهم ويدعي عليهم وما عندهم علم ـ فيمسكون عن تكذيبه والردّ عليه، ثم ذكرنا الإجماع السابق من الصحابة ليتأكد ذلك على كل من كان من أهل الصلاة [٢] .

وقال أيضاً القاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه تنزيه القرآن عن المطاعن [٣]:

مسألة: وربما قيل كيف يصح قوله: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ولو كان انشق القمر على الحقيقة لنقل ذلك نقلاً ظاهراً . . . .

لكن الصحيح ما قاله مشايخنا من أنّه في أيام رسول الله ﷺ انشق القمر وهو ظاهر القرآن، فإذا كان قد انشق بالمدينة أو بمكة وفي سائر الأماكن غيوم تحجب عن رؤية ذلك، وكان أهل ذلك البلد في غفلة عنه إلا طبقة مخصوصة، فليس من الواجب نقل ذلك بالتواتر، بل يجوز أن ينقله الآحاد، وقد نقل ابن مسعود وغيره هذا .

١- يقصد بالروم غلبة الفرس على الروم، وما تنبأ به القرآن من غلبة الروم بعد ذلك في سورة الروم، وبالقمر حادثة انشقاق القمر الّذي ورد في القرآن في سورة القمر .

وبالدخان فما ورد حوله في سورة الدخان .

وبالبطشة فيقصد بها وقعة بدر لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ .

وباللزام: فقد قيل أن المقصود بها وقعة بدر أيضاً كما ذكر ذلك ابن الأثير في النهاية ٤ : ٥٦ .

٢- تثبيت دلائل النبوة: ٥٥ – ٥٩ .

٣- تنزيه القرآن عن المطاعن: ٣٣٦ ط الجمالية بمصر سنة ١٣٢٩ هـ .

كما نقل ردّ الشمس في أيام الرسول ﷺ فلم يجب في نقله الظهور، لأنّ ذلك ظهر آخر النهار لقوم مخصوصين .... .

ومن الأشاعرة: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩، قال في كتابه أُصول الدين[1]: إنّ معجزات نبينا ﷺ في الأعداد كثيرة الأمداد... ومنها انشقاق القمر بدعوته، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾، ولو لم يقع ذلك لقال له أعداؤه متى كان هذا ؟، وهذه معجزة سماوية، وكانت معجزات من قبله أرضية .... .

ومن الأشاعرة أيضاً العضد الآيجي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ قال في المواقف كما في شرحها للسيد الشريف الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦[2] قال:

الكلام في سائر المعجزات أي ما سوى القرآن وهي أنواع: الأول: انشقاق القمر على ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ . وهذا متواتر قد رواه جمع كثير من الصحابة كابن مسعود وغيره، قالوا: قد انشق القمر شقين متباعدين بحيث كان الجبل بينهما، وكان ذلك في مقام التحدّي فيكون معجزة .

وقال السيالكوتي في حاشيته على ذلك قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ روي أنّ الكفار سألوا من رسول الله ﷺ آية فانشق القمر، وقيل معناه ينشق يوم القيامة، فعبّر عن المستقبل بالماضي لتحقّق وقوعه، ويؤيّد الأول أنه قرئ: وقد انشق القمر، أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر .

وأيضاً منهم السيد الشريف الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ في كتابه شرح المواقف

---

١ - أُصول الدين: ١٨٢ ط استانبول سنة ١٣٤٦ هـ .

٢ - شرح المواقف ٨: ٢٨٠ – ٢٨١ ط افست دار الكتب العلمية بيروت.

للقاضي العضد الآيجي ت ٧٥٦[1] قال: الكلام في سائر المعجزات أي سوى القرآن وهي أنواع: الأول: انشقاق القمر على ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ وهذا متواتر قد رواه جمع كثير من الصحابة كابن مسعود وغيره قالوا: قد انشق القمر شقين متباعدين بحيث كان الجبل بينهما، وكان ذلك في مقام التحدي فيكون معجزة .

ومن الإمامية الاثني عشرية: العلّامة الحلي المتوفى سنة ٧٦٢ هـ قال في كتابه كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للمحقق الخواجة نصير الدين الطوسي[2] قال:

المسألة الرابعة: في الطريق إلى معرفة صدق النبيﷺ (قال) المحقق: (وطريق معرفة صدقه ظهور المعجزة على يده، وهو ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد، مع خرق العادة ومطابقة الدعوى .

أقول: لما ذكر صفات النبيﷺ وجب عليه ذكر بيان معرفته، وهو شيء واحد هو ظهور المعجزة على يده، ونعني بالمعجزة ثبوت ما ليس بمعتاد، أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى، لأنّ الثبوت والنفي سواء في الإعجاز، فإنّه لا فرق بين قلب العصا حية، وبين منع القادر عن رفع أضعف الأشياء، وشرطنا خرق العادة، لأنّ فعل المعتاد أو نفيه لا يدلّ على الصدق.

وقلنا مع مطابقة الدعوى، لأنّ من يدّعي النبوة ويسند معجزته إلى ابراء الأعمى، فيحصل له الصمم مع عدم برء الأعمى لا يكون صادقاً ـ ثم ذكر شروط المعجزة وقد سبق منّا ذكرها نقلاً عنه في جواب (المسألة الأُولى) من الفصل الأول فراجع ـ إلى أن قال في شرح قول المحقق الطوسي: (وظهوره معجزة القرآن وغيره مع اقتران دعوة نبينا

١- شرح المواقف ٨: ٢٨٠ ط دار الكتب العلمية بيروت.

٢- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٢٢١ – ٢٢٢ مط الحكمة بقم.

محمدﷺ يدلّ على نبوته، والتحدّي مع الاقتناع وتوفّر الدواعي يدلّ على الإعجاز، والمنقول معناه متواتر من المعجزات يعضده .

أقول: لما فرغ من البحث في النبوة مطلقاً، شرع في إثبات نبوة نبينا محمد عليه وآله الصلاة والسلام، والدليل عليه أنّه ظهرت المعجزة على يده وادّعى النبوة فيكون صادقاً، إما ظهور المعجزة على يده فلوجهين الأول: أنّ القرآن معجزة ... . الثاني: أنّه نقل عنه معجزات كثيرة كنبوع الماء من بين أصابعهﷺ حتى اكتفى الخلق الكثير من الماء القليل بعد رجوعه من غزوة تبوك... وانشق له القمر... .

وقال السيد عميد الدين الحسيني العبيدلي ت ٧٥٤ في اشراق اللاهوت في نقد شرح الياقوت[1]: (وقد يستدلّ بغير ذلك) ـ أي بغير القرآن ـ (على نبوته ﷺ من ظهور الآيات كانشقاق القمر، ونبوع الماء من بين أصابعه، وتسبيح الحصى في كفّه، وحنين الجذع، وغير ذلك من المعجزات المشهورة، فإنّها وإن كانت منقولة بالآحاد) إلّا أنّها لـمّا اشتركت في معنى واحد، وهو الإعجاز وخرق العادة صار المعنى المشترك متواتراً.

إفحام الخصوم:

قال ابن التلمساني في شرح الشفا: ذكر بعضهم انّ الإمام العالم الأعرف أبا بكر بن الطيب، لما وجّهه صاحب الدولة سفيراً إلى ملك الروم ليظهر به رفعة الإسلام وبغض النصرانية، وجرت في تلك الوجهة القسطنطينية بينه وبين ملكها مع بطارقته ونبلاء ملته مناظرات ومحاورات . منها: أنّ الملك قال له: هذا الّذي تدّعونه في معجزات نبيكم من انشقاق القمر كيف هو عندكم .

قال: هو صحيح عندنا انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رآه الناس، وإنّما

---

١ - اشراق اللاهوت في نقد شرح الياقوت: ٤٣٩ ط ايران.

رآه من الحضور من اتفق نظره إليه في تلك الحال .

فقال الملك: كيف لم يره جميع الناس ؟

قال: الناس لم يكونوا على أهبة ووعد لحضوره .

قال: وهذا القمر بينكم وبينه قرابة، لأي شيء لم يعرفه الروم وغيرهم من سائر الناس، وإنّما رأيتموه أنتم خاصة ؟

قال: فهذه المائدة بينكم وبينها نسب، وأنتم رأيتموها دون اليهود والمجوس والبراهمة وأهل الإلحاد، واليونان جيرانكم، فإنّهم كلهم منكرون لهذا الشأن ؟

فتحيّر الملك وقال في كلامه سبحان الله، وأمر بإحضار فلان القسّيس ليكلّمني وقال: نحن لا نطيقه فلم أشعر إذ جاؤوا بالرجل كالدبّ أشقر الشعر فقعد، وحُكيت له المسألة، فقال: الّذي قال المسلم لازم، لا أعرف له جواباً إلّا ما ذكره .

فقلت له: إنّ الكسوف إذا كان، يراه جميع أهل الأرض؟ أم يراه أهل الأقليم الّذي في محاذاته؟

فقال: لا يراه إلّا من كان في محاذاته .

قلت: فما أنكرت من انشقاق القمر كذلك إذا كان في ناحية لا يراه إلّا أهل تلك الناحية ومن تأهّب للنظر، وأما من أعرض أو كان في الأمكنة التي لا يُرى القمر فيها فلا يراه .

فقال: هو كما قلت، لا يدفعك عنه دافع، وإنّما الكلام في الرواة الذين نقلوا.

قلت: فأما الطعن في هذا فليس بصحيح .

فقال الملك: وكيف يطعن في النقلة ؟

فقال النصراني: شبه هذا من الآيات إذا صحّ وجب أن ينقله الجمّ الغفير حتى يتصل بنا العلم به، ولو كان كذلك لوقع لنا العلم الضروري به، فلما لم يقع دلّ على أنّه أكبر مفتعل باطل.

فالتفت الملك إليّ وقال: الجواب ؟

فقلت: يلزمه في نزول الملائكة بالمائدة ما لزمني في انشقاق القمر، ويقال له: لو كان نزول المائدة صحيحاً لوجب أن ينقله العدد الكثير، فلا يبقى يهودي ولا نصراني إلا ويعلم هذا بالضرورة، ولما لم يعلموا ذلك بالضرورة دلّ أنّ الخبر كذب.

فبهت النصراني والملك ومن ضمّه المجلس، وانفصل الوطن على هذا[1].

المحور الرابع: مع المؤرّخين:

إنّ البحث عمّا عند المؤرّخين لابدّ أن يكون عند الذين كتبوا في السيرة النبوية صلى الله تعالى وسلم على صاحبها وآله آلاف التحية، ولما كانت معجزاته كثيرة ولا يمكن حصرها كما قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات[2].

«وأما المعجزات غيره ـ يعني القرآن ـ فلا يمكن حصرها أبداً، لأنّها كثيرة جداً ومتجددة متزايدة، ولكن أذكر منها أمثلة كانشقاق القمر...».

ولما كان كلامنا في خصوص انشقاق القمر، فنذكر بعض ما قيل في ذلك عند المؤرّخين، ولما كان منهم من كان مجمع عدة عناوين فهو مؤرخ سيرة، وهو مفسّر، وهو محدّث كابن كثير مثلاً، فقد ذكر انشقاق القمر في جملة من كتبه، ففي تفسيره سورة القمر، وقد أطال الكلام واختصره في سيرته كما يلي، ونحن عنه أيضاً باختصار نكتفي به:

١ - ذكر ابن كثير في سيرته[3] وعقد فصلاً قال فيه: فصل في انشقاق القمر في زمان النبي ﷺ، وجعل الله له آية على صدق رسول الله ﷺ فيما جاء به من الهدى ودين الحق،

١- التراتيب الإدارية للكتاني ١: ١٨٨ - ١٩٠ ط افست دار احياء التراث العربي بيروت.

٢- تهذيب الأسماء واللغات ١: ٥٨.

٣- السيرة النبوية ٢: ١١٢ ط القاهرة سنة ١٣٨٤ هـ.

حيث كان ذلك وقت اشارته الكريمة، قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾.

وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعدّدة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها، ونحن نذكر من ذلك ما تيسّر إن شاء وبه الثقة وعليه التكلان، وقد تقصّينا ذلك في كتابنا التفسير، فذكرنا الطرق والألفاظ محرّرة، ونحن نشير هاهنا إلى أطراف من طرقها، ونعزوها إلى الكتب المشهورة بحول الله وقوته، وذلك مروي عن أنس بن مالك، وجبير بن مطعم، وحذيفة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود (رضي الله عنهم أجمعين).

ثم ذكر أحاديث الصحابة ومخرّجها إلى أن قال في ص١٢١: والقمر حين انشق لم يزايل السماء، غير أنّه حين أشار إليه النبي ﷺ انشق عن اشارته فصار فرقتين، فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء، ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه، كما أخبر بذلك ابن مسعود أنّه شاهد ذلك.

وقال في تحفة الطالب[1]: اما انشقاقه من حيث الجملة فمعلوم بالتواتر، قال الله سبحانه وتعالى[2]: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ وأما اختصاصه بزمان رسول الله ﷺ، فقد جاء فيه أحاديث متعددة في الصحيحين من حديث ابن مسعود وابن عباس... .

٢- وقال القاضي عياض في الشفا بعد ما ذكر أنّ كثيراً من الآيات المأثورة عنه ﷺ

١- تحفة الطالب ١: ١٧٨ ط مكة المكرمة سنة ١٤٠٦ تحـ الكبيسي.

٢- زاد المسير ٧: ٢٩٠.

معلومة بالقطع ما نصه: أما انشقاق القمر فالقرآن نصّ بوقوعه وأخبر بوجوده، ولا يعدل عن ظاهر إلا بدليل، وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة، فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل عرى الدين، ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك في قلوب الضعفاء المؤمنين، بل نرغم بهذا أنفه، وننبذ بالعراء سخفه .

٣- ومنهم ـ مجمع العناوين ـ ابن الجوزي فقد قال في زاد المسير في تفسير السورة: وهي مكية بإجماعهم ... قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت صادقاً فشقّ لنا القمر فرقتين، فقال لهم رسول الله ﷺ: إن فعلت تؤمنون؟ قالوا: نعم، فسأل رسول الله ﷺ ربّه أن يعطيه ما قالوا، فانشق القمر فرقتين ورسول الله ﷺ ينادي (يا فلان يا فلان اشهدوا) وذلك بمكة قبل الهجرة.

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقين، فقال رسول الله ﷺ: (اشهدوا).

وقد روى حديث الإنشقاق جماعة، منهم عبد الله بن عمر، وحذيفة، وجبير بن مطعم، وابن عباس، وأنس بن مالك، وعلى هذا جميع المفسّرين، إلّا أن قوماً شذّوا فقالوا: سينشق يوم القيامة، وقد روى عثمان بن عطاء عن أبيه نحو ذلك . وهذا القول الشاذ لا يقاوم الإجماع، ولأنّ قوله (انشق) لفظ ماض، وحمل لفظ الماضي على المستقبل يفتقر إلى قرينة تنقله ودليل، وليس ذلك موجوداً، وفي قوله: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا ﴾ دليل على أنّه قد كان ذلك ... .

وقال ابن زيد: لما انشق القمر كان يرى نصفه على قيقعان، والنصف الآخر على أبي قبيس، قال ابن مسعود: لما انشقّ القمر قالت قريش: سحركم ابن أبي كبشة فاسألوا السُفّار، فسألوهم فقالوا: نعم قد رأيناه، فأنزل الله ﷻ: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً ﴾ أيّ آية تدلّهم على صدق الرسول، والمراد بها هاهنا: انشقاق القمر، ويعرضوا عن التصديق ﴿ وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾.... .

٤- وقال ابن عبد البر: روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين، ثم نقله عنهم الجمّ الغفير إلى أن انتهى إلينا، وتأيد بالآية الكريمة .

وقال المناوي في شرحه لألفية السير للعراقي: تواترت بانشقاق القمر الأحاديث الحسان، كما حققه التاج السبكي وغيره، وفي نظم السيرة لأبي الفضل العراقي بانشقاق القمر الأحاديث الحسان، كما حققه التاج السبكي وغيره .

٥- وقال برهان الدين الحلبي[1]: وممّا سألوه ﷺ من الآيات غير المعيّنات على ما رواه الشيخان، أو معيّنة كما في رواية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وسيأتي ما يُعلم منه أنّهم سألوه ﷺ أو لا آية غير معيّنة ثم عيّنوها فلا مخالفة، ثم ساق رواية ابن عباس التي ذكر فيها أسماء الذين طلبوا الآية، ودعاء الرسول ﷺ ربّه انشقاق القمر، فاستجاب له ربّه فانشق القمر فرقتين نصفاً على أبي قيس ونصفاً على قيقعان... .

وقال في ص٣٠٦ فجاء السُفار وقد قدموا من كل وجه فأخبروهم أنّهم رأوه منشقاً، فعند ذلك قالوا هذا سحر مستمر، أي مطرّد ... فأنزل الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾... وهذا الكلام كما لا يخفى يدلّ على أنّه لم يختصّ برؤية القمر منشقاً أهل مكة، بل جميع أهل الآفاق، وبه يردّ قول بعض الملاحدة: لو وقع انشقاق القمر لاشترك أهل الأرض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة .

ولا يحسن الجواب عنه بأنّه طلبه جماعة خاصة فاختصت رؤيته بمن اقترح وقوعه، ولا بأنّه قد يكون القمر حينئذٍ في بعض المنازل التي تظهر لبعض الآفاق دون بعض، ولا

١- السيرة الحلبية ١:٣٠٥ ط البهية بمصر سنة ١٣٢٠ هـ .

يقول بعضهم أنّ انشقاق القمر آية ليلية جرى مع طائفة في جنح ليلة ومعظم الناس ينام، وفي فتح الباري: حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلاً مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث، ثم ذكر في ص٣٠٧ خبر رتن الهندي نقلاً عن الإصابة، ثم عقب عليه بتكذيب السيوطي له .

وقال البرهان الحلبي أيضاً : وفي السنة التاسعة من النبوة كان انشقاق القمر له ﷺ[1].

وأخيراً نختم الكلام عمّا ذكره بعض المؤرخين بما قاله الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة ٩٤٢ في كتابه سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد[2].

في سؤال قريش ـ رسول الله ﷺ ـ أن يُرِيَهُم آيةً فأراهم آية انشقاق القمر:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ** ﴾[3] أي وقَع انشقاقُه ويؤيّده قول الله ـ تعالى ـ بعد ذلك بآية: ﴿ **يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ** ﴾[4]؛ فإنّ ذلك ظاهر في أنّ المراد وقوعُ انشقاقه ؛ لأَنَّ الكفّار لا يقُولون ذلك يَوْم القيامة، وإذا تبيَّن أَنَّ قَوْلَهُم ذلك إنّما هو في الدُّنيا يتبيَّن وقوع الإنشقاق، وأنّه المراد بالآية التي زعموا أنّها سِحْرٌ .

وفي صحيح البَخاريِّ عَنْ عَبْد الله بن مَسْعُود، وكان يقول: خمْسٌ قد مضين: الروم، واللزوم، والبطشة، والدُّخَان، والقَمر، وقد وَرَدتْ قِصَّةُ انشقاق القمر من حديث ابن مسعود، رواه الإمام أحمد، والشيخان، والبيهقي، وأبو نُعيم من طرق عن ابن عُمَر، ورواه الشيخان والبيهقي عن جُبَيْر بن مُطْعم، ورواه الإمام أحمد والترمذي وابن جرير والحاكم

١- السيرة الحلبية ٣: ٣٦٧.

٢- سبل الهدى والرشاد ٩: ٤٣٠ – ٤٣٣ ط ١ دار الكتب العلمية بيروت.

٣- القمر: ١.

٤- القمر: ٢.

والبيهقي عن حذيفة بن اليمان، ورواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابـن جريـر وأبـو نعـيم ببعض هذه القصة عن ابن عباس، ورواه الإمام أحمد والشيخان وابن جرير وأبو نعيم مـن طرق عن أنس بن مالك، ورواه الإمام أحمد والشيخان وأبو نعيم من طرق متقاربـة المعنـى أدخلت بعضها في بعض عن أهل مكة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما ـ كما عنْد أبي نُعيم ـ: اجتمع المشركون على عهد رسول الله ﷺ مـنهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاصي ابن وائل والأسْود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والنضر بن الحرث ونظراؤهم، فسألوا رسول الله ﷺ أن يُرِيَهُمْ آيَةً، وقَالـُوا: إنْ كُنْت صَادِقاً فـَشَقَّ لـَنَا القـَمر فرْقـتـَين نِصْفاً على أبي قـُبَيْس ونصْفاً على قعيقعان وفي لفظ: حتى رَاوَحوا من بينهما قـَدْرَ ما بين العَـصْر إلى اللَّيْـل، فقـال رسـول الله ﷺ: (اشْـهَدُوا)، فنظر الكُفـَّار ثم مالوا بأبْصارهم فمسحوها ثم أعَادوا النـَّظر فنظروا ثم مَسَحوا أعْيُنهم ثم نَظـَروا فقالوا: سَحَر محمدٌ أعيننا، فقال بعضُهم لبَعْضٍ: لـَئن كان سَحَرَنا فإنـّه لا يـستطيع أنْ يَسْحَرَ النـَّاس كُلـَّهم، فانظروا إلى السُّفـَّار، فإنْ أخبروكم أنـَّهم رأَوْا مثْل ما رأيتم فقـد صَدَق، فكانوا يَلـْتَقـُون الرَّكْب فيخبرونهم أَنَّهم رَأَوْا مثْـل مـا رأَوْا فيكذبونــَهم، فَأَنــْزَلَ الله ﷻ: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾.

تنبيهات:

الأول: لم ينشقَّ القمر لأَحَدٍ غير نبيِّنا ﷺ.

الثاني: وقع في بعض الروايات عن أنس: فأراهم انـشقاق القمـر بمكـة مَرَّتـَيْن رواه الإمام أحمد ومسلم.

قال الحافظ ابن كثير: في ذلك نـَظـَرٌ، والظَّاهِرُ أنَّه أراد فرقتين، وتكلّم ابن القيم على هـذه الرُّوَاية فقال: المرات يراد بها الأفعال تارةً والأَعيان أُخْرى، والأوَّل أَكْثر ومن الثـَّاني (انـْشَقَّ

القَمَرُ مَرَّتَيْن) أي شقَّتين وفِرْقتَيْن، وقد خَفِيَ على بعْض النَّاس فادَّعَى أَنَّ انشِقاق القمر وقع مَرَّتَيْن، وهذا مما يَعْلَمُ أهْلُ الحديث والسَّير أنّه غَلَطٌ، لأنّه لم يقعْ إلاَّ مَرَّةً واحدةً.

وقال البيهقي: قدْ حفظ ثلاثة مِنْ أصْحاب قتادة: وهم سعيد بن أبي عَرُوبَة، ومعمر بن راشد، وشعبة، لكن اختلف عن كُلِّ مِنْهُم في هذه اللَّفْظَةِ، ولم يختلف على شعبة وهو أحفظهم، ولم يقعْ في شيء منْ طُرُق حديث ابن مسعود بلفظ مرتين، إنَّما فيه (فِرْقتين أو فَلْقَتَيْن) بالراء أو اللام، وكذا في حديث ابن عمر (فَلْقَتَيْن) وفي حديث جُبَيْر بن مُطْعم (فِرْقَتَيْن) وفي لفظ عَنْهُ (فانشقَّ باثْنَتَيْن) وفي رواية عن ابن عبَّاس عند أبي نُعَيْم في الدَّلائل (فَصَارَ قَمَرَيْن) وفي لفظ: (شَقَّتَيْن) وعنْد الطبراني من حديثه (حتَّى رَأَوْا شَقَّيْن) قال: ووقع في النَّظْم لشيخنا الحافظ أبي الفضل: وانْشَقَّ مرَّتَيْن بالإجْمَاع.

ولا أعرف من جزم من علماء الحديث بتعدد الإنشقاق في زمنه ﷺ، ولم يتعرّض لذلك أحد من شُرّاح الصحيحين، ثم ذكر كلام ابن القيم وابن كثير قال: وهذا لا يتجه غيره جمعاً بين الروايات، قال: ثم راجعت نظم شيخنا فوجدته يحتمل التأويل المذكور ولفظه:

فَصَارَ فرقتين فرقة علت ... وفرقة للطود منهُ نزلت

وذاك مرّتين بالإجماع ... والنص والتواتر السَّماع

فجمع بين قوله: (فرقتين) وبين قوله: (مرتين) فيمكن أن يتعلّق قوله بالإجماع باصل الإنشقاق لا بالتعدّد، ووقع في بعض الروايات عن ابن مسعود: (وانشَقَّ القَمَر ونحن مع رسول الله ﷺ بمنى جزأين) وهذا لا يعارض قول أنس أنّه كان بمكة، لأنّه لم يصرّح بأنّ النبي ﷺ كان ليلته بمكة، وعلى تقدير تصريحه فمنى من جملة مكة فلا تعارض، وقد وقع عند الطبراني من طريق زر بن حبيش عن ابن مسعود ﷺ قال: (فرأيته فرقتين).

قال الحافظ: وإنّما قال انشق القمر بمكة يعني أنّ الإنشقاق كان وهم بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة، وقول ابن مسعود(:انشق القمر نصفاً على جبل أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان) .

قال الحافظ: وهو محمول على ما ذكرت، وكذا ما وقع في غير هذه الرُّواية، ومثله روايته عن عبد الله بن مسعود، وقد وقع عنْد ابن مردويه بَيَان المراد، فأخرجَ من وجه آخر عن ابن مسعود وقال: (انشقَّ القمر على عَهْد رسول الله ﷺ ونحن بمكة قبل أن نصير إلى المدينة) فوضح أنَّ مُرَاده بذكر مكة الإشارة إلى أنّ ذلك وقع قبل الهجرة، وتحرّر أنّ ذلك وقع وهم ليلتئذٍ بمنى .

وقال في موضع آخر في الكلام على الجمع بين روايتي ابن مسعود والجمع بين قول ابن مسعود تارة بمنى وتارة بمكة إمَّا باعتبار التعدد إن ثبت، وإمّا بالحمل على أنّه كان بمنى، ومن قال كان بمكة لا ينافيه لأنّ من كان بمنى كان بمكة من غير عكس، ويؤيّده أنّ الرواية التي فيها بمنى قال فيها: (ونحن بمنى)، والرواية التي فيها (مكة) لم يقل فيها ونحن وإنّما قال: (انشق بمكة) يعني أنّ الإنشقاق كان وهم بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة.

وقول ابن مسعود ﷺ: انشق القمر نصفين نصف على أبي قبيس ونصف على قعيقعان وأنّ لفظ (السويداء) قال الحافظ: كان ليلتئذٍ بمكة، وعلى تقدير تصريحه فمنى من جملة مكة فلا تعارض.

وقد وقع عند الطبراني من طريق زرّ بن حبيش عن ابن مسعود قال: (انشق القمر بمكة فرأيته فرقتين)، وفي لفظ (السويداء) قال الحافظ: يحتمل أن يكون رآه كذلك وهو بمنى كأن يكون على جبل مرتفع بحيث رأى طرف جبل أبي قبيس، قال: ويحتمل أن يكون القمر استمر منشقاً حتى رجع ابن مسعود من منى إلى مكة فرآه كذلك وفيه بُعْد، والذي يقتضيه

غالب الروايات أنَّ الإنشقاق كان قرب غروبه، يؤيّد ذلك إسنادهم الرواية إلى جهة الجبل.

ثم قال الحافظ: ويحتمل أن يكون الإنشقاق وقع أول طلوعه، فإنّ في بعض الروايات أنَّ ذلك كان ليلة البدر، أو التعبير بأبي قبيس من تعبير الرواة ؛ لأنّ الفرض ثبوت رؤيته منشقاً إحدى الشقتين على جبل والأخرى على جبل آخر، ولا يغير ذلك قول الراوي الآخر: (رأيتُ الجبل بينهما) أي بين الفرقتين؛ لأنّه إذا ذهبت فرقة عن يمين الجبل وفرقة عن يساره مثلاً صدق أنّ بينهما أي جبل آخر كان من جهة يمينه أو يساره صدق أنّها عليه أيضاً .

قال: وقد أنكر جمهور الفلاسفة انشقاق القمر متمسّكين أنّ الآيات العلوية لا يتهيأ فيها الإنخراق والإلتئام، وكذا قالوا في فتح أبواب السماء ليلة الإسراء، إلى غير ذلك من إنكارهم ما يكون يوم القيامة من تكوير الشمس وغير ذلك.

وجواب هؤلاء: إنْ كانوا كفّاراً أن يناظروا أولاً على ثبوت دين الإسلام، ثم يشركوا مع غيرهم ممّن أنكر ذلك من المسلمين، ومتى سلم المسلم بعض ذلك دون بعض ألزم التناقض، ولا سبيل إلى انكار ما ثبت في القرآن من الإنخراق والإلتئام في القيامة، فسيتلزم جواز وقوع ذلك معجزة للنبي ﷺ .

فقد أجاب القدماء عن ذلك، فقال أبو اسحاق الزجاج في المعاني: انكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة انشقاق القمر ولا إنكار للعقل فيه؛ لأنّ القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء كما يكوّره يوم البعث ويفنيه، وأما قول بعضهم: لو وقع لجاء متواتراً، واشترك أهل الأرض في معرفته، ولما اختص بها أهل مكة فصوابه أنّ ذلك وقع ليلاً وأكثر الناس نيام وقل من يرصد السماء إلّا النادر، وقد يقع بالمشاهدة في العادة أي ينكشف القمر وتبدو الكواكب العظام وغير ذلك في الليل ولا يشاهدها إلّا الآحاد، فكذلك الإنشقاق

كان آية وقعت في الليل لقوم سألوا واقترحوا فلم يتأهب غيرهم لها .

قال:ذهب بعض أهل العلم من القدماء إلى أنَّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ أي سينشق.

كما قال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ﴾[1] أي سيأتي، والنكتة في ذلك إرادة المبالغة في تحقق وقوع ذلك فنزل منزلة الواقع والّذي ذهب إليه الجمهور أصح، كما جزم به ابن مسعود وحذيفة وغيرهما، ويؤيّده قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[2] كما تقدّم تقريره في أول الباب .

وذكر الإمام الحليمي أنَّ القمر انْشَقَّ في عَصْرِه، وأنَّه شاهد الهلال في الليلة الثالثة منشقاً نصفين، عرض كل واحد كعرض القمر ليلة أربع أو خمس، ثم اتَّصَل فصار في شكل أُترجة إلى أن غاب .

أقول: وبعد جميع ما مرّ من كلام علماء المسلمين من مفسّرين ومحدّثين، ومتكلّمين ومؤرّخين، هل يبقى شك في صحة ما رووا ورأوا من وقوع آية انشقاق القمر ؟ ثم انّ النبي ﷺ كان يقرأ بسورة القمر في الجمع والأعياد في المجامع العامة، فيسمعها المؤمن والمنافق ومن في قلبه مرض، ولو لم يكن تحقّق وقوع ذلك الإنشقاق لما كان يقرأ السورة، وهو ﷺ إنّما جاء برسالته لحرصه على هداية الناس في تصديقهم له، فلا يعقل أن يقرأ لهم ما يعلمون كذبه فيه، فينفّرهم عنه، ثم انّ المؤمنين برسالته كانوا يسألونه عن أدنى شبهة، وفي القرآن المجيد وردت الآيات في مثل ذلك كثيرة تحكي طبيعة ما كان يسألونه عنه، فقد

١- النحل: ١.

٢- القمر: ٢.

وردت ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾ في خمسة عشر موضعاً .

فكيف يقرأ عليهم دائماً ما فيه الخبر بانشقاق القمر، ولا يسأله عن ذلك مؤمن ولا كافر ولا منافق، وقد ندّد القرآن بهم حين استنكروا ما جاء في القرآن عن عيسى بن مريم عليه السلام فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[1].

فلو لم يكن انشقاق القمر معلوماً ومعروفاً عندهم لعظم في إنكاره القيل والقال، وكثر الإعتراض السؤال، وصار في ذلك من المراء والجدال، ما لا يخفى على أدنى الرجال، ولم يذكر في ذلك شيء، بل كان السامعون يسمعون ولا ينكرون، فعُلِم أنّ انشقاق القمر كان معلوماً عند الناس عامة، فلم ينكروا وقوعه على نحو تصديقهم لما ورد في باقي آيات السورة من حكاية آيات النبوة للأنبياء السابقين وتكذيب أممهم فقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

ثم أخبر تعالى أنّه أبقى السفن آية على قدرة الرب، وعلى ما جرى لنوح مع قومه ثم قال: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ لمن كذّب، وكذلك ذكر قصة عاد وثمود ولوط وغيرهم، وهو تعالى يقول عقب كل قصة: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

وهو تهديد وتوعيد لكل من كذّب الرسل، فتبيّن بذلك صدق ما أخبر به الرسل من الإنذار، وذكر قصة آل فرعون في السورة من الآية ٤١ حتى الآية ٤٥ وما جرى لهم وحلّ بهم، فهل يعقل مع ذلك البيان الوافي الشافي عن حال الأنبياء السابقين في آياتهم مع أممهم، أن تكون آية انشقاق القمر غير حادثة، ثم يقرأها رسول الله صلى الله عليه وآله على أمته في الجمعة والأعياد، وهم لا يعترضون ولا يسألون عنها ؟ إنّه كلامٌ هراء والتصديق به غباء .

---

١ - الزخرف: ٥٧ - ٥٨.

في تقنيات العلم الحديث نفع وضرر، فالحذر من أوزار الضرر:

إنّ التقنيات الحديثة في موضوع الشبكات الفضائية والانترنيت ووسائل الاتصال، والأقمار الصناعية، هي على ما فيها من معلومات قيّمة علمية، فكرية وحضارية، فهي أيضاً لا تخلو أحياناً من أضرار تودّي بعقيدة الساذج إلى البلبلة والضياع، وقد تبلغ به الحال إلى مرحلة الشك، وشبكات الانترنيت وغيرها سلاح ذو حدّين، بوسع الإنسان أن يستعمله في الأغراض المحلّلة فينتفع به، وإن هو أساء استعماله فيما يأثم به فعليه وزره وساء عملاً.

ولما كانت معجزة انشقاق القمر التي عقدنا لها الباب وذكرنا ما أحسب فيه الكفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد، فقد آمن بها المؤمنون منذ يوم حدوثها وحتى اليوم الحاضر، غير أنّ أصحاب الإيمان المستودع الذين يميلون مع كل ريح، وينعقون مع كل ناعق، استغواهم ما نشر على صفحة الانترنيت بعنوان (دراسة عقلانية موضوعية لخرافة انشقاق القمر) كما ستأتي الصورة بحذافيرها لغرض الردّ عليها في تذييل الخاتمة، أما الآن فإلى الخاتمة لنقرأ فيها ماذا عن تلك المعجزة في العلم الحديث ؟

الخاتمة:

خاتمة ماذا عن هذه المعجزة في العلم الحديث ؟

وكالة الفضاء (ناسا) تشهد لإنشقاق القمر في زمن المصطفى محمد ! .

باس خليج ٢٠٠٥/١٠/١٢

القران تحدث عنه قبل ١٤٠٠ سنة
مركبة فضائية تكتشف انشقاق القمر

. يبحث فلكي اردني أن نتائج دراسات مركبة الفضاء الأمريكية "كليمنتاين" التي تدور حول القمر منذ عدة سنوات توصلت الى أن القمر كان قد تعرض قبل فترة زمنية وجيزة بالنسبة لعمره الجيولوجي الى عملية شقاق من منتصفه تماما بحيث انشطر الى نصفين متساويين ثم عاد والتحم من جديد وهو ما يتفق مع أية قرانية تحدثت عن هذا الانقسام.

واشار الباحث عماد مجاهد الى أن الدراسات الجيولوجية الحديثة للقمر بما فيها وكالة الفضاء الامريكية ناسا) التى اعتمدت نتائج دراسات مركبة الفضاء خلصت الى هذه النتيجة التي حدثت في بدء دعوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم قبل (١٤٠٠) سنة الى الاسلام.

وقال الباحث الفلكي الاردنى عماد مجاهد: ان هذه النتائج المذهلة التي توصل اليها علماء وكالة الفضاء لامريكية (ناسا) أثارت دهشتهم كونهم لم يتمكنوا من وضع تفسير لعملية انشقاق القمر المفاجئة والتي لم يحدث ان انشطر اي جرم سماوي بهذه الطريقة من قبل مثلما حدث للقمر.

واوضح مجاهد أن انشقاق القمر كما هو مذكور في السيرة وكتب السنة النبوية حدث في اول عهد النبي حمد صلى الله عليه وسلم في الدعوة الى الاسلام عندما طلب كفار قريش من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يشق القمر الى فلقتين ان كان صادقا في نبوته ووعدوه في الدخول بالاسلام ان حدث هذا وكانت ليلة لقمر انذاك بدرا. فسال رسول الله ربه ان يعطيه ما طلبوا فانشق القمر الى نصفين نصف شوهد فوق جبل نصفا ونصف فوق جبل قيعان المقابل له وهي من الجبال الكبيرة والمعروفة في مكه لكن الكفار جحدوا بما شاهدوه وقالوا هذا سحر بالرغم من شهادة اهل البوادي خارج مكة انهم شاهدوا انشقاق القمر .

☆☆☆☆☆☆



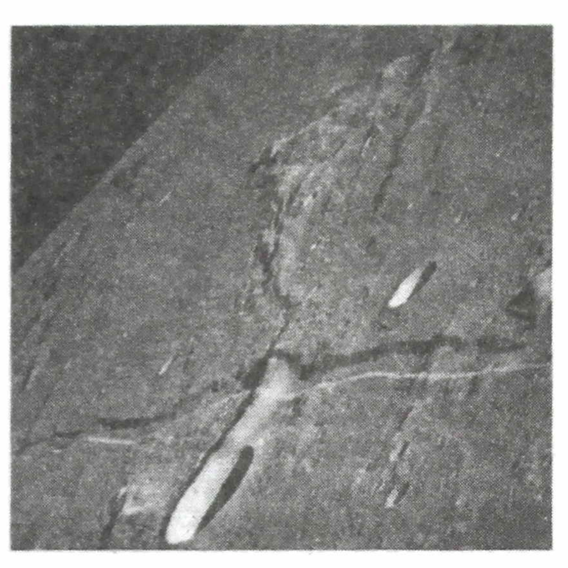
تاريخ الانضمام: Oct 2003
المشاركات: ٦٤٢

عضو موسس

مشاركة : وكالة الفضاء (ناسا) تشهد لإنشقاق القمر في زمن المصطفى محمد ! .

نعم شيخنا عبد السلام حفظك الله تعالى ..

وقد وضعت وكالة ناسا الفضائية في موقعها الرسمي على شبكة الانترنت هذه الصورة كدليل على خبر اكتشاف احدي مركباتهم لانشقاق القمر الى نصفين ، وهي الآية التي أيد الله بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على كفار قريش حين طلبوا منه ذلك .



الصورة تظهر الأثر الدال على انفصال القمر لنصفين
كما ورد في تفصيل ذلك خبر ابن مسعود رضي الله عنه فقد شهد الواقعة وقص ما حصل .

بو اليسر مشاركات n/a :

مشاركة: وكالة الفضاء (ناسا) تشهد لإنشقاق القمر في زمن المصطفى محمد ! .

بارك الله في شيخنا ألغا لي عبد السلام ؛ وأخونا الشيخ العزيز أبو بلال:؛

قال تعالى: (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين)

فهؤلاء ألكفره قد ختم الله على قلوبهم غشاوة فلا يبصرون ولا يسمعون؛ وان رأت أعينهم؛ فقلوبهم عمياء لا تبصر الحق ولا تذعن لهم.

الذي يتدبر في حكمة الله عز وجل؛ أن اطلع فراعنة هذا الزمان على هذا الحدث الجلل؛ وهذه ألمعجزه ألعظيمه في
نصرة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم؛ فداه روحي ونفسي؛ يدرك انه تعالى يقيم حجة من حججه العظام التي لا تحصى

على هؤلاء الملا حده في أخر الزمان؛ كما أقامها على الملا حدة في أول بعثة الحبيب صلى الله عليه وسلم ؛ وقد عمى نور ألمعجزه قلوبهم ؛ مع أن عيونهم كانت ترى وتبصر؛ فما كان من أمرهم إلا أن ادعوا أن ما يرونه السحر؛ دأب من سبقهم من مكذبي أنبياء الله ورسله عليهم صلوات ربي.

أما ملا حدة هذا الزمان؛ فالمعجزة تأتيهم عبر اعز وأعظم ما يدعون امتلاكه وهو العلم ؛وعبر أكبر محطات فخرهم وهي وكالة ناسا ؛ومع ذلك يعجب التافهون من الحدث؛ ويعرضون عنه ولا يتدبرون في عقولهم المقفلة بظلمات الكفر؛ كيف للقران الكريم أن يذكر عن هذه ألمعجزه منذ ما يزيد عن ١٤٠٠ سنة دون أن يكون هذا الكتاب العظيم منزل من عند خالق الكون؛مدبر الأمر؛ من خلقهم وخلق كل شيء ؛ وشق هذا القمر تأييدا لنبيه ورسوله عليه أفضل الصلاة والسلام.

وربما الأمر والأدهى أن المسلمين أنفسهم اشد غفلة من هؤلاء الكفار؛ غفلوا عن الله وغفلوا عن آياته ؛نسوا الله
فأنساهم أنفسهم .

غفل المسلمون أن يتدبروا أيضا عن حكمة الله عز وجل؛ وسر كشف هذه ألمعجزه وإثباتها من قبل الأعداء ممن يكفرون بهذا الدين؛ لتكون حجة على من يرى ويثبت ؛وحجة على المسلم ليتذكر إن نسي؛ والعياذ بالله من النسيان؛ قدرة مولاه رب العالمين وليسال نفسه عن عظمة توقيت زمن كشف المعجزة؛ الذي لا يشك عاقل انه كما كان بدأها مع سيدنا المصطفى ؛كان كشفها في زمن حفيده المهدي عليهما الصلاة و السلام.

نسال الله ألرحمه ؛ وجزى الله خيرا شيوخنا الذين اخذوا على عاتقهم تذكير الغافلين؛ وإرشاد المسترشدين ؛والله هو

الهادي إلى الصراط المستقيم.

اخر تحرير بواسطة ابو اليسر : ٠٥-١١-٢٠٠٥ الساعة 08:43 AM.

قضايا و اراء

الأثنين 16 من رجب ١٤٢٣ هـ 23 سبتمبر 2002 السنة ١٢٦-العدد 42294

من أسرار القرآن

الاشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزي دلالتها العلمية

(٦٦) اقتربت الساعة وانشق القمر*

القمر: ١

بقلم: زغلول النجار

هذه الآية القرآنية الكريمة جاءت في مطلع سورة القمر، وهي سورة مكية، يدور محورها حول قضية الإيمان بوحي السماء الذي أنزله ربنا(تبارك وتعالي) علي فترة من الرسل، وأتمه وأكمله، وحفظه في الوحي الخاتم المنزل علي الرسول الخاتم(صلي الله عليه وسلم)؛ ولذلك تحمل السورة علي المكذبين ببعثته الشريفة، وبالآيات التي أيده الله(تعالي) بها، وفي مقدمتها القرآن الكريم، وذلك انطلاقا من غرورهم، وكبرهم، وغطرستهم، وصلفهم، وتتوعدهم الآيات بالشقاء في الدنيا وبالمصير المخزي في الآخرة كما حدث مع الذين كذبوا بالرسالات السابقة.

وتطالب سورة القمر رسول الله(صلي الله عليه وسلم) بالإعراض عن هؤلاء الكافرين، وإمهالهم إلي يوم البعث العظيم، يوم يخرجون من قبورهم كأنهم جراد منتشر... وهو يوم الفزع الأكبر، والهول الأكبر الذي نسأل الله(تعالي) أن يجيرنا من فزعه وأهواله... اللهم آمين.

وقد ابتدأت سورة القمر بالتحذير من اقتراب وقت الساعة، ومن الثابت عن رسول الله(صلي الله عليه وسلم) قوله الشريف: بعثت أنا والساعة هكذا وأشار بإصبعيه السبابة والوسطي.

ثم تابعت السورة بذكر تلك المعجزة الحسية ـ معجزة انشقاق القمر ـ التي أجراها ربنا(تبارك وتعالي) تأييدا لخاتم أنبيائه ورسله في مواجهة تكذيب مشركي قريش لنبوته ولرسالته، وعلي الرغم من وقوع المعجزة ـ التي لم ينكرها أحد منهم ـ فإنهم بدلا من أن يؤمنوا بها اتهموا رسول الله(صلي الله عليه وسلم) بالسحر، وهم الذين لم يشهدوا عليه كذبا أبدا، وذلك انطلاقا من كبرهم وعنادهم واتباعهم لأهوائهم، ولم تزجرهم عن ذلك الأنباء، ولم تغنهم النذر...!!

ومن قبيل تذكير هؤلاء الكافرين بمصائرهم استعرضت سورة القمر مصارع المكذبين في عدد من الأمم السابقة ومنهم أقوام نوح، وعاد، وثمود، ولوط وفرعون، مؤكدة أن كفار قريش لم يكونوا بأقوي ولا بأشد من تلك الأمم السابقة عليهم(والخطاب هنا يشمل المتجبرين من الكفار والمشركين في زماننا، وفي كل زمان من أمثال الصهاينة المجرمين وإبادتهم المستمرة لشعب فلسطين، والأمريكان وأعوانهم من المتجبرين علي شعب أفغانستان وغيره من شعوب العالمين العربي والإسلامي، وكل من الروس، والهندوس، والبوذيين واستباحتهم لأراضي كل من الشيشان، وكشمير، وأراكان، وجنوب الفلبين، وغيرهم ممن يستبيح أراضي الصومال، والسودان، وسبتة ومليلية والجزر المحيطة بهما، أو يقوم بمحاصرة العديد من الدول المسلمة مثل العراق، وليبيا، والسودان).

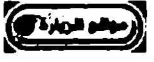
وفي نهاية كل خبر من أخبار الأمم البائدة تدعو السورة الكريمة كفار قريش ـ كما تدعو الكفار والمشركين في زماننا وفي كل زمان ومكان إلي الاعتبار والتذكر وذلك بقول الحق (تبارك وتعالي):

ولقد تركناها آية فهل من مدكر؟

(القمر:١٥).

او بقوله(عز من قائل): فكيف كان عذابي ونذر(القمر:١٦، ٢١، ٣٠).

وقد تكررت هذه الآية الكريمة ثلاث مرات في سياق السورة.









وبين كل خبر من أخبار تلك الأمم الهالكة والذي يليه تنبه سورة القمر إلي حقيقة أن القرآن الكريم ميسر لكل من يطلبه، ويطلب العظة والاعتبار منه، ولذلك تكرر في ثنايا هذه السورة المباركة أربع مرات قول الحق(تبارك وتعالي): ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر(القمر:١٧،٢٢،٣٢،٤٠).

وبعد هذا الاستعراض التاريخي المعجز علويت سورة القمر توجيه الحديث إلي كفار قريش ـ كما توجهه إلي كفار اليوم وإلي كفار كل يوم حتي قيام الساعة. محذرة إياهم من مصير كمصائر المكذبين السابقين أو أشد وأنكي، في الدنيا قبل الآخرة، ومذكرة إياهم بمواقف الذل والمهانة التي سوف يتعرضون لها في الآخرة، وفي ذلك يقول الحق(تبارك وتعالي):

أكفاركم خير من أولائكم أم لكم براءة في الزبر، أم يقولون نحن جميع منتصر، سيهزم الجمع ويولون الدبر، بل الساعة موعدهم والساعة أدهي وأمر، إن المجرمين في ضلال وسعر، يوم يسحبون في النار علي وجوههم ذوقوا مس سقر(القمر:٤٣ ـ٤٨).

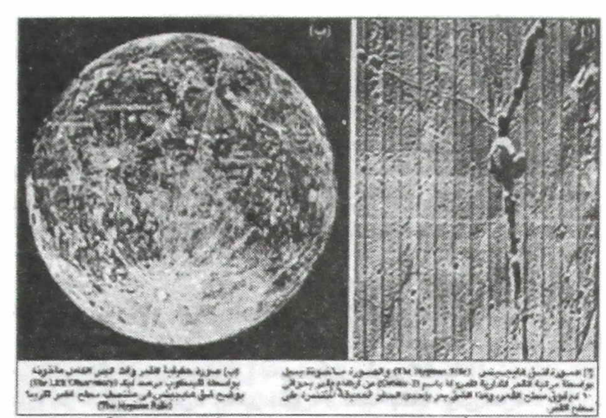
وبعد تأكيد أن الله(تعالي) هو خالق كل شيء بتقدير دقيق، وحكمة بالغة، وأن أمره سبحانه(واحدة كلمح بالبصر)، وأن الاعتبار بهلاك الأمم البائدة من صميم التعقل ومن حسن الاستفادة بدروس التاريخ، وأن كل ما فعلته تلك الأمم، ويفعله غيرهم من الخلق مدون، ومسطر، ومسجل عليهم، وأنهم سوف يواجهون به، ويحاسبون عليه يوم القيامة.

بعد استعراض ذلك كله ختمت سورة القمر ببيان منازل التكريم التي أعدت للمتقين من عباد الله الصالحين والتي ختمها الحق(تبارك وتعالي) بقوله(عز من قائل):
إن المتقين في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر(القمر:٥٤،٥٥).

وجوانب الإعجاز في سورة القمر تشمل إثبات حقيقة انشقاق القمر، ومواقف كفار قريش منها، ووصف خروج الناس من قبورهم كأنهم جراد منتشر، وتشمل الإعجاز التاريخي بذكر عدد من الأمم السابقة، وذكر مواقفهم من أنبيائهم ورسلهم، ومن وحي الله(تعالي) إليهم، وذكر ما أصابهم من مختلف صور العذاب جزاء استكبارهم وصلفهم، وإنكار رسالة السماء إليهم، ثم جاءت الكشوف العلمية والأثرية في القرن العشرين مؤكدة صدق كل ما جاء في هذه السورة المباركة، وفي غيرها من سور القرآن الكريم عن تلك الأمم البائدة.

وسوف يتم التركيز هنا علي قضية انشقاق القمر، وهي معجزة خارقة، لا يكاد العقل البشري أن يتصورها، ولكن من رحمة الله بنا أن أبقي لنا في صخور القمر من الشواهد الحسية ما يؤكد وقوعها...!! وأعان الإنسان علي الوصول إلي تلك الشواهد حتي تقوم الحجة البالغة علي الناس في عصر العلم والتقنية الذي نعيشه بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وأن النبي الخاتم والرسول الخاتم الذي تلقاه كان موصولا بالوحي، ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض، وقبل الحديث عن معجزة انشقاق القمر لابد من استعراض لأقوال عدد من المفسرين في شرح هذه الآية القرآنية الكريمة.

من أقوال المفسرين
في تفسير قوله تعالي: اقتربت الساعة وانشق القمر(القمر:١)..



* ذكرا بن كثير(برحمه الله) ما نصه: يخبر تعالي عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها، كما قال تعالي:(أتي أمر الله فلا تستعجلوه)، وقال:(اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون)، وقد وردت الأحاديث بذلك... وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي(صلي الله عليه وسلم)، وأنه كان إحدي المعجزات الباهرات.

* وجاء في تفسير الجلالين(رحم الله كاتبيه برحمته الواسعة) ما نصه:(اقتربت الساعة) قربت القيامة(وانشق القمر) انفلق فلقتين علي جبلي أبي قبيس وقعيقعان، اية له صلي الله عليه وسلم، وقد سئلها[أي: سأله أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر] فقال:(اشهدوا) رواه الشيخان.

* ونكر صاحب الظلال(رحمه الله رحمة واسعة) ما نصه: مطلع باهر مثير، علي حادث كوني كبير، وإرهاص بحادث أكبر، لا يقاس إليه ذلك الحدث الكوني الكبير: اقتربت الساعة وانشق القمر فياله من إرهاص! وياله من خبر، ولقد رأوا الحدث الأول فلم يبق إلا أن ينتظروا الحدث الأكبر؛ والروايات عن انشقاق القمر ورؤية العرب له في حالة انشقاقه أخبار متواترة، تتفق كلها في إثبات وقوع الحادث....

وبعد استعراض لعدد من الروايات أضاف صاحب الظلال(يرحمه الله): فهذه روايات متواترة من طرق شتي عن وقوع هذا الحادث، وتحديد مكانه في مكة ـ باستثناء رواية لم نذكرها عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أنه كان في منيوتحديد زمانه في عهد النبي(صلي الله عليه وسلم) قبل الهجرة، وتحديد هيئته ـ في معظم الروايات أنه انشق فلقتين، وفي رواية واحدة أنه كسف(أي خسف).. فالحادث ثابت من هذه الروايات المتواترة المحددة للمكان والزمان والهيئة.

وهو حادث واجه به القرآن المشركين في حينه، ولم يرو عنهم تكذيب لوقوعه، فلابد ان يكون قد وقع فعلا بصورة يتعذر معها التكذيب، ولو علي سبيل المراء الذي كانوا يمارونه في الأيات، لو وجدوا منفذا للتكذيب. وكل ما روي عنهم أنهم قالوا: سحرنا! ولكنهم هم أنفسهم اختبروا الأمر، فعرفوا أنه ليس بسحر؛ فلئن كان قد سحرهم فإنه لا يسحر المسافرين خارج مكة الذين رأوا الحادث وشهدوا به حين سئلوا عنه.

وأضاف(يرحمه الله): بقيت لنا كلمة في الرواية التي تقول: إن المشركين سألوا النبي(صلي الله عليه وسلم) اية، فانشق القمر. فإن هذه الرواية تصطدم مع مفهوم نص قرآني مدلوله أن الرسول(صلي الله عليه وسلم) لم يرسل بخوارق من نوع الخوارق التي جاءت مع الرسل قبله، لسبب معين:(وما منعنا أن نرسل بالأيات إلا أن كذب بها الأولون...) فمفهوم هذه الآية أن حكمة الله اقتضت منع الآيات ـ أي الخوارق ـ لما كان من تكذيب الأولين بها... فالقول بأن انشقاق القمر كان استجابة لطلب المشركين آية ـ اي خارقة يبدو بعيدا عن مفهوم النصوص القرآنية، وعن اتجاه هذه الرسالة الأخيرة إلي مخاطبة القلب البشري بالقرآن وحده، وما فيه من إعجاز ظاهر، ثم توجيه هذا القلب ـ عن طريق القران ـ الي ايات الله القائمة في الانفس والآفاق، وفي أحداث التاريخ سواء... فأما ما وقع فعلا للرسول(صلي الله عليه وسلم) من خوارق شهدت بها روايات صحيحة فكان إكراما من الله لعبده، لا دليلا لإثبات رسالته... ومن ثم نثبت الحادث ـ

حادث انشقاق القمر - بالنص القرآني وبالروايات المتواترة التي تحدد مكان الحادث وزمانه وهيئته، ونتوقف في تعليله الذي ذكرته بعض الروايات، ونكتفي بإشارة القرآن إليه مع الإشارة إلي اقتراب الساعة، باعتبار هذه الإشارة لمسة للقلب البشري ليستيقظ ويستجيب....

* وجاء في صفوة البيان لمعاني القرآن(رحم الله كاتبه رحمة واسعة) ما نصه:(اقتربت الساعة) قربت القيامة جدا.(وانشق القمر) وانفلق فلقتين معجزة له صلي الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين، حين سأله أهل مكة أن يريهم آية تدل علي صدقه. فأراهم القمر فلقتين حتي رأوا جبل حراء بينهما، فقال صلي الله عليه وسلم: اشهدوا!! وقد رآه كثير من الناس، والأحاديث الصحيحة في هذه المعجزة كثيرة. وقيل: اقتربت الساعة، فإذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية.
* وذكر أصحاب المنتخب في تفسير القرآن الكريم(جزاهم الله خيرا) ما نصه: دنت القيامة وسينشق القمر لا محالة.

* وجاء في صفوة التفاسير(جزي الله كاتبها خيرا) ما نصه:... أي دنت القيامة وقد انشق القمر.

واقعة انشقاق القمر في التراث الاسلامي
رويت واقعة انشقاق القمر عن طريق عدد كبير من صحابة رسول الله(صلي الله عليه وسلم) منهم عبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وأنس بن مالك، وجبير بن مطعم وغيرهم(رضي الله تبارك وتعالي عنا وعنهم أجمعين).
* فقد روي الامام البخاري في صحيحه وأخرج الإمام أحمد في مسنده، وروي كل من الإمامين أبي داود والبيهقي عن عبدالله بن مسعود(رضي الله عنه) قوله: انشق القمر علي عهد رسول الله(صلي الله عليه وسلم) فقالت قريش: هذا سحر بن أبي كبشة، قال: فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفار، فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، قال: فجاء السفار فقالوا ذلك. وفي لفظ انظروا السفار، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به، قال: فسئل السفار، قال: وقدموا من كل جهة، فقالوا: رأينا، فأنزل الله عز وجل:(اقتربت الساعة وانشق القمر). وروي عنه أيضا قوله: انشق القمر علي عهد رسول الله(صلي الله عليه وسلم) فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله(صلي الله عليه وسلم): اشهدوا.

* كذلك روي كل من الإمامين البخاري وأحمد عن أنس بن مالك(رضي الله عنه) أنه قال: إن أهل مكة سألوا رسول الله(صلي الله عليه وسلم) أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر.
* وروي الإمام البيهقي، كما أخرج كل من الأئمة البخاري ومسلم والترمذي(جزاهم الله خيرا) عن عبدالله بن عمر(رضي الله عنهما) قوله:... وقد كان ذلك علي عهد رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، انشق فلقتين، فلقة من دون الجبل، وفلقة من خلف الجبل، فقال النبي(صلي الله عليه وسلم): اللهم اشهد.

* وروي كل من الإمامين البخاري ومسلم(رحمهما الله) عن عبدالله بن عباس(رضي الله عنهما) قوله: انشق القمر في زمان النبي(صلي الله عليه وسلم). كذلك روي ابن جرير عن ابن عباس قوله:... قد مضي ذلك، كان قبل الهجرة، انشق القمر حتي رأوا شقيه.
* وروي الإمام أحمد عن جبير بن مطعم(رضي الله عنه) قوله: انشق القمر علي عهد رسول الله(صلي الله عليه وسلم) فصار فرقتين فرقة علي هذا الجبل، وفرقة علي هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، وقال غيرهم: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم.

* وروي الإمام ليث عن مجاهد(رضي الله عنه) قوله: انشق القمر علي عهد رسول الله(صلي الله عليه وسلم) فصار فرقتين، فقال النبي(صلي الله عليه وسلم) لابي بكر(رضي الله عنه): اشهد يا أبا بكر، فقال الكافرون: سحر القمر حتي انشق.
* وفي إحدي المخطوطات الهندية القديمة والمحفوظة في مكتبة المركز الهندي بمدينة لندن(تحت رقم١٥٢/٢٨٠٧ -١٧٣) ذكر المفكر الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور محمد

حميد الله في كتابه المعنون محمد رسول الله أن أحد ملوك ماليبار(وهي إحدي مقاطعات جنوب غربي الهند) وكان اسمه شاكرواتي فارماس(ChakarawatiFarmas) شاهد انشقاق القمر علي عهد رسول الله(صلي الله عليه وسلم) وأخذ يحدث الناس بذلك.

وحدث أن مر عدد من التجار المسلمين بولاية ماليبار، وهم في طريقهم إلي الصين، وسمعوا حديث الملك شاكرواتي فارماس عن انشقاق القمر فأخبروه أنهم أيضا قد رأوا ذلك، وأفهموه أن انشقاق القمر معجزة أجراها ربنا(تبارك وتعالي) تأييدا لخاتم أنبيائه ورسله(صلي الله عليه وسلم) في مواجهة تكذيب مشركي قريش لنبوته ولرسالته. فأمر الملك بتنصيب ابنه وولي عهده قائما بأعمال مملكة ماليبار وتوجه إلي الجزيرة العربية لمقابلة المصطفي(صلي الله عليه وسلم). وبالفعل وصل الملك الماليباري إلي مكة المكرمة وأعلن إسلامه أمام رسول الله(صلي الله عليه وسلم)، وتعلم ركائز الدين الأساسية، وقفل راجعا، ولكن شاءت إرادة الله(تعالي) أن ينتهي أجله قبل مغادرته أرض الجزيرة العربية فمات ودفن في أرض ظفار، وحين وصل الخبر إلي ماليبار كان ذلك حافزا لدخول أهلها الإسلام زرافات ووحدانا.

شاهد من عصرنا علي انشقاق القمر

عقب محاضرة لي عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ألقيت باللغة الإنجليزية في كلية الطب بجامعة كارديف عاصمة مقاطعة ويلز في غربي الجزر البريطانية، دار حوار ممتع مع جمهور الحضور من المسلمين وغير المسلمين، ومن جملة الأسئلة التي أثيرت من أحد الحضور سؤال عن واقعة انشقاق القمر كما جاء ذكرها في مطلع سورة القمر، وهل تمثل لمحة من لمحات الإعجاز العلمي في كتاب الله؟
وعلي الفور أجبت بأنها معجزة من المعجزات الحسية العديدة التي حدثت تأييدا لرسول الله(صلي الله عليه وسلم) في مواجهة تكذيب كفار قريش لبعثته الشريفة، وأن المعجزات هي خوارق للسنن والقوانين الحاكمة للكون، فلا يستطيع العلم الكسبي تفسيرها، ولو استطاع تفسيرها ما كانت معجزة.

وأضفت أن المعجزات الحسية التي جاء ذكرها في كتاب الله، أو في سنة رسوله(صلي الله عليه وسلم) هي حجج علي من شاهدها من الخلق، وبما أننا لم نشاهدها فهي ليست حجة علينا، ولكننا نؤمن بوقوعها لورود ذكرها في كتاب الله أو في الأقوال الصحيحة المنسوبة إلي رسول الله(صلي الله عليه وسلم). وكتاب الله كله حق مطلق، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ورسول الله(صلي الله عليه وسلم) يصفه القرآن الكريم بقول الحق(تبارك وتعالي): (وما ينطق عن الهوي. إن هو إلا وحي يوحي. علمه شديد القوي)(النجم:٣ ـ٥).
وحادثة انشقاق القمر جاء ذكرها في مطلع سورة القمر، علي أنها قد وقعت بالفعل تحديا لكفار ومشركي قريش، وتأييدا لرسول الله(صلي الله عليه وسلم) في مواجهة تكذيبهم لنبوته ولرسالته، ولم يرو عن أحد منهم تكذيب تلك الواقعة التي نسبوها تارة لتعرضهم هم لعملية سحر، وتارة أخري لتعرض القمر للسحر، حتي هيئ لهم أنه قد انشق بالفعل مما يفهم منه تأييدهم لوقوع تلك المعجزة، وإن حاولوا التقليل من شأنها بنسبتها إلي السحر...!!، ثم عاودوا نفي فرية السحر بأنفسهم وذلك بقول نفر من عقلائهم كما جاء في روايات الواقعة ـ: لئن كان قد سحرنا فإنه لا يمكن أن يكون قد سحر معنا المسافرين خارج مكة؛ فتسارعوا إلي مداخل المدينة في انتظار الركبان القادمين من السفر، وعند سؤالهم شهدوا بأنهم في الليلة نفسها التي شاهد فيها أهل مكة تلك الواقعة رأوا هم كذلك انشقاق القمر إلي فلقتين تباعدتا عن بعضهما البعض لعدة ساعات ثم التحمتا، فآمن من آمن وكفر من كفر. ولذلك تقول الآيات في مطلع سورة القمر:

(اقتربت الساعة وانشق القمر* وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر*وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر* ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر* حكمة بالغة فما تغني النذر)(القمر: ١ ـ٥).
كذلك روي حادثة انشقاق القمر بصورة متواترة عدد غير قليل من كبار صحابة رسول الله(صلي الله عليه وسلم) من أمثال عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن مسعود، وأنس بن مالك، وجبير بن مطعم(رضي الله تبارك وتعالي عنا وعنهم أجمعين)، ولا يمكن أن تجتمع كلمة هؤلاء جميعا علي باطل، وهم من أهل التقي والورع(ولا نزكي علي الله أحدا). وقد حقق أحاديث انشقاق القمر عدد كبير من أئمة علماء الحديث في

مقدمتهم البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وبن ماجة، وأحمد، والبيهقي، وغيرهم كثير مما يجزم بوقوعها، ومن هنا فإننا نرفض قول بعض المفسرين إن الحادثة من إرهاصات الآخرة انطلاقا من استهلال السورة بقول الحق(تبارك وتعالي):

(اقتربت الساعة وانشق القمر) وهؤلاء قد لا يعلمون أن عمر الأرض التي نحيا عليها يقدر بنحو خمسة آلاف مليون سنة(علي أقل تقدير)، وأن عمر مادة كل من الأرض والكون المحيط بها يقدر بنحو عشرة آلاف مليون سنة(علي أقل تقدير)، وأن بعثة المصطفي(صلي الله عليه وسلم) كانت منذ أربعة عشر قرنا فقط ونسبة هذا التاريخ إلي ملايين السنين التي مضت من عمر كل من الأرض والكون يؤكد قرب نهاية العالم. ولذلك يروي عنه(عليه أفضل الصلاة وأزكي التسليم) قوله الشريف: بعثت أنا والساعة هكذا وأشار بإصبعيه السبابة والوسطي. وهي قولة حق خالص، وإعجاز علمي صادق لأنه لم يكن لأحد في زمانه(صلي الله عليه وسلم) أدني تصور عن قدم الأرض إلي مثل تلك الآماد الموغلة في القدم؛ وهذا كاف للرد علي الذين قالوا إن في استهلال سورة القمر بالقرار الإلهي(اقتربت الساعة وانشق القمر) إيحاء بأن انشقاق القمر مرتبط باقتراب الساعة، بمعني أنها إذا جاءت انشق القمر، لأن المعجزة قد وقعت فعلا علي زمن رسول الله(صلي الله عليه وسلم). وقد يشير إلي ذلك وجود شق كبير بالقرب من القطب الجنوبي للقمر علي الوجه الذي لا يري من فوق سطح الأرض يزيد طوله علي٢٢٥ كيلو مترا ويدعمه عدم تماثل نصفي القمر الحالي. ويؤكده وصف القرآن الكريم لنهاية القمر بابتلاع الشمس له(لا بانشقاقه) وذلك كما جاء في قوله(تعالي):
(فإذا برق البصر، وخسف القمر، وجمع الشمس والقمر)(القيامة:٧ -٩).

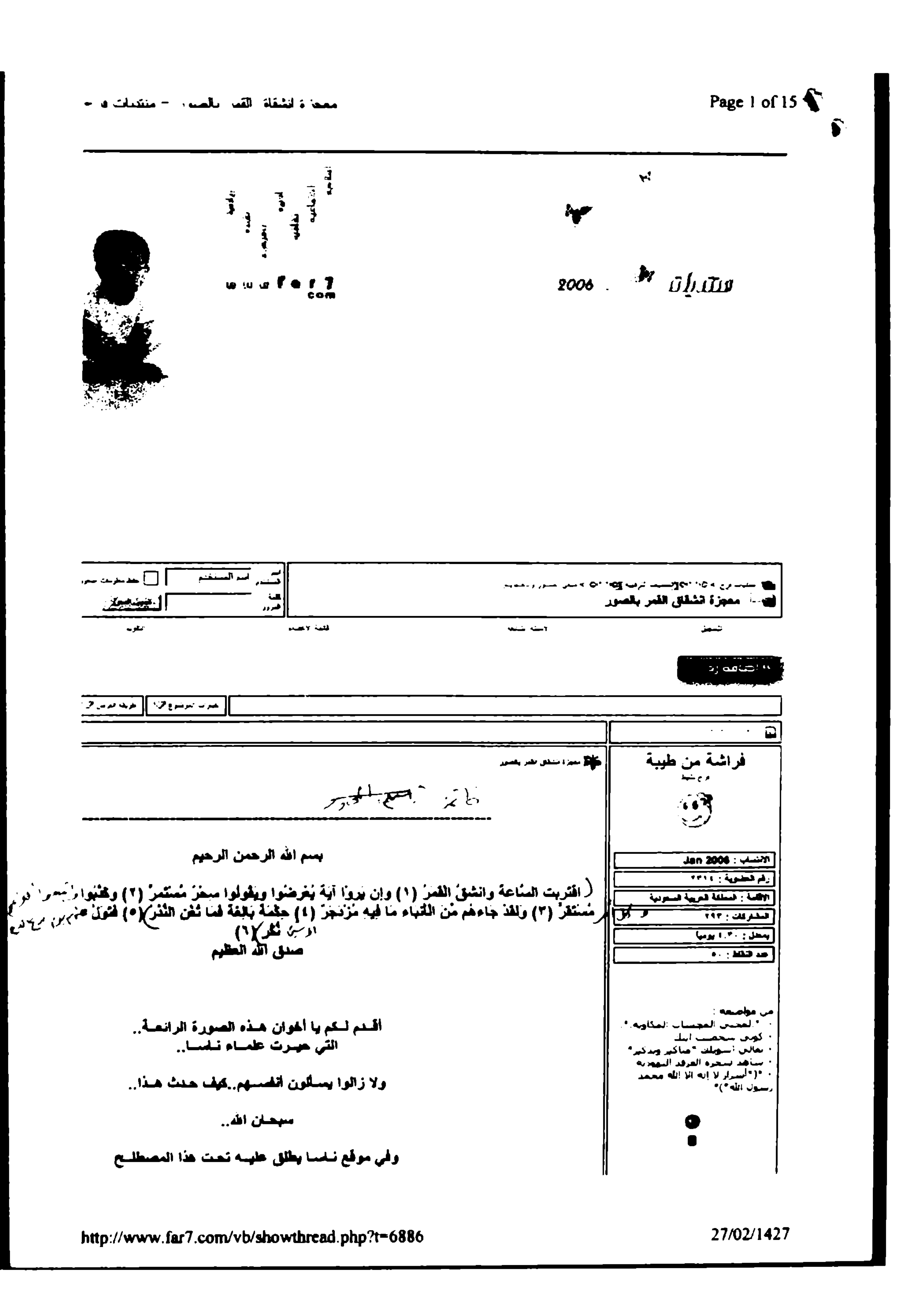
ويأتي العلم في قمة من قممه مؤكدا تباعد القمر عن الأرض بمعدل ثلاثة سنتيمترات في كل سنة مما يشير إلي حتمية دخوله في مجال جاذبية الشمس فتبتلعه، وإن كان ذلك - كغيره من إرهاصات الآخرة سوف يتم بالأمر الإلهي:(كن فيكون) وليس بالسنن الدنيوية التي يبقيها لنا ربنا(تبارك وتعالي) لإثبات إمكان وقوع الآخرة؛ بل حتميتها.
وبعد فراغي من الإجابة علي سؤال السائل الكريم وقف بريطاني مسلم عرف نفسه باسم داود موسي بيدكوك
(DavidMusaPidcock)
وبمنصبه كرئيس للحزب الإسلامي البريطاني، واستأذن في إمكان إضافة شيء إلي ما قلته في إجابتي فأذنت له بذلك فقال: إن هذه الآية كانت مدخلي لقبول الإسلام دينا، فقد شغلت بعلم مقارنة الأديان، وأهداني صديق مسلم نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم فأخذتها منه شاكرا وتوجهت بها إلي مسكني، وعند تصفحها لأول مرة فوجئت بسورة القمر فقرأت:(اقتربت الساعة وانشق القمر) ثم توقفت متسائلا: كيف يمكن للقمر أن ينشق ثم يعود ليلتحم؟ وما هي القوة القادرة علي إعادته إلي سيرته الأولي؟ فتوقفت عن القراءة وكأن هذه الآية الكريمة قد صدتني عن الاستمرار في ذلك...!!

ولكن لعلم الله(تعالي) بمدي إخلاصي في البحث عن الحقيقة أجلسني أمام التلفاز لأشاهد حوارا بين مذيع بريطاني يعمل بقناة التليفزيون البريطاني
B.B.C
واسمه جيمس بيرك
(JamesBurck)
وثلاثة من علماء الفضاء الأمريكيين، وجري عتاب علي الإسراف المخل في الإنفاق علي رحلات الفضاء في الوقت الذي تتعرض جماعات بشرية عديدة لأخطار المجاعات، والأمراض، وانتشار الأمية بين البالغين، ولمختلف صور التخلف العمراني والعلمي والتقني.
ووقف علماء الفضاء مدافعين عن مهنتهم بأن الإنفاق علي رحلات الفضاء ليس مالا مهدرا لأنه يعين علي تطوير تقنيات تطبق في مختلف المجالات الطبية والصناعية والزراعية، ويمكن أن تعود بمردودات مادية وعلمية كبيرة، وفي غمرة هذا الحوار جاء ذكر رحلة إنزال رجل علي سطح القمر علي أنها كانت من أكثر هذه الرحلات كلفة فقد تكلفت عشرات المليارات من الدولارات. فسأل المحاور: هل كان كل ذلك لمجرد وضع العلم الأمريكي علي سطح القمر؟ وجاءت الإجابة بالنفي، وبأن الهدف كان دراسة علمية لأقرب أجرام السماء إلينا؛ فسأل المحاور: ألم يكن من الأجدي إنفاق تلك المبالغ الطائلة

علي عمارة الأرض؟ وجاء الجواب بأن الرحلة اوصلتنا إلي حقيقة علمية لو انفقنا اضعاف هذا المبلغ لإقناع الناس بها ما صدقنا أحد...!!

فسأل المحاور: وما هذه الحقيقة العلمية؟ فكان الجواب أن هذا القمر كان قد انشق في يوم من الأيام ثم التحم بدليل وجود تمزقات طويلة جدا وغائرة في جسم القمر، تتراوح أعماقها بين عدة مئات من الأمتار وأكثر من الكيلو متر وأعراضها بين نصف الكيلو متر وخمسة كيلو مترات وتمتد إلي مئات من الكيلو مترات في خطوط مستقيمة أو متعرجة. وتمر هذه الشقوق الطولية الهائلة بالعديد من الحفر التي يزيد عمق الواحدة منها علي تسعة كيلو مترات، ويزيد قطرها علي الألف كيلو متر، ومن أمثلتها الحفرة العميقة المعروفة باسم بحر الشرق
(MareOrientalis).
وقد فسرت هذه الحفر العميقة باصطدام أجرام سماوية بحجم الكويكبات
(ImpactofAsteroid-SizedObjects)
أما الشقوق التي تعرف باسم شقوق القمر
(RimaeorLunarRilles)
فقد فسرت علي أنها شروخ ناتجة عن الشد الجانبي
(TensionalCracks)
أو متداخلات نارية علي هيئة الجدد القاطعة، ولكن أمثال هذه الأشكال علي الأرض لا تصل إلي تلك الأعماق الغائرة، ومن هنا فقد فسرت علي أنها من آثار انشقاق القمر وإعادة التحامه.
يقول السيد بيدكوك: حين سمعت هذا الكلام انتفضت من فوق الكرسي الذي كنت اجلس عليه أمام التلفاز، وتساءلت: معجزة تحدث لمحمد(صلي الله عليه وسلم) من قبل ألف واربعمائة سنة يثبتها العلم في زمن التقنية الذي نعيشه بهذه البساطة، وبهذا الوضوح الذي لا يخفي علي عالم في مجال علم الفلك اليوم، فلابد أن يكون القرآن حقا مطلقا وصادقا صدقا كاملا في كل خبر جاء به؛ وعلي الفور عاودت القراءة في ترجمة معاني القرآن الكريم، وكانت هذه الآية التي صدتني في بادئ الأمر عن الاستمرار في قراءة هذا الكتاب المجيد هي مدخلي لقبول الإسلام دينا.

ولا أستطيع أن أصف لكم وقع هذه الكلمات، ووقع النبرة الصادقة التي قيلت بها علي كل الحضور من المسلمين وغير المسلمين فقد هزت القلوب والعقول، وأثارت المشاعر والأفكار، ولم أجد ما أقوله أبلغ من أن أردد قول الحق(تبارك وتعالي):
(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه علي كل شيء شهيد)(فصلت:٥٣).



Page 1 of 15

معجزة انشقاق القمر بالصور

فراشة من طيبة

الانتساب : Jan 2006

رقم العضوية : ٢٣١٤

الإقامة : المملكة العربية السعودية

المشاركات : ٢٩٢

بمعدل : ٠.٣٠ يومياً

عدد النقاط : ٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

(اقتربت السَّاعة وانشقَّ القمرُ (١) وإن يروْا آيةً يُعرضوا ويقولوا سحرٌ مُستمرٌ (٢) وكذَّبوا واتَّبعوا أهواءهم وكلُّ أمرٍ مُستقرٌّ (٣) ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مُزدجرٌ (٤) حكمةٌ بالغةٌ فما تغن النُّذرُ (٥) فتولَّ عنهم يوم يدعُ الداعِ إلى شيءٍ نُكرٍ (٦))

صدق الله العظيم

أقـدم لـكم يا أخوان هـذه الصورة الرائعـة..

التي حيـرت علمـاء نـاسـا..

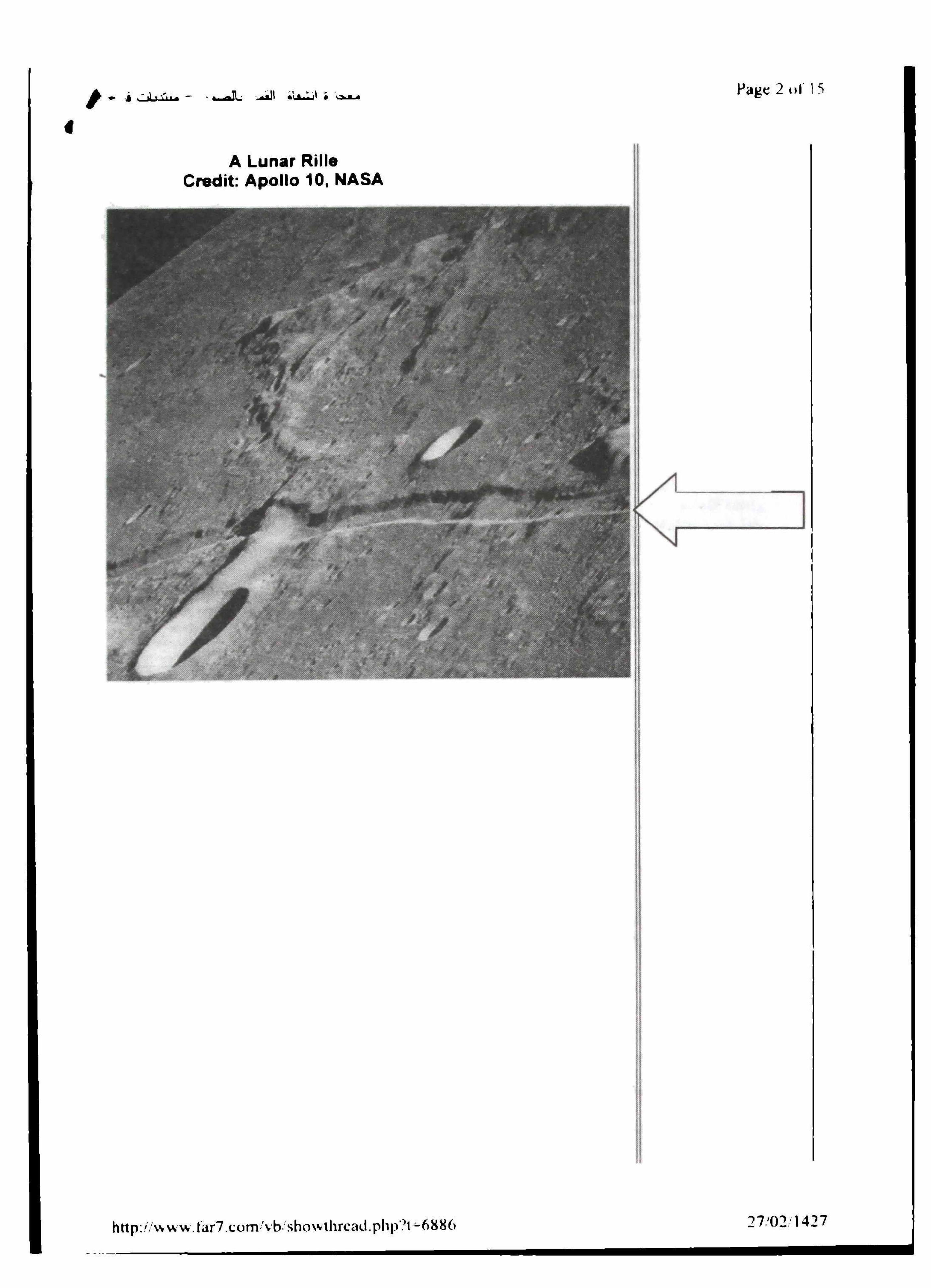
ولا زالوا يسـألون أنفسـهم..كيف حـدث هـذا..

سبحـان الله..

وفي موقع نـاسـا يطلق عليـه تحت هذا المصطلـح

http://www.far7.com/vb/showthread.php?t=6886

27/02/1427

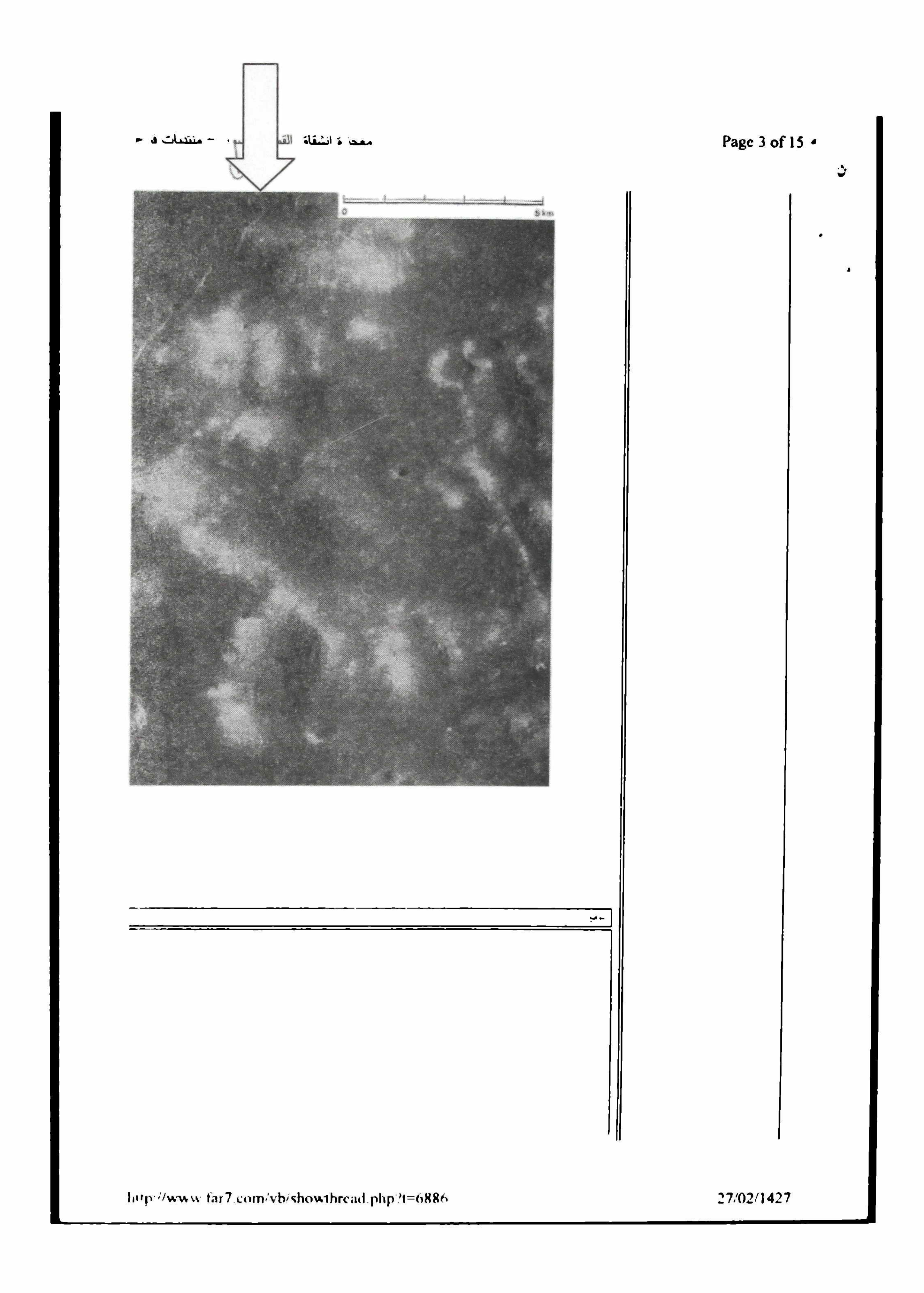


Page 2 of 15

A Lunar Rille
Credit: Apollo 10, NASA

http://www.far7.com/vb/showthread.php?t=6886

27/02/1427


Page 3 of 15
0
5km
http://www.far7.com/vb/showthread.php?t=6886
27/02/1427


منتديات جمعية الفلك بالقطيف

نسخة معدة للطباعة من موضوع

اضغط هنا لمشاهدة الموضوع على هيئته الأصلية

جمعية الفلك بالقطيف » القمر » ناسا تتوصل لحقيقة انشقاق القمر

الكاتب:: سلمان رمضان في: ١٦th Oct 2005, 09:31 PM

بعد عدة سنوات من دوران مركبة الفضاء الامريكية " كليمنتاين" حول القمر توصلت وكالة الفضاء الامريكية " ناسا " إلى ماعرفه المسلمون من منذ ١٤٠٠ عام أي منذ بدء دعوة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى الاسلام .
وأكد عماد مجاهد الباحث الفلكي الأردني أن نتائج دراسات مركبة الفضاء الأمريكية "كليمنتاين" توصلت الي أن القمر كان قد تعرض قبل فترة زمنية وجيزة بالنسبة لعمره الجيولوجي إلي عملية انشقاق من منتصفه تماما بحيث انشطر إلي نصفين متساويين ثم عاد والتحم من جديد.
وقال مجاهد إنه أرسل تقريرا فلكيا إلي "ناسا" يبين فيه أن عملية انشقاق القمر وردت في القرآن الكريم في الآية الأولي من سورة القمر، والتي كانت إحدي المعجزات التي كرم الله بها الرسول في بداية دعوته للإسلام لاثبات نبوته وصدق رسالته السماوية.
وقال الباحث إن هذه النتائج المذهلة التي توصل إليها علماء وكالة الفضاء الأمريكية "ناسا" أثارت دهشتهم كونهم لم يتمكنوا من وضع تفسير لعملية انشقاق القمر المفلجنة والتي لم يحدث ان انشطر اي جرم سماوي بهذه الطريقة من قبل مثلما حدث للقمر.

الكاتب:: oman2006 في: ٢٨th Oct 2005, 04:12 PM

انها المعجزة الكبرى وهذا اثبات رباني وتاكيد بان هذا القرآن لا ياتيه الباطل وانه يعلو ولا يعلى عليه سبحانك ربي .
وهذه الاكتشافات تجعل البشر الغير مسلمين يعيدون التفكير في هذا الدين القويم وانه الدين الحق وهو الطريق المستقيم وما مخالفه فهو باطل لانه لا ينبع من عند الملك الجبار .

الكاتب:: أحمد بلد في: ٥th Nov 2005, 04:17 AM

.. ((اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ)) ..

الكاتب:: الراحي عفو ربه في: ١٢th Feb 2006, 10:23 AM

سبحانك ربي ما اعظمك [color=sienna][/color][size=8][/size]

-
-

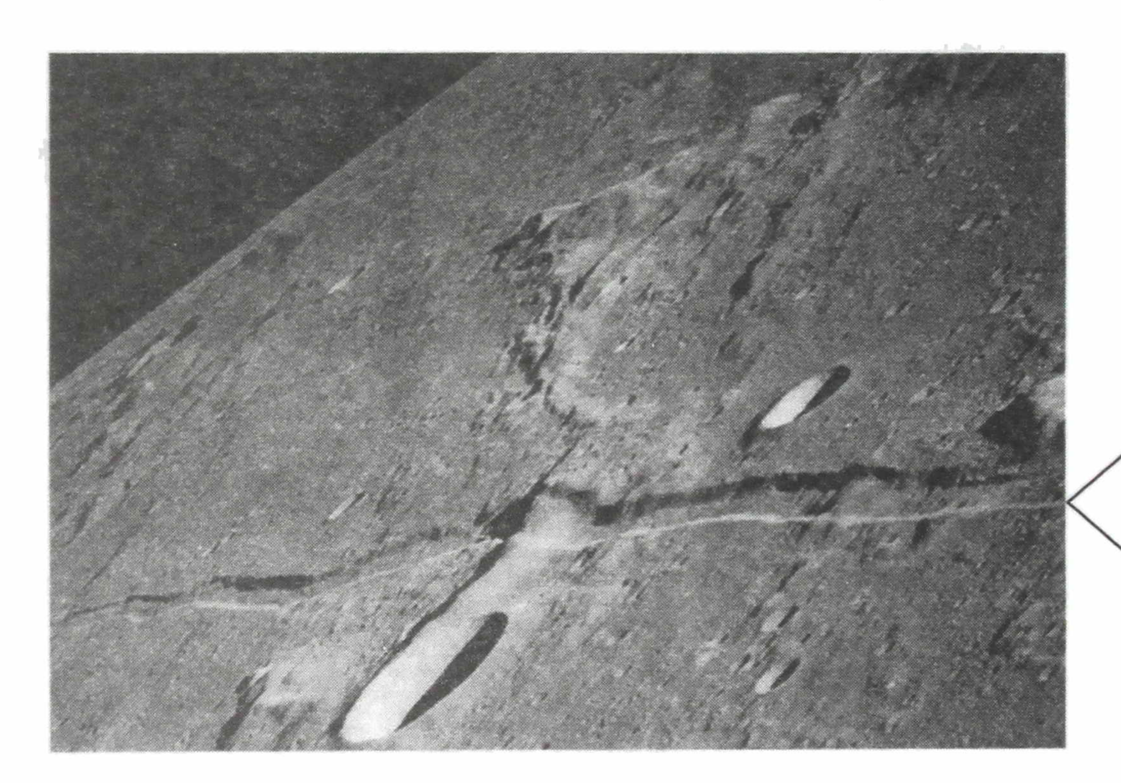
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

الكاتب:: الكون الواسع في: ١٤th Feb 2006, 02:08 PM

السلام عليكم

اظن اني تكلمت عن هذا الموضوع وبالصورة لكن ساكرر الصورة

تفضل هنا تريك انشقاق القمر



الخط الوضح هو انشقاق كان القمر قد مر به منذ زمن بعيد حسب ما قالته الناسا

والسلام عليكم

الكاتب:: سهيل والشعريان في: 10th Feb 2006, 05:38 AM

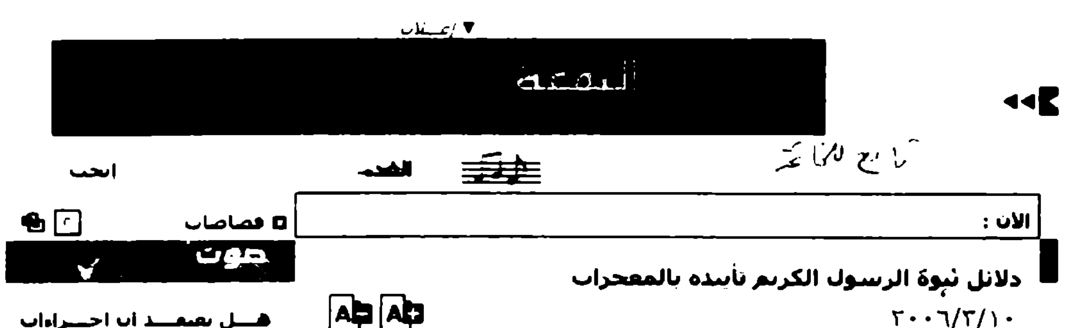
إخواني وأخواتي
السلام عليكم

لقد تم بحث هذا الموضوع بالتفصيل الممل جداً جداً على موقع الأستاذ عمرو خالد في صفحة المنتديات العلمية - الساحة العلمية وبالطبع لم يثبت هذا الكلام أبداً ، وقد كان النقاش طويلاً جدا حول هذا الموضوع

ولذلك فبدلاً من العودة للخوض فيه هنا فارجو منكم العودة الى ذلك المنتدى لقراءة ما كتبه الكثيرون

http://forum.amrkhaled.net/showthread.php?t=9735

وتقبلوا تحياتي



الآن :

فصاصات

صوت

هل تعتقد أن اجراءات الحكومة كافية في مواجهة مرض انفلونزا الطيور؟

نعم

لا

صوت | نتيجة التصويت

فترة التصويت :
(٢٠٠٦/٢/٢٠-٢٠٠٦/٢/٢٨)

إلغاء المسؤولية

بريد القراء

كاريكاتير

دلائل نبوة الرسول الكريم تأييده بالمعجزات

٢٠٠٦/٣/١٠

احمد حسن

لأنها آخر الرسالات السماوية فقد جاءت بما يؤمن عليه البشر في جميع العصور والأزمنة فقد أيد الله موسى بالعصا وغيرها من المعجزات التي شاهدها قومه في عصره فقط وكذلك عيسى أيده الله بمعجزة إحياء الموتى وغيرها. الا انها كلها لم تعد موجودة. أما النبي الخاتم فله معجزة خالدة إلى يوم القيامة. قال عليه السلام: "ما من نبي إلا أوتي من الآيات ما آمن عليه البشر. وكان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة". فمعجزة خاتم الأنبياء والمرسلين لم تقتصر على حياته وإنما جاءت متصفة باستمرارها لا تزول بوفاته. وتلك هي معجزة القرآن الذي أوحاه الله تعالى إليه بما فيه من إخبارات عن العلم وعن الأقوام السابقة واللاحقة لقوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ وقال: ﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون﴾. وها هو ذا عصرنا بعلومه يصدق ما جاء في الآيتين السابقتين وغيرهما.

حادثة انشقاق القمر

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله أن يريهم آية فأراهم شق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذا الانشقاق في القرآن الكريم فقال: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ فكان هذا الانشقاق آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء. وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع. فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر.

يقول الشيخ عبد المجيد الزنداني: "جرت بيني وبين أحد المستشرقين مناقشة: قال لي فيها: كيف يثبت لي أن هذه الخوارق قد وقعت - وكانت المناقشة حول انشقاق القمر للنبي - فإنه قد انشق القمر نصفين على عهد النبي وذلك لأن قريشاً كانت طلبت من الرسول أن يريهم آية، فشق الله سبحانه وتعالى له القمر نصفين. ورأى الناس القمر وقد انشق نصفين فعجب كفار قريش من ذلك وقالوا: سحرنا ابن أبي كبشة. وبعضهم قال سحر القمر. ثم قالوا: لإن سحرنا نحن فإنه لا يستطيع أن يسحر المسافرين. انتظروا حتى يأتي المسافرون. فلما جاء المسافرون من كل اتجاه سألتهم قريش: هل رأيتم انشقاق القمر؟ قالوا: نعم رأيناه. فقالت قريش: لقد جاء بسحر عظيم. فقلت له: "لقد وقع انشقاق القمر في عهد النبي وكان هناك فريقان متصارعان متنافسان متباغضان يكيد كل منهما للآخر. ولما وقعت حادثة انشقاق القمر كانت قريش تحرص على أن تجد شيئاً بسيطاً يكذب به رسول الله وبعد أن وقعت الحادثة نزل القرآن يقرأ عليهم ما حدث ويسجل مواقفهم من الحادثة. ولكن ما حدث أن ثبت المسلمون على إسلامهم واستمروا على إيمانهم وازدادوا إيماناً. وتحول الكفار من الكفر إلى الإسلام وأصبحوا بعد ذلك جنوداً في جيش الإسلام".

وقد ورد عن ابن كثير وكما قاله صاحب كتاب فتح القدير للشوكاني: وقد ثبتت هذه الحادثة بأعلى درجات الثبوت في كتاب الله وفي الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة. فكيف ثبت في أحاديث الذين شاهدوا ذلك رؤى كل واحد منهم مختلفة. كأن يقول: أنا رأيت انشقاق القمر. رأيت فلقة هنا وفلقة هناك. ومنهم من يقول: رأيت الجبل بين الفلقتين ومنهم من يقول رأيت جزءاً من القمر فوق الجبل والجزء الآخر يغيب وراء الجبل.

دلالة القرآن العظيم

إن محمداً لم يكن عالماً فلكياً قط، ولا جاء حتى في عصر الفلكيين، وعلى الرغم من ذلك فإن القرآن يعطينا فكرة بالغة التحديد عن نهاية العالم، بحيث يمكننا ببساطة فهمها دون الاضطرار إلى مراجعة أمهات الكتب في الكونيات لاينشتاين، وستيفن هوكنج، وهايزنبرغ وماكس بلانك، وهابل وغيرهم، ولكننا كمسلمين، يمكننا اختبار دلالة القرآن على مسألة فناء الكون أو نهايته على النحو التالي:

فقد ذكر القرآن الكريم أن حدثاً هائلاً سوف يكون سبب نهاية الكون، وأن ذلك سيكون بزلزلة بالغة العنف، وأن العلامات الأولى لهذا الحدث الجلل هي "الانفطار"، "الانشقاق"، "الانفتاح" للسماء "المادة الكونية"، وأن ذلك سوف يؤدي إلى الانهيار المفاجئ للتوتر الهائل الكائن حالياً. يقول الله تعالى: ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ وقال تعالى: ﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾ وأيضا: ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ وغيرها كثير.

فهذا الانهيار الذي يحدث للسماء بمجرد الانشقاق لهذه السماوات المملوءة بالتوتر الشديد، يشير ببساطة إلى أن هذا التوتر والشد ما هو إلا نتيجة الاتساع الكوني المستمر والذي هو في وقتنا الحالي على أعلى درجاته وفي لحظة فاصلة. فإن الانشقاق والانفطار للسماء هو المصير المحتوم. يقول تعالى ﴿إذا السماء انشقت". و"إذا السماء انفطرت. وإذا الكواكب انتثرت". ويقول أيضا: "فإذا النجوم طمست. وإذا السماء فرجت﴾

إن بداية نهاية الكون - على ما نفهمه من إخبارات القرآن - ستبدأ بانشقاق السماء وبعده "انفطار" ومن ثم انفراج السماء وانفتاحها ما يؤدي إلى توقف عملية "التوسع" الكوني: لأن هذا التمزق الحاد في جسم السماء سيؤدي إلى انهيار قوى الشد والتمدد لينتهي بالسماء إلى الحالة الواهية المذكورة في سورة الحاقة. وعقب تلك الأحداث الهائلة فإن مرحلة الكون الأخيرة ستطل برأسها، وتبدأ مرحلة الانسحاق العظيم لقوله تعالى: "يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب". تحت تأثير قوى الجذب الجبارة التي لا يمكن وصفها، إنها القوة التي كانت تقاوم التوسع قبل تمزق السماء وهكذا فإن الطي العظيم سينتهي بالكون إلى حالته الأولى قبل أي تمدد أو اتساع.

كاتب اردني

أرسل لصديق   طباعة

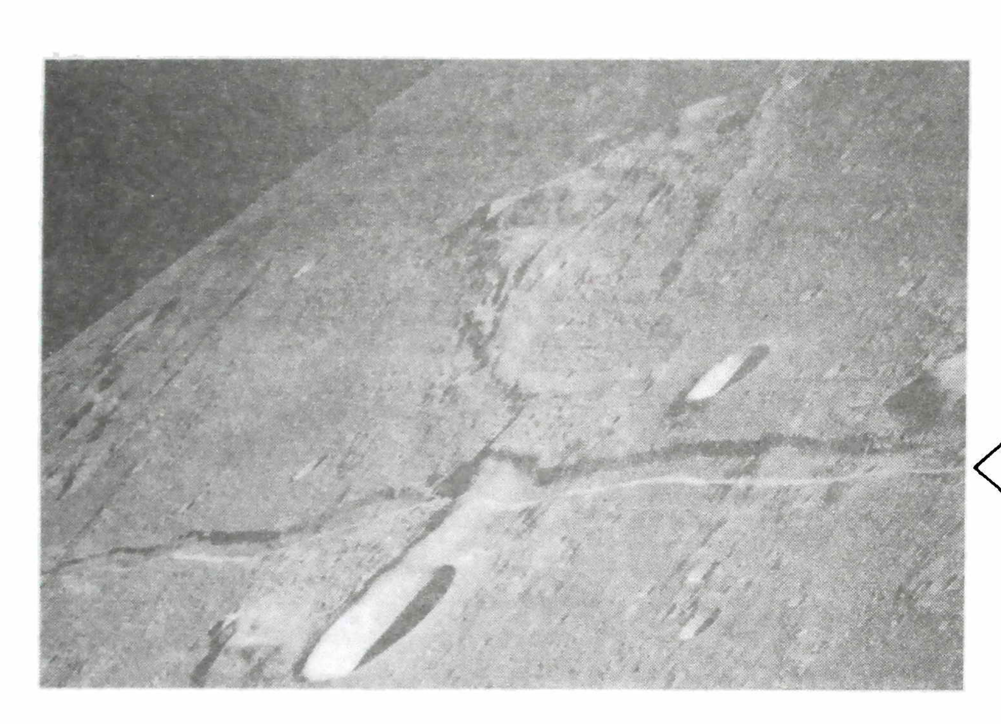
للإعلان ■ اتصل بنا ■ الدخول

Developed by ...

جميع حقوق المؤلف والنشر محفوظة لجريدة الغد ٢٠٠٦ © (شروط استخدام الموقع)

الفلك كما يبدو اليوم

اكتشف الكون! كل يوم صورة جديدة مختلفة للكون بالإضافة الى شرح مبسط مكتوب من مختص في علم الفلك



ريلى القمر

الوكالة الوطنية للفضاء و الطيران

الشرح: أي شيء ممكن ان يسبب شق في القمر؟ تم اكتشافه اول مرة منذ اكثر من ٢٠٠ سنة مضت من خلال تلسكوب صغير، يبدو الريلي فوق القمر. هناك العديد من الريلات تعرف الآن باسم الريلات الجيبية، و التي تحتوي على العديد من المنحنيات و التعرجات، ريلات اركيويت والتي تشكل اقواس، او ريلات مستقيمة، ريلات اراديوس والتي تظهر صورتها في الاعلى. الريلات الطويلة مثل اراديوس والتي تمتد الى مئات الكيلومترات. الريلات الجيبية الموجودة الان يمكن ان تكون بقايا من جريان الحمم البركانية، ولكن اصل الريلات الخطية و لا تزال هي موضع دراسة هذا البحث. الريلات الخطية اعلاه تم التقاطها من طاقم ابولو في سنة ١٩٦٩ خلال التوجه التاريخي الى ١٤ كيلو متر فقط فوق السطح القمري. بعد شهرين، ابولو ١١ تضمن الكثير من المعلومات التي اخذها من ابولو ١٠ و هبطت على سطح القمر.



APOD: 2002 October 29 - A Lunar Rille　　　　Page 1 of 2

Astronomy Picture of the Day

Discover the cosmos! Each day a different image or photograph of our fascinating universe is featured, along with a brief explanation written by a professional astronomer.

2002 October 29



A Lunar Rille
Credit: Apollo 10, NASA

Explanation: What could cause a long indentation on the Moon? First discovered over 200 years ago with a small telescope, rilles (rhymes with pills) appear all over the Moon. Three types of rilles are now recognized: sinuous rilles, which have many meandering curves, arcuate rilles which form sweeping arcs, and straight rilles, like Ariadaeus Rille pictured above. Long rilles such as Ariadaeus Rille extend for hundreds of kilometers. Sinuous rilles are now thought to be remnants of ancient lava flows, but the origins of arcuate and linear rilles are still a topic of research. The above linear rille was photographed by the Apollo 10 crew in 1969 during their historic approach to only 14-kilometers above the lunar surface. Two months later, Apollo 11, incorporating much knowledge gained from Apollo 10, landed on the Moon.

Tomorrow's picture: Rock & Sky

< | Archive | Index | Search | Calendar | Glossary | Education | About APOD | >

Authors & editors: Robert Nemiroff (MTU) & Jerry Bonnell (USRA)
NASA Technical Rep.: Jay Norris. Specific rights apply.
A service of: LHEA at NASA / GSFC

file://A:\انشقاق%٢٠القمر\APOD%202002%20October%2029%20-%20A%20Lunar%20...　　15/02/1424

تذييل الخاتمة:

في الرد على رومانوس الحمصي في تكذيبه آية انشقاق القمر، دراسة على الانترنيت:

لقد بذل المبشرون المسيحيون ـ وهم دعاة الاستعمار ـ جهداً بالغاً في دراسة الإسلام في محيطيه الفكري بفروعه المتعددة الجوانب والأنحاء، والاجتماعي بجوانبه المترامية الأطراف، وجاسوا خلال الديار، فانتهى بهم تعمّقهم إلى تبيّن ظاهرة خطيرة عامة، ستكون لها نتائج يقينية حاسمة في المستقبل، سواء القريب منه والبعيد، وذلك مفهوم: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ .

وهذا ما حمل بعض ذوي الضمائر الحيّة منهم فآمن به وهم القلّة النادرة، واختار فريق الحياد، ولم يمنعه ذلك من إبداء إعجابه بالإسلام ونبيّه وقرآنه، ومن هؤلاء كارليل الّذي يقول:

إنّ القرآن الكريم كتاب لا ريب فيه، وإنّ الإحساسات الصادقة الشريفة والنيات الكريمة تظهر لي فضل القرآن، الفضل هو أول وآخر فضل وجد في كتاب نتجت عنه جميع الفضائل على اختلافها، بل هو الكتاب الّذي يقال عنه في الختام، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ، لكثرة ما فيه من الفضائل المتعددة [1] .

ومن هؤلاء أيضاً ألكس لوازون الّذي يقول:

خلف محمد للعالم كتاباً هو آية البلاغة وسجل الأخلاق، وهو كتاب مقدس، وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثاً أو المكتشفات الحديثة مسألة تتعارض مع الأُسس

---

١ - الإسلام روح المدنية: ٣٧ .

الإسلامية، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية [1].

ومن هؤلاء وليم موير الّذي يقول:

جميع حجج القرآن طبيعية ودالّة على عناية الله بالبشر [2].

إلى غير هؤلاء ممّن يطول المقام بذكرهم، غير أنّي تعويضاً عن استيفائهم أذكر ما جاء في دائرة المعارف البريطانية ج / ٨: «إنّ لغة القرآن لها من الأهمية بمكان خطير تجد فيه أحسن اللهجات العربية وأفصحها، وإنّ ما يخصّه من الفصاحة والبلاغة والأسلوب البديع والتعبير العجيب، لأكبر عامل لبقائه وخلوده، ويجب أن يقال فيما يحتوي من الأحكام العقلية انّها منزّهة عن الخرافات، جديرة بالتحسين، قابلة للقبول والإذعان، ولم يهتم يقظ بصير، بمطالعته إلا كان له الحظ الوفير من القوانين اللازمة في الحياة، وكانت السعادة لا تفارقه مدى العمر» [3].

وإلى جانب من ذكرت كانت صليبية حاقدة تنفث سمومها على الإسلام ونبيّه وقرآنه، كما شنّت حروباً على المسلمين فغزت ديارهم ودمّرت آثارهم، وبدأ التعاون بين الكنيسة والحكومات، واشتد الحال منذ عهد نابليون بونابرت في حملته على مصر، وسمّوا ذلك العهد عهد النهضة، واستغفلوا ناشئة المسلمين عمّا يراد بهم باسم الثقافة العصرية، والعلوم الإنسانية، والقيم الحضارية إلى ما هنالك من مفردات لم تكن من قبل كالديمقراطية والتقدمية، فاجتذبوا الكثير دون أن يتنبهوا إلى ما في ذلك من خطر على هوياتهم الإسلامية الحقيقية، فأضاعوا الفرص واجتاحهم عواصف الالحاد والتشكيك،

١- الإسلام والعلم الحديث: ٦٩ .

٢- مجلة الذكرى السنة الأُولى عدد / ٣ صفحة / ٦٥ .

٣- الإسلام على ضوء التشيع ١: ٢٠٩ .

وشذّرتهم فرقاً وأحزاباً في مدارسهم الفكرية، وأنظمتهم الإجتماعية.

فكان من الطبيعي أن تنشط البعثات التبشيرية بنشاطها المحموم، وتنفث في أبواقها أنواع السموم، من شعارات برّاقة وثقافة مدجّنة باسم حرية الرأي في العقيدة والكلمة والسلوك، وفيها مكمن الخطر حيث إساءة الاستعمال، فكان التفسّخ الخلقي والإنحلال، ومن ينكر المردود السيء للبرامج الخلاعية والتمثيليات العاهرة، وكتب الجنس الصارخة، فكانت الكارثة في إشاعة الفحشاء بين الجيل الناشئ على حد قول الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلباً خالياً فتمكّنا

وهذا بعض أساليب الغزو الصليبي الّذي ما برح يستخدم كل ما وسعه من امكانات ثقافية وعقلية ونفسية في السياسة والاقتصاد والاجتماع فضلاً عن العسكرية، وقد نجح في توجيه الضربات الماحقة والمتلاحقة إلى المسلمين، ومن الحماقة أن يعزى ذلك كله إلى سبب جهل المسلمين وغفلتهم عمّا يُراد بهم، لا ليس الأمر كله كذلك، ولكن بسبب ضعف الإيمان في نفوسهم وحبّهم الحياة وكراهة الموت كما قال ﷺ حيث تنبّأ لهم بذلك منذ خمسة عشر قرناً حيث قال:

«ويل للعرب من شر قد اقترب من فتنة عُمياً صُمّا بُكما» [1].

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها، قال: قلنا: يا رسول الله أمن قلّة بنا يومئذٍ؟ قال: أنتم يومئذٍ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب أعدائكم ويجعل في قلوبكم الوهن، قال قلنا: وما الوهن ؟ قال: حبّ الحياة

١- راموز الأحاديث: ٤٦١ ط الاستانة سنة ١٢٧٥ هـ.

وكراهية الموت»[١] .

وقال ﷺ: «يكون في آخر الزمان أُمراء ظلمة، ووزراء فسقة، وقضاة خونة، وفقهاء كذبة، فمن أدركهم فلا يكوننّ لهم عرّيفاً، ولا جابياً، ولا خازناً، ولا شرطياً»[٢] .

وازدادت الحملات الصليبية على المسلمين حتى إذا دبّت الصحوة فيهم أعلنت الحرب عليهم من جديد باسم الإرهاب، وانقادت الأغنام الأغتام لنعيق الصليبية، فصار المسلمون يقتل بعضهم بعضاً، ولا أُريد أن أستعرض المآسي والعنف الديني والطائفي الّذي شوّه صفحات التاريخ الإنساني ومنه تاريخ المسلمين، فقد تناولته المؤلّفات الكثيرة بالعرض والدرس والفحص والتمحيص، وكثر النقاش حولها، وضاقت الصحف، وزاد الطين بلّة ما تطلع به الفضائيات الكثيرة وشبكات الانترنيت التي أضحت في متناول كل من يريدها، ويتجاوب مع ما فيها، دون تمحيص، لما فيها من دسّ رخيص.

وهذا الحال هو السبب الّذي دعاني إلى الحديث عنها، لأنّ العالم الإسلامي قد انزلق ـ راضياً أو كارهاً ـ إلى المنحدر الرهيب، من دون محاسب أو رقيب .

ومن بعض تلكم السيئات التي أثارت حفيظة صديق رأى على شبكة الانترنيت عنوان:

دراسة عقلانية موضوعية لخرافة انشقاق القمر ...

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ

من أين أتى محمد بهذه الآية ؟؟

١- مسند الطيالسي: ١٣٣ ح ٩٩٢، ومسند أحمد ٥ ٢٧٨، وسنن أبي داود ٤: ١١١ ح٤٢٩٧، ومعجم الطبراني الكبير ٢: ١٠٣ / ١٤٥٢، وحلية الأولياء ١: ١٨٢، ودلائل النبوة لأبي نعيم ٦: ٥٣٤، ومصابيح السنة للبغوي ٣: ٤٦٠ ح ٤١٣٤ وغير ذلك .

٢- راموز الأحاديث: ٥١٨ .

قال امرؤ إلقيس بن حجر الحارث الكندي الشاعر الجاهلي:

اقتربت الساعة وانشق القمر من غزال صاد قلبي ونفر

راجع فيض القدير شرح الجامع الصغير .

فثارت ثائرته وأتاني طالباً منّي أن أُعطيه ما كتبته عن معجزة شق القمر، لينشره هو أيضاً على نفس الموقع، فهدأت من روعه وقلت له: لا تفزع ولا تجزع، ولا تحزن وقد صدق الله تعالى العليّ العظيم حيث يقول: **﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾**[2].

وقال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾**[3].

إنّ صاحب المقال الآنف الذكر، بالرغم من صورته الإنشائية، لكنه ظاهر منه الحنق البغيض المغيض، وهو الذي وصلت به القحّة إلى التجاسر على النبي ﷺ، وهذا يكشف عن استمرارية الصليبية في حربها على الإسلام والمسلمين بشتى وسائلها المتاحة، بدءاً من

١- البقرة: ١٢٠ .

٢- البقرة:١٠٩ .

٣- آل عمران: ٧ .

أساطيلها التي تمخر عباب البحار، إلى طائراتها التي تشق الفضاء بزئيرها وتدك الديار إلى باقي أسلحة الدمار، ثم لم تغفل عن وسائل الإعلام والدعاية مقروءة ومسموعة ومرئية، ومنها على شبكات الانترنيت ما يكفي لتدمير البيت وأهل البيت .

إنّها الصليبية لن تنتهي وستبقى كذلك صليبية إلى الأبد، إلى أن يأذن الله سبحانه فينزل عيسى عليه السلام ويصلّي خلف إمام هذه الأُمة الإمام المهدي عج الموعود، فإذا رآه أهل الصليب آمن به من آمن: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾[1].

ألم يقل اللورد اللنبي في صراحة ووقاحة حين استولى على بيت المقدس في الحرب العالمية الأُولى«الآن انتهت الحروب الصليبية»، ألم يقل فيشر- كبير مؤرخي انجلترا في القرن العشرين – معلقاً على الغاء الخلافة العثمانية:

«انّ آخر مظهر من مظاهر الحروب الصليبية قد انتهى بتوقيع معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣، ومن ذلك الوقت اختفى من الوجود العالم الإسلامي كحقيقة تاريخية، وحلّت محله سياسة اقليمية تسمى بمصر وسوريا ولبنان وفلسطين والسودان والجزائر ومراكش وتركيا ... الخ، وتخضع كل من هذه الوحدات السياسية لنفوذ دولة أوربية»[2].

ولم تمض فترة حتى صرخ غلادستون رئيس وزراء بريطانيا في عهد فكتوريا وقد أمسك بيده القذرة المصحف الشريف وقال لأعضاء مجلس العموم البريطاني: ما دام هذا الكتاب بين أيدي المصريين فلن يقر لنا قرار في تلك البلاد .

وما لنا نذهب بعيداً وبالأمس القريب كانت فتنة القناة المستقلة، وهي لا شك

١- النساء: ١٥٩.

٢- نظرات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والإجتماع هنري لاووست، ترجمة محمد عبد العظيم علي، تقديم وتعليق د. مصطفى حلمي ج٢: ٥٣/ م ط ١٣٩٦ دار نشر الثقافة بالاسكندرية.

عندي في أنّها كانت مستغلّة، وقد ألقحت الفتنة الطائفية بين المسلمين لصالح الكافرين من اليهود وأصحاب الصليب، فكانت تلك اللعبة في أن تبارى فيها أصحاب الذقون ممّن يُعرفون ولا يُعرفون، وجميعهم لا يعرفون على مَ يهرفون ويعزفون (ماذا يراد بهم وأين يسار، والليل داج والطريق عثار) .

فتطاعنوا وتطاحنوا، بما لم يجدي المسلمين شيئا في حياتهم، سوى الإلهاء بالمهاترات، وأنّى يجديهم البحث بإدانة السلف وقد شاب على ضلالتهم الخلف، لكنها الفتنة العمياء التي قال عنهاﷺ:

«كأنّكم براكب قد أتاكم فينزل بكم فيقول الأرض أرضنا، والمصر مصرنا، وإنّما أنتم عبيدنا ! وأجراؤنا، فحال بين الأرامل واليتامى وما أفاء الله على إمامهم»[1].

صدق رسول الله ﷺ فقد جاء الراكب من شذّاذ الآفاق ومردة أهل الكتاب، ونزلوا بنا في فلسطين وقالوا الأرض أرضنا والمصر مصرنا، وطردوا أهلها فشرّدوهم في البلدان، ومن بقي منهم فهم أذلاء أجراء كالعبيد.

فلعن الله من أتى بهم ومن دعاهم إلى اقتناص الفرصة واغتنام العرصة، ألم يقل نابليون بونابرت في نداء موجّه ليهود العالم: (أيها الاسرائيليون: انهضوا فهذه هي اللحظة المناسبة)[2] فلنقرأ ما كتبه قال: (وفي سبيل تحقيق أغراضه لم يتردد نابليون أمام الموانع والذرائع، فعند غزو مصر كان ادعاؤه أنّه الصديق الصدوق لخليفة المسلمين العثماني، الحريص على تثبيت سلطانه المهدد من المماليك في الداخل، والملوك المسيحيين في الخارج،

١- مجمع الزوائد ٥: ٢٤٠.

٢- (محمد حسنين هيكل: المفاوضات السرية بين العرب واسرائيل والأسطورة والامبراطورية والدولة اليهودية) ١: ٢٧ الكتاب الأول الطبعة العاشرة سنة ٢٠٠١ دار الشروق .

ووصل نابليون إلى حد ادعاء الإسلام إيماناً، كما قال: بصدق وصفاء تعاليمه .

وعندما بدأ نابليون زحفه من مصر إلى الشام داخلاً من فلسطين، توقفت جيوشه عند أسوار القدس وعكا ويافا، وغيرها من حصون المسلمين، وهنا أزاح نابليون ورقته الإسلامية وأخرج ورقة ثانية يهودية !

إنّ ورقة نابليون الإسلامية ـ وهي منشورة إلى المصريين عن صداقته للخليفة وعن اعتناقه للإسلام ـ كانت جاهزة مطبوعة من قبل أن تقلع الحملة الفرنسية من موانيها، وأما ورقة نابليون اليهودية فليس واضحاً متى بدأ التفكير فيها والإعداد لها، ومن المحتمل أنّ نابليون رتب لها قبل مغادرته لفرنسا، ولم يشأ أن يعلن عنها كي لا تؤثّر على ورقته الإسلامية، لكنه من المحقق أنّ بعض علماء الحملة الفرنسية بدءوا مبكراً في الإتصال ببعض حاخامات اليهود في فلسطين، مثل موسى موردخاي وجاكوب الجازي وربما غيرهما .

وكانت ورقة نابليون اليهودية، التي أظهرها أمام أسوار القدس، نداء إلى يهود العالم لم يوزع في فلسطين وحدها، وإنّما جرى توزيعه في الوقت نفسه في فرنسا، وإيطاليا، والإمارات الألمانية، وحتى في أسبانيا، الأمر الّذي يشير إلى أنّ القضية أكبر وأوسع من ظرف محلي واجهه نابليون حينما استعصت عليه أسوار القدس .

كان نداء نابليون إلى يهود العالم على النحو التالي:

«من نابليون بونابرت القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في أفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين .

أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد، الّذي لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبه نسبه ووجوده القومي، وإن كانت قد سلبته أرض الأجداد فقط .

إنّ مراقبي مصائر الشعوب الواعين المحايدين ـ وإن لم تكن لهم مقدرة الأنبياء مثل

اشعياء ويوئيل ـ قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع أنّ عبيد الله (كلمة إسرائيل في اللغة العبرية تعني أسير الله أو عبد الله) سيعودون إلى صهيون وهم ينشدون، وسوف تعمّهم السعادة حين يستعيدون مملكتهم دون خوف .

انهضوا بقوة أيها المشرّدون في التيه، إنّ أمامكم حرباً مهولة يخوضها شعبكم بعد أن اعتبر أعداؤه انّ أرضه التي ورثها عن الأجداد غنيمة تقسم بينهم حسب أهوائهم ... لابدّ من نسيان ذلك العار الّذي أوقعكم تحت نير العبودية، وذلك الخزي الّذي شل إرادتكم لألفي سنة، إنّ الظروف لم تكن تسمح بإعلان مطالبكم أو التعبير عنها، بل أنّ هذه الظروف أرغمتكم بالقسر على التخلّي عن حقكم، ولهذا فإنّ فرنسا تقدّم لكم يدها الآن حاملة إرث إسرائيل، وهي تفعل ذلك في هذا الوقت بالذات، وبالرغم من شواهد اليأس والعجز .

إنّ الجيش الّذي أرسلتني العناية الإلهية به، ويمشي بالنصر أمامه وبالعدل وراءه، قد اختار القدس مقراً لقيادته، وخلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة التي استهانت طويلاً بمدينة داود وأذلتها .

يا ورثة فلسطين الشرعيين ..

إنّ الأُمة الفرنسية التي لا تتأجر بالرجال والأوطان كما فعل غيرها، تدعوكم إلى إرثكم بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء .

انهضوا وأظهروا أنّ قوة الطغاة القاهرة لم تخمد شجاعة أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان تحالفهم الأخوي شرفاً لأسبرطة وروما، وأنّ معاملة العبيد التي طالت ألفي سنة لم تفلح في قتل هذه الشجاعة .

سارعوا إنّ هذه هي اللحظة المناسبة ـ التي قد لا تتكرّر لآلاف السنين ـ للمطالبة

باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم، تلك الحقوق التي سلبت منكم لآلاف السنين وهي وجودكم السياسي كأمة بين الأمم، وحقكم الطبيعي المطلق في عبادة إلهكم بهواه، طبقاً لعقيدتكم، وافعلوا ذلك في العلن وافعلوه إلى الأبد» .

إنّ ورقة نابليون بونابرت الإسلامية كانت حيلة سهلة لخداع المصريين، سواء في ذلك العامة أو العلماء من مشايخ الأزهر .

ولابدّ من الاعتراف ـ لسوء الحظ ـ انّ الخدعة جازت على المصريين في ذلك الوقت بمن فيهم العامة والعلماء، وربما يغفر لهم جميعاً أن ضيقهم بجور الحكام المماليك جعلهم على استعداد لحلف مع الشيطان إذا كان ذلك ضرورياً للخلاص من أُولئك الذين استبدوا بأقدارهم وأرزاقهم، وعجزوا في نفس الوقت عن حماية ديار الإسلام وديارهم .

ولقد جاء الشيطان إليهم يلبس عمامة، وصدقوه لأنّهم كانوا يريدون تصديقه، ولأنّه لم يكن في مقدورهم ألا يصدقوه .

وعلى أي حال، فإنّ ورقة نابليون الإسلامية توقّفت عند هذا الحد، ولم تبق منها إلّا أوراق وذكريات، بعضها غريب وبعضها مسل، تحفل بها ملفات وزارة البحرية في باريس التي حفظت فيها معظم وثائق الحملة الفرنسية على مصر، وهي ترسم صورة مدهشة للسياسة وللحياة في مصر، بينما العالم ينتقل من القرن الثامن عشر إلى القرن التاسع عشر[1]،

---

١ - كانت هناك باستمرار عملية بحث عن وثائق الحملة الفرنسية على مصر، ولحقب طويلة بدا وكأنّ هذا الكنز التاريخي قد ضاع واندثر، وكان الظن أنّه ربما غرق هذا الكنز عندما كانت الصناديق التي تضم أوراقه محمولة على ظهر مركب فرنسي من المراكب التي تسللت عائدة إلى فرنسا بعد فشل الحملة الفرنسية على مصر. وساعد على ترجيح هذا الاحتمال أنّ الأسطول البريطاني، بقيادة الأميرال نلسون كان يترصد السفن الفرنسية المتسللة عائدة إلى مارسيليا محاولة اختراق طوق الحصار البحري . ولعل ←

وكلها خليط مثير فيه رؤى استراتيجية بخط نابليون، كما أنّ ضمنها قصائد شعر غزل مكشوف كتبه عدد من الشيوخ غراماً وصبابة في بعض ضباط نابليون وعيونهم الزرق وشعرهم الذهب !

لكن ورقة نابليون اليهودية هي الوثيقة التي تستحق الإهتمام في السياق التاريخي، لأنّها الأثر الإستراتيجي الباقي في المنطقة من تلك الأيام وحتى نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين .

* * *

إنّ نابليون بونابرت لم يكن يهودياً ولا كان موالياً لليهود، والعكس هو الصحيح، لكن ورقته اليهودية ـ المتمثلة في ندائه ليهود العالم من خارج أسوار القدس ـ لم تكن أكذوبة كما هو الحال في ورقته الإسلامية، ذلك أنّ ورقته الإسلامية كانت موجهة إلى كتلة بشرية من سكان مصر، عددهم في ذلك الوقت يفوق المليونين، وفي استطاعتهم إذا قاوموا أن يجعلوا مصر مصيدة لجيوشه وليس رأس جسر، وهو لهذا مستعد لخديعتهم بأن يكذب عليهم .

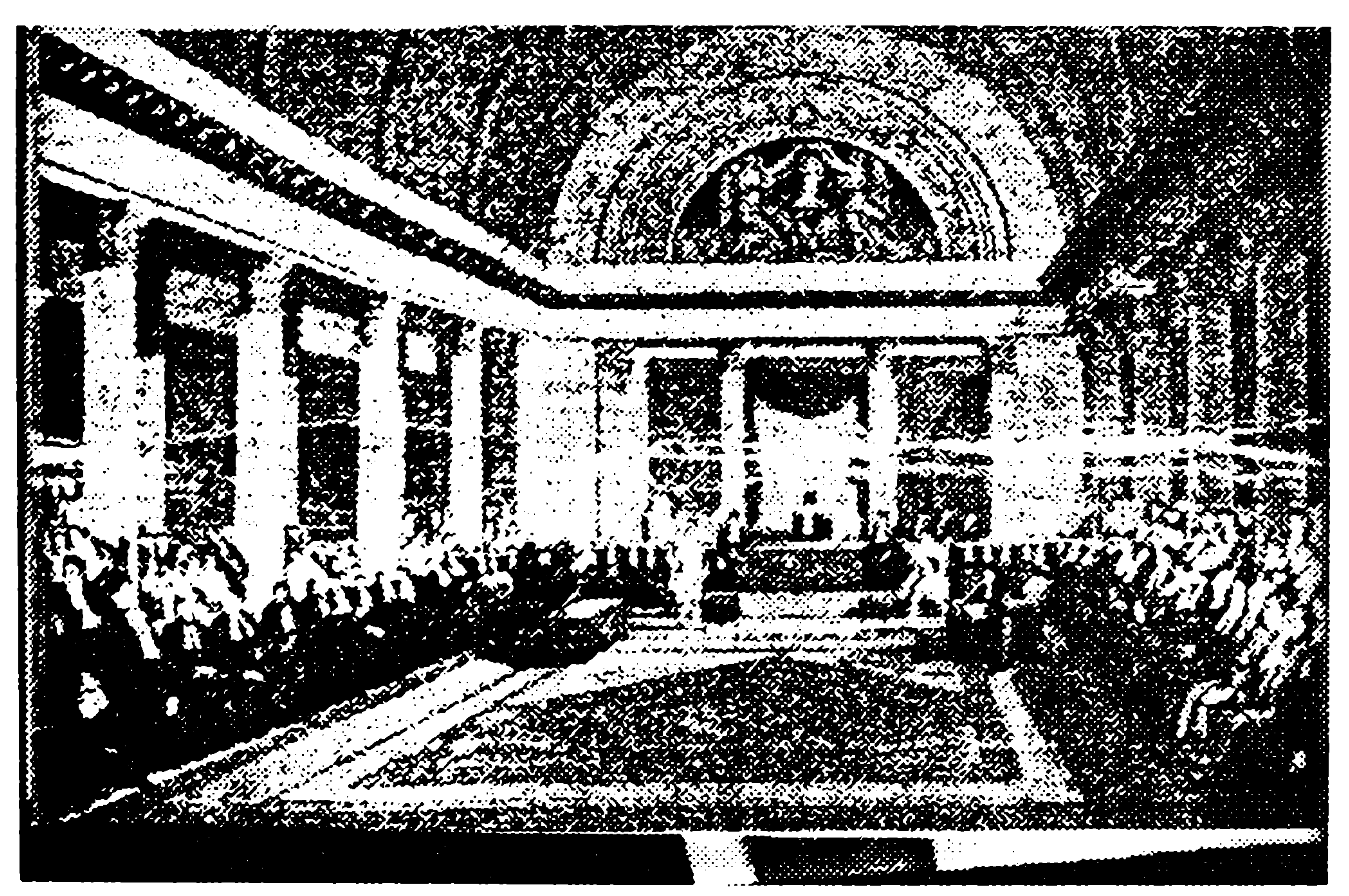
← الخطأ الّذي وقع فيه كثيرون بين الباحثين والدارسين، أنّهم اتجهوا إلى الخزائن التي كان طبيعياً أن تودع فيها أوراق الحملة الفرنسية، وهي وزارة الخارجية أو وزارة الحربية أو وزارة المستعمرات . ثم خطر ببال أحد الأساتذة المصريين المدققين، وهو الدكتورأحمد حسين الصاوي، أن يلقى نظرة على محفوظات وزارة البحرية الفرنسية، وإذا الكنز معظمه موجود في خزائنها . رقد حاول الرجل أن يستلفت نظر بعض الجهات الرسمية إلى مساعدته في توثيق فترة من أهم فترات التاريخ المصري، ولم يستمع إليه أحد . ثم تكفلت جهود خاصة بمهمة الدعم وتمويل البحث والتصوير، وبذل الدكتورالصاوي جهداً ممتازاً، وأمكن في النهاية الحصول على أكثر من عشرين ألف وثيقة من وثائق الحملة الفرنسية على مصر تلقى أضواءاً كاشفة على الاستراتيجيات للقوى الإمبراطورية في تلك الفترة، وكذلك على حياة مصر في لحظة من لحظات الانتقال الهائلة في التاريخ .

وأما ورقته اليهودية فهي حالة مختلفة، لأنّ اليهود في فلسطين ذلك الوقت لم يزد عددهم على ألفين، وبالتحديد وطبقاً لتقرير مرفوع إلى نابليون نفسه من مجموعة ضباط استكشاف سبقت جيشه إلى فلسطين، هو ١٨٠٠، منهم ١٣٥ في مدينة القدس، وهؤلاء ليس في مقدورهم ـ مهما فعلوا لا أن ينصروه ولا أن يخذلوه، وهكذا فإنّ ورقة نابليون اليهودية تحتاج إلى تفسير آخر غير التفسير الّذي يجوز حيال ورقته الإسلامية .

وإذا لم تكن ورقة نابليون اليهودية أكذوبة، وإذا لم تكن خدعة سياسية مثل ورقته الإسلامية، فماذا تكون إذن ؟

إنّ التفسير الصحيح ـ والحوادث اللاحقة شاهد ـ هو أنّ هذه الورقة كانت رؤية .

وهي لم تكن رؤية نبي، وإنّما كانت رؤية إمبراطور يملك حساً استراتيجياً نابهاً وبعيداً .



لوحة مرسومة للمحفل اليهودي الأكبر(سنهدرين) الّذي رأسه الإمبراطور نابليون بعد عودته من حملة مصر وإعلان نفسه إمبراطوراً لفرنسا، وقد طرح فيه نابليون مرّة أُخرى مشروعه لدولة يهودية في قلب الضلع الّذي يضم مصر وسوريا .

واللوحة مرسومة سنة ١٨٠٧ أي سنة انعقاد المحفل، ومن الواضح أنّ الفنان الّذي رسمها نقلها عن سكتش مسودة أعده أثناء افتتاح المؤتمر، ثم عاد إلى مرسمه واستكمل تفاصيلها .

ويظهر من المعلومات المتعلقة بهذه اللوحة أنّها بيعت بعد انتهاء عصر نابليون، ثم ظهرت في بعض المجموعات الخاصة، وسنة ١٨٦٠ كانت هذه اللوحة ضمن مجموعة رأسمالي يهودي هو إسرائيل سولومون من أُسرة سولومون المشهورة وقد سمح ابنه بنشرها، وظهرت مطبوعة لأول مرة سنة ١٨٧١ .

* * *

«تحدثت إليه عن آلام اليهود فلم يسمعني، وحدثته عن مصالح بريطانيا فترك كأس البراندي الّذي كان في يده ولمعت عيناه وبدأ يسمعني».

«اللورد شافتسبري في وصف حديث له مع بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا».

كان نابليون بونابرت يعتقد بدراسة الجغرافيا والتاريخ أنّ مصر هي أهم بلد في العالم، وقد أصبح مؤمناً، بعد دراسته للاستراتيجيات الإمبراطورية بأنّ الإعتقاد الّذي توصل إليه بشأن أهمية مصر حقيقة لا تقبل الشك، وقد كرر التعبير عن هذا الإعتقاد والإيمان كثيراً في تقاريره ومذكراته وأحاديثه، حتى تلك التي أجراها في المنفى وهو بعيد في جزيرة سانت هيلانة معزول بمحيطات وبحار عن السياسة وعن الحرب وعن الدنيا بأسرها .

كان الموقع المصري في تقديره فريداً:

* معبر مطل على البحر الأبيض النافذ من جبل طارق إلى الأطلنطي متناهيا إلى العالم الجديد في أمريكا، ثم هو مطل على البحر الأحمر الّذي يمكن وصله بالبحر الأبيض

في أحلامه، والذي يتدفّق بمياهه جنوباً حتى يدخل إلى بحر العرب عند عـدن، ويمتـد إلى المحيط الهندي ثم إلى المحيط الهادي .

* ثم هو بلد مستقر قرب رأس أفريقيا مستند في الوقت نفسه على كتف آسيا .

* ثم هو أرض تصلح بطبيعتها السهلة ومواردها الزراعية لأن تكون قاعدة مأمونـة لجيش كبير يأكل ويسكن ويستعد في أمان .

* وأخيراً، فإنّه موقع حاكم على طرق التوسع الإمبراطوري خصوصاً إلى الهند ومـا حولها وما وراءها، وبالتالي فالحصول عليـه مقدمـة ضروريـة لأيّ قـوة تريـد أن تتـصدّى لبريطانيا، وتريد أن تتحدّى سيطرتها على التجارة وعلى البحار .

لكن نابليون لم يكن ينظر إلى مصر وحدها، وإنّـما كـان يراهـا في اتـصال غـير قابـل للانفصال مع السهل السوري الّذي يشكل معها زاويـة قائمـة تحيط بالـشاطيء الـشرقي الجنوبي للبحر الأبيض، وهذه الزاوية القائمة بضلعها الجنوبي في مصر تمد تأثيرها بالعرض إلى كل الساحل الشمالي لأفريقيا، وبالطول إلى الجنوب حتى منابع النيل، ثـم إنّهـا بـضلعها الشمالي في سوريا تلامس حدود بـلاد مـا بـين النهـرين (العـراق) وشـبه الجزيـرة العربيـة والخليج، وحتى طرق الإقتراب البري والبحري إلى فارس والهند .

وهكذا فإنّ نابليون ـ شأنه شأن من سبقوه من الفاتحين ـ لم يكد يستقر في مصر حتـى راح يمد بصره إلى سوريا، وحتى تكون الزاوية الجنوبية لشرق البحر الأبيض تحت سيطرته بالكامل، وكان ذلك بالضبط ما فعله فراعنة مصر، وأباطرة الإغريق، وقيـاصرة الرومـان، وأكاسرة الفرس، وهو نفسه ما قام به الخلفاء المسلمون في أعقاب عصر النبوة، ثم تواصـل بعدهم بأمراء المؤمنين من الأمويين والعباسيين، ثم حفظ دروسه فيما بعد كل حـاكم تـولّى أمر مصر ابتداء من أحمد بن طولون وصلاح الدين، وحتى مماليك مصر العظام مـن أمثـال

الظاهر بيبرس وقلاوون .

أي أنّه وعلى طول العصور كان لابدّ أن تكتمل الزاوية الجنوبية الشرقية للبحر الأبيض، لتدخل في إطار سياسي واحد يجعل كل ضلع منها تأمين للضلع الثاني .. ضرورة جغرافياً وعبرة تاريخ !

لكن المعضلة في ظن نابليون أنّ سوريا قريبة بأكثر ممّا ينبغي من مقر الخلافة في تركيا، وقد يكون ممكناً في يوم من الأيام ـ طبقاً لتقديراته ـ أن تتصدّى دولة الخلافة لمشروعه وتقاتله في ولايتها السورية، وتجد في ذلك عوناً من إمبراطوريات أخرى منافسة له، كالإمبراطورية البريطانية .

إضافة إلى ذلك فإنّ نابليون ـ مع اعتقاده ويقينه بأهمية الزاوية التي لا بديل عنها ـ كان يخشى إلى جانب الخطر الخارجي من أنّ الإسلام والعروبة في كل من مصر وسوريا ـ ضلعي الزاوية ـ يقدران في يوم من الأيام ـ كما حدث من قبل خلال الحروب الصليبية ـ على صنع قوة ذاتية تتشجع على الانفلات من قبضته، وقد تواجهه بما لا يتحسب له أو يريده !

وكان ملفتاً أنّه على امتداد التاريخ، كان كل من ضلعي الزاوية الاستراتيجية الحيوية في حالة بحث مستمر عن الآخر بصرف النظر عن متغيرات الظروف، وأوصاف العصور وصراعاتها فرعونية أو رومانية، بيزنطية أو إسلامية، صليبية أو استعمارية !

ومن هذه الحقائق الجغرافية والتاريخية تبلورت الرؤية الاستراتيجية لـ (نابليون بونابرت) وتجلّت من خلالها الورقة اليهودية.

وبذلك فإنّ أحلام نابليون في غزو العالم تبدت في أول خطوة لها على النحو التالي:

١ – عليه أن يسيطر على الضلع الجنوبي لزاوية البحر الأبيض الشرقية ـ وهو مصر ـ

وقد نزلت جيوشه إليها .

٢- وعليه أن يؤمّن سوريا لتكون زاوية جنوب شرق البحر الأبيض تحت سلطته، وهو الآن يزحف عليها .

٣- ولكي يضمن عدم التقاء الضلعين عربياً وإسلامياً، فإنّه يزرع عند نقطة التقائهما، أي عند مركز الزاوية، شيئاً آخر لا هو عربي ولا هو إسلامي، لكن هذا الزرع لا يمكن خلقه من العدم، وإنّما يحتاج خلقه إلى بذور حتى وإن كانت من جينات حفريات الأنثروبولوجيا بحيث يمكن غرسها في التربة، فإذا جرى ريها وأورق بعضها، فحينئذٍ قد يصعب التميز بين الأصيل والدخيل، وبين الطبيعي والهجين .

وهكذا تجيء ورقة نابليون اليهودية تصوراً للمستقبل ورؤية -ربما لا تتحقق بسرعة- لكنها قابلة للتحقيق في مستقبل الأيام .. وبها فقد ينشأ وطن يهودي يكون ضماناً إضافياً إذا أمكن، ويكون عازلاً إذا اقتضت الضرورات ! وفي صياغتها فإنّ صاحبها استخدم الإمبراطورية ودروس التاريخ وأساطير الأديان القديمة وحوّلها إلى استراتيجية، والثابت أنّ نابليون لم يتخلّ عن تقديراته الاستراتيجية حتى بعد أن اضطر إلى التسلل ليلاً من مصر والعودة إلى فرنسا، وراح يواصل من باريس صراعه للسيطرة على أوروبا، إلى حيث تحمله جياده وتصل مرامى مدافعه !

وعندما أصبح نابليون إمبراطوراً لفرنسا، فإنّ مصر كانت لا تزال في حساباته أهم بلد في العالم، وكانت فكرة الوطن اليهودي العازل بعدها مستولية عليه، وهكذا فإنّه دعا سنة ١٨٠٧ إلى عقد مجمع يهودي سانهردان يحضره كل يهود أوروبا ممثلين في رؤساء طوائفهم، إلى جانب مشاهير حاخاماتهم، ليلم شمل الأُمة اليهودية على حد قوله، ثم كان ملفتاً أن يكون القرار الّذي يحمل رقم ٣ من قرارات المجمع، قراراً يتحدث بالنص عن:

ضرورة إيقاظ وعي اليهود إلى حاجتهم للتدريب العسكري لكي يتمكنوا من أداء واجبهم المقدس الّذي يحتاج إليه دينهم .

ولعل ذلك هو الّذي أوحى إلى مفكر سياسي شهير مثل دولاجار بأن يكتب كتابه اللافت للنظر: نابليون والعسكرية اليهودية ! أ هـ .

أرأيت إنّها لـ (صليبية إلى الأبد)[1] أرأيت ولا يزال (الإسلام في قفص الاتهام) [2] أرأيت كيف و(الغارة على العالم الإسلامي) [3] في كل يوم أرأيت يا أخي إنّها أسماء ثلاثة كتب لمؤلفين مسلمين، فإن اختلفوا زماناً ومكاناً، وتفاوتوا ثقافةً وإيماناً، فإنّهم اتفقوا مع آخرين أمثالهم في الدفاع عن الإسلام لكثرة دسائس (التبشير والاستعمار) [4] والتي لا يزال النشاط المحموم لأبناء الصليب يكيل السُباب والتهم لنبي الإسلام ظلماً وعدوانا .

وبالرغم من ظهور كلمة الحق وباعتناق الكثير للإسلام، فما زالت الحرب قائمة وما دعاني إلى هذا إلا حنق الصليبيين المتزايد على الإسلام والمسلمين، فكلما انتشرت كلمة الإسلام في الأرض كلما ازداد الكفرة عناداً، وتصاعدت حملاتهم الدعائية باختراع الأكاذيب، وتلفيق الدعاوى، وتزييف التاريخ وتناولوا شخصية الرسول الكريم بما لا يليق، بدءاً من أقوال البابا في روما، ومروراً بالصور الكاريكتورية في الصحف وانتهاءاً بشبكات الانترنيت وسائر القنوات الفضائيات.

وما هذا إلّا دليل إفلاس أُولئك الناس، وخواء نفوسهم حتى من تعاليم السيد

١- اسم كتاب لعبد الفتاح عبد المقصور طبع بالقاهرة سنة .

٢- اسم كتاب لشوقي أبو خليل طبع سنة ٩٧١ دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع سوريا .

٣- اسم كتاب لمساعد اليافي ومحب الدين الخطيب ط

٤- اسم كتاب لمصطفى الخالدي وعمر فروّخ ط

المسيح عليه السلام القائل للحواريين بالسلام والمحبة، بينما هم تعاووا على غزوهم البلاد الإسلامية بأسلحة الدمار الشامل، وشنهم الحروب الصليبية من جديد كما قال بوش، وبمساعدة العاصي من حكّام المسلمين.

وإنّها لبلية ما مثلها بلية، وانّها لرزية ما فوقها رزّية، ولقد بليت الأمة الإسلامية برعاة لا يصلحون لرعية الإبل فضلاً عن تسنم المواقع القيادية، وهؤلاء هم عار الأُمة، وفي غفلة من الوعي الإسلامي استطاعوا أن يكونوا عليهم حكّاماً وللكفّار خدآما .

ولقد صدّق الله تعالى عليهم لعنته بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمْ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنْ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ الْمُلْكِ فَإِذًا لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾[2].

ولا أُريد الإبتعاد عن حقيقة ما في العنوان الذي ذكرته، وانّها لصليبية إلى الأبد .

وإلى القارئ صورة ما نشره رومانس الحمصي في موقعه .

عزيزي المسلم هذا الموقع ليس للتهجم على الإسلام، ولكن هو فقط لعرض الحقيقة المغيبة عنك من قبل شيوخ الضلال وبدون عمليات تجميل، وإن كنت في شك ممّا تقرأ فارجع إلى كتبك وتأكّد بنفسك .

وسيتم بعون رب المجد إضافة المزيد والجديد دائما بواسطة خادم الكلمة ابن الرب

١- المائدة: ٥١.

٢- النساء: ٥١ – ٥٢.

المعروف على البالتولك باسم .

ROMANOS - ٧٧٧ أو alfadi - mahaba

دراسة عقلانية موضوعية لخرافة إنشقاق القمر

اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ

القمر ١

من أين أتى محمد بهذه الآية ؟؟

قال امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي الشاعر الجاهلي

الساعة وانشق القمر من غزال صاد قلبي ونفر

راجع فيض القدير شرح الجامع الصغير

قد لا يعلم الجميع بأنّ ترتيب السور في القرآن ليس هو نفس ترتيب السور بحسب النزول .

الفاتحة هي أول سورة في القرآن بحسب الترتيب المصحفي، ولكن هذا لا يعني بأنّها أول سورة نزلت على محمد .

وهكذا ..

مثلا: أرى في بداية سورة القمر الآتي:

(٥٤) سورة القمر (مكية إلّا الآية ٤٥ فمدنية، وآيتها خمس وخمسون آية) نزلت بعد سورة الطارق فالرقم(٥٤) يرمز إلى ترتيبها (بحسب التسلسل المصحفي)، وهذا لا يعني أنّها السورة رقم ٥٤ بحسب نزولها على محمد .

وكلمة (مكية إلّا الآية ٤٥ فمدنية) تعني أنّ كل آيات هذه السورة قد أنزلت بمكة ما عدا الآية رقم ٤٥ وكلمة (نزلت بعد سورة الطارق) تعني أنّ سورة القمر نزلت بعد

سورة الطارق بحسب تسلسل النزول .

سُورَة يُونُس:

(مكية إلّا الآيات ٤٠ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ فمدنية، وآياتها ١٠٩ أو ١١٠ نزلت بعد الإسراء) .

يعني أنّ ترتيب سورة يونس في المصحف ١٠ .

كل آياتها نزلت بمكة إلا الآيات ٤٠ و٩٤ و٩٥ و٩٦ فمدنية نزلت بعد سورة الإسراء.

أما ترتيبها بحسب تسلسل النزول هو ٥١ من أصل ١١٤ سورة، يعني بعد نزول ٥١ سورة على محمد .

ماذا تقول سورة يونس عن معجزات محمد:

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ للهِ فَانْتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾[1].

(إذاً بعد سورة القمر بـ ١٤ سورة طلبوا أهل مكة) تفسير الجلالين (من محمد أن يأتيهم بآية لو كانوا رأوا انشقاق القمر أو حدث هذا الإنشقاق بالفعل لما طلبوا آية أو على الأقل كان القران رد عليهم وقال أما رأيتم انشقاق القمر والله أعلم) .

سُورَة الأَنْعَام:

(مكية إلّا الآيات: ٢٠ و ٩١ و ٩٣ و ١١٤ و ١٤١ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ فمدنية وآياتها ١٦٥) .

يعني أنّ ترتيب سورة الأنعام في المصحف ٦ .

١- يونس:٢٠.

كل آياتها نزلت بمكـة إلا الآيـات: ٢٠ و ٢٣ و ١٩ و ٩٣ و١١٤ و ١٤١ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ فمدنية نزلت بعد سورة الحجر .

أما ترتيبها بحسب تسلسل النزول هو ٥٥ من أصل ١١٤ سورة .

يعني بعد نزول ٥٥ سورة على محمد .

ماذا تقول سورة الأنعام عن معجزات محمد:

﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِـنَّ أَكْثَـرَهُمْ لا يَعْلَمُون﴾[1].

إذاً بعد سورة القمر بـ ١٨ سورة طلبوا كفّار مكة تفسير الجلالين من محمد أن يأتيهم بآية لو كانوا رأوا كفار مكة انشقاق القمر أو حدث هذا الإنشقاق بالفعل لما طلبـوا آيـة أو على الأقل كان القران رد عليهم وقال أما رأيتم انشقاق القمر والله أعلم .

سورة الأنبياء:

(مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية نزلت بعد سورة إبراهيم) .

يعني أنّ ترتيب سورة الأنبياء في المصحف ٢١ .

كل آياتها نزلت بمكة .

نزلت بعد سورة إبراهيم .

أما ترتيبها بحسب تسلسل النزول هو ٧٣ من أصل ١١٤ سورة .

يعني بعد نزول ٧٣ سورة على محمد .

ماذا تقول سورة الأنبياء عن معجزات محمد .

---

١ - الأنعام: ٣٧.

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾[1].

إذاً بعد سورة القمر ب ٢٦ سورة طلبوا من محمد أن يأتيهم بآية لو كانوا رأوا انشقاق القمر أو حدث هذا الإنشقاق بالفعل لما طلبوا آية أو على الأقل كان القران رد عليهم و قال أما رأيتم انشقاق القمر والله أعلم .

سُورَة العنكبوت:

(مكية إلّا من آية ١ لغاية ١١ فمدنية، وآياتها تسع وستون نزلت بعد الروم) .

يعني أن ترتيب سورة العنكبوت في المصحف ٢٩ .

كل آياتها نزلت بمكة إلّا من آية ١ لغاية ١١ فمدنية، نزلت بعد سورة الروم .

أما ترتيبها بحسب تسلسل النزول هو ٨٥ من أصل ١١٤ سورة .

يعني بعد نزول ٨٥ سورة على محمد .

ماذا تقول سورة العنكبوت عن معجزات محمد .

﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾[2].

إذا بعد سورة القمر بـ٤٨ سورة طلبوا كفّار مكة من محمد أن يأتيهم بآية لو كانوا رأوا كفّار مكة انشقاق القمر، أو حدث هذا الإنشقاق بالفعل لما طلبوا آية أو على الأقل كان القران رد عليهم وقال أما رأيتم انشقاق القمر والله اعلم .

وهناك عشرات الآيات بعد سورة القمر طلبوا من محمد آية ولم يرد عليهم القرآن على الأقل أما رأيتم انشقاق القمر.

---

١ - الأنبياء:٥.

٢ - العنكبوت: ٥٠.

ماذا يقول العلم عن انشقاق القمر؟

يبلغ قطر القمر حوالي ٣٤٨٠ كيلومتراً أي ربع قطر الأرض تقريباً، كما أنّ حجم القمر يوازي واحداً على خمسين من حجم الأرض تقريباً، وتزيد كتلة الأرض على كتلة القمر بحوالي٨١ مرّة، لذا فإنّ معدل كثافة القمر يبلغ ثلاثة أخماس كثافة الأرض، ويبلغ معدل الجاذبية على سطح القمر سدس الجاذبية الأرضية .

من الصور السابقة يتضح لنا أنّ القمر لم ينشق ودائرته كاملة، وليس هناك أي علامة تذكر أو أثر لأي انشقاق والتحام للقمر .

فعلى سطح القمر نرى أثار النيازك التي ضربته في الماضيّ وتركت علاماتها غائرة على سطحه بشكل واضح للعين البشرية، فأين هو أثر انشقاق القمر والتحامه يا مسلمين، ألم يكن وجود هذا الأثر دليل على صحة معجزة محمد لو أنها حقاً حدث ؟ وأما عدم وجوده فيؤكد أنّ القصة خرافية من أولها لآخرها .

للمزيد راجع الخارطة التفصيلية لسطح القمر ٣ ميغا بايت

Click to view high resolution file

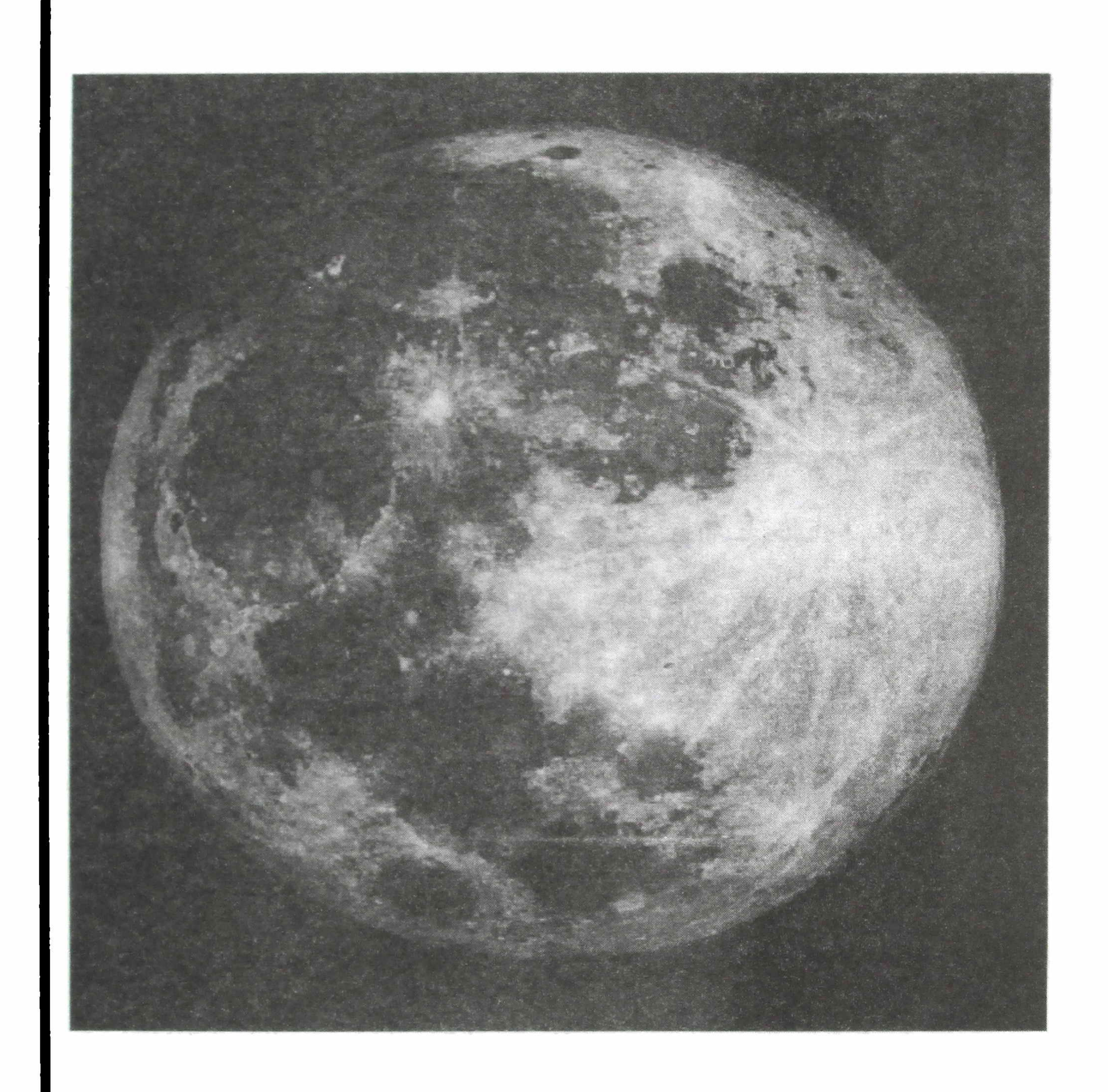
ترقبوا المزيد

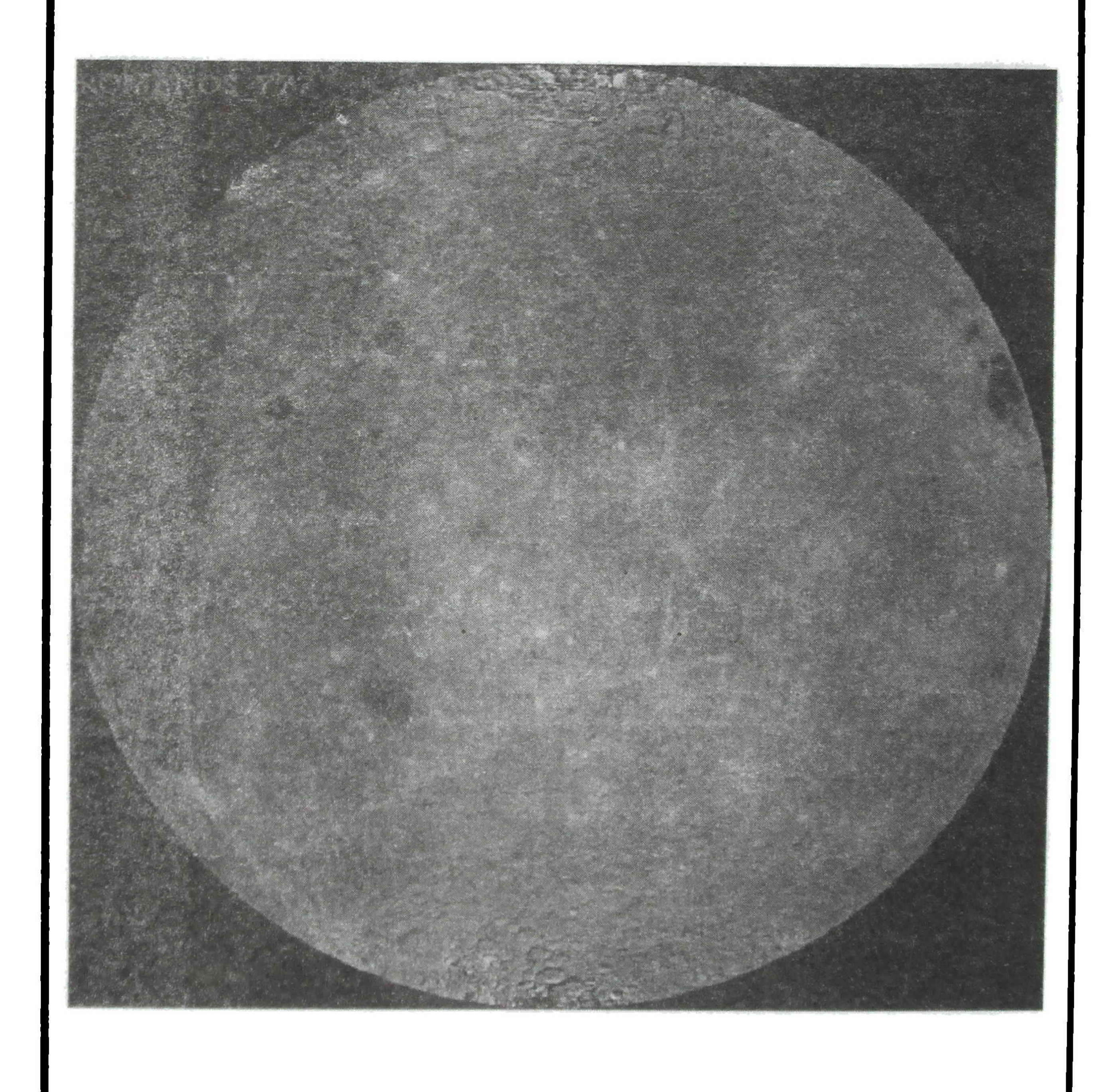
صلوا لأجل ضعفي

†††

بشفاعة أبينا البار رومانوس الحمصي المرتل وبشفاعات جميع القديسين أيها

الربّ يسوع المسيح إلهنا ارحمنا وخلصنا آمين







صفحات من كتاب صليبية إلى الأبد لعبد الفتاح مقصود:

وكأنّما الليلة المباركة التي أسرى الله فيها بنبيه الكريم، رسول الإسلام والسلام، قد زادت البطل العظيم[1] صفاء على صفاء، وأريحية إلى أريحية، فإذا به يرفق بالمسيحيين الذين لم يرفق بهم بنو قومهم، و أخوتهم في الدين، وبطريقهم الكبير ..

وفى البطل المنتصر لدينه وسجاياه فسار في عدوه الباغي المقهور سيرة من يحرص على أن يرعى كرامة الانسانية في أي إنسان، كيفما كان هذا الإنسان وأينما كان ..

لم يجز السيئة بمثلها، بل كان عادة يجزيها بالصفح وأحياناً بالإحسان ..

لم يلجأ إلى العنف حيث كان أعداؤه يوغلون في الوحشية، ولا إلى القصاص حيث كانت متعتهم التنكيل بالمسلمين ..

لم يرفع شعار حلفاء الغرب القديم الجديد: (ويل للضعيف و ويل للمغلوب) !

إنّما انتهج إزاء أعدائه دائما سياسة المبالغة في الرفق والتسامح، سمواً بنفسه عن غل الأحقاد..

بغير فدية أطلق سراح الفقراء .

وأعفى أيضاً الأرامل واليتامى والشيوخ ..

وبعث النساء بأموالهنّ وأتباعهنّ، في رعاية جنده وحراستهم، معززات مكرمات إلى حيث شئن من مناطق الأمان ..

تكفل بالعجزة و المحتاجين، فأقام لهم الخيام، ووزع عليهم الطعام، ومنحهم هبات من ماله الخاص، عصمة لهم أن يتكففوا المسلمين، ويعيشوا على مذلة السؤال ..

ونقل على نفقته، وفي حماية الراية الإسلامية، كافة مهاجري المدن المفتوحة الذين

١- هو صلاح الدين الأيوبي .

آثروا العودة إلى أوروبا، حيث مواطنهم الأصلية، بينما تنكر لهم إخوانهم في المسيح، فأبوا لجوءهم إلى الأمارات الصليبية، ونهبوا متاعهم، وساموهم الهوان .. وبينما أغفل ربابنة السفن الأوروبية وشائج الدين والدم والقومية، ورفضوا سفرهم على سفنهم إلّا بالأجر المعلوم !

* * *

يشير المؤرخ شامب دور إلى هذه الوقائع فيقول:

هكذا هو مسلك العرب والمسلمين، إبان الحرب وبعد الانتصار، إزاء الصليبيين .. موقف إنساني كريم ..

ويذكر جيبون متحدثاً عن تسامح دين الله:

السلام الذّي ساد بين المسلمين والمسيحيين.. إنّما كان مؤسساً على تسامح الإسلام..

وينقل ترتون أنّ أحد قدامى بطاركة المسيحية، في صدر الدولة الإسلامية، منذ أكثر من ألف وثلثمائة عام، قال:

العرب الذين مكّنهم الله من السيطرة على العالم، ليسوا بأعداء للنصرانية بل يمتدحونها، ويوقرون قديسينا وقسيسينا، ويبذلون المعونات للأديرة والكنائس ..

ويقول الأسقف رولان:

كثيرون من المسيحيين كانوا يرون أنّ الإسلام تتمة طبيعية للمسيحية .. ومحمد إذ جاء، إنّما بعث بالقرآن مكملاً للتوراة والإنجيل ..

* * *

غير أنّ هذا كله، فيما نرى، لم يكن الغرب ليؤمن به، إلا وهو في قبضة الضعف والهوان... .

فأما إذا استأسد فلا !

وأما إذا عرف كيف يهز في يمينه السلاح، فإنّه يشنها على الشرق العربي حملة إفناء ..

صليبية في ظل الصليب ..

وحضارية في ظل الشعارات ..

فالحياة حكر عليه ..

والموت لمن عداه ..

* * *

هكذا هناك يرون المسيحية، ويرون المدنية ..

على نفس هذا النهج الديني والحضاري، كان الغرب دائماً، طوال تاريخه يسير، و إلى الآن ما زال يسير ..

حتى في عصر العلم و المدنية و النور، في القرن العشرين، يمارس على العرب و الإسلام نفس سياسة الإبادة التي رسمها آباؤه الكنيسيون .

ولمن شاء أن ينكر هذه النظرة، فلديه ما حاق بالعرب والمسلمين بليبيا و مصر و سوريا و المغرب، على يد الغرب المسيحي وكبريات دولة: انجلترا و فرنسا و إيطاليا، قبيل عشرينات هذا القرن وبعدها إلى الآن، من مذابح وفظائع وويلات ..

فلير ـ كمثال ـ ما أصاب الليبيين على يد الطليان ..

ولمن شاء أن يتساءل فليقل: أهذه شرعة المسيح ؟

وليستعر لسان حافظ إبراهيم، شاعر النيل، للاجابة على السؤال حين قال:

كبلوهم، قتلوهم، مثلوا بذوات الخدر، طاحوا باليتامى

ذبحوا الأشياخ والزمنى ولم يرحموا طفلاً ولم يبقوا غلاماً

بارك المطران في أعمالهم فسلوه: بارك القوم على ما؟

أبهذا جاءهم إنجيلهم آمراً يلقي على الأرض سلاما

كشفوا عن نية الغرب لنا ... وجلوا عن (بصر) الشرق الظلاما

فقرأناها سطوراً من دم ... أقسمت تلتهم الشرق التهاما؟

نعم !..

لو كنّا نبصر !

لو كنّا نقرأ وكنّا نفهم...

أقول تعقيباً على ما ذكره الأُستاذ مقصود:

من يقرأ؟ ومن يسمع؟ وكل في ظلمات الردى سابحون ومرديات الهوى غارقون، وما زال أبناء الصليب يسوموننا أشد العذاب في بلدانا .

في أفغانستان، في باكستان، في العراق، في الصومال، في الجزائر، في مصر، في اليمن، في الأردن، في فلسطين في، في...

متى نعي ؟ وندفع الضيم عن أنفسنا ... بطلقة معها ماء المخاض دم

القسم الثالث:

(١)

١٢٤٩م

على نفس نهج الصليبيين، ظل الغرب يسير .

مبادئ الإنسانية لم تستطع أن تميل به عن هذا الطريق .

سماحة المسلمين لم تشفه من عماه .

الهزائم التي نالت منه، لم ترده إلى جادة الصواب .

حقده على الشرق العربي، فيما بدا، كان الهواء الذّي يتنفّسه ويحفظ عليه الحياة ..

وها هو ذا لويس التاسع، ملك فرنسا، الذّي وقع في أسر المسلمين، أثناء إحدى

حروب الكراهية والتعصّب، وأودعوه دار ابن لقمان، لا يكاد يتحرّر من أسره، حتى يعد عدته لقهر الشرق العربي بأسلوب جديد ..

فالرجل لا تعوزه الوسائل .

والخطة التي يفكر في انتهاجها تنيله غرضه، وهو آمن في بلاده، بعيداً عن الميدان ..

تقضي على أعدائه (الكفّار) ! دون أن تعرضه لأخطار ..

* * *

كان أبناء الغرب يعلّقون عليه الآمال ..

كانوا ينظرون إليه كرجل دين، قبل نظرتهم إليه كعاهل دولة، وقائد قتال ..

فهو (مؤمن) ! بمسيحيته، شديد الإيمان ..

وهو لورعه وتقواه غلب عليه لقب (القديس) ..

وهو بذخره (الروحي) ! خليق بأن يسير في شوط عدائه للمسلمين إلى غاية مداه ..

والروحانية، بلا ريب، أقوى سلاح، في مجال هذا الصراع ..

* * *

ونشط لويس ..

ودبر فأجاد التدبير ..

بذهن صليبي (مغلق)، وبعين صليبية (عمياء) فكر ونظر في الأمور ..

ماذا عليه لو أنّه حارب المسلمين بجيوش سواه ؟..

بأعتى جيوش، وأقسى سلاح ؟..

بقوة من لا يعرفون الله ؟..

ماذا عليه، ليبلغ غرضه، لو أنّه فتح القمقم، وكسر سد يأجوج و مأجوج، وأطلق

المارد الوثني من عقاله ليجتاح الشرق العربي، ويسحق الإسلام؟

ماذا عليه لو أنّه حالف الشيطان !

* * *

وحالف التتار ..

وشهد تاريخ الحقبة ذلك (القديس) المسيحي المؤمن بدين سماوي، يحالف الوثنية لتمحق الدين السماوي الشقيق: الإسلام دون أن يأبه فتيلا بما تفرضه عليه رابطة الأخوة في (الله) ..

وبعث (القديس) وفداً من كرادلته ـ أم ترى من زبانيته ! ـ ومعهم تحف ثمينة، وهدايا مقدسة إلى (هولاكو) بمنغوليا، يخطب وده، ويحرضه على غزو الشرق الاسلامي، والقضاء على من فيه وما فيه .

واستعان في تنفيذ سياسته هذه ببعض بؤر مسيحية في بلاط طاغية المغول، ذات سلطان وتأثير .. كان منها الأميرة (دوكس خاتون) زوجة هولاكو، و كتبوكا قائده الأكبر، و داود و مرقص، و غيرهما من مستشاريه النسطوريين ..

* * *

وكان لابدّ أن يثمر هذا التحريض ..

فالدعوة إلى الدم تجذب مصاصي الدماء ..

وهولاكو، كان سيد السفاحين ..

وعندما لبى حفيد (جنكيز خان) دعوة القديس، وخرج من مملكته النائية القابعة في جوف آسيا، أخذ يمشي على الأرض الإسلامية، من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، بجيوشه الهمجية كتنين هائل يزدرد كل ما يلقاه ..

كإعصار مجنون .

كطوفان عذاب ..

فقد راح يكتسح ما في طريقه من الإنسان، ومن حضارة الإنسان ..

يدك المدن و الحصون .

يسحق تراث الفكر .

يقتل البشر، حتى الرضع على أثداء الأمهات ..

يحيل الحياة إلى موت، والعمران إلى خراب ..

(٢)

١٢٥٨م

في بغداد وحدها، زهرة مدائن عالم ذلك الزمان، هولاكو يذبح الخليفة العباسي، ومستشاريه، وقضاته، وأهل بيته ..

حتى لأوشك المسلمون ـ بعد انحسار هذا البلاء ـ ألا يجدوا وريثاً له من ذويه يوسدونه سدة الخلافة ..

ويأمر بالمدينة فتنهب، ثم تدمر، ثم تسلم للنيران حتى يفني السواد الأعظم من السكان .. مئات الألوف ..

* * *

في حلب .. يلتهم التنين المغولي حياة خمسين ألفاً من المسلمين ..

وفي حماه ..

وفي دمشق ..

وفي كل مكان حل به، كان يخوض في دم، ويمشي على جماجم، ولا يجلو إلا عن دمار وحريق وهلاك .

وكان دائماً يحرص الحرص كله على سلامة أبناء دين زوجته المسيحية (دوكس خاتون) وحليفه التقي لويس ..

* * *

وعانى الشرق العربي الإسلامي من هذه المحنة القاصمة ما لم يعان مثله قبل هذه الأيام..

عايش الهول عشر سنوات ..

كان بين شقي رحى طاحنة، بقسوتها و حدتها، خليقة بأن تعصر دمه، وتعجن لحمه، وتدق عظمه لتقضي عليه بشراً ودينا وحضارة ..

رحى بربرية يديرها الحقد والتعصب: شقها الأول صليبية الغرب في اليسار، وشقها الثاني صليبية المغول في اليمين ..

فهما الاثنتان صليبيتان، وإن اختلف الجنس عن الجنس، واختلف الدين عن الدين..

(دي ميسنيل) الأسقف المسيحي الذّي كان من كبار رجال التبشير يصف حملة هولاكو هذه فيقول:

كانت الحملة المغولية ضد الإسلام والعرب حملة صليبية حقيقية بالمعنى الكامل لهذا الوصف، حملة مسيحية! نسطورية.. تعلق بها أمل الغرب في القضاء على خصومه العرب والمسلمين.

* * *

وهللت (شعوب) الغرب لهذا الّذي نزل بشعوب الشرق، طوال تلك السنوات، على يد التنين !

تابعت بالفرح خطواته وهو ينشر الهلاك ..

ترنمت تشدو بأغنيات انتصاره ..

رقصت طرباً كأنّما على نغم أزيز الحرائق، و هدير التدمير، ودوي الإنهيار .

ونخب ما أصاب العرب والمسلمين من مذابح هولاكو، سكرت شماتة حتى الثمالة، وكان بودها لو ملأت بالدماء المسفوكة كؤوس الأنخاب !

ثم جلست، في طمأنينة وثقة، تنتظر بالشوق لحظة الخلاص التي تحيك خيوطها وحشية حليفها الطاغية سفاح التاريخ !

* * *

هكذا كان موقف إنسان الغرب من إنسان الشرق، بدءاً ونهاية .. قولاً وعملاً، فكراً وعقيدة..

إنّه تعصب جموح .. لا يعرف العدل، ولا يعمل العقل .. عنصرية عمياء تتنكر للأنسانية ..

أنانية جشعة لا تؤمن بأخوة البشرية ..

إنّها أيضاً مسيحية (غربية)! هي ـ بخطتها ومسلكها ـ مسيحية (غريبة) عن المسيحية الحقيقية ..

تخالف ما دعا إليه المسيح من سماحة ومحبة وسلام ..

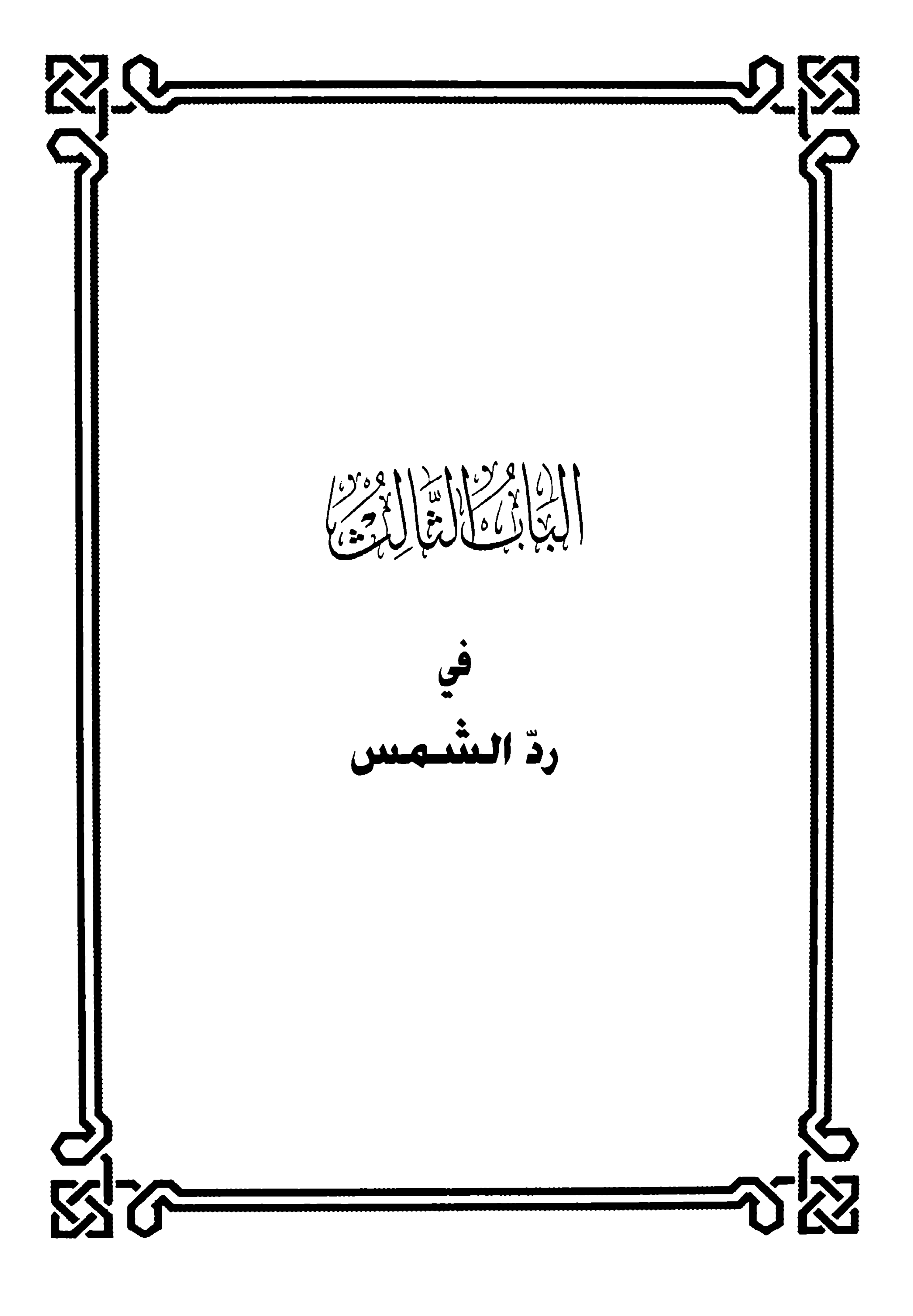
تحالف الشيطان على سحق الإسلام .

تتبع للوثنية ضد عقيدة سماوية .

تنصر أعداء الله على الله !

إنّه تجسيد حي لجهالة الفكر، وانطماس القلب، وعتمة الروح .

صورة كاملة للظلام !



البابُ الثالثُ

في
ردّ الشمس

الباب الثالث

في ردّ الشمس وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: ماذا عن ردّ الشمس إمكاناً ؟

الفصل الثاني: ماذا عن ردّها وقوعاً في الأُمم السالفة ؟

الفصل الثالث: من هم الأوصياء الثلاثة الذين ردّت لهم الشمس؟

الفصل الرابع: في ردّ الشمس للإمام أمير المؤمنين عليه السلام مرّتين:

المرة الأُولى مَكاناً وزماناً بالصهباء من أرض خيبر في العهد النبوي الشريف صلى الله عليه وآله ونبحث المسائل التالية:

المسألة الأُولى: من روى ذلك الحديث من الصحابة .

المسألة الثانية: هل أن ابن عباس روى حديث ردّ الشمس .

المسألة الثالثة: تلوّن أبي هريرة في روايته حديث ردّ الشمس .

المسألة الرابعة: مَن هم نفاة الحديث ؟ وماذا قالوه ؟

المسألة الخامسة: تصحيح الحديث لدى المحدّثين .

المسألة السادسة: المؤلّفون في إثبات الحديث .

المسألة السابعة: مصادر الحديث في التراث الإسلامي، السنّي والشيعي .

المسألة الثامنة: أهازيج الشعراء منذ القرون الأولى .

المرّة الثانية مكاناً وزماناً ببابل بعد العهد النبوي الشريف ونبحث المسائل التالية:

المسألة الأولى: في أسماء العلماء الذين ذكروها .

المسألة الثانية: زيغ البخاري في الجامع الصحيح عن التصريح مع ذكره الحديث بالتلميح .

المسألة الثالثة: مسجد الشمس في بابل ـ الحلة ـ معلَمٌ قائم خالد وشاهد .

المسألة الرابعة: في شواهد شعرية لهذه المرة .

المسألة الخامسة: في نواصب (يريدون ليطفئوا نور الله).

الخاتمة: في المطارفة الأدبية بين العالِمَين العَلمين الشيعي والسني حول معجزة ردّ الشمس، وإخبات الثاني بالصحة وإذعانه للأول .

الفَصْلُ الأَوَّلُ

ماذا عن ردّ الشمس إمكاناً

وفيه جهات من الكلام:

الجهة الأُولى: في أنّ ردّ الشمس من سنخ شق القمر إعجازاً:

لقد قرأنا فيما سبق حول معجزة إنشقاق القمر، وأنّها ثابتة كما هو ظاهر القرآن المجيد، وأنّه يجب الإعتقاد بصحّتها من حيث وجوب تصديق القرآن فيما أخبر به، وإن كان رواة نقل المعجزة زماناً ومكاناً وهيئة كانوا آحاداً كما يراه بعضهم، ولا ضير، فحسبنا القرآن الكريم شاهداً على ذلك .

وقد ادّعي مثل ذلك في معجزة ردّ الشمس أيضاً، مع أنّها آية ثابتة من طريق الخبر، ويمكن اثبات وقوعها بآي من القرآن المجيد كما في قصة ردّها على سليمان بن داود عليهما السلام ، كما سيأتي بيان ذلك موثّقاً .

فالآيتان انشقاق القمر وردّ الشمس كلتاهما من سنخ واحد، ولذلك قرن بينهما غير واحد من العلماء في مقام الإستدلال على وقوعهما، وقد مرّ بنا ما قاله القاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه (تنزيه القرآن عن المطاعن) ولا ضير من إعادته في المقام للاستذكار، فقد قال:

مسألة: وربما قيل كيف يصح قوله: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ ولو كان قد انشق القمر على الحقيقة لنقل ذلك نقلاً ظاهراً ـ إلى أن قال ـ:

لكن الصحيح ما قاله مشايخنا من أنّه في أيام رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم انشق القمر وهو ظاهر القرآن، فإذا كان قد انشق بالمدينة أو بمكة وفي سائر الأماكن غيوم

تحجب عن رؤية ذلك، وكان أهل ذلك البلد في غفلة عنه إلّا طبقة مخصوصة، فليس من الواجب نقل ذلك بالتواتر، بل يجوز أن ينقله الآحاد، وقد نقل ابن مسعود وغيره هذا .

كما نقل ردّ الشمس في أيام الرسول صلى الله عليه (وآله) وسلم فلم يجب في نقله الظهور، لأنّ ذلك ظهر آخر النهار لقوم مخصوصين [١] أ هـ .

وكذلك الحافظ ابن شهر آشوب قال في كتابه مناقب آل أبي طالب:

فأما طعن الملاحدة أنّ ذلك ـ ردّ الشمس ـ يبطل الحساب والحركات، فيجاب: بأنّ الله تعالى ردّها وردّ معها الفلك فلا يختلف الحساب والحركات، أو نقول: يردّها ثم يحدث فيها من السير ما يظهر وتلحق بموضعها ولا يظهر على الفلك .

وذلك مبنيّ على حدوث العالم وإثبات المحدِث .

وأما اعتراض ابن فورك في كتاب الفصول من تعليق الأُصول: أنّه لو كان ذلك صحيحاً لرآه جميع الناس في جميع الأقطار، فالانفصال منه بما أُجيب عنه من اعترض على انشقاق القمر للنبي ﷺ [٢] أ هـ .

أقول ولعلّ أبا جعفر أحمد بن أبي زاهر الأشعري كتب كتابه باسم (أحاديث الشمس والقمر) [٣] جمع فيه ما ورد في هذا المضمار، ثم انّ من ذكرت ممّن قرن أو قارن بين آيتي شق القمر وردّ الشمس لم يكن ذلك منه اعتباطاً، بل لأنّه رأى أنّ كلاً منهما آية دالّة على معجزة للنبي ﷺ وكرامة للإمام عليه السلام ، وهما من سنخ واحد في خرق السنن الطبيعية فجمع بينهما، خصوصاً وقد أفصح عنهما الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بقوله: انشقاق القمر

١- تنزيه القرآن عن المطاعن: ٣٣٦ ط الجمالية بمصر سنة ١٣٢٩ هـ .

٢- المناقب ٢: ١٤٩ ط الحيدرية في النجف الأشرف .

٣- الفهرست للطوسي: ٢٢ ط سبرنجر .

لرسول الله ﷺ، وردّ الشمس لعلي بن أبي طالب، لأنّ كل فضلٍ أعطى الله لنبيّه ﷺ أعطى مثله لوليّه إلّا النبوّة، وقيل: هذا خاتم النبيين وهذا خاتم الوصيين [١].

فلا مانع إذن عقلاً من حدوث شقّ القمر أو ردّ الشمس عند حدوث الدواعي من إظهار معجزة أو إعلان كرامة، ما دام كلٌّ هو آية كسائر الآيات الربّانية في الكون، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[٢].

وما دامت مسألة ردّ الشمس كمسألة شقّ القمر في خرق ناموس الطبيعة، فما هو وجه الاستنكار؟

أو لم ينزّل سبحانه في معجزة شقّ القمر قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة، وسمّيت السورة التي فيها نزل قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ بسورة القمر.

كما أنزل سبحانه سورة سمّيت بسورة الشمس وهي سورة ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ وإن كانت الأُولى نصاً في الإعجاز وليست الثانية كذلك، لكننا كمسلمين نؤمن بصحة ما في القرآن العظيم ؟

أولم نؤمن بقدرة الله سبحانه الّذي ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلاَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾[٣].

أولم نؤمن بكرامة الرسول ﷺ على ربّه فيحدِث له وعلى يديه المعجز عند طلبه؟

١- تفسير البرهان ٤: ٢٥٩.

٢- يوسف: ١٠٥.

٣- الزمر: ٥.

فيكون المقصود من إتيانه إظهاره لجمعٍ خاص، نحو تسبيح الحصى، وحنين الجذع، ومجيء الشجرة، وجريان الماء من بين أصابعه، وإشباع الكثير من الطعام القليل ونحو ذلك، ممّا هو فيه خرق للعادة المألوفة.

والآن لماذا لا يكون المقصود من ردّ الشمس أو حبسها هو تحقيق الغرض الّذي ردّت أو حبست من أجله، كالإنتصار من الأعداء كما في قصّة يوشع عليه السلام، أو أداء صلاة العصر في وقتها كما في ردّها لسليمان عليه السلام، أو للإمام علي عليه السلام، ولا يلزم من ذلك أن يطّلع عليه جميع الناس، بل يكفي أن يطلع عليه جَمع مَن حضر.

﴿فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[1].

وما بالنا نذهب بعيداً في تقريب إمكانية حدوث ردّ الشمس أو شقّ القمر، وهما معجزتان؟ أليس المعجزة إنّما هي خرق للعادة والمألوف رداً على التحدّي، أو إظهاراً لكرامة مقصودة من دون تحدٍ ؟

ولنرجع بالإنسان المشكّك إلى التبصّر والتفكّر في هذه الأرض التي نعيش عليها جميعاً، أليس نرى جميعاً بالبداهة أنّها ساكنة مطمئنّة، ولا نحسّ لها أيّ حركة ؟ أليس هذا هو الرأي السائد والمحسوس البدهي؟ أليس الرأي الديني والعلمي قائم على إثبات حركة الأرض، فكشف للناس وعرّفهم أنّها تدور، وأنّها متحركة ؟

ألم يكذب الإنسان البدهي بذلك، لأنّه كيف يؤمن وأنّى له يصدّق بنظرية الحركة والدوران، وهو واقف عليها لا يحسّ بحركتها ولا بدورانها ؟

١- التوبة: ١٢٤.

ولندع الأرض وتشكيك الإنسان الجاهل بحركتها ودورانها، وهلمّ إلى الإنسان العالم الّذي استطاع أن يبلغ بأسباب العلم إلى تحطيم الذرّة وهو يتحدّث عنها بإيمان، هل استطاع أن يرى ذرة واحدة ؟ إنّه لم ير قط ذرة، إنّما رأى آثارها.

وهلمّ إلى الإنسان الّذي يتحدّث ـ بإيمان ـ عن الالكترون والبروتونات والنيوترونات والطاقة وغير ذلك ممّا أثبت العلم الحديث وجودها بآثارها، وأنّها حقائق علمية مذهلة، وأصبح الناس يؤمنون بها تبعاً لإيمان العالم بها حيث تحدّث عنها وكأنّها بعضٌ منه، وهو يؤمن بها بأقصى ما يستطيع الحسّ الإنساني من إيمان، فهل رأى أحد أعيانها؟ وكيف له ذلك وهي ليست بمرئية، أم أنّه آمن بها لأنّه رأى آثارها ؟

إذن ليس من العقل أنّك لا تؤمن بالشيء لأنّك لم تره، ألم نؤمن بوجود القارات التي بُعدت عنا ولم نرها ؟ ألم يؤمن بوجود سور الصين العظيم من لم يره ولم ير الصين كلها ؟ ألم يؤمن بوجود ناطحات السحاب في أميركا من لم يرها ولا أميركا ؟

ألم يؤمن بوجود ساعة (بك بن) من لم يرها وربما لم يعرف أين هي؟ وإنّما سمعها عبر الإذاعات لأنّ التوقيت العالمي صار عليها .

إذن فليس الإيمان بشيء يعني مشاهدته بالرؤية البصرية، على أنّ مجرد الرؤية البصرية قد لا تصيب الواقع، ولذلك يحترس العالم والعاقل من الخداع البصري، وبالتالي عن انخداع الأفهام.

الجهة الثانية: قتل الإنسان ما أكفره:

هذه آية تأنيب للإنسان الّذي يرى عجائب المخلوقات من الهباء الّذي يملأ الفضاء وحتى عجائب السماء، ثم يصرّ مستكبراً وينكر قدرة الخالق البارئ المصوّر، وهو أجهل ما يكون بنفسه، فلا يعرف ما هي النفس وما حقيقتها ؟ ومن أين أتت؟ وإلى أين تذهب حين

يقبر في باطن الأرض، وأقصى ما لديه معرفة بها أنّه أدرك أنّه لا يدري، وقد عبّر عن ذلك ابن سيناه حين شعّت سيناه فقال:

هبطت إليك من المحلّ الأرفع ورقاء ذات تدلّل وتمنّع

فإنسان لا يعرف عن وجوده تكويناً، أنّى له الإحاطة بجميع وحدات الوجود خارجاً عنه، خصوصاً ما بَعُد عنه ولم يبلغه منتهى علمه «وكل ما وصل إليه العلماء هو التأكيد بأنّه مهما تقدّمت العلوم، ومهما استحدثت وسائل البحث وأجهزة الكشف، فإنّ العلم لن يصل إلى ذلك على سبيل القطع، فعدد النجوم والكواكب أمر يستحيل على العلم أن يصل إلى حقيقته، لأنّه فوق الإدراك، وأكثر ممّا يتخيّله أيّ عقل حتماً.

ففي كل مرّة يصل العلم عن طريق أجهزة أكثر دقة وأشد حساسية وأبعد رصداً إلى عدد جديد يفوق سابقه زيادة لم تكن متوقّعة، وما زال العلم يوالي أبحاثه في استحداث وسائل جديدة للرصد.

ويقول عن عدد النجوم حجة الفلك العالمي السير جيمس جينز في كتابه الكون الغامض:

ربما كان مجموع عدد النجوم التي في الكون قريباً من مجموع عدد حبيبات الرمل التي تغطي شواطئ البحار في العالم كله [1].

فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للنجوم، وهي شموس تبلغ درجة حرارتها عشرات الملايين من الدرجات التي يقيسها الإنسان بأجهزته، فكيف يكون الحال بالنسبة لعدد الكواكب إذا ما عرفنا أنّ شمسنا هي واحدة من هذه النجوم، وأرضنا أحد الكواكب

١- طريق إلى الله،عبد الرزاق نوفل ١٥ مؤسسة الخانجي ط ١.

التسعة التي تكوّن مجموعة الشمس وتدور حولها، فإذا كان كل نجم ليس له سوى تسعة كواكب كما للشمس فقط، فيا ترى كم يكون عدد الكواكب؟ وكم يكون عدد الكواكب والنجوم»[1] .

الجهة الثالثة: ماذا نعرف عن الشمس:

الشمس نجم عادي جداً بين الملايين من النجوم المنتشرة في أنحاء الكون، ولا تتميز في الواقع عن غيرها إلّا بقربها منّا، وفيما عدا ذلك فهي وسط في كل شيء ـ في حجمها وكثافتها ودرجة حرارتها ـ ومعدل بعدها عنّا ٩٣ مليون ميل، وهي كتلة مشتعلة من الغاز قطرها ٨٦٥٣٨٠ ميلاً، أي أقل من مليون ميل، وهذا القطر يمكن أن تصطف فيه ١٠٩ كرة أرضية كالتي نعيش عليها، الواحدة بقرب الأُخرى، أما من ناحية حجمها فإنّنا نحتاج إلى مليون كرة أرضية لكي نملأها[2] .

تحدث كسوفات الشمس عادة أكثر من خسوفات القمر، لكنّها لا تحدث إلّا على قسم صغير جداً من الكرة الأرضية . ولهذا لا تتاح مشاهدتها إلّا لمن يكونون في تلك المنطقة، أو لمن سار إليها من الفلكيين قاصداً[3] .

ولا أُريد التوسّع في ذلك، ولنرجع إلى مدى معرفة الإنسان بالشمس، فماذا عنده عنها؟

إنّ كل تطوّر في وسائل الاستكشاف والبحث العلمي عن الشمس تكويناً وحجماً وبُعداً وطاقةً، لم تكشف عن كل أسرارها التي ما زال الكثير منها في الخفاء، وما زالت

١- نفس المصدر: ١٦ – ١٧ .

٢- دليل السماء والنجوم للدكتور عبد الرحيم بدر: ٣٧، ط منشورات وزارة الثقافة والأعلام العراقية، السلسلة العلمية / ٩ . دار الرشيد للنشر سنة ١٩٨١ .

٣- نفس المصدر: ٣٩ .

نتائج الأبحاث موضع حدس وتخمين، مع أنّها التي منها مصدر نورنا ونارنا، ومحور نظامنا ومصدر حياتنا، وكل ما يكشف منها وعنها كأنّما يزيدها غموضاً .

فلقد قالوا عنها: إنّها لم تزل تفقد خمسة ملايين طناً من وزنها في الساعة من احتراقها، وقالوا: إنّها لم تزل تجدّد وزنها وحجمها، هذا ما قالوه، ولكن لم يقولوا لنا من أين؟ وكيف؟ ولماذا ؟

هذا عن شمسنا، التي أرضنا التي نعيش عليها من احدى توابعها، وهي واحدة من شموس أكبر منها تزخر السماء بملايين أضخم منها حجماً وأكثر سرعة وتألّقاً، ومع ذلك تبقى شمسنا على حالها وسيرها تطالعنا كل يوم، تشرق عند قوم وتغيب عند آخرين **﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾**.

فإذا حدث إعجاز في ايقاف حركتها في كبد السماء، أو إعادة سيرها إلى الوراء ومن دون أيّ اختلال في النظام الكوني للحياة، فإنّما ذلك هو منتهى الإعجاز لكونه غير مألوف لنا، ولو كان ذلك مألوفاً لم يكن معجزة.

ولما كان حديث ردّ الشمس لمولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام متشعّب الجوانب، وقد أشبعه بحثاً ـ قديماً وحديثاً ـ أكثر من عالم وكاتب، غير أنّ أصحاب النفوس المريضة ما زالوا ينقّون نقيق الضفادع، ولا يعدمون مغتراً بهم، ومعتراً بفنائهم، من أغرار لم يستضيئوا بنور العلم، فرددوا كالببغاوات ما سمعوه، ولا عجب فإنّ لكل ساقطة لاقطة، فرأيت من الواجب علي أن أمتح بدلوي من فيض ما كتبه الأولون، وأمتار بما عندهم فإنّهم لا يزالوان لهم فضل السبق على المتأخّرين في بسط موائدهم، ونيل عوائدهم وفوائدهم .

وكان الشمس الصالحي الدمشقي المتوفي سنة ٩٤٢ هـ[1] ممّن كتب في إثبات حديث ردّ الشمس رسالته (مزيل اللبس عن حديث ردّ الشمس) فاستعرت منه الاسم، كما استعنت بمنهجه في الرسم.

لما رأيته في منهجه القويم، وبيانه المستقيم، ومسلكه السليم، فقد سلك سبيلاً جدداً منتظماً سدّد به البحث في بحثه، وسدّ نوافذ الخصوم في حجته، على اختصار مفيد، ولم يكن عندي عليه من مزيد، سوى ما استجدّ لدي مما لم يذكره من ردّ الشمس للإمام عليه السلام ببابل، إذ لم يكن هو بذلك قائل، ولا أظنه بذلك جاهل، فأضفته موضحاً، وعن مأخذه مصرّحاً، فأنا في رسالتي هذه مدين لكل من استفدت منه لفضله، والفرع مرتهن بأصله.

الجهة الرابعة: في بعض ما قاله القدماء في إثبات إمكانية الحَدَث:

لقد تقدّم فيما سبق ما يتعلّق بردّ الشمس في مسألة شق القمر وإمكانية ذلك له، ولزيادة الإيضاح نخصّ ردّ الشمس بمزيد من البيان، وذلك فيما بحثه العلماء قديماً وحديثاً، وما أجابوا به عمّا يطرحه المشكّكون من مجرد استبعاد، وقد أفاضوا في ذكر أدلّة إثبات الوقوع، وحيث انّ استعراض جميع ذلك يحتاج إلى مزيد من الوقت وإطالة في البحث، فسوف أكتفي بذكر بعض ذلك:

فمن نماذج ما قاله القدماء قول الشريف المرتضى قدس سره في أماليه عند شرحه بيت

١- ترجمه غير واحد من أصحاب التراجم والفهارس، ولعل أوفى ترجمة له عند المتقدّمين ما في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٨: ٢٥٠ في وفيات سنة ٩٤٢، وعند المتأخرين ما جاء في مقدمة كتابه (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) المعروف بالسيرة الشامية، وهو كتاب نفيس قال مؤلّفه فيه: «اقتضبته من أكثر من ثلثمائة كتاب، ولم أذكر فيه شيئاً من الموضوعات .... أثبت ما فيه من الأبواب وهي نحو ألف باب ...» طبع في بيروت دار الكتب العلمية، وقد استفدت منه في خصوص المقام حيث ذكر في الجزء التاسع من الطبعة الحديثة في الباب الثالث والباب الرابع حيث ذكر مسألتي انشقاق القمر وردّ الشمس.

الحميري في ردّ الشمس فقال: فإن قيل: كيف يصح ردّ الشمس، وأصحاب الهيئة والفلك يقولون: إنّ ذلك محال لا تناله قدرة . وهبه كان جائزاً على مذاهب أهل الإسلام، أليس لو ردّت الشمس من وقت الغروب إلى وقت الزوال، لكان يجب أن يعلم أهل الشرق والغرب بذلك، لأنّها تبطئ في الطلوع على بعض البلاد، فيطول ليلهم على وجه خلاف العادة، ويمتدّ من نهار قوم آخرين ما لم يكن ممتدّاً؟

ولا يجوز أن يخفى على أهل البلاد غروبُها ثم عودُها طالعة بعد الغروب، وكانت الأخبار تنتشر بذلك، ويؤرّخ هذا الحادث العظيم في التواريخ، ويكون أبهر وأعظم من الطوفان .

قلت: قد دلّت الدلالة الصحيحة الواضحة على أنّ الفلك، وما فيه من شمس وقمر ونجوم غير متحرّك لنفسه ولا بطبيعته على ما يهذي به القوم، وأنّ الله تعالى هو المحرّك له، والمتصرّف باختياره فيه، وقد استقصينا الحجج على ذلك في كثير من كتبنا، وليس هذا موضع ذكره .

فأما علم أهل الشرق والغرب والسهل والجبل بذلك على ما مضى في السؤال فغير واجب، لأنّا لا نحتاج إلى القول بأنّها ردّت من وقت الغروب إلى وقت الزوال أو ما يقاربه على ما مضى في السؤال .

بل نقول: إنّ وقت الفضل في صلاة العصر هو ما يلي بلا فصل زمان أداء المصلّي فرض الظهر أربع ركعات عقيب الزوال، وكل زمان وإن قصر وقلّ يجاوز هذا الوقت، فذلك الفضل فائت به، وإذا ردّت الشمس له هذا القدر اليسير الّذي نفرض أنّه مقدار ما يؤدّي فيه ركعة واحدة، خفي على أهل الشرق والغرب ولم يشعروا به، بل هو ممّا يجوز أن يخفى على من حضر الحال وشاهدها، إن لم ينعم النظر والتنقير عنها، فبطل السؤال على

جوابنا الثاني المبني على فوت الفضيلة .

فأما الجواب الآخر المبنيّ على أنّها كانت فاتت بغروبها للعذر الّذي ذكرناه، فالسؤال أيضاً باطل عنه، لأنّه ليس بين مغيب جميع قرص الشمس في الزمان، وبين مغيب بعضها وظهور بعضها إلا زمان يسير قصير، يخفى فيه رجوع الشمس بعد مغيب جميع قرصها إلى ظهور بعضها على كل قريب وبعيد .

ولا يُفطَن إذا لم يُعرف سبب ذلك على وجه خارق للعادة، ومن فطَن بأنّ ضوء الشمس غاب ثم عاد بعضه جوّز أن يكون ذلك بغيم أو حائل .

أقول: ومن الخير ذكر مقدمة كتبها إمام حافظ متقن ـ وهو الحافظ الكنجي الشافعي ـ قبل ما يزيد على ثمانية قرون ونصف، صدّر بها هذا الحديث في تمام الباب المائة من مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام التي أوردها في كتابه (كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب)، فقال:

فصل: في الحديث المروي في ردّ الشمس بدعاء النبي صلى الله عليه وآله حتى صلّى علي بن أبي طالب عليه السلام العصر، نعتضد بالله ونقول: مُنكِر ذلك إما أن ينكره من حيث الإمكان، أو من حيث صحّة النقل من عدالة الرواة .

أما القسم الأول: فإنّ المتكلّم فيه أحد رجلين: إما مَن يُثبت الشرائع أو ينفيها، أما نفاتها كالدهرية والفلاسفة والمنجمين فلا كلام معهم، وأما مثبتوها فلا يتمكنون من ذلك، للحديث الّذي أخرجه مسلم في صحيحه في حبس الشمس .

كما أخبرنا الإمام الحافظ عثمان، والحافظ محمد بن محمود ـ عُرف بابن النجار ـ ببغداد، قالا: أخبرنا أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل، أخبرنا أبو محمد محمد بن عيسى، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، أخبرنا أبو

الحسين مسلم بن الحجاج، قال: وحدّثنا أبو كريب محمد بن العلا، حدَّثنا ابن المبارك عن معمر، وحدّثنا محمد بن رافع ـ واللفظ له ـ قال: أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبّه، قال: هذا ما حدّثنا به أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها:

وقال رسول الله ﷺ: غزا نبيّ من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بُضع إمرأة وهو يريد يبني بها ولمّا يبن، ولا آخر قد بنى بنياناً ولمّا يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو منتظر ولادها.

قال: فغزا فأدنى للقرية حين صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: أنتِ مأمورة وأنا مأمور، اللّهمّ احبسها عليَّ شيئاً، فحُبست عليه حتى فتح الله عليه، قال: فجمعوا ما غنموا، فأقبلت النار لتأكله، فأبت أن تطعمه، فقال: فيكم غلول، فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه، فلصقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك فبايعته، فلصقت بيد رجلين أو ثلاثة، فقال: أنتم غللتم. قال: فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب، قال: فوضعوه في المال وهو بالصعيد، فأقبلت النار فأكلته، فلم تحلّ الغنائم لأحد من قبلنا، ذلك بأنّ الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيّبها لنا.

قلت: هذا حديث متّفق على صحّته، رواه البخاري في الغلول، وأخرجه مسلم في الجهاد كما سقناه، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده، وقال: إنّ الشمس حُبست ليوشع بن نون عليه السلام.

ورواه الطبراني في معجمه كذلك.

ولا يخلو إما أن يكون ذلك معجزة لموسى عليه السلام أو ليوشع عليه السلام، فإن كان لموسى عليه السلام فنبيّنا ﷺ أفضل، وعليّ عليه السلام أقرب إليه من يوشع إلى موسى، وإن كان معجزة ليوشع عليه السلام فإن كان نبياً فعليٌّ مثله، وإن لم يكن نبياً فعليّ أفضل منه، إذ قال النبي ﷺ: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل».

وفي لفظ آخر: «أنبياء بني إسرائيل»، وحذف الكاف لقوة المشابهة، والمعنى: أنبياء بني إسرائيل دعاة إلى الله سبحانه بالوعظ والزجر والتحذير والترغيب، وعلماء أُمته ﷺ قائمون في هذا المقام، منخرطون في سلك هذا النظام، وعلي عليه السلام أولى الناس بهذا النص، لقوله ﷺ: أقضاكم علي.

وأما القسم الثاني: وهو الإنكار من حيث العدالة من نقل ذلك وذكره في كتابه، فقد عدّه جماعة من العلماء في معجزاته ﷺ، ومنهم ابن سبع، ذكره في (شفاء الصدور)، وحكم بصحّته.

ومنهم: القاضي عيّاض، ذكره في (الشفا بتعريف حقوق المصطفى)، وحكى فيه عن الطحاوي أنّه ذكر ذلك في (شرح مشكل الحديث)، قال: روي من طريقين صحيحين.

وقال ابن خزيمة: كان أحمد بن صالح يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلّف عن حديث أسماء بنت عميس في ردّ الشمس، لأنّه من علامات نبوّة نبيّنا ﷺ.

وقد شفى الصدور الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلي في جمع طرقه في كتاب مفرد، ورواه الحافظ أبو عبد الله الحاكم في تاريخه في ترجمة عبد الله بن حامد بن محمد بن ماهان الفقيه الواعظ المحدّث، وخرّجه عنه.

ثم ذكر الكنجي الحديث كما خرّجه الحاكم في تاريخ نيسابور في ترجمة عبد الله بن حامد بن محمد بن ماهان، ثم قال: وقد أملاه أبو منصور أحمد بن شعيب بن صالح النجاري ببغداد في جامع المنصور في ملأ من أهل الحديث.

ثم ذكر الحديث، وقال: قلت: هكذا رواه أبو الوقت في الجزء الأول من أحاديث الأمير أبي أحمد.

وضعّفه بعض المتأخّرين، وذكره فيما جمعه من الموضوعات، واحتجّ على ضعفه بحجة

داحضة، وقال: فيه اضطراب واختلاف في الروايات، وقال: لا يجوز رواية مثل هذا النصّ، لأنّ فيه خرقاً للعادة .

والعجب ممّن يذكر مثل هذا في مصنّفاته ولا يعلم أنّه مردود عليه .

أما قوله: فيه اضطراب واختلاف، قلنا: حديث الشفاعة وحديث المعراج متفق على صحتهما، وهما كذلك .

وأما قوله: فيه خرق للعادة، فدليل على عدم معرفته ما قدّمناه من حديث ردّ الشمس ليوشع من المتفق عليه أيضاً .

وقال الحافظ أبو نعيم في كتاب تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة: فإن احتج بأنّ علياًعليه‌السلام رُدّت عليه الشمس بعد أن غابت حتى صلاها لوقتها . قيل: لو كان ذلك لعليّ كان لرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله أولى وأحرى، فقد فاتته يوم الخندق الظهر والعصر ولم تُرَد عليه الشمس .

قلت ـ والقائل هو الحافظ الكنجي ـ: ولم يطعن فيه من جهة النقل، قلنا: الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله مشرِّع، فلو لم تفته صلاة لاختلّ على الأمة أمر القضاء، فتفويته للصلاة تشريع في حق الأمة، ولا كذلك علي عليه‌السلام ، فافترقا .

وروي عن عامر بن واثلة أبي الطفيل، قال: كنت يوم الشورى على الباب، وعلي يناشد عثمان وطلحة والزبير وسعداً وعبد الرحمن، يعدّ من فضائله منها ردّ الشمس ...

ثم ذكر تمام حديث المناشدة مسنداً، ومنه قولهعليه‌السلام : أمنكم أحد رُدّت عليه الشمس بعد غروبها حتى صلّى العصر غيري ؟ قالوا: لا .

ثم قال الحافظ الكنجي: قلت: ولهذا الحديث حكاية عجيبة، حكاها جماعة من أهل التواريخ، أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار، أخبرنا أبو محمد

عبد العزيز بن الأخضر، قال: سمعت القاضي محمد بن عمر بن يوسف الأرموي يقول: جلس أبو منصور المظفر بن أردشير العبادي الواعظ بمدرسة التاجية بباب أبرز ببغداد بعد صلاة العصر، وذكر حديث ردّ الشمس، وشرع في فضائل أهل البيت، فنشأت سحابة غطّت الشمس، حتى ظنّ الناس أنّها قد غابت، فقام أبو منصور على المنبر قائماً، وأومى إلى الشمس وارتجل:

لا تَغْرُبي يا شمسُ حتى ينتهي ... مدْحي لآلِ المصطفى ولنجلِهِ

واثْني عِنانَكِ إنْ أردتِ ثناءَهم ... أَنَسِيتِ إذْ كانَ الوقوفُ لأجلهِ

إنْ كانَ للمولى وقوفُكِ فليكنْ ... هذا الوقوفُ لخيلهِ ولرَجْلِهِ

قال: فطلعت الشمس، فلا يُدرى ما رُمي عليه من الأموال في ذلك اليوم .

ثم ذكر أبياتاً في رد الشمس من قصيدة الصاحب بن عباد، وهي في ديوانه[1]، وسيأتي ذكرها .

أقول: فبعد ما تقدّم ذكره تبيّن أنّ حديث ردّ الشمس من الأحاديث الصحيحة الثابتة سنداً ومتناً، وما إنكاره إلّا كإنكار الأعمى لضوء الشمس.

الجهة الخامسة: في ذكر بعض ما قاله المحدثون:

قال الدكتور محمد الخالدي في كتابه الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية: قال: جاء في كتاب (الإسلام مع الحياة) بعنوان(العلم الحديث وردّ الشمس):

جاء في قصص الأنبياء: انّ يوشع بن نون كان في معركة مع أعداء الله، وكادت الشمس تغرب قبل أن ينتهي القتال، فخشي أن يعجزوه إذا امتدّ القتال إلى اليوم التالي،

١- ديوان الصاحب بن عباد: ١١٤ – ١١٩ .

فقال للشمس: أنتِ في طاعة الله وأنا في طاعة الله، فأسألكِ أن تقفي حتى ينتقم الله من أعدائه قبل الغروب، فاستجاب الله الدعاء ووقفت الشمس، وزيد النهار حتى تم النصر ليوشع .

وقال الله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾[1] قال المفسّرون: إنّ موسىعليه السلام ومن معه هربوا من فرعون خوف القتل، فلما انتهوا إلى البحر ولم يجدوا سبيلاً إلى ركوبه، أوحى الله إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه، وحينما امتثل ما أمر الله به تجمّع الماء على الطرفين بعضه فوق بعض، حتى صار كالجبل، وخرج موسى وأنصاره، وتبعهم فرعون وقومه في نفس الطريق، فأغرقهم الله، وكان البحر يبساً في طريق موسى، وماء في طريق فرعون .

وكذّب الكافرون كلاً من المعجزتين أو الحادثتين .

أولاً: لأنّها خرق لقوانين الطبيعة .

ثانياً: لو صحّت لجاء ذكرها في غير الكتب الدينية، لأنّها من الأحداث العالمية العجيبة.

وقرأت في جريدة الجمهورية ـ المصرية ـ عدد ١٣ / ١٢ / ١٩٥٧ م:

إنّ كتاباً في علوم الطبيعة ظهر حديثاً، وقد أثار ضجّة كبرى في الأوساط العلمية، ولدى المؤرخين حيث أثبت بالأرقام المحسوسة واقعة انشقاق القمر، ووقوف الشمس في كبد السماء .

أما المؤلّف فهو عالم روسي من علماء الطبيعة اسمه إيمانوئيل فليكوفسكي، درس العلوم الطبيعية في جامعة أدنبورج، ودرس التاريخ والقانون والطب في جامعة موسكو، ودرس علم الأحياء في برلين وفي زيورخ، ودرس الطب النفسي في فينّا.

١- الشعراء: ٦٣ .

ولقد خرج المؤلّف من أبحاثه التي استمرت أكثر من عشر سنوات إلى استنتاجات علميّة تؤيّد بدون قصد ما جاء في القرآن الكريم وسيرة الأنبياء عليهم السلام، وقد رأيت أن أنقل للقرّاء مقتطفات من الكتاب، كما ترجمتها ونشرتها جريدة الجمهورية القاهرية .

قالت الجريدة: يقول المؤلف: إن نيزكاً هائلاً مرّ إلى جوار الكرة الأرضية في عهد يوشع خليفة موسى عليه السلام ثم عادت الظاهرة إلى الوجود بعد ذلك بسبعمائة عام... .

وهذه الظاهرة الكونية الهائلة التي تسيّرها قوى خارقة غير مرئية، تفسّر المعجزات التي جاء ذكرها في الكتب السماوية والتوراة والإنجيل والقرآن .

إنّ اقتراب كوكب أو نيزك كبير من الأرض يحدث ظواهر متعدّدة:

منها: إنّ دوران الأرض حول نفسها يقلّ أو يقف، حتى يخيّل إلى الناس أن الشمس قد وقفت في كبد السماء .

ومنها: انشقاق البحر وانعقاد أعمدة من الغمام في النهار والليل .

ولقد مرّ كوكب في عهد الفراعنة، فأمطر الأرض سيلاً أحمر طبع الأرض والنيل والبحر بلون الدم .

وهذا يؤيّد ما جاء في الآية الكريمة: ﴿ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ** ﴾[1] وقد تساقط هذا التراب الأحمر في جهات متفرّقة من الأرض .

إنّ المعجزة التي تخرق كل قوانين الفلك والطبيعة لا تصنعها سوى قدرة الخالق وحده، لقد تمّت المعجزة حين هرب موسى من اضطهاد فرعون مصر، فتابعه فرعون بجيوشه، ولكن انشق البحر فمرّ موسى ومن معه بسلام، حتى إذا أتبعهم فرعون وجنوده عاد البحر إلى سيرته الأُولى، فانطبق على المطاردين، وابتلع الرجال والفرسان، ولم ينج منهم أحد .

١- الأعراف: ١٣٣ .

ويقول المؤلّف: أنّه في العهد الّذي يقابل عهد موسى يقول المؤرخون الصينيون: إنّ الشمس آنذاك لم تغرب حتى لقد حرقت الغابات وذاب الجليد .

وهكذا لبثت الأرض ساكنة، كأن قوة جبّارة قد صنعتها، ولا يعرف على وجه التحديد كم استمرّ وقوفها قبل أن تتابع دورانها حول نفسها مرة أُخرى .

ولكن هل تابعت الأرض دورانها في نفس الاتجاه؟ إنّ الأرض الآن تدور من الغرب إلى الشرق، فهل كانت هكذا دائماً ؟ إذا رجعنا في الإجابة على هذا السؤال إلى الخرائط القديمة، فإنّ الإجابة هي لا .

لأنّ الخرائط التي رسمها قدماء المصريين في سقف أحد المعابد، تدلّ على أنّ الأرض كانت تدور قبل وقوفها من الشرق إلى الغرب، وهذا ما أكّده أفلاطون في حواره عن السياسة حيث قال:

«إنّ الشمس من قبل كانت تغيب حيث نراها تشرق» وهذا يفسّر الآية الكريمة: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾[1] .

انتهى ما أردنا نقله من كتاب الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية[2].

وبعد هذا الّذي ذكرناه لم يبق مجال لتصوّر أي مانع عقليّ من حدوث آية ردّ الشمس بعد غروبها بزعم لزوم بطلان الحساب في الحركات الفلكية، فقد تبيّن أنه زعم باطل في نفسه، ما دام حدوث الآية ـ وكل آية ـ إنّما هو بأمر الله خالق الخلق كله .

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ

١- الرحمن:١٧.

٢- الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية ٢: ٣٥٠ – ٣٥٢ ط الأُولى سنة ١٤٠٤ هـ .

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾[1].

كما تبيّن أيضاً بطلان زعم الزاعم أنّ ذلك يلزم أن يكون أمراً محسوساً لجميع الناس في جميع الأقطار .

الجهة السادسة: ماذا قال شيخ الأزهر في ردّ الشمس؟

جاء في كتاب حكمة التشريع وفلسفته للشيخ علي أحمد الجرجاوي، أحد علماء الأزهر ورئيس جمعية الأزهر العلمية ... الطبعة الخامسة سنة ١٣٨١ هـ ج٢ / ٤٤١ الجواب عن وقف الشمس لبعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

سئل المغفور له شيخنا الجليل الأُستاذ الإمام محمد بخيت المطيعي عن وقف الشمس لبعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحبسها لآخرين، فأجاب رحمة الله عليه جواباً مسدّداً بالأدلّة والبراهين العقلية والنقلية .

قال السائل بعد الديباجة المعروفة: فسّروا لنا قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ ﴾.

وبيّنوا لنا ما جاء في ذلك من ردّ الشمس لسليمان على نبيّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام، وما ورد من أنّها رُدّت لنبيّنا ﷺ، وحبست لعليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي الله عنه، وليوشع عليه الصلاة والسلام، وكيف التوفيق بين ما ذكر وبين ما قاله علماء الهيئة في حركات الشمس ونظامها، وأنّها لا تسكن أصلاً في طلوعها وغروبها إلى أن تصل لمستقرّها وتكوّر وتنكدر النجوم الخ .

فأجاب عليه سحائب الرحمة والرضوان بما يأتي:

---

١ - الزمر: ٥ .

قبل الخوض في صحّة ما قيل في ردّ الشمس لسليمان ولنبينا عليهما الصلاة والسلام .

وما ورد في حبسها ليوشع ولعليّ ﷺ، إنّ علماء الهيئة قد قالوا إنّ اليوم النجمي مستوى الزمن دائماً وليس كذلك اليوم الشمسي، لأنّ الأرض في بُعدها الأقرب تعوق الشمس بعض شيء عن الظهور في خط نصف النهار، فيكون اليوم حينئذٍ أزيد من أربع وعشرين ساعة، وإذا كانت الأرض في البُعد الأبعد فلا يبلغ أربعة وعشرين ساعة .

وهذا يدلّ على أنّ الله تعالى لم يجعل اليوم الشمسي مستوى الزمن، بل جعله تارة أزيد من أربع وعشرين ساعة، وتارة أقل من ذلك .

والمراد اليوم هنا مجموع الدورة اليومية الشاملة الليل والنهار، وأناط زيادة اليوم عن أربع وعشرين ساعة بعلّة وقفنا عليها وعلمناها من طريق الحساب، وهي كون الأرض في بُعدها الأقرب تعوق الشمس حينئذٍ على وجه ما ذكر، وإذا جاز عوق الشمس لهذه العلّة جاز عوقها لعلّة أخرى يعلمها العليم الخبير، كما يجوز أن يعوقها سبحانه بلا علّة أصلاً .

وعلماء الهيئة إنّما قالوا ما قالوه بناءً على النواميس الطبيعية المعتادة، وأما المعجزات التي جاءت خارقة لعادة الله تعالى ولتلك النواميس، بل هي مبنيّة على نواميس خفيّة لا يطلّع عليها البشر، فلا معنى لأن يُعترض عليها بمخالفتها لما قضت به النواميس الطبيعية المعتادة، مع أنّها دائماً أبداً باعتبار كونها خارقة لعادة الله تعالى في خلقه لا تكون إلا مخالفة لتلك النواميس الطبيعية العادية .

وحينئذٍ لا إشكال أصلاً في كل ما ورد ممّا ذكر، ويحمل الردّ أو الحبس على وجود عائق عاق الشمس عن ظهورها في خط نصف النهار، حتى طال النهار وكان أزيد من أربع وعشرين ساعة .

فليس معنى ردّ الشمس أنّها تقهقرت واختلّ سيرها، ولا أنّ حبسها أنّها وقفت عن

سيرها وحركتها حتى ينافي ما قاله علماء الهيئة، ويخالف ما ثبت بالبراهين القطعية وما هو ثابت بالمعاينة، وحينئذٍ يُحمل الردّ والحبس على ما ذكرناه ويزول الإشكال .

ومع ذلك نحن نذكر لك ملخّص ما قاله جمع من المفسّرين في ذلك وما له وما عليه، ـ ثم ذكر ما حكاه عن تفسير أبي حيّان وتفسير الآلوسي وغيرهما ممّا لم يأت لنا بجديد من عنده، مما لا حاجة بنا إلى نقله، كما لا نوافقه على رأيه في رفع الإشكال بإطالة النهار، لأنّ عائقاً أعاق الشمس عن ظهورها في خط نصف النهار ـ .

* * *

الفَصْلُ الثّاني

ماذا عن ردّ الشمس وقوعاً في الأمم السالفة؟

وفيه مسألتان:

المسألة الأُولى: في ردّ الشمس أو حبسها سابقاً للأنبياء والأوصياء:

لقد علم ممّا سبق الإشارة على وقوع ذلك، وورد اسم بعض الأنبياء عليهم السلام الذين ردّت عليهم أو حبسها عليهم، وكان من بين الأسماء يوشع بن نون، وسليمان بن داود، ولابدّ لنا من الإلمام بما ورد في التراث الإسلامي عنهما، وذلك من خلال الأحاديث التي وصلت إلينا، وموقف المحدثين منها سلباً وإيجاباً.

فإلى معرفة شيء من ذلك فأقول: انّ أبا هريرة يأبى ردّها مطلقاً، ويأبى حبسها لغير يوشع كما يبدو من خلال حديثه، فقد روى مرفوعاً انّ الشمس لم تحبس على بشر إلّا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس.

ومن المعلوم أن ليس كل ما يرويه لنا أبو هريرة مقبولاً عند المحدّثين، فقد ردّوا بعض مرويّاته وناقشوا في صحتها، وحسبنا كتاب (أبو هريرة) للمرحوم السيد شرف الدين العاملي، وكتاب (شيخ المضيرة) للمرحوم الشيخ أبو رية المصري، ففيهما كشف صفحاته بما لا يبقي مجالاً لقبول كل ما يرويه.

ولما رُوي لنا عنه الحديث السابق، فلابدّ من وقفة تحقيق عنده، لنرى صحته سنداً ومتناً، حتى نتيقّن براءة ذمّته ممّا رُمي به من الكذب في بعض أحاديثه، خصوصاً وحديثه في المقام، ممّا أثار عليه زوبعة الإتهام، ولا شك أنّ من ينتصر له لا يرضى بذلك، فهو يقف

مدافعاً، ولو دفعاً بالصدر، لئلا يحمل على أبي هريرة بالأصر، وما أكثر المحامين عنه في كل عصر ومصر، وسأكتفي بواحد من المتأخّرين المعاصرين، وهو الشيخ الألباني صاحب سلسلة الأحاديث الصحيحة وغيرها، فلنقرأ ماذا عنده عن حديث أبي هريرة .

المسألة الثانية: من أبي هريرة إلى الألباني:

لقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة مرفوعاً:

«إنّ الشمس لم تحبس على بشر إلّا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس».

وفي رواية: غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني إلّا رجل قد ملك بُضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن (بها)، ولا آخر قد بنى بنياناً ولما يرفع سقفَها، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خَلِفات وهو منتظر وِلادها . قال: فغزا فأدنى للقرية حين صلاة العصر، أو قريباً من ذلك .

«وفي رواية: فلقي العدو عند غيبوبة الشمس» فقال للشمس: أنتِ مأمورة وأنا مأمور، اللّهمّ احبسها عليّ شيئاً، فحبست عليه حتى فتح الله عليه «فغنموا الغنائم» قال: فجمعوا ما غنموا.

فأقبلت النار لتأكله فأبت أن تطعمه «وكانوا إذا غنموا الغنيمة بعث الله تعالى عليها النار فأكلتها» فقال: فيكم غُلول، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فبايعوه، فلصقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغُلول فلتبايعني قبيلتك، فبايعته، قال: فلصقت بيد رجلين أو ثلاثة «يده».

فقال: فيكم الغُلول أنتم غللتم، «قال: أجل قد غللنا صورة وجه بقرة من ذهب» قال: فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب، قال: فوضعوه في المال، وهو بالصعيد فأقبلت النار فأكلته، فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا، ذلك بأنّ الله تعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيّبها لنا .

وفي رواية فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: إنّ الله أطعمنا الغنائم رحمة بنا وتخفيفاً لما علم من ضعفنا .

وهذا الحديث بروايتيه الآنفتي الذكر ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة [1] ثم قال: هذا حديث صحيح جليل، ممّا حفظه لنا أبو هريرة وله عنه أربع طرق: ثم ذكرها ومن أخرجها وحال رواتها، ثم عقّب عليها وأطال الحديث في ذلك إلى ص٣٥١ فمن أراد الاطلاع عليها فليراجع في المصدر المذكور .

ثم ذكر في ص٣٥٣ عنوان (من فوائد الحديث). وفي رقم ٣ قال:

وفيه أنّ الشمس لم تحبس لأحد إلاّ ليوشع عليه السلام ، ففيه إشارة إلى ضعف ما يروى أنّه وقع ذلك لغيره .

وقال الآلوسي في تفسيره [2]: وهذا الحديث الصحيح عند الكل يعارض جميع ما تقدّم ـ وقد تقدّم منه ذكر ردّ الشمس لسليمان عليه السلام وللنبي ﷺ وللإمام علي كرّم الله وجهه ورضي عنه بدعائه عليه الصلاة والسلام ـ وتأويله بأنّ المراد لم تحبس على أحد من الأنبياء غيري إلّا ليوشع، أو بالتزام أنّ المتكلّم غير داخل في عموم كلامه، بعد تسليم قبوله لا ينفي معارضته خبر الردّ لسليمان عليه السلام ، فإنّه بظاهره يستدعي نفي الردّ الّذي هو أعظم من الحبس له عليه السلام .

ثم قال الآلوسي: وبالجملة القول بردّ الشمس لسليمان عليه السلام غير مسلّم، وعدم قولي بذلك ليس لامتناع الردّ في نفسه كما يزعمه الفلاسفة، بل لعدم ثبوته عندي أهـ .

فتبيّن من جميع ما تقدّم أنّ الشمس حُبست على يوشع عليه السلام ، كما في الحديث الصحيح

١- سلسلة الأحاديث الصحيحة ١: ٣٤٧ - ٣٤٨.

٢- روح المعاني ٢٣: ١٧٦ ط المنيرية.

بطرقه المتعددة عن أبي هريرة، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة[١]:

ومن تمام الفائدة أن أسوق ما وقفنا عليه من ذلك ـ أي ممّا يروى انّه وقع لغير يوشع ـ:

١- ما ذكره ابن اسحاق في (المبتدأ) من طريق يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه أن الشمس حبست لموسى عليه السلام لما حمل تابوت يوسف عليه السلام.

قلت ـ والقائل هو الألباني ـ وهذا موقوف، والظاهر أنّه من الإسرائيليات، وقصّة نقل موسى لعظام يوسف عليهما السلام من قبره في مصر في المستدرك[٢] بسند صحيح عنه عليه السلام، وليس فيها ذكر لحبس الشمس.

٢- أنّها حبست لداود عليه السلام.

أخرجه الخطيب في (ذم النجوم) له من طريق أبي حذيفة، وابن اسحاق في (المبتدأ) بإسناد له عن علي موقوفاً مطولاً، قال الحافظ: وإسناده ضعيف جداً، وحديث أبي هريرة المشار إليه عند احمد أولى، فإنّ رجال إسناده محتج بهم في الصحيح، فالمعتمد أنّها لم تحبس إلّا ليوشع.

٣- أنّها حبست لسليمان بن داود عليهما السلام، في قصّة عرضه للخيل، وقوله الّذي حكاه الله عنه في القرآن: ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ ﴾ رواه الثعلبي ثم البغوي عن ابن عباس. قال الحافظ: وهذا لا يثبت عن ابن عباس ولا عن غيره، والثابت عن جمهور أهل العلم بالتفسير من الصحابة ومَن بعدهم أنّ الضمير المؤنث في قوله: ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ ﴾ للخيل والله أعلم.

٤- ما حكاه عياض أنّ الشمس ردّت للنبي صلى الله عليه وآله يوم الخندق، لما شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس، فردّها الله عليه حتى صلّى العصر. قال الحافظ: كذا قال:

١- سلسلة الأحاديث الصحيحة ١: ٣٥٣.

٢- المستدرك ٢: ٥٧١ ـ ٥٧٢.

وعزاه للطحاوي والّذي رأيته في (مشكل الآثار) للطحاوي ما قدّمت ذكره من حديث أسماء.

قلت ـ والقائل هو الألباني ـ ويأتي حديث أسماء قريباً إن شاء الله تعالى، وقصّة انشغاله ﷺ عن صلاة العصر في الصحيحين وغيرهما، وليس فيهما ذكر لردّ الشمس عليه ﷺ[1].

٥- ومن هذا القبيل ما ذكره يونس بن بكير في زياداته في (مغازي ابن اسحاق) أنّ النبي ﷺ لما أخبر قريشاً صبيحة الإسراء أنّه رأى العير التي لهم، وأنّها تقدم مع شروق الشمس، فدعا الله فحبست الشمس حتى دخلت العير.

قلت ـ والقائل هو الألباني ـ وهذا معضل، وأما الحافظ فقال: وهذا منقطع، لكن وقع في (الأوسط) للطبراني من حديث جابر أنّ النبي ﷺ أمر الشمس فتأخّرت ساعة من نهار، وإسناده حسن.

قلت ـ والقائل هو الألباني ـ : وفي النفس من تحسينه شيء، وإن كان سبقه إليه شيخه الهيثمي في المجمع[2]، ولعلّ الحافظ نقله عنه والله أعلم، ولئن صحّ هذا فلا يعارض حديث يوشع عليه السلام لإمكان الجميع بينهما، قال الحافظ: ووجه الجمع أن الحصر محمول على ما مضى للأنبياء قبل نبيّنا ﷺ فلم تحبس الشمس إلّا ليوشع، وليس فيه نفي أنها تحبس بعد ذلك لنبيّنا ﷺ.

وبعد كتابة ما تقدّم وقفت والحمد لله على إسناد الحديث، فتبيّن أنّه ليس بحسن، بل هو ضعيف أو موضوع، ولذلك أودعته في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة رقم ٩٧٦.

٦- ما رواه الطحاوي وغيره من حديث أسماء بنت عميس أنّ الشمس رُدّت بعد

١- أنظر نصب الراية ٢: ١٦٤.

٢- المجمع ٨: ٢٩٧.

غروبها لعليّ ﵁ حتى صلّى صلاة العصر، وكان قد فاتته بسبب نوم النبي ﷺ على فخذه .

وهذه القصّة لا تثبت، وهي عند الطحاوي من طريقين عن أسماء، فيهما ضعف وجهالة، وقال الحافظ ابن كثير في (البداية) عقب حديث حبس الشمس ليوشع ﵇ : وفيه أنّ هذا كان من خصائص يوشع﵇ ، فيدلّ على ضعف الحديث الّذي رويناه أنّ الشمس رجعت حتى صلّى علي بن أبي طالب... وقد صحّحه أحمد بن صالح المصري، ولكنّه منكر ليس في شيء من الصحاح ولا الحسان، وهو ممّا تتوفّر الدواعي على نقله، وتفرّدت بنقله امرأة من أهل البيت مجهولة لا يعرف حالها . والله أعلم.

وقد حكم عليها الذهبي بالوضع وذلك من جهة المتن، وسبقه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن قبله أبو الفرج ابن الجوزي حيث ذكره في (الموضوعات) وقد تعقبه السيوطي في(اللئالي) بما لا يجدي، وكذا الحافظ ابن حجر حيث انتقد ابن تيمية وابن الجوزي حكمهما على الحديث بالوضع والحق معهما كما بيّنته في السلسلة المشار إليها رقم (٩٧٥) . انتهى ما نقلناه عن الألباني .

أقول: سيأتي الكلام حول تلوّن أبي هريرة في روايته لحديث ردّ الشمس في المسألة الثالثة من الفصل الرابع، فانتظر .

* * *

الفصل الثالث

من هم الأوصياء الثلاثة الذين ردّت لهم الشمس ؟

لقد ورد في الكتب المعتبرة أنّ الشمس ردّت لثلاثة من الأوصياء، ونحن نبحث عن:

١- ردّها لسليمان بن داود عليه السلام .

٢- ردّها ليوشع بن نون عليه السلام .

٣- ردّها للإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام في العهد النبوي .

ونضيف إليها نحن ردّها ثانية للإمام بعد العهد النبوي، وإنّما اخترنا تلك الموارد لأنّها مقبولة في حججها أكثر من غيرها، فقد ذكر الحافظ ابن شهرآشوب في كتابه مناقب ابن شهرآشوب[1] فقال: وعن ابن عباس بطرق كثيرة: انّه لم تردّ الشمس إلّا لسليمان وصيّ داود، وليوشع وصي موسى، ولعليّ بن أبي طالب وصي محمد صلوات الله عليهم أجمعين .

إذن فمسألة ردّ الشمس بعد غروبها أو حبسها عن سيرها الطبيعي المعتاد لفترة من الزمن، قد حدث في العالم مكرراً على فترات متباعدة، ولدواع خاصّة، بينها جميعاً قاسم مشترك أنها كانت معجزة لأوصياء ثلاثة من الأنبياء، وهذا هو المتيقّن عندنا حسب ما ورد عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وصح عن حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وهو في علمه تلميذ أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله .

فما قاله حبر الأُمة أخذه من عين صافية، وعلينا أن نقرأ ما ورد في ردّ الشمس لهؤلاء

١- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٤٥ ط الحيدرية.

الأوصياء الثلاثة:

١ـ ردّ الشمس لسليمان وصي داود عليهما السلام:

لقد ردّ الله سبحانه وتعالى بأمره لسليمان بن داود الّذي آتاه الله الملك وفصل الخطاب، فقال سبحانه وتعالى في سورة ص: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾[1].

وقد ذهب المفسّرون مذاهب شتى في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ و﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ ويمكن تلخيصها على سبيل منع الخلوّ بأنّها أربعة مذاهب:

الأول: أن يكون المراد بقوله: ﴿تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ هي الشمس، والمراد بقوله: ﴿رُدُّوهَا﴾ يعني الشمس.

الثاني: أن يكون المراد بقوله في المقامين هي الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ يعني الخيل.

الثالث: أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿تَوَارَتْ﴾ الشمس، وبقوله تعالى: ﴿رُدُّوهَا﴾ يعني الخيل.

الرابع: أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿تَوَارَتْ﴾ الخيل، وبقوله تعالى: ﴿رُدُّوهَا﴾ يعني الشمس.

ولبعض المفسّرين ـ كالرازي وغيره ـ تطويل في إثبات آرائهم، ولا يعنينا في المقام عرض مقالاتهم وأدلّتهم ما دامت مخالفة لما ورد عن أهل البيت عليهم السلام، لأنّا نرى أنّه لا يعرف القرآن إلّا من جعله النبي صلى الله عليه وآله عدلاً له في وجوب الرجوع إليه والتمسّك به، كما في

١- ص: ٣٠ - ٣٣.

حديث الثقلين المتظافر نقله عن نيف وعشرين صحابياً[١].

وأهل البيت عليهم السلام من أظهر مصاديق الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل الكتاب، ولديهم فصل الخطاب حيث قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[٢].

وما ورد عنهم هو المذهب الأول، وهو المروي عن ابن عباس ترجمان القرآن رضي الله عنه، رواه عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ورد في تفسير الآيتين في جملة من مصادر التفسير: انّ ابن عباس حكى للإمام قول كعب الأحبار ـ اليهودي ـ أنه قال: ﴿رُدُّوهَا﴾ يعني الأفراس.

فقال الإمام عليه السلام: كذب كعب، لكنّ سليمان اشتغل بعرض الأفراس للجهاد حتى توارت ـ أي غربت ـ الشمس بالحجاب، فقال بأمر الله للملائكة الموكلّين بالشمس: ﴿رُدُّوهَا﴾ يعنى الشمس، فردّوها حتى صلّى العصر في وقتها، وإنّ أنبياء الله لا يَظلمون لأنّهم معصومون[٣].

١- راجع علي إمام البررة ١: ٢٩٢ –٣١٨، وفي الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي: ٨٩ ط الميمنية سنه ١٣٢١ قال ابن حجر: ثم اعلم أنّ لحديث التمسّك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً، ومرّ له طرق مبسوطة في حادي عشر الشُبه ....

٢- آل عمران: ٧.

٣- راجع تفسير القرطبي ومجمع البيان في تفسير سورة ص، كما روى قول الإمام في تفسير: ﴿رُدُّوهَا﴾ جماعة من المفسّرين، كالخازن في تفسيره٤: ٣٩ ط اليمنية سنة ١٣١٧، وذكره النسفي في تفسيره ٤ : ٤١ ط دار الفكر بيروت من دون عزو، بينما الآلوسي عزاه في تفسيره ٢٣: ١٧٥ ط المنيرية وحكاه عن الخفاجي والطبرسي أيضاً.

تكذيب كعب الأحبار فيما رآه وما رواه:

ولتنوير القارئ عن كعب الأحبار الّذي كان يهودياً، وأظهر الإسلام في خلافة عمر، مع أنّه أدرك العهد النبوي فلم يسلم، وهذا ما أثار الشك عند غير واحد في صحة إسلامه، حتى أنّ العباس بن عبد المطلب قاله له: ما منعك أن تسلم في عهد النبي ﷺ وأبي بكر حتى أسلمت الآن في عهد عمر، فقال: انّ أبي كتب لي كتاباً من التوراة فدفعه إليَّ، وقال: اعمل بهذا واتّبعهُ وأخذ علي بحق الوالد أن لا أفضّ هذا الخاتم، وختم على سائر كتبه، فلما رأيت الإسلام قد ظهر ولم أر إلا خيراً، قالت لي نفسي: لعل أباك قد غيّب عنك علماً، ففضضت الخاتم فإذا فيه صفة محمد وأُمته، فجئت الآن فأسلمت[1].

قال محقق الخصائص: يلوح من سؤال العباس أنّه كان مرتاباً في إسلام كعب، ولهذا اعتذر له كعب بهذا العذر الّذي نرجو أن يكون صادقاً فيه، فإنّ بعض الناس ليشكّك في إسلام هذا الرجل، ويتّهمونه بالمشاركة في المؤامرة التي دُبّرت لقتل عمر، والعقل يستبعد أن يوصي يهودي ولده بالخروج من يهوديته والدخول في دين يناهضها، بل يظهر من قول كعب: فلما رأيت الإسلام قد ظهر، انّه كان ينتظر نتيجة الصراع بين الإسلام وخصومه أهـ.

أقول: لقد غفل الأُستاذ المحقق عن التنافي في قول كعب عن أبيه(إعمل بهذا) ثم قوله: (وأخذ عليَّ بحق الوالد أن لا أفضّ هذا الخاتم ...).

فإذاً كيف هو يعمل بما في الكتاب، وأخذ عليه أن لا يفضّ خاتمه ؟ ! ولم يكن العباس هو الوحيد في ارتيابه من إسلام كعب، فقد كان ابنه عبد الله على شاكلته أيضاً مرتاباً في

١- الخصائص الكبرى للسيوطي ١: ٣٥ - ٣٦.

إسلام كعب، كما كان أيضاً على شاكلة الإمام في تكذيب كعب .

فقد روى عكرمة أنّ رجلاً أتى ابن عباس فقال: يابن عباس إنّي سمعت العجب من كعب الأحبار يذكر في الشمس والقمر ـ وكان ابن عباس متكئاً فاحتفز ـ ثم قال: ماذا قال؟ قال: زعم كعب انّه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنّهما ثوران عقيران فيقذفان في النار .

قال عكرمة: فطارت من ابن عباس شظيّة ووقعت أخرى غضباً .

ثم قال ابن عباس: كذب كعب الأحبار ـ قالها ثلاثاً ـ بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام...، ثم ساق الحديث بطوله[1].

ففي قول ابن عباس: كذب كعب الأحبار ـ قالها ثلاثاً ـ شاكل الإمام في تكذيب كعب، وفي قوله: «بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام ...» ممّا يكشف عن سوء ظنّه بإسلام كعب، فهو في ارتيابه شاكل أباه في ذلك .

ولم يقتصر تكذيب كعب على من ذكرت من أعلام أهل البيت وهم سادة المسلمين، بل إنّ أبا ذر وحذيفة وعمر وعوف بن مالك بل وحتى معاوية قد أكذبوه، وتكذيب معاوية له رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإعتصام، فقد ذكر قول معاوية في كعب: كنّا نبلو عليه الكذب، وللشيخ محمد زاهد الكوثري في مقالاته كلام نافع في المقام فليراجع مقاله (كعب الأحبار والاسرائيلات) ص ٣١ – ٣٥ .

وممّن أكذب كعب الأحبار مضافاً إلى من سبق ذكره هو عبد الله بن مسعود، فقال لرجل أتى إليه فسأله من أين جئت ؟ قال: من الشام، قال: من لقيت ؟ قال: لقيت كعباً، فقال: ما حدّثك كعب؟ قال: حدّثني أنّ السموات تدور على منكب مَلَك، قال: فصدّقته

١- أخرجه الثعلبي في كتابه قصص الأنبياء: ١١ – ١٢ ط مصطفي محمد بمصر سنة ١٣٧١ هـ.

أو كذّبته ؟ قال: ما صدّقته ولا كذّبته، قال: لوددت أنّك افتديت من رحلتك إليه براحلتك ورحلها وكذب كعب، انّ الله يقول: ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولاَ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾[1].

وفي خبر آخر ساقه الطبري مثله وفيه اسم الرجل جندب البجلي، وفي آخر، قال عبدالله: ما تنتكث اليهودية في قلب عبد فكادت تفارقه .

ماذا عن أهل البيت عليهم السلام في ذلك؟

الّذي رواه ابن عباس رحمه الله عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، هو المرويّ أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام ، فقد قال الشيخ الصدوق ابن بابويه في كتابه من لا يحضره الفقيه[2]:

إنّ الجهّال من أهل الخلاف يزعمون أنّ سليمان عليه السلام اشتغل ذات يوم بعرض الخيل حتى توارت الشمس بالحجاب، ثم أمر بردّ الخيل وأمر بضرب سوقها وأعناقها وقتلها، وقال: إنّها شغلتني عن ذكر ربي .

وليس كما يقولون، جلّ نبيّ الله سليمان عليه السلام عن مثل هذا الفعل، لأنّه لم يكن للخيل ذنب فيضرب سوقَها وأعناقَها، لأنّها لم تعرض نفسها عليه ولم تشغله، وإنّما عُرضت عليه وهي بهائم غير مكلّفة ، والصحيح في ذلك ما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال:

إنّ سليمان بن داود عليه السلام عُرض عليه ذات يوم بالعشي الخيل، فاشتغل بالنظر اليها حتى توارت الشمس بالحجاب، فقال للملائكة: ردّوا الشمس عليَّ حتى أصلّي صلاتي في وقتها، فردّوها، فقام فمسح ساقيه وعنقه، وأمر أصحابه الذين فاتتهم الصلاة معه بمثل

١- تفسير الطبري ١١: ١٤٤ ط ٢ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢- من لا يحضره الفقيه ١: ١٢٩.

ذلك، وكان ذلك وضوءهم للصلاة، ثم قام فصلّى، فلمّا فرغ غابت الشمس وطلعت النجوم، وذلك قول الله عز وجل:

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ .

ثم قال الصدوق: وقد أخرجت هذا الحديث مسنداً في كتاب الفوائد.

بين ردّ الآلوسي وتناقض الرازي:

قال الآلوسي في تفسيره روح المعاني[1]:

والّذي يقول بردّ الشمس لسليمان يقول هو كردّها ليوشع، وردّها لنبيّنا صلّى الله تعالى عليه وسلم في حديث العير، ويوم الخندق حين شغل عن صلاة العصر، وردّها لعليّ كرّم الله تعالى وجهه ورضي عنه بدعائه عليه الصلاة والسلام، إلى أن قال بعد كلام طويل: وبالجملة القول بردّ الشمس لسليمان عليه السلام غير مسلّم، وعدم قولي بذلك ليس لامتناع الردّ في نفسه كما يزعمه الفلاسفة، بل لعدم ثبوته عندي؟ !

ونحن من حقنا أن نقول له: إذا لم يثبت عندك، فقد ثبت عند غيرك ممّن هو أقوم قيلاً وأهدى سبيلاً، وذلك هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحفيده الإمام الصادق عليه السلام، وهو المرويّ عن حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه .

على أنّ إمامك الرازي جاء في تفسيره[2] في القول الخامس في تفسير الكوثر: وأما سليمان فإنّ الله تعالى ردّ له الشمس مرّة، وفعل ذلك أيضاً للرسول حين نام ورأسه في

١- تفسير روح المعاني ٢٣: ١٧٥ - ١٧٦ .

٢- تفسير الرازي ٣: ١٢٦ ط مصطفى محمد وأولاده.

حجر علي، فانتبه وقد غربت الشمس فردّها حتى صلّى، وردّها مرّة أُخرى لعليّ فصلّى العصر في وقته أهـ.

ومن الطريف أنّ الرازي كان قد اذكر ردّ الشمس لسليمان في تفسير قوله تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾[1] فقال بعد الاحتمالات الأربعة في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ وقوله: ﴿رُدُّوهَا﴾ وعود الضمير فيهما إما إلى الشمس، لأنّه جرى ذكر ما له تعلّق بها وهو العشي، وإما إلى الصافنات، وإما أن يكون الأول متعلّقاً بالشمس، والثاني بالصافنات، وإما بالعكس.

ثم قال في استبعاده أن يكون الضميران عائدين إلى الشمس فقال: وروي أنّه ﷺ لـمّا اشتغل بالخيل فاتته صلاة العصر، فسأل الله أن يردّ الشمس فقوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ إشارة إلى طلب ردّ الشمس، وهذا الإحتمال عندي بعيد، والّذي يدلّ عليه وجوه - ثم ذكر سبعة وجوه كان سادسها - أنّ الشمس لو رجعت بعد الغروب لكان ذلك مشاهداً لكل أهل الدنيا، ولو كان الأمر كذلك لتوفّرت الدواعي على نقله وإظهاره، وحيث لم يقل أحد ذلك علمنا فساده ... .

هذا بعض ما قاله في هذا المقام، على أنّ كلامه لا يخلو من النقض والإبرام، ومع ذلك فقد تراجع عن استدلاله بأنّ الشمس لو رجعت بعد الغروب لكان ذلك مشاهداً لكل أهل الدنيا... في تفسير سورة القمر[2] حيث قال: « المفسّرون بأسرهم على أنّ المراد أنّ القمر إنشق، وحصل فيه الإنشقاق، ودلّت الأخبار على حديث الانشقاق، وفي الصحيح خبر مشهور، رواه جمع من الصحابة، وقالوا: سئل رسول الله آية الإنشقاق بعينها معجزة،

١- تفسير الرازي ١٦: ٢٠٤ - ٢٠٥ باقتضاب في تفسير سورة ص آية: ٣٤.

٢- ن م ج٢٩ / ٢٨.

فسأل ربّه فشقّه ومضى .

وقال بعض المفسّرين: المراد سينشق، وهو بعيد ولا معنى له، لأنّ من منع ذلك وهو الفلسفي يمنعه في الماضي والمستقبل، ومن يجوّزه لا حاجة إلى التأويل، وإنّما ذهب إليه ذلك الذاهب، لأنّ الإنشقاق أمر هائل، فلو وقع لعمّ وجه الأرض، فكان ينبغي أن يبلغ حد التواتر .

نقول: النبي ﷺ لما كان يتحدّى بالقرآن، وكانوا يقولون: إنّا نأتي بأفصح ما يكون من الكلام، وعجزوا عنه، فكان القرآن معجزة باقية إلى قيام القيامة لا يتمسّك بمعجزة أخرى، فلم ينقله العلماء بحيث يبلغ حد التواتر .

وأما المؤرّخون فتركوه لأنّ التواريخ في أكثر الأمم يستعملها المنجّم، وهو لما وقع قالوا بأنّه مثل خسوف القمر، وظهور شيء في الجو على شكل نصف القمر في موضع آخر فتركوا حكايته في تواريخهم، والقرآن أدلّ دليل، وأقوى مثبت له، وإمكانه لا يشك فيه، وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه، وحديث امتناع الخرق والالتئام حديث اللئام، وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على السموات، وذكرناه مراراً فلا نعيده .

وأصرح من ذلك كله في رجوعه عمّا قاله في رجوع الشمس لسليمان عليه السلام، ما سبق منّا ذكره من قوله في سورة الكوثر: وأما سليمان فإنّ الله تعالى ردّ له الشمس مرّة، وفعل ذلك أيضاً للرسول حين نام ورأسه في حجر علي، فانتبه وقد غربت الشمس فردّها حتى صلّى، وردّها مرة أخرى لعليّ فصلّى العصر في وقته [1].

١- تفسير الرازي ٣٢: ١٢٥.

وللرازي في تفسير سورة الكوثر مقارنات بين كرامات الأنبياء ومعاجزهم، وتفضيل ما كان لنبيّنا محمدﷺ على من سواه من أصحاب الكرامات، نحو ما قال: وأكرم موسى ففلق له البحر في الأرض، وأكرم محمد ففلق له القمر في السماء، ثم انظر إلى فرق ما بين السماء والأرض[1].

٢- ردّ الشمس ليوشع بن نون وصي موسىعليه السلام :

إنّ ما ورد في بعض الأحاديث من التعبير بردّ الشمس، لا يخلو من مسامحة لو لاحظنا الدقّة في التعبير، فإنّ ردّها إنّما يصحّ قوله إذا كان بعد غيابها، أما إذا رجعنا إلى بعض الأحاديث الأُخرى نجد التعبير بحبس الشمس.

وهذا ما يؤكّده كتاب يشوع ـ يوشع ـ في الكتاب المقدّس المتداول قديماً وحديثاً ـ كما سيأتي ـ فيكون التعبير بردّ الشمس بناء على المشارفة، لأنّها كادت أن تغرب، فوقفت في كبد السماء ولم تعجل إلى الغروب ببركة دعاء النبي يوشععليه السلام .

وخلاصة الحديث عن ردّ الشمس أو حبسها للنبي يوشع كما في قصص الأنبياء للثعلبي[2] .

قال: فلمّا انقضت أربعون سنة ومات موسىعليه السلام بعث الله يوشع بن نون نبيّاً، فأخبرهم أنّه نبي الله، وأنّ الله قد أمره بقتال الجبّارين فصدّقوه وبايعوه، فتوجّه ببني إسرائيل إلى أريحاء ومعه تابوت الميثاق، فأحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر، فلمّا كان في الشهر السابع نفخوا في قرون وصاحوا صيحة واحدة، فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبّارين وهزموهم، وهجموا عليهم وجعلوا يقاتلونهم.

١- نفس المصدر ٣٢: ١٢٥.

٢- قصص الأنبياء: ١٤٧.

فكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها، وكان القتال يوم الجمعة، فبقي منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت، فخشي يوشع أن يعجزوه، فقال: اللّهمّ اردد الشمس عليَّ، أو انّه قال للشمس: إنّكِ في طاعة الله وأنا في طاعة الله، فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله قبل غروب الشمس، فردّت له الشمس وزيد له في النهار ساعة واحدة حتى قتلهم أجمعين.

أقول: وهذا ما تؤكّده الآيتان ١٢ – ١٣ من الباب العاشر من كتاب يوشع ـ يشوع ـ كما في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م فقد جاء فيها:

١٢- حينئذٍ تكلّم يشوع أمام الربّ في اليوم الّذي دفع الأموري في يدي بني إسرائيل، وقال أمامهم: أيتها الشمس مقابل جبعون لا تتحركي، والقمر مقابل قاع ايلون.

١٣- فوقف الشمس والقمر حتى انتقم الشعب من أعدائهم، أليس هذا مكتوباً في سفر الأبرار؟ فوقفت الشمس في كبد السماء، ولم تكن تعجل إلى الغروب يوماً تاماً.

هكذا نقل النص الملا رحمة الله الهندي في كتابه القيم اظهار الحق[1]، ووجدته بتغيير يسير في الكتاب المقدس المطبوع في بيروت سنة ١٩٥١م وكتب عليه: وقد ترجم من اللغات الأصلية، نشر جمعيات الكتاب المقدّس المتحدة .

وإلى القارئ نص ما فيه في ص٢١١ في الاصحاح العاشر ـ يشوع ـ :

١٢- حينئذٍ كلّم يشوع الربّ يوم أسلم الربّ الأموريين أمام بني إسرائيل، وقال أمام عيون إسرائيل: يا شمس دومي على جبعون، ويا قمر على وادي أيلون.

١- اظهار الحق ٢: ٩٩ ط سنة ١٣١٧ هـ.

١٣ - فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه، أليس هذا مكتوباً في سفر ياشر ؟ فوقفت الشمس في كبد السماء، ولم تعجل الغروب نحو يوم كامل. أهـ .

وهذه الحادثة كانت قبل السيد المسيح بألف وأربعمائة وخمسين سنة كما يزعم المسيحيون [١]، وقد جاء في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي [٢]: ويوم العنصرة، رابع عشري حزيران وهو موسم للنصارى مشهور ببلاد الأندلس، وفي هذا اليوم حبس الله الشمس على يوشع بن نون عليه السلام، وفيه ولد يحيى بن زكريا عليه السلام .

٣- ردّها كرامة لنبيّنا ووصيّه صلّى الله عليهما وآلهما:

لقد ورد في الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وآله: والّذي نفسي بيده لتركبنّ سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل، وحذو القذة بالقذّة [٣]:

وهذا ما استدلّ به الشيخ الصدوق ابن بابويه ـ في كلامه على ردّ الشمس ليوشع بن نون ـ على صحّة ردّ الشمس للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وبعد وفاته، ثم قال:

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا﴾ [٤] .

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلا﴾ [٥] .

١- نفس المصدر السابق.

٢- شذرات الذهب ٣: ١٧٢ .

٣- القذة: ريش السهم، وهذا مثل يضرب مثلاً للشيئين المتماثلين، قال ابن الأثير في النهاية: معنى الحديث يضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان، والحديث ورد بألفاظ متفاوتة، منها ما في صحيح البخاري ٣: ١٢٧٤ برقم ٣٢٦٩ من كتاب أحاديث الأنبياء قال صلى الله عليه وآله: لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه...، وما ذكرناه في المتن نقلاً عن تفسير الآلوسي ١: ٣٥٥ ط.

٤- الفتح: ٢٢ .

٥- الإسراء: ٧٧ .

كما ورد عن الإمام الشافعي وغيره نحو ذلك، فقد ذكر السيوطي في ختام ما أورده عن حديث ردّ الشمس في عهد النبي ﷺ فقال:

وممّا يشهد بصحّة ذلك قول الإمام الشافعي ﷺ وغيره: ما أوتي نبيّ معجزة إلّا وأُوتي نبيّنا ﷺ نظيرها أو أبلغ منها، وقد صحّ أنّ الشمس حبست على يوشع ليالي قاتل الجبّارين، فلابدّ أن يكون لنبيّنا ﷺ نظير ذلك، فكانت هذه القصّة نظير تلك، والله اعلم [١] .

وقال السيوطي الشافعي في كتابه الحاوي في الفتاوي [٢]:

مسألة: هل ردّت الشمس للنبي ﷺ بعد ما غربت في وقعة الخندق أو في غيرها؟ وهل صلّى العصر في وقتها أو قضاها بعد غروب الشمس؟

الجواب: الثابت في الصحاح في غزوة الخندق أنّه صلّى العصر بعد المغرب، لكن روى الطحاوي أنّ الشمس ردّت إليه حتى صلاّها، وقال: إنّ رواته ثقات، حكاه عنه النووي في شرح مسلم، والحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الشرح الكبير، ويمكن الجمع بين هذه الرواية وما في الصحاح بأن يحمل قوله: «بعد ما غربت أو بعد المغرب» على وجود الغروب الأول، ولا ينافي ذلك كونها عادت، فغاية ما في الباب أن رواية الصحاح سكتت عن العود الثابت في غيرها .

وقد ورد أيضاً أنّ الشمس رُدّت لأجله بعد ما غربت عن علي ﷺ، وكانت العصر فاتته، ورأس النبي ﷺ في حجره فقال: « اللّهمّ إنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك فارْدُد عليه الشمس، فطلعت بعد ما غربت» .

وورد أنّ الشمس حبست له في قصّة الإسراء حين أخبَر بقدوم العير فأبطأت،

١- اللئالى المصنوعة ١: ١٧٧ ط بولاق .

٢- الحاوي في الفتاوي ١: ٥٧١ - ٥٧٢.

والقصتان في الشفا للقاضي عياض، وقد تكلّمت عليهما في تخريج أحاديثه أهـ .

وقال نحو ذلك في كتابه الخصائص في آخر باب ما وقع في غزوة الخندق .

أقول: إنّ الذين قالوا: إنّ النبي ﷺ فاتته الصلاة يوم الخندق فصلاّها بعد المغرب قضاء، هم الذين قالوا إنّ النبي ﷺ نام عن صلاة الغداة، وهذا كله من الأخبار المكذوبة، ويكفي في ردّ قولهم ما أخرجه الشيخان عندهما في صحيحيهما وغيرهما راجع ما قاله الألباني في الصحيحة برقم ٦٩٦ من قول النبي ﷺ: «تنام عيناي ولا ينام قلبي»[1] فإذا كان مستيقظاً بقلبه كيف يغفل عن الصلاة؟ يا أيها المصدّقون بنبوته أفلا تعقلون؟

وقال الآلوسي الشافعي سابقاً والحنفي لاحقاً ـ في تفسيره روح المعاني[2] :

والّذي يقول بردّ الشمس لسليمان يقول هو كردّها ليوشع، وردّها لنبيّنا ﷺ في حديث العير ويوم الخندق حين شغل عن صلاة العصر، وردّها لعليّ كرّم الله تعالى وجهه ورضي عنه بدعائه عليه الصلاة والسلام .

ثم قال ـ بعد ذكره الاختلاف في حديث ردّ الشمس برواية أسماء بنت عميس الآتي وما قيل في صحته وعدمه -: وكذا اختلف في حديث الردّ يوم الخندق فقيل: ضعيف، وقيل: موضوع، وادعى العلامة ابن حجر الهيتمي صحّته .

وما في حديث العير ـ وأظن أنّهم اختلفوا في صحّته أيضاً ـ ليس صريحاً في الردّ، فإنّ لفظ الخبر: انّه لما أُسري بالنبي صلّى الله تعالى عليه وسلم، وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير، قالوا: متى يجيء ؟

١- راجع موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٤: ٤٢٢ – ٤٢٣ ستجد مصادر كثيرة بألفاظ متفاوتة .

٢- روح المعاني ٢٣: ١٧٥ - ١٧٦ .

قال: يوم الأربعاء، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولّى النهار ولم يجئ .

فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة، وحبست عليه الشمس.

قال الآلوسي: والحبس غير الردّ، ولو كان هناك ردّ لأدركه قريش ولقالوا فيه ما قالوا في انشقاق القمر ولم ينقل .

أقول: لقد مرّ منّا في الحديث عن ردّ الشمس ليوشع بن نون، من أنّ التعبير بالردّ وإن كان فيه نحو مسامحة، إلّا أنّه صحيح باعتبار المشارفة لأنّها كادت أن تغرب .

وذكر الحافظ ابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب[1]: فصل في طاعة الجمادات له ـ أي للإمام ـ قال: وذكر أنّ الشمس ردّت عليه مراراً، الّذي رواه سلمان يوم البساط، ويوم الخندق، ويوم حنين، ويوم خيبر، ويوم قرقيسيا، ويوم براثا، ويوم الغاضرية، ويوم النهروان، ويوم بيعة الرضوان، ويوم صفين، وفي النجف، وفي بني مازر، وبوادي العقيق، وبعد أُحد. وروى الكليني في الكافي: أنّها رجعت بمسجد الفضيخ من المدينة [2].

١- المناقب ٢: ١٤٣ ط الحيدرية .

٢- روى الكليني في الكافي في كتاب الحج باب إتيان المشاهد وقبور الشهداء٤ : ٥٦١ ط دار الكتب الإسلامية، بسنده عن عمار بن موسى قال: دخلت أنا وأبو عبد الله عليه السلام مسجد الفضيخ فقال: يا عمار ترى هذه الوهدة(١)؟ قلت: نعم، قال: كانت امرأة جعفر التي خلّف (٢) عليها أمير المؤمنين عليه السلام قاعدة في هذا الموضع ومعها ابناها من جعفر، فبكت فقال لها ابناها: ما يبكيك يا امّه؟ قالت: بكيت لأمير المؤمنين عليه السلام فقالا لها: تبكين لأمير المؤمنين ولا تبكين لأبينا؟ قالت: ليس هذا هكذا، ولكن ذكرت حديثاً حدّثني به أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الموضع فأبكاني، قالا: وما هو؟ قالت: قال: كنت أنا وأمير المؤمنين في هذا المسجد فقال لي: ترين هذه الوهدة؟ قلت: نعم، قال: كنت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله قاعدَين فيها إذ وضع رأسه في حجري ثم خفق حتى غطّ وحضرت ←

ثم قال: وأما المعروف مرتان: في حياة النبي ﷺ بكراع الغميم، وبعد وفاته ببابل .

* * *

← صلاة العصر فكرهت أن أحرّك رأسه عن فخذي، فأكون قد آذيت رسول الله ﷺ حتى ذهب الوقت وفاتت، فانتبه رسول الله ﷺ فقال: يا علي صلّيت؟ قلت: لا، قال: ولم ذلك؟ قلت: كرهتُ أن أوذيك، قال: فقام واستقبل القبلة ومدّ يديه كلتيهما وقال: اللهم ردّ الشمس إلى وقتها حتى يصلّي عليّ، فرجعت الشمس إلى وقت الصلاة حتى صلّيت العصر ثم انقضّت إنقضاض الكوكب .

أقول: ذكر السمهودي في كتابه وفاء الوفاء٢: ٣٢ أنّه قال المطري: ويعرف ـ مسجد الفضيخ(٣) اليوم بمسجد الشمس، وهو شرقي مسجد قباء على شفير الوادي على نشز من الأرض مرضوم بحجارة سود وهو مسجد صغير، وعقّب السمهودي على ذلك بعد كلام بقوله:

ولم أر في كلام أحد من المتقدّمين تسمية المسجد المذكور بمسجد الشمس، ثم حكى عن المجد الفيروزآبادي قوله: لا أدري لم اشتهر بهذا الاسم؟ ولعلّه لكونه على مكان عالي في شرقي مسجد قباء، أوّل ما تطلع الشمس عليه .

قال: ولا يظن ظان أنّه المكان الّذي أعيدت الشمس فيه بعد الغروب لعليّ رضي الله تعالى عنه، لأنّ ذلك إنّما كان بالصهباء. ثم حكى قول أحمد بن صالح ـ شيخ البخاري ـ لا ينبغي لأحد من أهل العلم لا يحفظ حديث أسماء ـ كما سيأتي ـ ثم قال المجد: وهذا المكان أولى بتسميته بمسجد الشمس دون ما سواه إلى آخر ما قاله.

أقول: وكأنّ المجد والسمهودي لم يعرفا الحديث الآخر الّذي روته أسماء أيضاً، والّذي تقدّم نقله عن الكليني في الكافي فظنّا أنّ رجوع الشمس لعليّ عليه السلام في حديث أسماء إنّما هو الّذي كان بالصهباء من خيبر دون غيره، نظراً لشهرته ، وهذا ما يفسره قول الحافظ ابن شهرآشوب: وأما المعروف مرّتان: في حياة النبي ﷺ بكراع الغميم، وبعد وفاته ببابل.

١- الوهدة: الأرض المنخفضة وفي الصحاح: المكان المطمئن .

٢- هي أسماء بنت عميس الخثعمية .

٣- أقول: ولقد تشرّفت بالصلاة في مسجد عند النخاولة ـ واقع في بعض بساتينهم وكان ذلك في الحجة التي سعدت فيها بخدمة سيدي الوالد قدس سره وذلك سنة ١٣٩٨ هـ وهو قدس سره الّذي دلّني عليه وأظنّه قال أنّه مسجد الصيحاني، أو قال هو مسجد الفضيخ، وقد ذهب عنّي فعلاً اسمه الّذي سمّاه به، ثم صلينا فيه لأنّه بني لكرامة فيه صدرت للإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

الفصل الرابع

في ردّ الشمس للإمام أمير المؤمنين عليه السلام مرّتين:

المرة الأُولى: مكاناً وزماناً بالصهباء من أرض خيبر في العهد النبوي الشريف:

إنّ حديث ردّ الشمس للإمام عليه السلام ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وآله، ممّا ينبئ عن كرامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وكرامتهما معاً على الله تعالى، حيث استجاب فردّ الشمس بعد غيابها، فصلّى الإمام صلاة العصر أداءً بوقتها، وتلك فضيلة لم تكن لأيّ من الصحابة مثلها، ولما لم يسع الصحابة إنكارها ـ كما في حديث المناشدة ـ وهذا ما أسخن أعين النُصّاب، فلم يجدوا مهرباً عنها إلّا الإنكار والتشكيك، ولو دفعاً بالصدر.

ولكنّ الله تعالى أبى إلّا إظهار الحق، فأنطق به منصفاً حميداً وأكبت مبغضاً وعنيداً، فتناوله غير واحد من رجالهم بالذكر في كتبهم، كما ستأتي قائمة بأسماء المصادر التي روته من تراث السنة فضلاً عن الشيعة، وخصّه غير واحد منهم بالتأليف أيضاً كما سيجيء ذكرهم.

أما الذين أصرّوا على المكابرة في الإنكار، فهم نواصب معاندون، يبذلون جهدهم في إبطال ما يروى في فضائل الإمام عليه السلام ولو بتضعيف سند ما صحّ الحديث فيه، بل تجاوز ذو الصلف والشنآن من أتباع الشيطان والسلطان فطالوه بالوضع، وأنكروا وروده، وطعنوا في رجال إسناده حتى ولو كانوا من رجال صحاحهم، وهذه حرفة العاجز المكابر المماكر مثل أبناء الجوزي وابن عساكر، وستأتي نماذج من أفائكهم.

ونقول لهم نحن عن رضىً بقول شيخهم الذهبي في كتابه الرواة الثقات[1] :والله

١- الرواة الثقات: ط مطبعة الظاهر بمصر سنة ١٣٢٤ .

حسيب من يتكلم بجهل أو هوى، فإنّ السكوت يسع الشخص.

والآن إلى ذكر الحديث برواية ابن كثير الشامي في البداية والنهاية[1] نقلاً عن الحاكم الحسكاني في جزئه الّذي سمّاه (مسألة في تصحيح ردّ الشمس وترغيم النواصب الشُمس).

قال ابن كثير: ثم أورد هذا المصنف من طريق أبي العباس بن عقدة، حدّثنا يحيى بن زكريا، ثنا يعقوب بن سعيد، ثنا عمرو بن ثابت قال: سألت عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عن حديث ردّ الشمس على علي بن أبي طالب هل يثبت عندكم؟ فقال لي: ما أنزل الله في كتابه أعظم من ردّ الشمس، قلت: صدقت جعلني الله فداك، ولكنّي أحب أن أسمعه منك.

فقال: حدّثني أبي الحسن عن أسماء بن عميس أنّها قالت: أقبل علي بن أبي طالب ذات يوم وهو يريد أن يصلّي العصر مع رسول الله ﷺ، فوافق رسول الله ﷺ قد انصرف ونزل عليه الوحي، فأسنده إلى صدره، فلم يزل مسنده لصدره حتى أفاق رسول الله ﷺ فقال: أصلّيت العصر يا علي؟

قال: جئت والوحي ينزل عليك فلم أزل مسندك إلى صدري حتى الساعة، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ـ وقد غربت الشمس ـ وقال: اللّهمّ إنّ علياً كان في طاعتك فارددها عليه.

قالت أسماء: فأقبلت الشمس ولها صرير كصرير الرحى حتى كانت في موضعها وقت العصر، فقام علي متمكناً فصلّى، فلما فرغ رجعت الشمس ولها صرير كصرير الرحى، فلما غابت اختلط الظلام وبدت النجوم.

هذه صورة الحديث، وستأتي روايات أخرى عن صحابة آخرين غير أسماء، فإلى معرفتهم في أول المسائل التي سنتناولها بالبحث في هذه المرة.

١- البداية والنهاية ٦: ٨٣.

المسألة الأُولى: من روى ذلك الحديث من الصحابة ؟

لقد رواه جماعة من الصحابة لا يتطرّق الريب إلى رواياتهم، فأولهم:

الإمام أمير المؤمنينعليه السلام، فقد احتجّ به في حديث المناشدة يوم الشورى، وذلك يوم مجموع له رجال الصحابة الذين سمّاهم عمر، وهم عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف، وممّن لم يسمهم وقد شهد ذلك المشهد من الصحابة نفر: منهم ابن عباس وأبو ذر وأبو الطفيل عامر بن واثلة وغيرهم، وسيأتي مزيد بيان عن رواية ابن عباس، أما رواية أبي ذر فقد رواها السيوطي في رسالته (كشف اللبس في حديث ردّ الشمس) ولفظه:

قال علي يوم الشورى: أنشدكم بالله هل فيكم من رُدّت عليه الشمس غيري حين نام رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل رأسه في حجري حتى غابت الشمس فانتبه، فقال: يا علي صلّيتَ العصر ؟ قلت: اللّهمّ لا ، فقال: اللّهمّ ارددها عليه، فإنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك.

ورواية عامر بن واثلة قال: كنت يوم الشورى على الباب وعلي يناشد عثمان وطلحة والزبير وسعداً وعبد الرحمن يعد من فضائله ردّ الشمس... فقال: أمنكم أحد ردّت عليه الشمس بعد غروبها حتى صلّى العصر غيري؟ قالوا: لا [1].

فرواية الإمام أمير المؤمنينعليه السلام في احتجاجه على بقية رجال الشورى الخمسة، وتصديقهم له، سوى من حضرهم من الصحابة، لدليل كافٍ وافٍ شافٍ على صحة الحديث، كما أنّه يكشف عن أنّ أُولئك النفر الحضور كلهم ممن يروون الحديث ويؤمنون بصحته، ولو

١- رواه الحاكم وعنه الكنجي الشافعي في الباب ١٠٠ من كتابه كفاية الطالب: ٣٨٧ ط الحيدرية الثانية، والخوارزمي الحنفي في مناقب أمير المؤمنينعليه السلام في الحديث ٣٨ من الفصل ١٩ ص ٢٢٠ ط حجرية، والحمويني في فرائد السمطين ١: ٣٢١ ط بيروت وغيرهم.

كانت ثمة أدنى شبهة أو ريب لما وسعهم التصديق والإذعان، بل لردوا على الإمام قوله.

الثاني: الإمام الحسين بن علي عليه السلام أخرج حديثه الدولابي (ت ٣١٠) في كتابه الذرية الطاهرة، والخطيب البغدادي في تلخيص المتشابه[1]، والعصامي في سمط النجوم[2]، والسيوطي في اللئالي المصنوعة[3]، نقلاً عن الخطيب وقال: وأخرجه أبو بشر الدولابي في الذرية الطاهرة .

الثالث: حبر الأُمة عبد الله بن عباس، وسيأتي الحديث عن روايته في المسألة الثانية .

الرابع: أبو هريرة، وهذا يأتي الحديث عنه في المسألة الثالثة .

الخامس: أبو رافع، وحديثه أخرجه ابن المغازلي المالكي في مناقبه[4].

السادس: جابر بن عبد الله الأنصاري، وحديثه أخرجه أبو الحسن شاذان الفضلي في آخر رسالته في ردّ الشمس كما في اللئالي المصنوعة[5]، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد[6] نقلاً عن الطبراني في الأوسط، وقال: إسناده حسن.

السابع: أبو سعيد الخدري، وحديثه أخرجه الحاكم الحسكاني في رسالته (تصحيح ردّ الشمس وترغيم النواصب الشُمس).

الثامن: أسماء بنت عميس، وحديثها في ذلك أكثر استفاضة في النقل من غيره، وعنه كان يقول الحافظ أحمد بن صالح المصري (ت ٢٤٨) شيخ البخاري صاحب الصحيح: لا

١- تلخيص المتشابه ١ :٢٢٥ ط دمشق .

٢- سمط النجوم ٢ :٤٨٧ .

٣- اللئالى المصنوعة ١: ١٧٤ .

٤- المناقب: ٩٨ .

٥- اللئالي المصنوعة ١ :١٧٦.

٦- مجمع الزوائد ٨: ٢٩٦ .

ينبغي لمن كان سبيله العلم التخلّف عن حفظ حديث أسماء الّذي روي لنا عنه ﷺ، لأنّه من أجلّ علامات النبوّة، وعنها جماعة من التابعين.

التاسع: أنس بن مالك، روى حديثه محمد بن سليمان الكوفي في مناقب أمير المؤمنين كما في كشف الرمس للمحمودي[1].

العاشر: أم سلمة كما في مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب[2].

الحادي عشر: أُم هاني بنت أبي طالب كما في مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب[3] نقلاً عن أبي بكر الشيرازي، بالاسناد عن شعبة، عن قتادة، عن الحسن البصري، عن أُم هاني روى هذا الحديث مستوفىً، ثم قال:

قال الحسن عقيب هذا الخبر: وأنزل الله ﷻ آيتين في ذلك قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾** يعني هذا يخلف هذا، إن أراد أن يذكر فرضاً أو أراد شكوراً، وأنزل أيضاً: **﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾**.

المسألة الثانية: ابن عباس وحديث ردّ الشمس:

إنّ في عدّ ابن عباس في رواة حديث الشمس فيه نحو مسامحة، إذ لم ترد عنه رواية الحديث صراحة، ولو أنّها وردت منسوبة إليه فردّت، لفقدانها عنصر المشاهدة، وعليها الإشكال من جهة عدم حضوره يومئذٍ بالمدينة، بل كان بعُد بمكة لم يهاجر به أبوه إلا في السنة الثامنة قبل الفتح.

١- كشف الرمس: ١٧ .

٢- المناقب٢: ١٤٤ ط الحيدرية .

٣- المناقب٢: ١٤١ .

ولعل عذر من عدّه من رواة حديث الشمس، لما ورد عنه في ذلك ممّا تميّز به حتى عن الرواة حقيقة، وذلك بإصحاره عن ثبوت الحديث واحتجاجه به على مَن يسأله عن فضائل الإمامعليه السلام، وله حديث مع الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام حول ردّ الشمس لسليمانعليه السلام، وتكذيب كعب الأحبار في رأيه وروايته، فلنقرأ هذا برواية ابن حجر في فتح الباري: عن ابن عباس قال لي علي: ما بلغك في قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه الصلاة والسلام: (ردّوها عليَّ) ؟

فقلت: قال كعب: كانت أربعة عشر فرساً عَرَضها، فغابت الشمس قبل أن يصلّي العصر، فأمر بردّها، فضرب سُوقها وأعناقها بالسيف فقتلها، فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوماً، لأنّه ظلم الخيل بقتلها .

فقال علي: كذب كعب، وإنّما أراد سليمان جهاد عدوّه، فتشاغل بعرض الخيل حتى غابت الشمس، فقال للملائكة الموكّلين بالشمس بإذن الله لهم: (ردّوها عليَّ) فردّوها عليه حتى صلّى العصر في وقتها، وإنّ أنبياء الله لا يَظلمون، ولا يأمرون بالظلم[1].

وعلى ضوء ما عرفناه من اختصاصه بالإمامعليه السلام وأخذه العلم منه، حتى قال لما سئل عن مبلغ علمه من علم ابن عمه فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط[2] فلا غرابة في روايته لحديث ردّ الشمس، بعد أن كان الحديث مشهوراً حتى احتجّ به الإمامعليه السلام على أهل الشورى، كما في حديث المناشدة وقد مرّت الإشارة إلى ذلك،

١- فتح الباري ٦: ٢٢٢ .

٢- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٦ ط مصر الأولى .

وابن عباس ممّن حضر ذلك المشهد، كما لا غرابة في جوابه لمن سأله عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

«ذكرت والله أحد الثقلين[١]، سبق بالشهادتين[٢]، وصلّى القبلتين[٣]، وبايع البيعتين[٤]، واعطي السبطين[٥]، وهو أبو السبطين الحسن والحسين، وردّت عليه الشمس مرّتين بعد ما غابت عن الثقلين[٦]، وجرّد السيف تارتين[٧]، وهو صاحب الكرّتين[٨]، فمثله

١- لحديث النبي صلى الله عليه وآله: (إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) وعلي هو رأس العترة وأبوها، وقد بيّنت ذلك في كتاب علي إمام البررة١: ٢٩٢-٣١٨.

٢- لحديث النبي صلى الله عليه وآله: (أول هذه الأمة وروداً على نبيّها صلى الله عليه وآله أولها إسلاماً علي بن أبي طالب) راجع كتاب علي إمام البررة١: ٤١٦ .

٣- في حديث أبي رافع قال: صلّى النبي صلى الله عليه وآله أول يوم الإثنين، وصلّت خديجة آخر يوم الإثنين، وصلّى عليّ يوم الثلاثاء في الغد من يوم صلّى النبي صلى الله عليه وآله مستخفياً قبل أن يصلّي مع النبي صلى الله عليه وآله أحد سبع سنين وأشهراً، وقال أبو عمر في الإستيعاب في ترجمة الإمام: إنّه أول من أسلم، وأول من صلّى أ هـ، واستشهد في محراب الصلاة والصلاة على شفتيه. راجع شواهد التنزيل ٢: ١٢٦.

٤- يشير إلى البيعة الأُولى يوم الإنذار وراجع عنها: علي إمام البررة ١: ٧٢ – ٩٢، والبيعة الثانية هي بيعة الرضوان عند الشجرة عام الحديبية، راجع عنها: نفس المصدر ٣: ١١٦ – ١٢٥.

٥- هما الحسن والحسين عليهما السلام، وبهما كان يكنّى الإمام فيقال له: أبو الحسنين، وأبو السبطين، وقد كنّاه النبي صلى الله عليه وآله قبل موته بثلاث: بأبي الريحانتين فقال له: (سلام عليك أبا الريحانتين أوصيك بريحانتيّ من الدنيا، فعن قليل ينهدّ ركناك، والله خليفتي عليك) فرائد السمطين ١: ٣٨٢.

٦- يشير إلى المرّتين اللتين ذكرناهما في المتن، فالأولى بالصهباء من أرض خيبر، والثانية ببابل من أرض العراق .

٧- يشير إلى ما ابتلي به الإمام من حربي الجمل وصفين، حيث نكثت طائفة وقسط آخرون، وفي رواية ابن شاذان في مائة منقبة ١٣٠ / ٧٥ (وهما حرب بدر وحنين).

٨- الكرة هي الحملة في الحرب، ولم يتبيّن لي وجه المراد بها في المتن .

في الأُمة مثل ذي القرنين[1]، ذاك مولاي علي بن أبي طالب»[2].

وكان يقول بضرس قاطع، وقد رُوي عنه بطرق كثيرة: أنّه لم تردّ الشمس إلّا لسليمان وصي داود، وليوشع وصيّ موسى، ولعليّ بن أبي طالب وصيّ محمد صلوات الله عليهم أجمعين[3].

المسألة الثالثة: أبو هريرة وحديث ردّ الشمس:

لابدّ لنا أولاً من ذكر نبذة عن أبي هريرة تعرّف القارئ به معرفة تجعله على بصيرة من أمره في مرويّاته، فهو المغمور اسماً ورسماً وحسباً ونسباً، قد أصبح بقدرة قادر يجتاح جميع الصحابة بطوفان أحاديثه، حتى لقّب براوية الإسلام!

ومع ذلك التزويق والتلفيق بقي ـ ومع الأسف الشديد ـ متهماً عندهم في أحاديثه، حتى ذكروا تكذيبه عن عمر وعثمان وعلي وعائشة وآخرين من الصحابة والتابعين، فكان يتشكّى من اتهامهم له، ويتباكى ويضرب صلعته ويقول لهم: ألا إنّكم تحدّثون أنّي أكذب على رسول الله ﷺ...»[4].

١- جاء في مسند أحمد ١: ١٥٩ ط افست صادر قال ﷺ له: (يا علي إنّ لك كنزاً من الجنّة وانّك ذو قرنيها...) قال المنذري (أي ذو قرني هذه الأُمة، وذاك لأنّه كان له شجتان في قرني رأسه، احداهما من ابن ملجم لعنه الله، والأُخرى من عمرو بن ودّ.

وفي النهاية لابن الأثير: أي طرفي الجنة جانبيها، وقال أبو عبيد: وأنا أحسب أنّه أراد ذو قرني الأُمة فأضمر، وقيل: أراد الحسن والحسين، وفي تهذيب الأزهري: ومنه حديث علي، وذكر قصة ذي القرنين ثم قال: وفيكم مثله، فيُرى أنّه عنى نفسه.

٢- مناقب الخوارزمي: ١٣٦ ط الحيدرية.

٣- مناقب ابن شهر آشوب ٢: ١٤٥ ط الحيدرية.

٤- راجع طبقات ابن سعد ٥: ٢٣٩ ط مصر.

وفي رواية الجمع بين الصحيحين عن أبي رزين قال: خرج إلينا أبو هريرة فضرب بيده على جبهته فقال: ألا إنّكم تحدّثون أنّي أكذب على رسول الله ﷺ.

وفي رواية أبي القاسم الكعبي في قبول الأخبار[١] يضرب بيده ثم يقول: يا أهل العراق تزعمون أنّي أكذب على رسول الله ﷺ ليكون لكم المهنأ وعليّ المأثم . ثم عقّب الكعبي على هذا بقوله: وهذا يدلّ على أنّهم كانوا يكذّبونه في ذلك الزمان .

وقد روى الذهبي في سير أعلام النبلاء[٢] قول عمر لأبي هريرة: لتتركنّ الحديث عن رسول الله ﷺ أو لألحقنك بأرض دوس ...

وروي عن أبي هريرة أنّه قيل له: أين كنت عن هذه الأحاديث فيما قبل؟ قال: كنت أخشى خافقات عمر [٣] .

وفي صحيح مسلم في كتاب الزهد والرقاق باب التثبت في الحديث[٤] بسنده: كان أبو هريرة يحدّث ويقول اسمعي يا ربة الحجرة، اسمعي يا ربة الحجرة، وعائشة تصلّي، فلما قضت صلاتها قالت لعروة: ألا تسمع إلى هذا ومقالته آنفاً، إنّما كان النبي ﷺ يحدّث حديثاً لو عدّه العادّ لأحصاه .

قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث[٥]: وكان من قوله ـ يعني أباهريرة ـ حدّثني خليلي وقال خليلي ورأيت خليلي، فقال له علي: متى كان النبي خليلك يا أبا هريرة؟!

وقال في ص٢٩: فلما أتى من الرواية عنه ﷺ ما لم يأت بمثله من صحبه من جلّة

١- قبول الأخبار ١: ١٨١ ط دار الكتب العلمية بيروت.

٢- أعلام النبلاء ٢: ٦٠٠ - ٦٠٣ .

٣- قبول الأخبار ١ : ١٧٧ .

٤- صحيح مسلم ٨: ٢٢٩ ط صبيح.

٥- مختلف الحديث:١٩ ط دار الكتاب العربي بيروت.

أصحابه والسابقين الأولين إليه، اتهموه وأنكروا عليه وقالوا: كيف سمعت هذا وحدك؟ ومَن سمعه معك؟ وكانت عائشة رضي الله عنها أشدّهم إنكاراً عليه لتطاول الأيام بها وبه .

وقال أيضاً: ومن عجيب شأنهم (أي رجال الحديث) أنّهم ينسبون الشيخ إلى الكذب ولا يكتبون عنه ما يوافقه عليه المحدّثون بقدح يحيى بن معين وعلي بن المديني وأشباههما، ويحتجون بحديث أبي هريرة فيما لا يوافق على أحد من الصحابة، وقد أكذبه عمر وعثمان وعائشة [1].

ومن أجل ذلك كتب الكاتب الإسلامي البليغ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله يقول:

كان أبو هريرة أكثر الصحابة رواية ـ ولهذا كان عمر وعثمان وعلي وعائشة ينكرون عليه ويتهمونه ـ وهو أول راوية اتّهم في الإسلام، وكانت عائشة أشدّهم إنكاراً عليه لتطاول الأيام بها وبه إذ توفيت قبله بسنة [2] .

فهذا هو أبو هريرة مبدءاً ومآلاً وحالاً ومقالاً، ويبقى على المثل المشهور (في كل وادٍ أكثر من ثعلبة) .

فماذا روى أبو هريرة في حديث ردّ الشمس؟

لقد روى حديث ردّها بالصهباء وروى أنّها لم تحبس إلّا على يوشع بن نون، فهو متناقض في روايتيه، وهذا ما أوقع زوامل الأسفار ممّن يهواه في حيرة من أمره، ويمكن أن يكون روى ردّها في خيبر أولاً، فذلك كان بعد قسمة الغنائم كما في بعض المتون، فيمكن تمشية حاله في روايته هذه، لأنّه أسلم في السنة السابعة بعد فتح خيبر .

١- نفس المصدر: ١٠ – ١١، وشيخ المضيرة: ١٣٣ ط ٣ دار المعارف.

٢- تاريخ آداب العرب ١: ٢٧٨ بواسطة شيخ المضيرة: ١٥٤ ط ٣ دار المعارف بمصر .

وقد أطعمه النبي ﷺ أوساقاً من تمر كما يزعم، فلا مانع من قبول روايته؟ وإن لم يقبلها ابن الجوزي ولا ابن تيمية، وعنهما حكى الرفض ابن كثير في البداية والنهاية، وصافقهما على ذلك، إلا أن السيوطي ذكر ذلك عنهما ولم يوافقهما بل ناقشهما، فلنقرأ الحديث برواية أبي هريرة كما في تاريخ ابن كثير[1] قال ابن كثير:

وأما حديث أبي هريرة فأخبرنا عقيل بن الحسن العسكري، أنا أبو محمد صالح بن الفتح النسائي، ثنا أحمد بن عمير بن حوصاء، ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، ثنا يحيى بن يزيد بن عبد الملك النوفلي عن أبيه، ثنا داود بن فراهيج، وعن عمارة بن برد، وعن أبي هريرة فذكره، وقال: اختصرته من طويل .

وهذا اسناد مظلم، ويحيى بن زيد وأبوه وشيخه داود بن فراهيج كلهم مضعفون، وهذا هو الّذي أشار إليه ابن الجوزي انّ ابن مردويه رواه من طريق داود بن فراهيج، وضعّف داود هذا شعبة والنسائي وغيرهما، والّذي يظهر أنّ هذا مفتعل من بعض الرواة، أو قد دخل على أحدهم وهو لا يشعر، والله أعلم.

أقول: وليس هذا بكثير من ابن كثير، فالرجل معروف بنصبه وعناده، وسيأتي ذكره وما عنده مع ذكر النفاة الغواة، ولكن هلمّ الخطب في حديث أبي هريرة الآخر الّذي ينسف ما مرّ عنه نسفاً، فقد روى ابن الجوزي والذهبي وغيرهما عن أبي هريرة: (لم تردّ الشمس إلّا على يوشع بن نون).

وهذا ما أربك أصحاب الحديث في هذين الخبرين لما بينهما من التنافي ما لا يخفى، فإذا كانت الشمس لم تردّ إلّا ليوشع، فكيف روى ردّها في الصهباء من أرض خيبر حتى صلّى

١- البداية والنهاية ٦: ٨٣ - ٨٤ .

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقبول الخبرين معاً يستلزم التنافي، وطرحهما معاً كسائر مرويّاته التي رواها ممّا كان يحدّث به ولا أساس له، فإذا حوقق في ذلك قال: ربّ كيس عند أبي هريرة لم يفتحه [1].

ورحم الله أُمة محمد صلى الله عليه وآله من بلايا ما في ذلك الكيس، فلا موجب لطرحهما معاً بعد ورودهما في دواوين الحديث مكرراً، وترجيح أحدهما على الآخر من دون مرجح غير مقبول، فماذا هو الصحيح ؟

والجواب عندي كلاهما صحيح، إلّا أنّ الزمان الّذي حدّث فيه أبوهريرة بهما كان مختلفاً، فالأول ـ وهو الصحيح ـ كان في زمان لم يضلع فيه بعدُ مع الأمويين، ولم يلحس قصاعهم ويأكل مضيرتهم، ولما هملج مع الراكضين في ركابهم، صار يروي لهم ما يشعر بانتقاص الإمام عليه السلام، وكم لنا على ذلك من شاهد.

وحسبنا في المقام شاهداً خبره حين دخل الكوفة مع معاوية، وكان يجلس العشيات بباب كندة ويجلس الناس إليه، فجاء شاب من الكوفة فجلس إليه وقال: يا أبا هريرة أُنشدك الله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ بن أبي طالب: اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه؟ فقال: اللّهمّ نعم، فقال: فأشهد بالله لقد واليت عدوّه وعاديت وليّه، ثم قام عنه.

وروى الأعمش قال: لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة (سنة٤١) جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلعته مراراً وقال: يا أهل العراق أتزعمون أنّي أكذب على رسول الله، وأحرق نفسي بالنار، والله لقد سمعت رسول الله يقول: إنّ لكل نبي حرماً، وإنّ حرمي المدينة ما بين عير إلى ثور،

١- تاريخ دمشق ١٩: ١١٦، وسير أعلام النبلاء ٢: ٥٩٧، وفي كتاب شيخ المضيرة أبو هريرة: ٢٢١ قال رواه البخاري.

فمن أحدث فيهما حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأشهد بالله أنّ علياً أحدث فيها، فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة[1].

وقد بيّنت بعض أكاذيبه في كتاب علي إمام البررة[2].

والآن إلى قراءة بعض ما قاله المنّاوي في فيض القدير[3] في شرح حديث أبي هريرة الثاني، وما أفاض به لرفع التنافي بين حديثيه.

ماذا قال المناوي؟

قال في شرح حديث أبي هريرة: ما حُبست الشمس على بشر قط إلّا على يوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس (خط) قيل في هذا الحبس إنّها رجعت على أبراجها، وقيل وقفت فلم تردّ، وقيل هو بطوء حركتها .

قال بعض شرّاح مسلم: والشمس أحد الكواكب السيارة، وحركتها مترتبة على حركة الفلك بها، فحبسها المذكور على التفاسير المذكورة إنّما هو لحبس الفلك لا لحبسها في نفسها.

ثم إنّ هذا لا يعارضه خبر ردّ الشمس على عليّ، لأنّ هذا في خبر صحيح، وخبر علي قال ابن الجوزي: موضوع لاضطراب رواته، لكن انتصر المصنف لتصحيحه وعمدته نقله عن عيّاض في الشفاء، وقد أقاموا عليه القيامة، وذكر عظماء شرّاحه أنّه غير صحيح نقلاً ومعنى، وتعجبوا منه مع جلالة قدره في سكوته عليه.

١- قبول الأخبار لأبي القاسم الكعبي، كما في شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ٣٥٩، وكما في شيخ المضيرة: ٢٣٧ ولم يرد ذلك في المطبوع من قبول الأخبار فراجع .

٢- علي إمام البررة ١: ١٩١ - ١٩٨ .

٣- فيض القدير ٥: ٤٤٠ ط مصطفى محمد سنة ١٣٥٦ بمصر.

وابن تيمية له تأليف في الرد على الرافضة، ذكر فيه الخبر بطرقه ورجاله وحكم بوضعه، وعلى التنزّل وفرض صحة الخبرين فلا معارضة، لأنّ خبر يوشع في حبسها قبل الغروب، وخبر علي في ردّها بعده، أو أنّ أخباره بأنّها لم تحبس إلّا ليوشع قبل ردّها على علي.

ثم رأيت الحافظ قد أوضح تقرير هذه القصة فقال: أخرج الخطيب في كتابه ذمّ النجوم عن علي كرّم الله وجهه قال: سأل قوم يوشع أن يطلعهم على بدء الخلق وآجالهم، فأراهم ذلك في ماء من غمامة أمطرها الله عليهم، فكان أحدهم يعلم متى يموت، فبقوا على ذلك إلى أن قاتلهم داود على الكفر، فأخرجوا إلى داود من لم يحضر أجله، فكان يقتل من أصحاب داود ولا يُقتل منهم، فشكا إلى الله ودعاه فحبست عليهم الشمس فزيد في النهار، فاختلطت الزيادة بالليل والنهار فاختلط عليهم حسابهم أ هـ .

قال ابن حجر: إسناده ضعيف جداً، وحديث أحمد الآتي رجاله محتجّ بهم في الصحيح، فالمعتمد أنّها لم تحبس إلّا ليوشع، وقد اشتهر حبس الشمس ليوشع حتى قال أبو تمام:

فوالله لا أدري أأحلام نائم ألّمت بنا أم كان في الركب يوشع

ولا يعارضه ما في السير أنّ المصطفى ﷺ لما أخبر قريشاً بالإسراء أنّه رأى عيرهم تقدم مع شروق الشمس فدعا الله فحبست حتى قدمت، وهذا منقطع، لكن في الأوسط للطبراني عن جابر أنّ المصطفى ﷺ أمر الشمس فتأخّرت ساعة من نهار، وسنده حسن، ويجمع بأنّ الحصر على الماضي للأنبياء قبل نبيّنا، وليس فيه أنّها لا تحبس بعده .

وفي الكبير للطبراني والحاكم والبيهقي في الدلائل عن أسماء بنت عميس أنّ

المصطفى ﷺ دعا لما نام على ركبة علي ففاتته العصر، فردّت حتى صلّى علي ثم غربت، وهذا أبلغ في المعجزة، وأخطأ ابن الجوزي في إيراده في الموضوع .

وجاء أيضاً أنّها حبست لموسى لما حبس تابوت يوسف، ففي المبتدا عن عروة أنّه تعالى أمر موسى أن يأمر بني اسرائيل أن تحمل تابوت يوسف، فلم يُدلّ عليه حتى كاد الفجر يطلع، وكان وعدهم بالسير عند طلوع الفجر، فدعا ربّه أن يؤخّر الفجر حتى يفرغ ففعل، وتأخير طلوع الفجر يستلزم تأخير طلوع الشمس لأنّه ناشئ عنها، فلا يقال الحصر إنّما وقع في حق يوشع بطلوع الشمس، فلا يمنع حبس الفجر لغيره .

وجاء أيضاً في خبر أنّها حبست لسليمان بن داود لكنه غير ثابت، انتهى ملخصاً.

المسألة الرابعة: نفاة الحديث من هم ؟ وماذا قالوه؟

لقد مرّ بنا في أول الرسالة في المبحث الثالث من الباب الأول أسماء المنكرين لمعجزة ردّ الشمس، وكان الكلام في مسألتين:

المسألة الأُولى: في أسماء المنكرين لردها على العهد النبوي الشريف .

المسألة الثانية: في المنكرين لردّها على العهد العلوي المنيف .

وذكرت في المسألة الأولى أسماء ثمانية من المنكرين، وقلت لأنّهم أُناس لم يستمرئوا طعم الإيمان من خلال حبّ أمير المؤمنين عليه السلام الّذي قال فيه رسول الله ﷺ: حبّه من الإيمان وبغضه من النفاق [1] وهم:

- ابن المديني (ت / ٢٣٤).

ابن فورك (ت / ٤٤٦) .

ابن حزم الظاهري (ت / ٤٥٦) .

١- علي إمام البررة ١: ٩٣ - ١٠١ .

ابن عساكر الشافعي الشامي (ت / ٥٧٣) .

ابن الجوزي الحنبلي (ت / ٥٩٧) .

ابن تيمية الحراني الحنبلي (ت / ٧٢٨).

ابن قيم الجوزية الحنبلي (ت / ٧٦٧) .

ابن كثير الشامي الشافعي (ت / ٧٧٤) .

وهؤلاء كما أنكروا ردّ الشمس في العهد النبوي الشريف، أنكروا ردّها في العهد العلوي المنيف، وقد بيّنت ما يكشف حقائقهم وعقائدهم، فليرجع القارئ إلى ذلك في محلّه من هذه الرسالة، غير أنّي لم أذكر جميع ما عندهم من تزويق الباطل في إنكار الحديث.

والآن سأكتفي بذكر أربعة من أُولئك الثمانية، وهم الذين لا تزال آثارهم المطبوعة تضم آراءهم المصنوعة الممنوعة، وهم: ابن عساكر الشافعي الدمشقي، وابن الجوزي الحنبلي البغدادي، وابن تيمية الحراني الحنبلي، وابن كثير الشامي الشافعي، ومن تلاهم من المتأخّرين من الأشياع، فعنهم أخذوا، إذ لم يأتوا بجديد، إلّا اجترار اللاحق لما قاله السابق.

أولاً: فماذا قال ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق بعد ذكره الحديث، لقد قال:

٨٠٧: أخبرنا أبو المظفر ابن القشيري (١) وأبو القاسم المستملي (٢) قالا: أنبأنا أبو عثمان البحيري (٣) أنبأنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن الدهبقاني بها (٤) أنبأنا محمد بن أحمد بن محبوب ـ وفي حديث ابن القشيري: أنبأنا أبو العباس المحبوبي (٥) ـ أنبأنا سعيد بن مسعود (٦) .

حيلولة: وأخبرنا أبو الفتح الماهاني (٧) أنبأنا شجاع بن علي (٨) أنبأنا أبو عبد الله ابن مندة (٩) أنبأنا علي بن أحمد البستي (١٠) أنبأنا أبو أمية محمد بن إبراهيم (١١) أنبأنا عبد الله ابن موسى (١٢) أنبأنا فضيل بن مرزوق (١٣) عن إبراهيم بن الحسن (١٤) ـ زاد أبو

أمية: ابن الحسن ـ عن فاطمة بنت الحسين (١٥) عن أسماء بنت عميس (١٦) قالت: كان رسول الله ﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي، فلم يصلّ علي العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: صلّيت العصر ؟ ـ وقال أبو أُمية: صلّيت يا علي؟ ـ قال: لا. فقال رسول الله ﷺ: ـ وقال أبو أُمية: فقال النبي ﷺ ـ: اللّهمّ إنّه كان في طاعتك وطاعة نبيّك ـ وقال أبو أُمية: رسولك ـ فاردد عليه الشمس. قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت.

وتابعه عمار بن مطر الرهاوي (١٧) عن فضيل بن مرزوق.

٨٠٨: أخبرنا أبو محمد بن طاووس (١٨) أنبأنا عاصم بن الحسن (١٩) أخبرنا أبو عمر ابن مهدي (٢٠) أنبأنا أبو العباس بن عقدة (٢١) أنبأنا أحمد بن يحيى الصوفي (٢٢) أنبأنا عبدالرحمن بن شريك (٢٣) حدثني أبي (٢٤) عن عروة بن عبد الله بن قشير (٢٥) قال: دخلت على فاطمة بنت علي (٢٦) فرأيت في عنقها خرزة، ورأيت في يديها مسكتين غليظتين وهي عجوز كبيرة، فقلت لها: ما هذا؟ فقالت: انّه يكره للمرأة أن تتشبه بالرجال، ثم حدّثتني أنّ أسماء بنت عميس حدّثتها انّ علي بن أبي طالب عليه السلام، دفع إلى نبي الله ﷺ وقد أُوحي إليه فجلّله بثوبه، فلم يزل كذلك حتى ادبرت الشمس ـ تقول: غابت أو كادت أن تغيب ـ ثم انّ نبيّ الله ﷺ سرّي عنه فقال: أصلّيت يا علي؟ قال: لا، فقال النبي ﷺ: اللّهمّ ردّ على عليّ الشمس، قالت أسماء: فرجعت الشمس حتى بلغت نصف المسجد.

قال عبد الرحمن: قال أبي: وحدّثني موسى الجهني (٢٧) نحوه.

قال ابن عساكر: هذا حديث منكر، وفيه غير واحد من المجاهيل.

تعقيب بلا تثريب:

لقد حاول ابن عساكر ماكراً أن يوهم القارئ بقوله: (هذا حديث منكر وفيه غير

واحد من المجاهيل) ليسقطه عن الإعتبار، ولكن لا يجوز لباحث أن يمرّ بسلام على ما قاله دون تحقيق في صحّة هذا الكلام، كما لا يجوز له أيضاً أن لا يعرّف القارئ بابن عساكر من خلال كتابيه (تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري) فهو من كتب المغالاة مؤلَّفاً ومؤلِّفاً، حتى قال ابن السبكي فيه: كل من لا يكون عنده كتاب التبيين لابن عساكر فليس من أمر نفسه على بصيرة. وكلمة ابن أبي الحجاج الأندلسي في فهرسته: لو لم يكن للحافظ ابن عساكر من المنّة على الأشعري إلّا هذا الكتاب لكفى به .

ومن خلال كتابه الآخر (تاريخ مدينة دمشق) وحسبنا أن نعتمد (صفحة من حياة المصنف) للشيخ محمد زاهد الكوثري ذكرها في مقدّمة التبيين مقدّمة الكتاب فنلخصها:

مولده وميلاده: ولد بدمشق أول المحرم من سنة تسع وتسعين وأربعمائة .

اسمه ولقبه: ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين بن عساكر، (وليس في أجداده من اسمه عساكر، وإنّما هي تسمية اشتهرت عليهم في بيتهم ولعلّهم من قبل أمهات بعضهم على ما في ذيل الروضتين).

بعض شيوخه ورحلاته: تفقّه في حداثته بدمشق على الفقيه أبي الحسن السلمي، وسمع فيها سنة ٥٠٥... ورحل إلى بغداد عام عشرين، وأقام بها خمس سنين، ولزم بها التفقه وسماع الدروس بالنظامية... وقصد مكة فسمع بها... وانتقل إلى المدينة فسمع بها... وتوجّه إلى الكوفة فسمع عمر بن إبراهيم... وعاد إلى بغداد ثم رجع إلى دمشق، ورحل إلى خراسان ودخل نيسابور سنة تسع وعشرين فسمع بها... وزاهر بن طاهر الشحامي، وسمع باصبهان وهراة... ثم عاد إلى دمشق يحدث ويملي إلى آخر عمره وعدد شيوخه ١٣٠٠ شيخ، وثمانون امرأة ونيّف، وذكر أسماء ٣٢ بلداً غير ما مرّ ذكره .

وقال فيه النووي: هو حافظ الشام بل هو حافظ الدنيا الإمام مطلقاً الثقة الثبت،

ووصفه بعضهم بأنّه كان فقيهاً أديباً سنياً ...»[1].

وأما عن كتابه الآخر (تاريخ مدينة دمشق) ففي أول مقدمة المجلدة الأولى من طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق تعريفاً به من محمد كرد علي، ثم مقدمة ضافية وافية بقلم المحقق صلاح الدين المنجّد نقتبس منها ما يكشف عن المؤلِّف والمؤلَّف، ومباركة سلطان الوقت الّذي تبنّاه برعايته .

فقال في عنوان (أثر نور الدين في حياته العلمية):

على أنّ دخول نور الدين دمشق سنة ٥٤٩ / ١١٥٤ كان له أثر في حياة ابن عساكر العلمية، فقد تم بعده أمران لهما شأن: الأول إنجاز تاريخ دمشق، والثاني بناء دار الحديث النورية.

ويحدّثنا الحافظ عن الأمر الأول فيقول: وغير خبر جمعي له (لتاريخ دمشق) إلى حضرة الملك القمقام، الكامل العادل الزاهد المجاهد المرابط الهمام أبي القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر ناصر الإمام... وبلغني شوقه إلى الاستنجاز له والاستتمام، فراجعت العمل فيه راجياً الظفر بالتمام.

فيتضح لنا أنّ تاريخ دمشق لم يكن قد نجز تأليفه عندما دخل نور الدين دمشق، وأنّ نور الدين هو الّذي تشوّق إلى استنجازه، فأتمّه الحافظ بعد سنة ٥٤٩ هـ .

أما الأمر الثاني فكان بناء دار الحديث النورية لتعليم الحديث، وهو من الأعمال التي قام بها نور الدين لنشر السنّة والقضاء على المذهب الشيعي، ودار الحديث هذه هي أول مدرسة أنشئت في الإسلام للحديث، وقد أنشئت لابن عساكر، وعهد إليه نور الدين

١- تذكرة الحفاظ ٤: ١٣٣٣ ط حيدرآباد.

بأمرها، وبين تأليف ابن عساكر كتاب باسمه (تقوية المنّة على إنشاء دار السنّة)... .

فتبيّن لنا بوضوح أنّ ابن عساكر كان من أعوان السلطان، ومن تآليفه الباقية التي عندي (التبيين) و (تاريخ دمشق) تبيّن أنّهما صدى لنوازع سياسية عاشها في عصره المضطرب، فالتبيين هو في الحقيقة صدى لافتراء الحنابلة وتعصّبهم على الأشاعرة والشافعية، وكذلك تاريخه مليء بالشواهد على تعصّبه ضد الشيعة وطال ذلك جملة رجالاتهم، وقد كتب هو كتاباً في ذم الرافضة[1].

ولو أنه استقام على شافعيته كما كان إمام الشافعية محمد بن ادريس الشافعي لكان خيراً له، فإنّ إمامه قال فيما صح عنه قوله:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان اني رافضي

لكنّ ابن عساكر، شايع نور الدين وليّ نعمته في نُصبه، فبدت منه نفثات النُصب في بعض تراجم تاريخه، وحيث كنّا نتحدّث عن روايته حديث ردّ الشمس، وتعقيبه عليه بقوله:

(هذا حديث منكر وفيه غير واحد من المجاهيل) فاستدعى ذلك منّا هذا التعقيب فنقول: لقد عرّفنا القارئ بابن عساكر آخذين ذلك من أشياعه، فنحن غير متهمين عليه في إبداعه وابتداعه، ومن حقنا أن نسأله ما دام الحديث منكراً وفيه غير واحد من المجاهيل، لماذا أوردته في كتابك ؟

وإذ أوردته، لماذا لم تبيّن وجه النكارة في المتن؟ وإذ أغفلت ذلك، لماذا لم تسم واحداً من أولئك المجاهيل؟ والجرح غير المفسّر غير مقبول، كما عليه أئمّة الجرح والتعديل الفحول، أما وقد أنكرت وماكرت في حقيقة هذا الحديث، صار لزاماً علينا أن نستقرئ

١- مقدّمة محمد علي كرد ص ك.

رجال السند، وما قال فيهم علماء الجرح والتعديل من أصحابك وأحبابك، لنكشف للقارئ زيف مازعمت.

فنقول: لقد رويت الحديث ـ كما تقدّم ـ بسندين:

فرجال السند الأول هم طائفتان الأُولى هم:

١- أبو المظفر ابن القشيري.
٢- أبو القاسم المستملي.
} من شيوخ ابن عساكر وهما أنبأهما

٣- أبو عثمان البحيري، وهذا أنبأه .

٤- أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن الدهبقاني بها، وهذا أنبأه .

٥- محمد بن أحمد بن محبوب ـ وفي حديث ابن القشيري ـ أنبأه العباس المحبوبي، وهذا أنبأه سعيد بن مسعود .

الطائفة الثانية وهم رجال سند الحيلولة:

١- أبو الفتح الماهاني، من شيوخ ابن عساكر، وهذا أنبأه .

٢- شجاع بن علي، وهذا أنبأه .

٣- أبو عبد الله بن مندة، وهذا أنبأه .

٤- علي بن أحمد البستي، وهذا أنبأه .

٥- أبو أمية محمد بن إبراهيم، وهذا أنبأه .

٦- عبيد الله بن موسى، وهذا أنبأه .

٧- فضيل بن مرزوق، وهذا عن،

٨- إبراهيم بن الحسن ـ زاد أبو أمية: ابن الحسن، وهذا عن

٩- فاطمة بنت الحسين، وهذه عن

١٠- أسماء بنت عميس .

وأخيراً ذكر متابعة .

١١- عمار بن مطر الرهاوي عن فضيل بن مرزوق .

فهؤلاء سبعة عشر إنساناً هم رواة الحديث بالسند الأول، وأما رجال السند الثاني فهم:

١- أبو محمد طاووس، وهذا من شيوخ ابن عساكر، أنبأه بالحديث .

٢- عاصم بن الحسن، وهذا أخبره .

٣- أبو عمر ابن مهدي، وهذا أنبأه .

٤- أبو العباس ابن عقدة، وهذا أنبأه .

٥- أحمد بن يحيى الصوفي، وهذا أنبأه .

٦- عبد الرحمن بن شريك، وهذا حدّثه .

٧- أبوه - شريك - وهذا عن

٨- عروة بن عبد الله بن قشير، وهذا دخل على:

٩- فاطمة بنت علي، فحدثته عن

١٠- أسماء بنت عميس

١١- موسى الجهني حدّث عنه شريك أيضاً بالحديث .

فصار مجموع الرواة من غير المكرر/ ٢٨ راوياً، وعلينا أن نتعرّف عليهم، لنرى كم منهم من المجاهيل الذين عناهم ابن عساكر، وأعلّ الحديث بهم بدءاً من مشايخه، ومروراً بمن رووا عنهم، وإنتهاءاً بأسماء بنت عميس، فنقول:

الأول: أبو المظفر بن القشيري: قال الذهبي في سير أعلام النبلاء[1]:

١- سير أعلام النبلاء ١٤: ٤٩٥ - ٤٩٦.

ابن القشيري عبد المنعم الشيخ الإمام المسند المعمّر، أبو المظفر ابن الأُستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري... قال السمعاني: شيخ ظريف مستور الحال سليم الجانب غير مداخل الأمور... كان ابن عساكر يفضّله على الفُراوي، مات بين العيدين سنة ٥٣٢، فتبيّن حال هذا فهو ليس من المجاهيل .

الثاني: أبو القاسم المستملي: وهذا من شيوخ ابن عساكر الذين ماكر في ذكرهم على صيغ متعدّدة، فأتعبني البحث عنه، لأنّه لم يذكر اسمه في هذا الحديث، ولما كان له عدّة شيوخه الذين يشتركون في هذه الكنية ١٥ شيخاً، والمستملي صفة لبعض المحدثين ليست لقباً، فصرت استقرئ أسانيد ابن عساكر في أحاديثه في ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خاصة، فرأيت تلبيساً قد يكون متعمّداً، ولا غضاضة لو سمّيته تدليساً، فقد روى عنه بعدّة عناوين كما يلي:

١- أبو القاسم المستملي، كما في سند حديثنا المبحوث عنه في ج٢ / ٢٨٣ .

٢- أبو القاسم الشحامي، كما في ستة مواضع في الجزء الأول، وعشرة في الجزء الثاني، وعشرة في الجزء الثالث .

٣- أبو القاسم ابن الشحامي، في ٥٧٥ من الجزء الثالث .

٤- أبو القاسم زاهر بن طاهر في ١٦ موضعاً في الجزء الأول، و ٢٣ موضعاً في الجزء الثاني، و ١٥ موضعاً في الجزء الثالث .

٥- أبو القاسم زاهر مع أخيه أبي بكر وجيه بني طاهر في ص٤٥١ ج٢، و ص١٣٣ ج٣.

فهذه العناوين التي وردت في أحاديثه في ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الأجزاء الثلاثة بتحقيق المرحوم الشيخ المحمودي رحمه الله ، فمن الّذي يظن أنّها جميعاً لرجل واحد، ولولا الاستعانة بكتابه الآخر (تبيين كذب المفتري) واستقراء أسانيده لما أمكنني معرفة

الحقيقة، غير أنّي عثرت في ص٧٤ و ٤١٧ على روايته عن أبي القاسم زاهر بن طاهر المستملي، وبإضافة (الشيخ) في ص١٩١.

وفي ص٣١ الشيخ أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد المعدّل الشحامي، وبوصف المعدل فقط في الصفحات التالية / ٦٥، ٨٨ / ١٤٨ / ١٨٨ . فتبيّن أنّ أبا القاسم المستملي المبحوث عنه هو زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد الشحامي المعدّل، فلماذا إذن ذكره ابن عساكر بخمسة عناوين في ٨٣ موضعاً بينها موضع واحد فيه أبو القاسم المستملي ؟ حتى قلت: إنّه ماكر ومدلّس، أتدرون لماذا؟

والجواب ببساطة أنّ هذا الشيخ لم يكن يصلّي، ومع ذلك فهو موصوف عند بني قومه بالمعدِّل أرأيت (أكوساً عريض اللحية)! فاقرأوا معي ما تيسّر من بعض ما قاله مترجموه فيه، وانتبهوا إلى أوصاف الثناء عليه:

فأولهم: معاصره وأحد الرواة عنه، والمدافع عنه أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي، قال في كتابه المنتظم في أحداث سنة ٥٣٥ هـ[1]:

زاهر بن طاهر أبو القاسم بن أبي عبد الرحمن بن أبي بكر الشحامي، ولد سنة ٤٤٦ ورحل في طلب الحديث وعمّر، وكان مكثراً متيقظاً صحيح السماع، وكان يستملي على شيوخ نيسابور، وسمع منه الكثير باصبهان والري وهمذان والحجاز وبغداد وغيرها، وأجاز لي جميع مسموعاته، وأملى في جامع نيسابور قريباً من ألف مجلس، وكان صبوراً على القراءة عليه، وكان يكرم الغرباء الواردين عليه ويمرّضهم ويداويهم ويعيرهم الكتب .

وحكى أبو سعد السمعاني أنّه كان يخلّ بالصلاة، قال: وسئل عن هذا فقال: لي عذر، وأنا أجمع بين الصلوات، ومن الجائز أن يكون به مرض، والمريض يجوز له الجمع بين

١- المنتظم: ج ١٠ط حيدرآباد .

الصلوات، فمن قلّة فقه هذا القادح رأى هذا الأمر محتمل قدحاً، توفى زاهر في ربيع الآخر من هذه السنة بنيسابور ودفن في مقبرة يحيى بن يحيى.

وثانيهم: ابن كثير الشامي الشافعي قال في كتابه البداية والنهاية[1]:

زاهر بن طاهر بن محمد أبو القاسم بن أبي عبد الرحمن بن أبي بكر السحامي (كذا في المطبوع والصواب الشحامي) المحدّث المكثر الرحّال الجوّال، سمع الكثير وأملى بجامع نيسابور ألف مجلس، وتكلّم فيه أبو سعد السمعاني وقال: إنّه كان يخلّ بالصلوات، وقد ردّ ابن الجوزي على السمعاني بعذر المرض، ويقال: إنّه كان به مرض يكثر بسببه جمع الصلوات فالله أعلم، بلغ خمساً وثمانين سنة، توفي بنيسابور في ربيع الآخر ودفن بمقبرته.

وثالثهم الذهبي، وقد ذكره في خمسة من كتبه:

أ- فقال في كتابه ميزان الاعتدال[2]:

زاهر بن طاهر، أبو القاسم الشحامي، مسند بنيسابور، صحيح السماع، لكنه يخلّ بالصلاة، فترك الرواية عنه غير واحد من الحفّاظ تورّعاً، وكابر وتجاسر آخرون .

ب- وقال في كتابه العبر[3] في أحداث ٥٣٣: وتوفي... زاهر بن طاهر أبو القاسم الشحامي النيسابوري المحدّث المستملي الشروطي مسند خراسان، روى عن أبي سعد الكنجرودي والبيهقي وطبقتهما، ورحل في الحديث أولاً وآخراً، وخرّج التاريخ، وأملى نحواً من ألف مجلس، ولكنه كان يخلّ بالصلوات، فتركه جماعة لذلك، توفى في ربيع الآخر

١- البداية والنهاية ١٢: ٢١٥ ط السعادة بمصر .

٢- ميزان الاعتدال ٢: ٦٤ تحـ البجاوي .

٣- العبر ٢: ٤٤٥ ط بيروت .

(وهذا ما ذكره بعينه ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب[1]) نقلاً عنه.

ج- وقال في سير أعلام النبلاء[2]:

الشحامي زاهر بن طاهر... الشيخ العالم المحدّث المفيد المعمّر مسند خراسان، أبو القاسم ابن الإمام أبي عبد الرحمن النيسابوري الشحامي المستملي الشروطي الشاهد... وروى الكثير واستملى على جماعة وخرّج وجمع، وانتقى لنفسه السباعيات، وأشياء تدلّ على اعتنائه بالفنّ، وما هو بالماهر فيه، وهو واهٍ من قبل دينه... .

قال أبو سعد السمعاني: ورد علينا مرو قصداً للرواية بها، وخرج معي إلى اصبهان، لا شغل له إلّا الرواية بها، وازدحم عليه الخلق، قرأت عليه تاريخ نيسابور في أيام قلائل، كنت أقرأ عليه سائر النهار، وكان يكرم الغرباء ويعيرهم الأجزاء، ولكنه كان يخلّ بالصلوات إخلالاً ظاهراً وقت خروجه معي إلى اصبهان، فقال لي اخوه وجيه: يا فلان اجتهد حتى يقعد لا يفتضح بترك الصلاة، وظهر الأمر كما قال وجيه، وعرف أهل أصبهان ذلك وشغبوا عليه.

وترك أبو العلاء أحمد بن محمد الحافظ الرواية عنه، وأنا فوقت قراءتي عليه التاريخ ما كنت أراه يصلّي، وعرّفنا بتركه الصلاة أبو القاسم الدمشقي، قال: أتيته قبل طلوع الشمس فنبّهوه فنزل لنقرأ عليه وما صلّى، وقيل له في ذلك فقال: لي عذر وأنا أجمع الصلوات كلها ولعلّه تاب والله يغفر له، وكان خبيراً بالشروط وعليه العمدة في مجلس الحكم، مات بنيسابور ١٠ ربيع الآخر سنة ٥٣٣ .

قلت ـ والقائل الذهبي ـ: الشره يحملنا على الرواية لمثل هذا، ثم ذكر أسماء جماعة

١- شذرات الذهب ٤: ١٠٢.

٢- سير أعلام النبلاء ١٤: ٥٠٦.

من رووا عنه فقال: وقد حدّث عنه أبو موسى المديني، والسمعاني، وابن عساكر، وصاعد بن رجاء، ثم عدّ خمسة عشر اسماً من عيون المحدّثين وقال: وخلق كثير.

د- وقال في كتابه المغني في الضعفاء[1]: زاهر بن طاهر الشحامي، صدوق في الرواية لكنه يخلّ بالصلوات؟ علا سنده وتكاثروا عليه، وروى عنه ابن عساكر الكثير.

هـ - وذكره في كتابه دول الإسلام في وفيات ٥٣٣[2].

ورابعهم ابن حجر قال في لسان الميزان[3] بعد أن ذكر عبارة ميزان الاعتدال المتقدّمة قال: وقد اعتذر زاهر عن ذلك باصبهان وقال: لي عذر وأنا أجمع، ويحتمل أنّه كان به سلس البول.

وقد قال ابن النجار: كان صدوقاً من أعيان الشهود، وذكر قصّة الصلاة فقال: نقلاً عن السمعاني أنّه كان يرحل إلى البلاد يُسمع عليه كما يرحل الطالب لِيَسمَع، ولما أراد الرحيل إلى أصبهان قال لي أخوه: قد كنت أمرته أن لا يخرج إلى اصبهان، فإنّه يفتضح عند أهلها بإخلاله بالصلاة، فأبى ووقع الأمر كما قال أخوه، فشنّعوا عليه وترك كثير منهم الرواية عنه، إلى أن قال: ولعلّه تاب ورجع عن ذلك في آخر عمره، مات سنة ٥٣٣ عن بضع وثمانين سنة.

وخامسهم الصفدي في الوافي بالوفيات[4] قال: المستملي النيسابوري: زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن المرزبان النيسابوري، شيخ وقته

١- المغني في الضعفاء ١: ٢٣٦.

٢- دول الإسلام ٢: ٣٩ ط حيدرآباد.

٣- لسان الميزان ٢: ٤٧٠ ط حيدرآباد.

٤- الوافي بالوفيات ١٤: ١٦٧ ط النشرات الإسلامية برعاية جمعية المستشرقين الألمانية.

في علوّ الإسناد والتفرّد بالروايات، أسمعه والده في صباه من محمد بن عبد الرحمن الجنزروذي، وسعيد بن محمد بن أحمد البحيري، وأحمد بن إبراهيم المقريء وغيرهم.

وسمع هو نفسه على جماعة من المشايخ، وجمع لنفسه مشيخة، وخرّج تخاريج وجمع أحاديث الشيوخ، وحدّث بالكثير بخراسان والعراق، وكتب عنه الأئمّة والحفاظ، وانتشرت عنه الرواية، وحدّث ببغداد، وروى عنه ابن ناصر وأبوالمعمّر الأنصاري، وكان صدوقاً من أعيان المعدّلين الشهود بنيسابور، وترك أبو العلاء أحمد بن محمد بن الفضل الرواية عنه لأنّه كان يُخلّ بالصلوات، وتوفي سنة ٥٣٣ بنيسابور، وعوتب على ترك الصلاة فقال: لي عذر وأنا أجمع بين الصلوات كلها، ولعلّه تاب ورجع في آخر عمره.

وسادسهم عبد الغافر قال في المنتخب من السياق[1] :ثقة في الدين شيخ مشهور ثقة، معتمد من بيت العلم والزهد والورع والحديث والبراعة في علم الشروط والأحكام .

أقول: وبهذا تمّت تمشية حال الرجل، فلا كلام حتى ولو أخلّ بالصلاة والصيام وعلى الإسلام السلام؟

وبجمل الثناء المزيّف تمّت تمشية الحال، فالرجل (دخل في طلب الحديث وعمّر وكان مكثراً متيقظاً صحيح السماع، وكان يستملي على شيوخ نيسابور) إلى آخر ما قاله ابن الجوزي وفيه: وأجاز لي جميع مسموعاته، واعتذر له عن إخلاله بالصلاة وتحامل على من قدحه بذلك فقال: ومن الجائز أن يكون به مرض، والمريض يجوز له الجمع بين الصلوات، فمن قلة فقه هذا القادح رأى هذا الأمر المحتمل قدحاً .

ومن حقنا أن نسأل ابن الجوزي ـ لكثرة فقهه ـ من أين له احتمال المرض، وتجويزه للمريض الجمع بين الصلوات، فإنّ أخا المتهم يشهد عليه بالإخلال، ويحذّر السمعاني من

١- المنتخب من السياق: ٢٢٩ .

افتضاح أمره باصبهان، وقد وقع ما كان يحذره، ثم هو لم يقل انّي مريض بل قال لي عـذر، فـما هو عذره ؟ وإذا كان صادقاً فهلاّ صادف مرّة أن جمع بين الصلوات بحضور أحد ليشهد له؟

وكل ما جاء في الدفاع عنه تبرعي وغير شرعـي ولم يـرده الرجـل، بـل كـان بمنتهـى الوقاحة والصراحة ديدنه ترك الصلوات، وما ذكره الذهبي من امتناع جماعة في الرواية عنه تورعاً يكفي في تزييف المعاذير، وما حكاه السمعاني عن أبي القاسم الدمشقي ـ وأظن قوياً هو ابن عساكر الّذي ماكر في ذكره ـ من قوله: أتيته قبل طلوع الشمس، فنبّهوه فنزل لنقـرأ عليه وما صلّى، وقيل له في ذلك، فقال: لي عذر وأنا أجمع الصلوات كلها، ولعلّه تاب... .

ولو صح عذره لمرض لما احتاج إلى توبة، والتوبة لا تكون إلا مـن ذنـب، وهـل مـن ذنب أعظم من ترك الصلاة، والأحاديث النبوية الشريفة في ذلك كثيرة .

نحو قولهﷺ: بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة[1].

وقوله ﷺ: من لم يصل فلا دين له[2].

ولما كان الرجل معدوداً مع الشافعية، فلنقرأ ماذا قال إمامه في كتابه (الأُم).

الحكم في ترك الصلاة:

هذا عنوان في كتاب (الأُم) للشافعي[3] جاء فيه:

أخبرنا الربيع، قال الشافعي رحمه الله تعالى: من تـرك الـصلاة المكتوبـة ممّـن دخـل في الإسلام قيل له لم لا تصلي ؟ فإن ذكر نسياناً، قلنا: فصلّ إذا ذكرت، وإن ذكر مرضاً، قلنـا: فصلّ كيف أطقت قائماً أو قاعداً أو مضطجعاً أو مومياً .

١- المصنف لابن أبي شيبة ١١: ٣٣ .

٢- نفس المصدر: ٣٤.

٣- الأم ١: ٢٥٥ نشر مكتبة الكليات الأزهرية .

فإن قال: أنا أطيق الصلاة وأحسنها، ولكن لا أُصلي وإن كانت عليَّ فرضاً، قيل له: الصلاة عليك شيء لا يعمله عنك غيرك، ولا تكون إلّا بعملك، فإن صلّيت وإلّا استتبناك، فإن تبت وإلّا قتلناك، فإنّ الصلاة أعظم من الزكاة والحجة فيها ما وصفت، وأنّ أبا بكر رضي الله عنه قال: لو منعوني عقالاً ممّا أعطوا رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، لا تفرقوا بين ما جمع الله.

قال الشافعي: يذهب فيما أرى والله تعالى أعلم إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾... وأطال الشافعي الكلام فمن ابتغاه فليراجعه .

ولو لم يكن قدح الرجل ثابتاً لما أطلت الكلام فيه، وبيّنت زيف دفاع ابن الجوزي وغيره، كيف لا يكون ثابتاً، والذهبي يقول في ترجمة أخيه وجيه: وكان خيّراً متواضعاً متعبّداً لا كأخيه، وقد تفرّد في عصره .

وهذا هو الشاهد من أهله على إخلاله بالصلاة كما تقدّم عن السمعاني، ومع حاله هذا فهو إذاً ليس من المجهولين وإن لم يكن عندي من المقبولين.

عودة إلى بقية رجال الإسناد:

لقد مررنا آنفاً بأسماء الرواة لحديث ردّ الشمس عند ابن عساكر، وقسّمناهم حسب ورودهم في السندين، وكان رواة السند الأول طائفتين، عرّفنا منهم اثنين وهما شيخا ابن عساكر .

١- **أبو المظفر ابن القشيري.**

٢- **أبو القاسم المستملي**، والآن إلى بقية رجال السند حسب تسلسلهم المذكور آنفاً .

٣- **أبو عثمان البحيري** ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء[1] فقال: البُحيري الشيخ الجليل الثقة أبو عثمان سعيد بن محمد بن أبي الحسين أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن

١- سير أعلام النبلاء ١٣ : ٤٩٧ .

بحير البحيريّ النيسابوري ... وقال عبدالغافر في(سياقه: شيخ كبير ثقة في الحديث، سمع الكثير بخراسان والعراق، وخُرّج له ثم سمّى شيوخه توفي سنة ٤٥١ .

٤- **أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن الدهبقاني** لم أقف على الصحيح من نسبته، واشتراكه مع الكثير في الاسم والكنية لم أتيقن المقصود منهم، فليحقق في تصحيح النسبة .

٥- **محمد بن أحمد بن محبوب** قال الذهبي في سير أعلام النبلاء[1]: المحبوبي الإمام المحدّث مفيد مرو أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب بن فضيل المحبوبي المروزي، راوي جامع أبي عيسى عنه ... وكانت الرحلة إليه في سماع الجامع، وكان شيخ البلد ثروة وافضالاً، وسماعه مضبوط... قال الحاكم: سماعه صحيح، قال الذهبي توفي سنة ٣٤٦ في شهر رمضان .

٦- **سعيد بن مسعود** صاحب النضر بن شميل، المحدّث المسند أبوعثمان المروزي أحد الثقات توفى سنة ٢٧١ وكان من أبناء التسعين[2] .

٧- **أبو الفتح الماهاني** ذكره السمعاني في التحبير[3] فقال: أبو الفتح يوسف بن عبد الواحد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أبي الحسن ابن ماهان الباقلاني البقال من أهل اصبهان، شيخ صالح سديد السيرة، من أهل الخير سمع بإفادة أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد الدقاق الحافظ وعمّر حتى حدّث، سمع أبا منصور شجاع بن علي بن شجاع المصقلي... سمعت منه كتاب معرفة الصحابة لابن مندة بروايته عن شجاع عنه .

٨- **أبو منصور شجاع بن علي بن شجاع المصقلي الشيباني** من أهل اصبهان، يسكن

١- المصدر السابق ١٢: ١٦٠ .

٢- المصدر السابق ١٠: ٣٤٣ .

٣- التحبير ٢: ٣٨٩ ط أوقاف بغداد.

باغ عيسى كثير السماع واسع الرواية معروف بالطلب، سمع أبا عبد الله بن مندة... توفي في المحرم سنة ٤٦٦ .

٩- **ابن مندة** الإمام الحافظ الجوّال، محدّث الإسلام أبو عبد الله محمد بن المحدث أبي يعقوب اسحاق بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن مندة، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء[1]: ولم أعلم أحداً كان أوسع رحلة منه، ولا أكثر حديثاً منه مع الحفظ والثقة، فبلغنا أنّ عدة شيوخه (١٧٠٠) شيخ .

١٠- **عثمان بن أحمد البستي أو التنسي**، لم أقف على الصحيح في اسمه فتارة علي وتارة عثمان، وفي نسبته تارة البستي، وأُخرى التنسي، وبحثت في المظان فلم أجده، وأظن قوياً ثمة تصحيفاً فيهما . فليحقق .

١١- **أبو أُمية محمد بن إبراهيم** قال الذهبي في سير أعلام النبلاء[2]: الإمام الحافظ المجوّد الرحّال أبو أمية محمد بن إبراهيم مسلم البغدادي ثم الطرسوسي... قال أبو داود: ثقة، وقال أبو بكر الخلاّل الفقيه: أبو أُمية رفيع القدر جداً، كان إماماً في الحديث، مات بطرطوس سنة ٢٧٣.

١٢- **عبيد الله بن موسى** بن أبي المختار الإمام الحافظ العابد أبو محمد العبسي ـ بوحدة ـ مولاهم الكوفي: أول من صنّف المسند على ترتيب الصحابة بالكوفة... وثقّه ابن معين وجماعة، وحديثه في الكتب الستة، قال أبو حاتم: ثقة صدوق حسن الحديث... وروى أبو عبيد الآجري عن أبي داود قال: كان شيعياً محترقاً، جاز حديثه، قلت ـ الذهبي ـ: كان صاحب عبادة وليل صحب حمزة وتخلق بآدابه، إلّا في التشيع المشؤوم فإنّه أخذه عن

١- سير أعلام النبلاء ١٣ : ٧.

٢- المصدر السابق ١٠ : ٤٨٧ – ٤٨٨.

أهل بلده المؤسس على البدعة . مات سنة ٢١٣... قال ابن مندة: كان أحمد بن حنبل يدلّ الناس على عبيد الله، وكان معروفاً بالرفض، لم يدع أحداً اسمه معاوية يدخل داره، فقيل: دخل عليه معاوية بن صالح الأشعري، فقال: ما اسمك؟ قال معاوية: قال: والله لا حدثتك ولا حدثت قوماً أنت فيهم [١].

١٣- **فضيل بن مرزوق المحدّث**، وثقّه سفيان بن عيينة ويحيى بن معين، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء[٢] : وقال ابن عدي: أرجو أنّه لابأس به... وقال الحاكم عيب على مسلم إخراجه في صحيحه، قلت ـ الذهبي ـ : ما ذكره في الضعفاء البخاري ولا العقيلي ولا الدولابي، وحديثه في عداد الحسن ـ إن شاء الله ـ وهو شيعي كان يتألّه، قال الهيثم بن جميل: جاء فضيل بن مرزوق وكان من أئمة الهوى زهداً وفضلاً... توفى سنة ١٧٠ .

١٤- **إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب**، قال ابن حجر في تعجيل المنفعة[٣] عن أبيه عن جده وعن فاطمة بنت الحسين، وعنه كثير النواويحي بن المتوكل وفضيل بن مرزوق، ذكره ابن حبان في الثقات .

قلت ـ والقائل ابن حجر ـ : حديثه من زيادات عبد الله بن أحمد، وقع ذلك في مسند علي... وفاطمة بنت الحسين هي أُمه، وهو أخو عبد الله بن الحسن بن الحسن... وقد ذكره ابن أبي حاتم فلم يذكر فيه جرحاً، وذكره الذهبي في المغني في الضعفاء، ولم يذكر لذكره فيه مستند... وأرّخ ابن الجوزي وفاة إبراهيم هذا في (المنتظم) في ذي القعدة منها، وهو ابن ثمان وستين سنة.

١- المصدر السابق ٨: ٣٥٨ .

٢- المصدر السابق ٧: ٢٦٠ .

٣- تعجيل المنفعة: ١٤ ط حيدرآباد .

١٥- **فاطمة بنت الحسين** عليها السلام بنت علي بن أبي طالب الهاشمية المدنية، روت عن أبيها، وأخيها زين العابدين، وعمتها زينب بنت علي، وجدتها فاطمة الزهراء مرسل، وبلال المؤذّن مرسل، وابن عباس وأسماء بنت عميس، ذكرها ابن حبان في الثقات، ووقع ذكرها في صحيح البخاري في الجنازة قال: لما مات الحسن بن الحسن ضربت امرأته القبة: ماتت وقد قاربت التسعين[1].

١٦- **أسماء بنت عميس** الخثعمية أُخت ميمونة بنت الحارث لأُمّها، وكانت أولاً تحت جعفر بن أبي طالب، ثم تزوجها أبو بكر، ثم علي بن أبي طالب وولدت لهم، روت عن النبي ﷺ، روى عنها ابنها عبد الله بن جعفر، وابن ابنها القاسم بن محمد بن أبي بكر، وابن أُختها عبد الله بن عباس، وابن أُختها الأُخرى عبد الله بن شداد بن الهاد... وفاطمة بنت علي، كان عمر يسألها عن تعبير الرؤيا، لما قتل ابنها محمد بن أبي بكر جلست في مسجدها، وكظمت غيضها حتى شخبت ثدياها دماً... .

١٧- **عمار بن مطر الرهاوي** ذكره العقيلي في كتابه الضعفاء[2] وقال: يحدّث عن الثقات بمناكير... ثم ذكر له حديثين ثانيهما ردّ الشمس، وعقّب عليهما بقوله: لا يتابع عليهما بهذا الإسناد . فأما الحديث الأول... وأما الثاني فالرواية فيه لينة، وقد روى هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ قال: لم تردّ الشمس إلّا على يوشع بن نون[3].

١٨- **أبو محمد عبد الله بن أحمد بن طاووس** إمام جامع دمشق ثقة مقرئ محقق ختم

١- تهذيب التهذيب ١٢: ٤٤٣.

٢- الضعفاء ٣: ٣٢٧.

٣- مرّ التعليق حول هذا في تلوّن أبي هريرة في رواية حديث ردّ الشمس .

عليه خلق، وله اعتناء بالحديث روى عن أبي العباس، قبيس...[1].

١٩- **عاصم بن الحسن قال الذهبي في سير أعلام النبلاء**[2]: العاصمي الشيخ العالم الصادق الأديب مسند بغداد في وقته، أبو الحسين عاصم بن الحسن... قال السمعاني: سألت أبا سعد البغدادي عن عاصم بن الحسن، فقال: كان شيخاً متيقناً أديباً فاضلاً، كان حفّاظ بغداد يكتبون عنه ويشهدون بصحة سماعه... مات سنة ٤٨٣ هـ.

٢٠- **أبو عمر ابن مهدي** عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مهدي من مشايخ الشيخ الطوسي ويروي عن ابن عقدة، روى الشيخ عنه في أماليه فقال: أخبرني أبو عمرو سنة ٤١٦ في منزله ببغداد في درب الزعفراني رحبة المهدي، وفي سير أعلام النبلاء[3]: ابن مهدي الشيخ الصدوق المعمّر مسند الوقت أبو عمر... الفارسي الكازوروني ثم البغدادي البزاز، قال الخطيب: كان ثقة [4]، وفي العبر[5] ذكر وفاته سنة ٤١٠، ولابدّ أن يكون في تاريخ سماع الشيخ الطوسي سهو من الناسخ.

٢١- **ابن عقدة** أحمد بن محمد بن سعيد... أبو العباس الكوفي الحافظ العلّامة، أحد أعلام الحديث، ونادرة الزمان وصاحب التصانيف على ضعف فيه، وهو المعروف بالحافظ ابن عقدة... وطلب الحديث سنة بضع وستين ومائتين، وكتب منه ما لا يُحدّ ولا يوصف عن خلق كثير بالكوفة وبغداد ومكة،... قال الدارقطني: سمعت ابن عقدة يقول: أنا

١- العبر٢: ٤٥١، وراجع الكامل في التاريخ ٩ : ٥، وشذرات الذهب٤: ١١٤ ، والنجوم الزاهرة ٥: ٢٧٠.

٢- سير أعلام النبلاء ١٤: ٩٨ .

٣- المصدر السابق ١٣: ١٣٥ .

٤- تاريخ بغداد ١١: ١٣.

٥- العبر ٢: ٢١٨ .

أُجيب في ثلثمائة ألف حديث من حديث أهل البيت خاصة... وقال أيضاً: ابن عقدة يعلم ما عند الناس ولا يعلم الناس ما عنده، وانّ الدارقطني كذّب من يتهمه بالوضع، وإنّما بلاؤه من روايته بالوجادة ومن التشيع[1].

٢٢- **أحمد بن يحيى الصوفي** الأودي أبو جعفر الكوفي العابد، قال أبو حاتم ثقة وقال النسائي: لا بأس به وذكره ابن حبان في الثقات[2]، وهو من رجال الصحاح .

٢٣- **عبد الرحمن بن شريك** النخعي الكوفي، روى عنه البخاري في الأدب، ذكره ابن حبان في الثقات وقال: ربما أخطأ، قال ابن عقدة مات سنة ٢٢٧ [3].

٢٤- **شريك** بن عبد الله العلّامة الحافظ القاضي أحد الأعلام على لين مّا في حديثه، وقد وثقّه يحيى بن معين وقال هو أثبت من أبي الأحوص، قلت ـ الذهبي ـ : مع أنّ أبا الأحوص من رجال الصحيحين، وما أخرجا لشريك سوى مسلم في المتابعات قليلاً، وخرّج له البخاري تعليقاً [4] . وفي ترجمته عجائب وغرائب وفي تهذيب التهذيب[5] نحو ذلك .

٢٥- **عروة بن عبد الله بن قشير** الجعفي أبو مهل الكوفي... قال أبو زرعة: ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات[6] من رجال الصحاح وحديثه في أبي داود والترمذي في الشمائل وابن ماجة .

١- سير أعلام النبلاء ١٢: ٣١ - ٤١ .

٢- تهذيب التهذيب ١: ٨٨ - ٨٩.

٣- المصدر السابق ٦: ١٩٤.

٤- سير أعلام النبلاء ٧: ٤٨١ - ٤٩١ .

٥- تهذيب التهذيب ٤: ٣٣٣.

٦- المصدر السابق ٧: ١٨٦ .

٢٦- **فاطمة بنت علي** عليه السلام وهي فاطمة الصغرى أُمها أُم ولد روت عن أبيها، وقيل لم تسمع منه وعن أخيها ابن الحنفية وأسماء بنت عميس، كانت عند أبي سعيد بن عقيل ثم تزوّجها سعيد بن الأسود بن أبي البختري، قال موسى الجهني: دخلت على فاطمة بنت علي وهي ابنة ست وثمانين سنة، فقلت لها: أتحفظين عن أبيك شيئاً ؟ قالت: لا[1]، وقد روت عن أسماء بنت عميس حديث المنزلة وأخرجه ابن عساكر [2] في ترجمة الإمام بعدة أسانيد عن موسى الجهني عنها عن أسماء .

٢٧- **موسى الجهني** من ثقات الكوفيين وعبّادهم، حدّث عن شعبة والقطان، ووثّقه أحمد وابن معين[3]، وهو من رجال الصحاح كما في تهذيب التهذيب[4] وعلّم له (م ن س ق) وحكى توثيق القطان وابن معين والنسائي والعجلي وابن حبان وابن سعد، وأرّخ وفاته سنة ١٤٤ .

والآن وقد قرأنا تعريف أولئك الرواة الذين روى ابن عساكر عنهم حديث ردّ الشمس، فوجدناهم كلهم من المعروفين، وليس فيهم من المجاهيل أحد، ولنقتصر في المقام على بيان خصوص الثاني من أسانيده التي عقّب عليها بزعمه فيها غير واحد من المجاهيل، فنقول له: من هو المجهول منهم؟

فلقد روى عن شيخه أبي محمد ابن طاووس، وهذا (إمام جامع دمشق ثقة مقرئ محقق ختم عليه خلق) راجع ما سلف في ترجمته نقلاً عن العبر للذهبي وغيره، وهذا روى

١- المصدر السابق ١٢: ١٤٣.

٢- تاريخ دمشق ١: ٣٥٤.

٣- ميزان الاعتدال ٤: ٢٠٩.

٤- تهذيب التهذيب ١٠: ٤٠٨ ط دار الفكر.

الحديث عن شيخه .

عاصم بن الحسن الّذي قال السمعاني عنه أنّ أبا سعد البغدادي قال فيه: (كان شيخاً متقناً أديباً فاضلاً كان حفاظ بغداد يكتبون عنه ويشهدون بصحة سماعه) وهذا روى الحديث عن شيخه:

أبي عمر بن مهدي (الشيخ الصدوق المعمّر مسند الوقت... كان ثقة أميناً) راجع ما سلف عنه في ترجمته وهذا روى الحديث عن شيخه.

أحمد بن محمد بن سعيد ابن عقدة . الحافظ العلّامة، أحد أعلام الحديث ونادرة الزمان، قال فيه الدارقطني: ابن عقدة يعلم ما عند الناس ولا يعلم الناس ما عنده، وكذّب من يتهمه بالوضع، وإنّما بلاؤه من روايته بالوجادات ومن التشيع. راجع ما سلف عنه، وهذا روى الحديث عن شيخه:

أحمد بن يحيى الصوفي الكوفي العابد، وثقّه أبو حاتم، وذكره ابن حبان في الثقات، وهو من رجال الصحاح، راجع ما سلف عنه، وهو روى الحديث عن شيخه:

عبد الرحمن بن شريك أخرج له البخاري في الأدب، وذكره ابن حبان في الثقات، راجع ما سلف عنه، وهو روى الحديث عن أبيه:

شريك بن عبد الله القاضي الحافظ، وثقه يحيى بن معين وقال: هو أثبت من أبي الأحوص ـ وأبو الأحوص من رجال الصحيحين ـ خرّج له البخاري تعليقاً ومسلم متابعة، راجع ما سلف عنه، وهو روى الحديث عن شيخه:

عروة بن عبد الله بن قشير، قال أبو زرعة: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات، وحديثه في أبي داود والترمذي في الشمائل وابن ماجة، فهو من رجال الصحاح، وهذا روى الحديث عن:

فاطمة بنت علي أمها أم ولد روت عن أبيها ـ وقيل لم تسمع منه ـ وعن أخيها محمد

بن الحنفية وأسماء بنت عميس، كانت عند أبي سعيد بن عقيل، ثم تزوّجها سعيد بن الأسود بن أبي البختري، ماتت سنة ١١٧ وهي ابنة ٨٦ سنة، وروى عنها موسى الجهني الّذي دخل عليها وروى عنها عدّة أحاديث منها: حديث المنزلة، ومنها: حديث ردّ الشمس، وذكرها ابن حبّان في الثقات وترجمها ابن سعد في الطبقات[١]، وهذه العلوية روت الحديث عن:

أسماء بنت عميس، وهذه من السابقات إلى الإسلام أسلمت قبل أن يدخل النبي ﷺ دار الأرقم، وبايعت ثم هاجرت مع زوجها جعفر إلى الحبشة، وفي الصحيح عن أبي بردة عن أسماء أنّ النبي ﷺ قال لها: (لكم هجرتان وللناس هجرة واحدة) وكان عمر يسألها عن تفسير المنام، راجع في ترجمتها ما سلف، مضافاً إلى الإصابة والإستيعاب وطبقات ابن سعد.

وقد روى الحديث عن فاطمة بنت علي موسى الجهني، وتقدّم أنّه من الثقات الكوفيين وعبّادهم، وثقّه القطّان وابن معين والنسائي وابن حبان والعجلي وابن سعد .

فهؤلاء جميعاً رجالاً ونساءاً من المعروفين وليسوا من المجهولين، ومن الموثّقين وليسوا من المجروحين، فلماذا الطعن في الحديث يا ناصبي، وأين أُولئك المجاهيل الذين زعمت وجودهم في السند؟

وأما إنكاره المتن لنكارته ولم يبين وجه النكارة؟ ولعلّها كانت من جهة خرق العادة حسب النواميس الطبيعية، وهذا هو معنى كونها آية من آيات الله تعالى، خارقة للعادة بدعاء النبي الكريم ﷺ، فلا نكارة فيه من هذه الجهة إلّا عند مَن ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[٢].

١- الطبقات الكبرى ١٠: ٤٣٢.

٢- النحل: ٨٣.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[1].

ثانياً: تعريف ابن الجوزي بأقلام أصحابه:

وقبل ذكر ما عنده أودّ تنبيه القارئ بشيء عنه بلسان قومه ممّن لا يتهم عليه في خصوص كتابه الموضوعات:

١- قال ابن الصلاح[2]: ولقد أكثر الذّي جمع في هذا العصر الموضوعات في نحو مجلدين، فأودع فيها كثيراً ممّا لا دليل على وضعه، وإنّما حقه أن يذكر في مطلق الأحاديث الضعيفة.

٢- وقال ابن كثير: وقد صنّف الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي كتاباً حافلاً في الموضوعات، غير أنّه ادخل فيه ما ليس منه، وأخرج عنه ما كان يلزمه ذكره، فسقط عليه ولم يهتد إليه.

٣- وقال ابن حجر العسقلاني[3]: قول ابن الجوزي في هذا الحديث - سد الأبواب إلّا باب علي عليه السلام - إنه باطل وإنّه موضوع، دعوى لم يستدلّ عليها إلّا بمخالفة الحديث الّذي في الصحيحين، وهذا إقدام على ردّ الأحاديث الصحيحة بمجرد التوهّم ... .

٤- وقال السخاوي[4]: إنّ من العجب إيراد ابن الجوزي في كتابه العلل المتناهية في الأحاديث الواهية كثيراً مما أورده في الموضوعات، كما انّ في الموضوعات كثيراً من الأحاديث الواهية ...، وقال: ولذا انتقد العلماء صنيعه إجمالاً... .

١- محمد: ٨ - ٩ .

٢- علوم الحديث: ٢١٢ .

٣- القول المسدد في الذب عن مسند أحمد: ١٩ .

٤- فتح المغيث شرح ألفية الحديث ١: ٢٣٦.

٥- ونقده السيوطي[1] فقال: وقد جمع في ذلك الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي كتاباً فأكثر فيه من إخراج الضعيف الّذي لم ينحط إلى رتبة الوضع، بل ومن الحسن ومن الصحيح كما نبّه على ذلك الأئمّة الحفاظ، ومنهم ابن الصلاح في علوم الحديث وأتباعه، ثم ذكر السيوطي في تضاعيف كتابه شواهد على ذلك كثيرة .

وأخيراً نختم القول حول ابن الجوزي بما كتبه محققا كتاب (تنزيه الشريعة المرفوعة) لابن عراق الكناني، فقد أحاطا بما لديه خبراً، فقالا في كتاب الموضوعات الكبرى: لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى سنة٥٩٧هـ، تناول فيه ما ورد من الأحاديث في كتاب الكامل لابن عدي، والضعفاء لابن حيان، والعقيلي، والأزدي، وتفسير ابن مردويه، ومعاجم الطبراني الثلاثة، وأفراد الدارقطني، وتصانيف الخطيب، ومصنفات أبي نعيم، وابن شاهين، وتاريخ نيسابور، وتاريخ أصبهان، والأباطيل للجَوْزَقي .

لكن ابن الجوزي متساهل في الحكم على تلك المرويّات، فقد أورد فيه الضعيف، بل الحسن، بل الصحيح مما هو في سنن أبي داود، وجامع الترمذي، وسنن ابن ماجة، ومستدرك الحاكم، وغيرها من الكتب المعتمدة، بل فيه حديث في صحيح مسلم، بل وفيه حديث في صحيح البخاري من رواية حماد بن شاكر، ولذلك كثر انتقاد العلماء عليه.

ومن العجيب أنّه أورد في هذا الكتاب أحاديث، وقد ذكرها بنفسها في كتابه (العلل المتناهية) فناقض نفسه[2]، وهو مع جمعه الكثير فلم يستوعب الحديث الموضوع، قال الحافظ ابن حجر: وفاته من نوعي الموضوع والواهي في الكتابين قدر ما كتب، وكذلك وقع في تصانيفه الوعظية وما أشبهها شيء من الموضوع وشبهه على غير تحرير منه.

١- اللئالي المصنوعة ١: ٢.

٢- الرفع والتكميل للكنوى .

وقد انتقد ابن حجر موضوعات ابن الجوزي، وذكر في كتابه (القول المسدّد في الذبّ عن مسند أحمد) أربعة وعشرين حديثاً، لم تكن من الموضوعات ممّا ذكر في المسند، وذيّل السيوطي على القول المسدّد، واستدرك أربعة عشر حديثاً أيضاً ذكرها ابن الجوزي وهي في المسند، وجمع السيوطي، ما في القول المسدد وما ذيّله عليه، وزاد عليهما أحاديث، وجمعها في (القول الحسن في الذب عن السنن).

وبلغ ما فيه من الأحاديث نيفاً وعشرين ومائة حديث، ليست موضوعة، منها أربعة في سنن أبي داود، وثلاثة وعشرون في جامع الترمذي، وحديث في سنن النسائي، وستة عشر في سنن ابن ماجة، وحديث في صحيح البخاري من رواية حماد بن شاكر، وباقيها في خلق الأفعال للبخاري، وتعاليق الصحيح وسنن الدارمي، وصحيح ابن حبان، ومستدرك الحاكم، وتصانيف البيهقي[1] .

قال الحافظ ابن حجر: (وتساهله وتساهل الحاكم أعدم النفع بكتابيهما). ولخّص الذهبي ما ورد من الموضوعات في المستدرك، فبلغ مائة حديث، وقد ذكر ابن رجب كلام ابن القادسي في تاريخه عن ابن الجوزي[2]، وذكر أنّ الناس لهم في ابن الجوزي كلام من وجوه:

منها كثرة أغاليطه في تصانيفه، قال: (وعذره في ذلك واضح ؛ وهو أنّه كان مكثراً من التصانيف فيصنّف الكتاب ولا يعتبره، بل يشتغل بغيره، وربما كتب في الوقت الواحد في تصانيف عديدة) ثم ذكر أنّه كان ينقل من المصنفات من غير أن يكون متقناً لذلك العلم من جهة الشيوخ والبحث، ولهذا نقل عنه أنّه قال عن نفسه: (أنا مرتب ولست بمصنف)

١- تدريب الراوي .

٢- ذيل طبقات ابن أبي يعلى .

وذكر عن الشيخ موفق الدين المقدسي قوله فيه: (وكان حافظاً للحديث، وصنّف فيه، إلّا إنّنا لم نرض تصانيفه في السنة، ولا طريقته فيها).

وذكر ابن رجب: انّه كان يؤلّف في كل فنّ معتمداً على قوّة فهمه، وحدّة ذهنه، فربما صنّف شيئاً وصنّف في نقيضه، بحسب ما يتفق له من الوقوف على تصانيف من تقدّمه، ومع ذلك فقد اشتهر كتابه، وتداوله العلماء بالنقد، وبالإختصار والتذييل عليه، فاختصره السفاريني الحنبلي محمد بن أحمد في مجلد، ويسمّى (الدرر المصنوعات في الأحاديث الموضوعات)، واختصره الجلال السيوطي، وزاد على موادّه ما ورد في تاريخ ابن عساكر، وابن النجار، ومسند الفردوس للديلمي، وتصانيف أبي الشيخ ابن حيان، في كتاب (اللئالي المصنوعة)، وأفرد ما تعقّب به ابن الجوزي في (النكت البديعات) واختصره في (التعقيبات) ويبلغ ما تعقّبه ثلاثمائة حديث ونيفاً، كما ذكره في آخر التعقيبات.

هذا غيض من فيض عن كتابه الموضوعات الّذي أورد فيه حديث ردّ الشمس، وأعلّه بما في قلبه من علّة، أما ما قالوه فيه من قدح وتجريح، فحسبنا أن نذكر للقارئ قول ابن الأثير في تاريخه حوادث سنة ٥٩٧: وفي هذه السنة في شهر رمضان توفي أبو الفرج ... ابن الجوزي ... وكان كثير الوقيعة في الناس لا سيما في العلماء المخالفين لمذهبه والموافقين له. ونحو هذا في تاريخ الخميس للديار بكري، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء، وتتمته لابن الوردي.

ولا يبعد قول الذهبي مضموناً عمّا سبق، فقد نقده في تذكرة الحفاظ[١]، وكذا ابن حجر في لسان الميزان[٢] إلى غير ذلك من الناقدين له الناقمين عليه.

١- تذكرة الحفاظ ٤: ١٣٤٢.

٢- لسان الميزان ٢: ١٤.

ماذا قال ابن الجوزي في الحديث ؟

قال في كتابه الموضوعات[1]:

الحديث الحادي عشر: في ردّ الشمس له: أنبأنا عبد الوهاب الحافظ، قال: أنبأنا محمد المظفر، قال: أنبأنا العتيقي، قال: حدّثنا يوسف بن أحمد، قال: حدّثنا العقيلي، قال: حدّثنا أحمد بن داود، قال: حدّثنا عمار بن مطرح، وأنبأنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا عبد الوهاب بن منده ـ واللفظ له ـ.

قال: أنبأنا أبي، قال: حدّثنا عثمان بن أحمد التنيسي، قال: حدّثنا أبو أُمية، قال: حدّثنا عبد الله بن موسى، قالا: (كذا والصواب قال) حدّثنا فضيل بن مرزوق، عن إبراهيم بن الحسن بن الحسين (كذا والصواب: الحسن) عن فاطمة بنت الحسين، عن أسماء بنت عُميس قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم يُوحى إليه ورأسه في حجر عليﷺ، فلم يصلّ العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم: إنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، قالت أسماء فرأيتها غرُبت، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت.

فقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع بلا شك، وقد اضطرب الرواة فيه، فرواه سعيد بن مسعود عن عبيد الله بن موسى عن فضيل بن مرزوق عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن علي بن الحسن (كذا والصواب الحسين) عن فاطمة بنت علي عن أسماء، وهذا تخليط في الرواية، وأحمد بن داود ليس بشيء، قال الدارقطني: متروك كذّاب، وقال ابن حبّان: كان يضع الحديث، وعمار بن مطر قال فيه العُقيلي: كان يحدّث عن الثقاة بالمناكير، وقال ابن عدي: متروك الحديث، وفضيل بن مرزوق ضعّفه يحيى، وقال ابن حبان: يروي

١- الموضوعات ١ : ٣٥٥ ط ١ سنة ١٣٨٦ نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنوّرة.

الموضوعات ويخطئ على الثقاة .

قال المصنف: قلت وقد روى هذا الحديث ابن شاهين، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، قال: حدّثنا أحمد بن يحيى الصوفي، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن شريك، قال: حدّثني أبي عن عروة بن عبد الله بن قشير، قال: دخلت على فاطمة بنت علي بن أبي طالب ﷺ فحدّثتني أنّ أسماء بنت عميس حدّثتها أنّ علي بن أبي طالب . وذكر حديث رجوع الشمس له، وهذا حديث باطل . أما عبد الرحمن بن شريك عن أبيه، فقال أبو حاتم الرازي: هو واهي الحديث .

قال المصنّف: قلت: وأما أنا فلا أتهم بهذا إلاّ ابن عقدة، فإنّه كان رافضياً يحدّث بمثالب الصحابة .

أنبانا أبو منصور القزاز قال: أنبانا أبو بكر الخطيب، قال: حدّثنا علي بن محمد بن نصر، قال: سمعت حمزة بن يوسف يقول: كان أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة في جامع براثا يملي مثالب أصحاب رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم، أو قال: الشيخين يعني أبا بكر وعمر، فتركت حديثه لا أحدّث عنه بشيء، وما سمعت منه بعد ذلك شيئاً .

أنبانا أبو منصور القزاز، قال: أنبانا أبو بكر الخطيب، قال: حدّثنا حمزة بن محمد طاهر، قال: سئل الدارقطني وأنا أسمع عن أبي العباس لابن عقدة فقال: كان رجل سوء، وقال ابن عدي: سمعت أبا بكر بن أبي غالب يقول: ابن عقدة لا يتديّن بالحديث، لأنّه كان يحمل شيوخنا بالكوفة على الكذب، يسوّي لهم نسخاً ويأمرهم أن يرووها، وقد تيقنّا ذلك منه في غير شيخ بالكوفة .

وقد رواه ابن مردويه من حديث داود بن فراهيج عن أبي هريرة قال: نام رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم، ورأسه في حجر علي بن أبي طالب ﷺ، ولم يكن صلّى العصر

حتى غربت الشمس، فلمّا قام النبي صلّى الله عليه (وآله) وسلم دعا له فردّت عليه الشمس حتى صلّى ثم غابت ثانية. وداود ضعيف ضعّفه شعبة .

قال المصنف: قلت: ومن تغفيل واضع هذا الحديث أنّه نظر إلى صورة فضيلة ولم يتلمح إلى عدم الفائدة، فإنّ صلاة العصر بغيبوبة الشمس صارت قضاء، فرجوع الشمس لا يعيدها أداءً .

وفي الصحيح عن النبي صلّى الله عليه (وآله) وسلم: إنّ الشمس لم تحبس على أحد إلّا ليوشع.

أقول: وللردّ عليه فلنقرأ أولاً:

ماذا قال ابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة المرفوعة[1]، ونعقّبه بما قاله سبطه راداً عليه.

فماذا قال ابن عراق الكناني في مسألة ردّ الشمس وهو من المثبتين للحديث:

١٠٤ - حديث أسماء بنت عميس، كان رسول الله ﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي، ولم يصلّ العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ لعليّ: أصلّيت؟ قال: لا، قال رسول الله: اللّهمّ إنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت.

ابن الجوزي من طريق فضيل بن مرزوق، وقد ضعفّه يحيى (شا) من طريق ابن عقدة، وهو رافضي رمي بالكذب، وفيه أيضاً عبد الرحمن بن شريك، قال فيه أبو حاتم: واهي الحديث، وجاء أيضاً من حديث أبي هريرة أخرجه (مر) من طريق داود بن فراهيج، وقد ضعّفه شعبة (تعقب) بأنّ فضيلاً ثقة صدوق احتج به مسلم والأربعة، وعبد الرحمن بن شريك وثقّه غير أبي حاتم . وروى عنه البخاري في الأدب وابن عقدة من كبار الحفّاظ،

١- تنزيه الشريعة المرفوعة١: ٣٧٨ط١ مكتبة القاهرة.

والناس مختلفون في ذمّه ومدحه، وكذبّ الدارقطني من اتهمه بالوضع، وقال حمزة السهمي: ما يتهمه بالوضع الاطبل، وداود وثقّه قوم.

ثم الحديث صرّح بتصحيحه جماعة من الأئمّة والحفاظ منهم الطحاوي، وللسيوطي جزء في تتبع طرق هذا الحديث، وبيان حاله سماه (كشف اللبس في حديث ردّ الشمس) وختمه بقوله: ومما يشهد لصحة ذلك قول الشافعي ﷺ وغيره: ما أوتي نبي معجزة إلاّ أُوتي نبيّناﷺ نظيرها أو أبلغ منها، وقد صحّ أنّ الشمس حبست على يوشع ليالي قاتل الجبارين، فلابدّ أن يكون لنبيّناﷺ نظير ذلك، فكانت هذه القصّة نظير تلك.

قلت: وممّن صرّح بذلك جازماً به الإمام حازم القرطاجي فقال في مقصورته .

والشمس ما ردّت لغير يوشع　　لما غزا ولعليّ إذ غفا

وقال الذهبي في تلخيص الموضوعات: أملى أبو القاسم الحسكاني مجلساً في ردّ الشمس فقال: روى ذلك عن أسماء بنت عميس وعلي وأبي هريرة وأبي سعيد بأسانيد متصلة، قلت: لكنها ساقطة ليست بصحيحة، ثم ساقه من طرق: منها أحمد بن صالح الحافظ، وابن برد الأنطاكي وغيرهما عن ابن أبي فديك، أخبرني محمد بن موسى الفطري، عن عون بن محمد، عن أمه أُم جعفر، عن جدّتها أسماء بنت عميس أنّ رسول اللهﷺ صلّى الظهر ثم أرسل عليّاً في حاجة فرجع، وقد صلّى رسول اللهﷺ العصر، فوضع رأسه في حجر علي، ولم يحركه حتى غابت الشمس، فقال رسول اللهﷺ: إنّ عبدك عليّاً احتبس بنفسه على نبيّه فردّ عليه شرقها .

قالت أسماء: فطلعت الشمس حتى وقفت على الجبال والأرض، فقام علي وتوضّأ وصلّى العصر، ثم غابت الشمس وذلك في الصهباء في غزوة خيبر .

قال الحسكاني: أُم جعفر هذه هي بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب، وابنها عون بن

محمد بن الحنفية، هذا حديث غريب عجيب انفرد به ابن أبي فديك، وهو صدوق، وشيخه الفطري صدوق، واعترض على هذا بما صحّ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: أنّ الشمس لم تحبس إلّا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس، وقال شيعي: إنّما نفى عليه السلام وقوفها، وحديثنا فيه الطلوع بعد المغيب فلا تضاد بينهما ، قلت: لو ردّت لعليّ لكان ردّها يوم الخندق للنبي ﷺ أولى، فإنّه حزن وتألم ودعا على المشركين لذلك .

ثم نقول: لو ردّت لعليّ لكان بمجرد دعاء النبي ﷺ، ولكن لما غابت خرج وقت العصر، ودخل وقت المغرب، وأفطر الصائمون وصلّى المسلمون المغرب، فلو ردّت الشمس للزم تخبيط الأُمة في صومها وصلاتها، ولم يكن في ردّها فائدة لعليّ إذ رجوعها لا يعيد العصر أداء، ثم هذه الحادثة العظيمة لو وقعت لاشتهرت وتوفّرت الهمم والدواعي على نقلها، إذ هي في نقض العادات جارية مجرى طوفان نوح، وانشقاق القمر، انتهى كلام الذهبي .

وأقول: قوله قال شيعي إنّما نفى عليه السلام وقوفها إلى آخره في نسبته هذا الجواب لشيعي نظر، فإنّ المجيب به الطحاوي في مشكل الآثار، وللحافظ ابن حجر في فتح الباري جواب آخر، هو أنّ الحصر محمول على ما مضى للأنبياء قبل نبيّنا ﷺ، وقوله لو ردّت الشمس لعليّ لكان ردّها يوم الخندق للنبي ﷺ أولى، قد سبقه إليه الجوزقاني.

وجوابه: إنّ ردّ الشمس لعليّ إنّما كان بدعاء النبي ﷺ، ولم يثبت أنّه دعا في وقعة الخندق أن ترد عليه الشمس فلم ترد، بل لم يدع، على أنّ القاضي عياضاً ذكر في الإكمال نقلاً عن مشكل الآثار للطحاوي، ونقله عن القاضي عياض أئمّة وأقرّوه منهم النووي في شرح مسلم، والحافظ مغلطاي في الزهر الباسم، والحافظ ابن حجر في تخريج الرافعي أنّ النبي ﷺ دعا الله يوم الخندق أن يردّ الشمس عليه فردّها حتى صلّى العصر، لكن في هذا

نظر من وجهين احدهما: أنّ الـذي صحّ في وقعة الخندق أنه ﷺ صلّى العصر بعد ما غربت الشمس، وثانيهما أنّ الموجود في مشكل الآثار إنّما هو حديث أسماء في قصة خيبر .

وقوله: ورجوعها لا يعيد العصر أداء، جوابه: انّ في تذكرة القرطبي مـا يقتـضى أنّها وقعت أداء، قال رحمه الله : فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً وأنّه لا يتجدّد الوقت لما ردّهـا عليـه الصلاة والسلام.

وفي كتاب المنتقى في عصمة الأنبياء للإمام نـور الـدين أحمـد بـن محمـد بـن أبي بكـر الصابوني الحنفي ما يقتضى ذلك أيضاً، فإنه قال: والمقصود بردّ الـشمس ردّ الوقـت حتـى تؤدّى الصلاة في وقتها انتهى.

ورأيته في تعليق لبعض معاصري أشياخنا من الشافعية من أهل حضرموت مجزوماً به ورتب عليه لغزاً، فقال: وعلى ذلك يقال رجل أحرم بـصلاة قـضاء عالمـاً بفـوات الوقـت فوقعت أداء، وصورته أحرم بصلاة العصر بعدما غربت الشمس، فطلعـت قبـل أن يفـرغ منها بركعة انتهى، ورأيت في كتاب لبعض أشياخي في هذه القـصّة أنّ الـشيخ تقـي الـدين الشافعي ابن دقيق العيد حكى قولين للعلماء في أنّ هذه الصلاة كانت أداء أم قضاء .

تنبيه: تحصّل ممّا مرّ أنّ الشمس وقفت ثـلاث مـرات إن ثبتـت قـصّة الخنـدق، وورد وقوفها في ثلاث مرات أخرى فنذكرها تتميماً للفائدة .

أحدها: لنبيّنا ﷺ، ذكر القاضي عياض في الشفا عن زيادة المغازي ليونس بن بكير أنّه لما أُسري برسول الله ﷺ، وأخبر قومه بالرؤيا والعلامة التـي في العـير، قـالوا: متـى تجـيء قال: يوم الأربعاء، فلمّا كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظـرون وقـد ولى النهـار ولم تجـئ، فدعا رسول الله ﷺ فزيد له في النهار ساعة، وحبست عليه الشمس حتى دخلت العير .

والثانية: لداود عليه السلام إن ثبت (ما) أخرجه الخطيب في كتاب النجوم عن عطـاء، قـال:

قيل لعليّ بن أبي طالب: هل كان للنجوم أصل، قال: نعم كان نبي من الأنبياء يقال له يوشع بن نون، فقال قومه: إنّا لا نؤمن بك حتى تعلمنا بدء الخلق وآجاله ؛ فأوحى الله تعالى إلى غمامة فأمطرتهم، واستنقع على الجبل ماء صافياً، ثم أوحى الله تعالى إلى الشمس والقمر والنجوم أن تجري في ذلك الماء، ثم أوحى إلى يوشع بن نون أن يرتقي هو وقومه على الجبل؛ فارتقوا الجبل، فقاموا على الماء حتى عرفوا بدء الخلق وآجاله بمجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار . فكان أحدهم يعلم متى يموت، ومتى يمرض، ومن الّذي يولد له، ومن الّذي لا يولد له.

قال: فبقوا كذلك برهة من زمان دهرهم، ثم إنّ داود عليه السلام قاتلهم على الكفر، فأخرجوا إلى داود في القتال من لم يحضر أجله، ومن حضر أجله خلفوه في بيوتهم، فكان يقتل من أصحاب داود، ولا يقتل من هؤلاء أحد، فقال داود: رب أقاتل على طاعتك ويقاتل هؤلاء على معصيتك، فيقتل أصحابي ولا يقتل من هؤلاء أحد، فأوحى الله إليه إنّي كنت علمتهم بدء الخلق وآجاله، وإنّما أخرجوا إليك من لم يحضر أجله ومن حضر أجله خلفوه في بيوتهم، فمن ثم يقتل من أصحابك ولا يقتل منهم أحد، قال داود: يا رب على ماذا علمتهم، قال على مجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار، قال: فدعا الله فحبست الشمس عليهم فزاد في النهار، فاختلطت الزيادة بالليل فلم يعرفوا قدر الزيادة فاختلط عليهم حسابهم، قال علي: فمن ثم كره النظر في النجوم .

قال الخطيب: في إسناده غير واحد مجهول، وما ذكر فيه من علم القوم بأوقات آجالهم وغير ذلك من غائب أحوالهم غير مقبول، وحبس الشمس على داود ليس بصحيح، وقد صحّ عنه ﷺ أنّ الشمس لم تحبس على أحد إلّا على يوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس، انتهى .

والثالثة: لسليمان بن داود عليهما السلام روى الطحاوي والطبراني عن ابن عباس قال: قال علي ما بلغك في قول الله تعالى حكاية عن سليمان: (ردوها عليَّ)؟ فقلت: قال لي كعب: كانت أربعة عشر فرساً عرضها فغابت الشمس قبل أن يصلّي العصر، فأمر بردها، فضرب سوقها وأعناقها بالسيف، فقتلها فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوماً لأنّه ظلم الخيل بقتلها، فقال علي: كذب كعب، وإنّما أراد سليمان جهاد عدوّه، فتشاغل بعرض الخيل حتى غابت الشمس، فقال للملائكة الموكلين بالشمس بأذن الله لهم: ردّوها عليَّ، فردّوها عليه حتى صلّى العصر في وقتها، وإنّ أنبياء الله لا يظلمون فلا يأمرون الناس بالظلم.

قال الحافظ ابن حجر الشافعي في فتح الباري: هذا لا يثبت عن ابن عباس ولا غيره، وإن أورده جماعة من المفسّرين ساكتين عليه جازمين به، والثابت عن جمهور أهل العلم بالتفسير من الصحابة ومن بعدهم أنّ الضمير المؤنث في قوله: (ردوها) للخيل، والله أعلم.

أقول: ولقد كفانا مؤنة الردّ على ابن الجوزي جماعة من الحفّاظ، وفي مقدّمتهم سبطه يوسف بن قزأوغلي في كتابه تذكرة الخواص، وممّن ردّ عليه ابن حجر العسقلاني والسيوطي وغيرهما ممّن حكم بصحّة الحديث.

والآن فلنقرأ ما ردّ به سبطه عليه فهو أقرب إليه نسباً، وأبعد عن التهمة فيه سبباً، فإنّه بعد أن أخرج الحديث بإسناد رجاله ثقات عدول لا مغمز فيهم ولا مهمز، إذ ليس فيهم أحد ممّن ضعّفه جده قال: فإن قيل: فقد قال جدّك في الموضوعات: هذا حديث موضوع بلا شك وروايته مضطربة، فإنّ في إسناده أحمد بن داود وليس بشيء، وكذا فيه فضيل بن مرزوق ضعيف، وجماعة منهم عبد الرحمن بن شريك ضعفه أبو حاتم.

وقال جدّك: أنا لا أتهم به إلّا ابن عقدة فإنّه كان رافضياً، فلو سلّم فصلاة العصر صارت قضاءاً بغيبوبة الشمس، فرجوع الشمس لا يفيد، لأنّها لا تصير أداءاً، قالوا: وفي

الصحيح أنّ الشمس لم تحبس على أحد إلا على يوشع بن نون .

والجواب: انّ قول جدّي رحمه الله : (هذا حديث موضوع بلا شك)، دعوى بلا دليل، لأنّ قدحه في رواته الجواب عنه ظاهر، لأنّا ما رويناه إلّا عن العدول الثقات الذين لا مغمز فيهم، وليس في إسناده أحد ممّن ضعّفه.

وقد رواه أبو هريرة أيضاً، أخرجه عنه ابن مردويه، فيحتمل أنّ الذين أشار إليهم في طريق أبي هريرة .

وكذا قول جدّي:(أنا لا أتّهم به إلّا ابن عقدة) من باب الظن والشك، لا من باب القطع واليقين، وابن عقدة مشهور بالعدالة، كان يروي فضائل أهل البيت ويقتصر عليها، ولا يتعرّض للصحابة رضي الله عنهم بمدح ولا بذم، فنسبوه إلى الرفض .

وقوله: (صارت صلاة العصر قضاءاً) .

قلنا: أرباب العقول السليمة والفِطر الصحيحة لا يعتقدون أنّها غابت ثم عادت، وإنّما وقفت عن السير المعتاد، فكما يخيّل للناظر أنّها غابت وإنّما هي سائرة قليلاً .

والدليل عليه أنّها لو غابت ثم عادت لا ختلّت الأفلاك، وانسدّ نظام العالم، وقال الله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، وإنّما نقول: إنّها وقفت على سيرها المعتاد، ولو ردّت على الحقيقة لم يكن عجباً، لأنّ ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وكرامة لعليّ عليه السلام ، وقد حُبست ليوشع بالإجماع، ولا يخلو إما أن يكون ذلك معجزة لموسى أو كرامة ليوشع، فإن كان لموسى فنبيّنا صلى الله عليه وآله أفضل منه، وإن كان ليوشع فعليّ أفضل من يوشع . قال صلى الله عليه وآله : (علماء أُمتي كأنبياء بني إسرائيل)، وهذا في حق الآحاد، فما ظنّك بعليّ عليه السلام ؟

والدليل عليه أيضاً ما ذكره أحمد في الفضائل، فقال: ثنا محمد بن يونس، عن الحسن بن عبدالرحمن الأنصاري، عن عمر بن جميع، عن ابن أبي ليلى، عن أخيه عيسى، عن أبيه،

قال: قال رسول الله ﷺ: الصدّيقون ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار وهو مؤمن آل ياسين، وعليّ بن أبي طالب وهو أفضلهم .

وحزقيل كان نبياً من أنبياء بني إسرائيل مثل يوشع، فدلّ على فضل علي عليه السلام على أنبياء بني إسرائيل .

انتهى ما ردّ به سبط ابن الجوزي على جدّه .

وعن الحافظ ابن حجر العسقلاني قوله بعد أن أورد الحديث من عند البيهقي وغيره: وهذا أبلغ في المعجزة، وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده في الموضوعات .

وعن الحافظ السيوطي قوله في (الدُّرَر) بعد أن ذكر أبيات ابن سيد الناس وأبيات السبكي، وهذا من هذين الإمامين الجليلين مما يقوي صحة الحديث، ولا يلتفت لإيراد ابن الجوزي الحديث في الموضوعات، وقد خطأه الحفاظ في ذلك .

ثالثاً: ابن تيمية بأقلام أهل السنّة:

لم أجد مَن هو أقرب منالاً وأصدق مقالاً في حق ابن تيمية من الذهبي الّذي أثنى عليه كثيراً في تراجمه في عدة من كتبه وهو غير متهم عليه، حتى انّه ألف كتاباً في سيرته وسمّاه (الدرة اليتيمية في السيرة التيمية) اطلع عليه ابن الوردي فأخذ منه، مختصراً له ما كتبه من تاريخه عن ابن تيمية راجع ج٢ ص ٤١٣ ط الحيدرية بتقديمي.

إلّا أنّي أقتصر على ما ذكره في كتابه(زغل العلم)[1] وعنها في مقالات الكوثري ص ٣٤٣ فقد قال: (... فوالله ما رمقت عيني أوسع علماً، ولا أقوى ذكاء من رجل يقال له ابن تيمية... وقد تعبت في وزنه وتفتيشه حتى مللت في سنين متطاولة، فما وجدت الّذي أخّره بين أهل مصر والشام ومقتته نفوسهم وازدروا به وكذّبوه وكفّروه، إلّا الكبر والعُجب

١- زغل العلم: ١٧ ط دمشق.

وفرط الغرام في رياسة المشيخة، والإزدراء بالكبار، فانظر كيف وبال الدعاوى ومحبة الظهور نسأل الله المسامحة... وما دفع الله عنه وعن أتباعه أكثر، وما جرى عليهم إلّا بعض ما يستحقون.

ثم قال أيضاً في ص ٢٣... وقد رأيت ما آل أمره إليه من الحط عليه، والهجر والتضليل والتكفير والتكذيب بحق وبباطل، فقد كان قبل أن يدخل في هذه الصناعة منوّراً مضيئاً على محيّاه سيما السلف، ثم صار مظلماً مكسوفاً عليه قتمة عند خلائق من الناس، ودجّالاً أفاكاً كافراً عند أعدائه، ومبتدعاً فاضلاً محققاً بارعاً عند طوائف من عقلاء الفضلاء، وحامل راية الإسلام وحامي حوزة الدين ومحيي السنّة عند عموم عوام أصحابه.

وقال في رسالة بعث بها إليه ينصحه فيها،وقد ذكرها في كتابه زغل العلم ص١٣٤ كما ذكرها تقي الدين السبكي في كتابه (السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل = ابن القيم تلميذ ابن تيمية / ١٩٠) وأشار إليها السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ص٧٧، وغير هؤلاء، وإلى القارئ نصّ الرسالة نقلاً عن السيف الصقيل، لأنّ صاحبها نقلها من خط قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة، وكتبها هو من خط الحافظ أبي سعيد ابن العلائي، وهو كتبها من خط مرسلها شمس الدين الذهبي، وهي طويلة نقتبس منها .

...إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك ؟ !

إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك، وتذمّ العلماء وتتبع عورات الناس... .

يا رجل بالله عليك كفّ عنّا، فإنّك محجاج عليم اللسان لا تقر ولا تنام... .

يا رجل قد بلعت (سموم) الفلاسفة وتصنيفاتهم مرات، وكثرة استعمال السموم يدمن عليه الجسم... .

كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخيتهما... .

يا خيبة من اتبعك فإنّه معرّض للزندقة والإنحلال، لا سيما إذا كان قليل العلم والدين... .

أما آن لك أن ترعوي؟ أما حان لك أن تتوب وتنيب ؟ !... .

أما أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل ؟ بلى والله ما أذكر أنّك تذكر الموت، بل تزدري بمن يذكر الموت، فما أظنك تقبل على قولي، ولا تصغي إلى وعظي... فإذا كان هذا حالك عندي، وأنا الشفوق المحبّ الوادّ، فكيف حالك عند أعدائك؟ وأعداؤك والله فيهم حلماء وعقلاء وفضلاء، كما أنّ أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة... .

إلى آخر الرسالة، وقد طبعت توثيقاً لها بصورة الزنكوغراف بخط ابن قاضي شهبة من ص١٨٧ إلى ص١٨٩ في كتاب السيف الصقيل، راجع بشأنها مقالات الكوثري ص٣٤٣، وحسبنا هذا في تعريف ابن تيمية وضلالاته وجهالاته من غير تجنّ عليه، وليسمه أشياعه بشيخ الإسلام، فهو على حد قول أحمد خيري في مقدمة مقالات الكوثري ص٢٣: إنّ ابن تيمية كان من اللاعبين بدين الله، وانّه في جلّ فتاواه كان يتبع هواه، وحسبك فساد رأيه في اعتبار السفر لزيارة النبي ﷺ سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة[1] .

ماذا قال ابن تيمية في هذا الحديث:

لقد بدأ في كتابه منهاج السنة[2] فذكر ما قاله الرافضي ـ ويعني به ابن المطهر الحلي ـ في

١- انظر عبارته الوقحة بهذا النص في ص١١٨ من الجزء الأول من مجموع فتاواه طبع مطبعة كردستان العلمية بمصر سنة ١٣٢٦، ولابن تيمية عجائب غير هذه، منها وقوعه في الخليفة العادل عمر بن الخطاب ﷺ فكأنّه أراد الجمع بين غلاة النواصب في بغض علي عليه السلام، ومتطرفي الشيعة في بغض عمر ﷺ (عن هامش المصدر) .

٢- منهاج السنة ٤: ١٨٥ ط أفست عن بولاق سنة ١٣٢٢ هـ .

رجوع الشمس له ـ للإمام ـ مرّتين... فقال في ص١٨٦:

والجواب أن يقال: فضل علي وولايته لله وعلوّ منزلته عند الله معلوم عند الله - ولله الحمد - من طرق ثابتة أفادتنا العلم اليقيني، لا يحتاج معها إلى كذب وإلى ما لا يعلم صدقه، وحديث ردّ الشمس له قد ذكره طائفة كالطحاوي والقاضي عياض وغيرهما، وعدوّا ذلك من معجزات النبي ﷺ، لكن المحققون من أهل العلم والمعرفة بالحديث يعلمون أنّ هذا الحديث كذب موضوع، كما ذكره ابن الجوزي في كتاب الموضوعات... .

ثم بدأ يذكر ما قاله ابن الجوزي وما هو إلّا اجترار لما قال، وقد مرّت أقوال العلماء الذين عابوا ابن الجوزي على فعله ذلك، وذكرنا آخرهم سبطه، وهو أقرب إليه من غيره وغير متهم عليه... فلا نطيل الوقوف عند هذا، ولكن الّذي يلفت النظر تشبّثه بما زعمه ابن الجوزي أنّ الشمس إذا غربت خرج الوقت المضروب للصلاة، فالمصلّي بعد ذلك لا يكون مصلّياً في الوقت الشرعي ولو عادت الشمس، إلى أن قال: والأحكام المتعلّقة بغروب الشمس حصلت بذلك الغروب، فالصائم يفطر ولو عادت بعد ذلك لم يبطل صومه، مع أنّ هذه الصورة لا تقع لأحد ولا وقعت لأحد، فتقديرها تقدير ما لا وجود له، ولهذا لا يوجد الكلام على حكم مثل هذا في كلام العلماء المفرّعين.

أقول: إنّ كل تلك الهذرمة من ابن تيمية لنفي وقوع معجزة ردّ الشمس، وسيأتي إثباتها بأسانيد صحاح رغم أنف المنكر، وإن عمي عنها الناصب المعاند، وأما نفيه وقوع مثل هذا في كلام العلماء المفرّعين، فهو من قلّة علم وسوء فهم، وإلّا ففي كتب الفروع المتأخّرة ذكر ذلك، ولو لم يكن له فرض وقوع سابقاً لما ذكروه.

قال ابن عابدين[1]: عند قول المصنف (لو غربت الشمس ثم عادت هل يعود الوقت؟ الظاهر نعم) فقال بحث لصاحب النهر حيث قال: ذكر الشافعية أنّ الوقت يعود لأنّه عليه الصلاة والسلام نام في حجر عليّ﵁ حتى غربت الشمس، فلما استيقظ ذكر له أنّه فاتته العصر فقال:

اللّهمّ إنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك فارددها عليه) فردّت حتى صلّى العصر وكان ذلك بخيبر، والحديث صحّحه الطحاوي وعيّاض، وأخرجه جماعة منهم الطبراني بسند حسن، وأخطأ من جعله موضوعا كابن الجوزي، وقواعدنا لا تأباه، ثم قال:

قلت - والقائل ابن عابدين -: على أنّ الشيخ إسماعيل ردّ ما بحثه في النهر تبعاً للشافعية، بأنّ صلاة العصر بغيبوبة الشمس تصير قضاء، ورجوعها لا يعيدها أداءً، وما في الحديث خصوصية لعلي كما يعطيه قوله﵇: إنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك.

وأصرّ ابن تيمية متمادياً على إنكاره بقوله: وأيضاً فالنبي ﷺ فاتته العصر يوم الخندق فصلّاها قضاءً هو وكثير من أصحابه، ولم يسأل انّه ردّ الشمس... وليس عليّ بأفضل من النبي ﷺ فإذا صلاّها هو وأصحابه معه بعد الغروب، فعليّ وأصحابه أولى بذلك، فإن كانت الصلاة بعد الغروب لا تجزي أو ناقصة تحتاج إلى ردّ الشمس كان رسول الله ﷺ أولى بردّ الشمس، وإن كانت كاملة مجزئة فلا حاجة إلى ردّها... .

أقول: كفانا مؤنة الرد عليه ما تقدّم من قول ابن عابدين والشيخ إسماعيل وغيرهما: بأنّ ما في الحديث خصوصية لعليّ كما يعطيه قوله﵇: (إنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك) ونضيف أنّ النبي ﷺ لما نهى يوم الخندق عن الصلاة قبل الوصول إلى بني

١- في حاشية الدر المختار على الدليل المحتار ١: ٣٣٤ ط ٣ بولاق سنة ١٢٨٩ هـ.

قريظة، لم يكن من عنده بل كان مشرّعاً ومبلّغاً عن ربّه، فلما فاتته الصلاة في وقتها قضاها هو وأصحابه، وهو في ذلك لئلا يحرج أمته على حد قول ابن عباس ﷺ لجمعه بين الصلاتين من غير علة، فكذلك سنّ لأمته القضاء لمن فاتته الصلاة .

ثم استمر ابن تيمية في عناده قائلاً: وأيضاً فمثل هذه القضية من الأُمور العظام الخارجة عن العادة التي تتوفّر الهمم والدواعي على نقلها، فإذا لم ينقلها إلّا الواحد والإثنان علم بيان كذبهم في ذلك، وانشقاق القمر كان بالليل وقت نوم الناس ومع هذا فقد رواه الصحابة من غير وجه وأخرجوه في الصحاح والسنن والمسانيد من غير وجه، ونزل به القرآن، فكيف بردّ الشمس التي تكون بالنهار ولا يشتهر ذلك، ولا ينقله أهل العلم نقل مثله، ولا يعرف قط أنّ الشمس رجعت بعد غروبها، وإن كان كثير من الفلاسفة والطبيعيين وبعض أهل الكلام ينكر انشقاق القمر وما يشبه ذلك، فليس الكلام في هذا المقام لكن الغرض أنّ هذا من أعظم خوارق العادات في الفلك، وكثير من الناس ينكر إمكانه، فلو وقع لكان ظهوره ونقله أعظم من ظهور ما دونه ونقله، فكيف يقبل وحديثه ليس له إسناد مشهور، فإنّ هذا يوجب العلم اليقيني بأنّه كذب لم يقع، وإن كانت الشمس احتجبت بغيم ثم ارتفع سحابها فهذا من الأُمور المعتادة، ولعلّهم ظنّوا أنّها غربت ثم كشف الغمام عنها، وهذا وإن كان قد وقع ففيه أنّ الله بيّن له بقاء الوقت حتى يصلّي فيه، ومثل هذا يجري لكثير من الناس.

أقول: أرأيت كيف كان ابن تيمية في عناده؟؟ أتشك في أنّه أهل لما قال فيه ابن حجر في كتابه الفتاوي الحديثية/ ٨٦: (عبد خذله الله وأضلّه وأعماه وأصمّه وأذلّه)، وبذلك صرّح الأئمّة الذين بيّنوا فساد أحواله، وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الإجتهاد أبي الحسن السبكي وولده

التاج والشيخ الإمام العز ابن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية، ولم يقصر اعتراضه على متأخّري الصوفية، بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب عليه السلام . ثم قال ابن حجر:

والحاصل: أن لا يقام لكلامه وزن، بل يُرمى في كل وعر وحزن، ويعتقد فيه أنّه مبتدع ضال مضلّ غال عامله الله بعدله، وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله . آمين[١].

ثم استمر ابن تيمية متابعاً تضليله فذكر ما صنّفه الحاكم الحسكاني في (تصحيح ردّ الشمس وترغيم النواصب الشُمس)، وأخذ يذكر من تلك المسألة ما شاء له الهوى متلاعباً في نقله، ومتابعاً لذلك في نقده بما لا طائل معه، ولولا خوف الإطالة لذكرت جميع ذلك، فمن شاء فليرجع إلى كتابه منهاج السنة ج٤ ص١٨٨ إلى ص١٩٤.

وجل ما لديه من تعقيب أخذه أقوال ابن الجوزي في كتابه الموضوعات، وقد مرّ منّا بيان حاله وحال كتابه، ورمى آخر سهم في كنانته حين قال: وقد صنّف جماعة من علماء الحديث في فضائل علي، كما صنّف الإمام أحمد، وصنّف أبو نعيم في فضائله، وذكر فيها أحاديث كثيرة ضعيفة ولم يذكر هذا، لأنّ الكذب ظاهر عليه بخلاف غيره، ثم ذكر الترمذي وأبو عمر ابن عبد البر والنسائي، وحيث لم يذكروا حديث ردّ الشمس، فهو كذب ؟ ! زه بهكذا تحقيق، ومرحاً وفرحاً بهكذا اجتهاد واستنباط!![٢].

ويبدو أنّه أحسّ بهوسه لم يبلغ في تهويشه غايته، فازداد في خزايته فعاد إلى ما قاله الحاكم الحسكاني من حكاية قول أحمد بن صالح، فذكره محرّفاً لفظه فيما نقله: (ينبغي لمن

١- نقلاً عن الغدير ٣: ٢١٧.

٢- وليكن ذكر أكثر من أربعين من الحفّاظ وأئمّة أهل العلم هذا الحديث في كتبهم يلقى في سلّة المهملات، لأنّ ابن تيمية لا يرتضيه .

كان سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء في ردّ الشمس لأنّه من علامات النبوة) هكذا في ص١٩٤ وفات الغبيّ أنّ التعليل يأبى صحّة نقله، وأنّ الصواب(لا ينبغي لمن كان... الخ) وأقبح من ذلك كله طعنه في أحمد بن صالح وفي الطحاوي الّذي نقل قول أحمد بن صالح فقال:

أحمد بن صالح رواه من الطريق الأول، ولم يجمع طرقه وألفاظه التي تدلّ من وجوه كثيرة على أنّه كذب، وتلك الطريق راويها مجهول عنده ليس معلوم الكذب عنده فلم يظهر له كذبه.

والطحاوي ليست عادته نقد الحديث كنقد أهل العلم، ولهذا روى في شرح معاني الآثار الأحاديث المختلفة .

وإنّما يرجح ما يرجحه منها في الغالب من جهة القياس الّذي رآه حجة، ويكون أكثرها مجروحاً من جهة الإسناد لا يثبت ولا يتعرض لذلك، فإنّه لم تكن معرفته بالإسناد كمعرفة أهل العلم به، وإن كان كثير الحديث فقيهاً عالماً .

أقول: والآن أرى لزاماً عليّ تعريف القارئ بشيء موجز من ترجمة الطحاوي، ثم أحمد ابن صالح، ليتبيّن بنفسه كذب ابن تيمية في نقده لهذين العلَمَين .

أولاً الطحاوي من هو؟[1] هو الإمام المجتهد الحافظ المؤرخ النسابة أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، ولد بطحا الاشمونين بالصعيد الأدنى كما ذكره ياقوت في المشترك، وميلاده سنة ٢٢٩ على الصحيح... والطحاوي يشارك مسلماً في الرواية عن يونس بن عبد الأعلى، كما شارك أبا داود وابن ماجة والنسائي في الرواية عن هارون بن سعيد الأيلي... .

١- نقلاً عن مقالات الكوثري: ٤٦٨ - ٤٧٤ باقتضاب، وفيها جمل الثناء عليه من ابن عبد البر، وابن عساكر، والسمعاني، وابن الجوزي، وسبطه، والذهبي، وابن كثير وغيرهم .

كان عمر الطحاوي حين مات البخاري صاحب الصحيح ٢٧ سنة، وحين مات مسلم ٣٢ سنة، وحين مات أبو داود ٤٦ سنة، وحين مات الترمذي ٥٠ سنة، وحين مات النسائي ٧٤ سنة، وحين مات ابن ماجه ٤٤ سنة، وحين مات أحمد بن حنبل ١٢ سنة، قال البدر العيني: ولا يشك منصف أنّ الطحاوي أثبت في استنباط الأحكام من القرآن ومن الأحاديث النبوية، واقعد في الفقه من غيره ممّن عاصره سناً أو شاركه راوية من أصحاب الصحاح والسنن... .

وقال العيني أيضاً: وأما الطحاوي فإنّه مجمع عليه في ثقته وديانته وأمانته وفضيلته التامة، ويده الطولى في الحديث وعلله وناسخه ومنسوخه ولم يخلفه فيها أحد، ولقد أثنى عليه السلف والخلف.

قال الكوثري: وما ذكره ابن تيمية في حقه عند توهين حديث أسماء[1]، إنّما هو مجازفة من مجازفاته، وليس أدلّ على ذلك من الإطلاع على كتبه، وما كتبه كثير من الحفّاظ في حديث أسماء يرغم ابن تيمية الّذي ألّف في أغلاطه الرجال، خاصة أبو بكر الصامت الحنبلي[2] جزءاً، وحق لمثله أن يقبع ولا يتكلّم في مثل ذلك، ولا كلام في صحة الحديث من حيث الصناعة، لكن حكمه حكم أخبار الآحاد الصحيحة في المطالب العلمية، ومعرفة الطحاوي بالعلل لا يتجاهلها إلّا من اعتلّ بعلل لا دواء لها، نسأل الله السلامة... .

١- هو حديث ردّ الشمس لعلي كرّم الله وجهه، وقد جمع أهل العلم بالحديث طرق هذا الحديث وحكموا عليه بالصحة، منهم أبو القاسم العامري، والحاكم النيسابوري، والسيوطي، ومحمد بن يوسف الصالحي، وصحّحه القاضي عيّاض، والاعتراف بصحة هذا الحديث ينافي انحراف ابن تيمية عن علي ﷺ، وتبدو على كلامه آثار بغضه إياه في كل خطوة من خطوات تحدّثه عنه (الحاوي: ٢٦) عن هامش المصدر.

٢- مع تحيزه لابن تيمية، عن هامش المصدر.

أقول: حسبنا بهذا تعريفاً للطحاوي، وبه تبيّن لنا زيغ ابن تيمية ومجازفته .

ثانياً: أحمد بن صالح المصري، قال ابن عدي في كتابه الكامل[١]: وأحمد بن صالح من حفاظ الحديث، وبخاصة حديث الحجاز ومن المشهورين بمعرفته، وحدّث عنه البخاري مع شدّة استقصائه، ومحمد بن يحيى، واعتمادهما عليه في كثير من حديث الحجاز وعلى معرفته، وحدّث عنه من الثقات واعتمدوه حفظاً وإتقاناً، وكلام ابن معين فيه تحامل، وأما سوء رأي النسائي فسمعت محمد بن هارون بن حسان البرقي يقول: هذا الخراساني ـ يعني النسائي ـ يتكلّم في أحمد بن صالح، وحضرت مجلس أحمد بن صالح وطرده من مجلسه، فحمله ذلك على أن تكلّم فيه... وأحمد بن صالح من أجلّة الناس... ولولا أنّي شرطت في كتابي هذا أن أذكر فيه كل من تكلّم فيه متكلّم، لكنت أجلّ أحمد بن صالح أن أذكره .

وحسبنا هذا تعريفاً لأحمد بن صالح وتوثيقاً، وليخسأ ابن تيمية في نقده له .

ويبقى ابن تيمية ممعناً في ضلالته وإضلاله في تفنيد حديث ردّ الشمس، فسلك سبيلاً ذي عوج فزعم التنافي بين الروايات، وهذا ما كفانا الردّ عليه الحجة المظفر، فلنقرأ ما قاله رحمه الله في كتابه دلائل الصدق .

دلائل الصدق تهتف بالحق:

لقد ذكر الحجة المظفر رحمه الله في كتابه دلائل الصدق مزاعم ابن تيمية في تنافي الروايات، فلخّصها رحمه الله وأجاب عنها نذكرها بلفظه رحمه الله اشكالاً وجواباً... قال ـ أي ابن تيمية ـ: الأمر الثالث، إنّ خصوصيات الروايات متنافية من وجوه، وهو يكشف عن كذب الواقعة:

١- الكامل ١: ١٨٣ ط دار الفكر.

الأول: دلالة بعضها على طلوع الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض، وبعضها حتى توسّطت السماء، وبعضها حتى بلغت نصف المسجد .

وهذا دالّ على أنّ ذلك بالمدينة، لأنّ المقصود مسجدها، وكثير من الأخبار يدلّ على أنّه بالصهباء في غزوة خيبر .

الثاني: انّ بعضها يدلّ على أنّ النبي ﷺ كان يوحى إليه، وبعضها كان نائماً ثم استيقظ.

الثالث: دلالة بعضها على أنّ علياً كان مشغولاً بالنبي ﷺ، وبعضها على أنّه كان مشغولاً بقسم الغنائم .

إلى غير ذلك من الخصوصيات المتنافية .

فقال الشيخ المظفر رحمه الله :

والجواب: إنّ تنافي الخصوصيات لا يوجب كذب أصل الواقعة، وإنّما يقتضي الخطأ في الخصوصيات، إذ لا ترى واقعة تكثرت طرقها إلّا واختلف النقل في خصوصياتها، حتى أنّ قصّة انشقاق القمر قد وردت ـ في الرواية التي تقدّمت عن الترمذي [1] ـ بأنّ القمر صار فرقتين على جبلين .

وفي رواية أخرى للترمذي: انشق فلقتين، فلقة من وراء الجبل وفلقة دونه[2] .

وفي صحيح البخاري: فرقة فوق الجبل وفرقة دونه [3] .

على أنّه لا تنافي بين تلك الخصوصيات، لأنّ المراد بجميع الخصوصيات في الوجه

١- سنن الترمذي ٥: ٥٧٢ حديث ٣٢٨٩ .

٢- نفس المصدر: ٣٧٠ – ٣٧١ حديث ٣٢٨٥ .

٣- صحيح البخاري ٦ : ٢٥٢ حديث ٣٢٨ .

الأول: هو رجوع الشمس إلى وقت صلاة العصر، كما صرّح به في بعض الأخبار [1]، لكن وقعت المبالغة في بعضها بأنّها توسّطت السماء [2]، والمبالغة غير عزيزة في الكلام، كما أنّ وقوع ردّ الشمس في غزوة خيبر، لا ينافي بلوغها نصف المسجد .

وأما الخصوصيات في الوجه الثاني، فلا تنافي بينها أيضاً، لصحة حمل نوم النبي ﷺ على غشية الوحي، والاستيقاظ على تسرّيه، ولذا عبّر بعض الأخبار بالاستيقاظ بعد ذكر نزول جبرئيل وتغشي الوحي للنبي ﷺ [3] .

وأما الخصوصيات في الوجه الثالث، فهي أظهر بعدم التنافي بينها، إذ لا يبعد أنّ قسم الغنائم هو الحاجة التي وقعت قبل شغل علي عليه السلام بالنبي ﷺ لا في عرضه، وعلى هذا القياس في سائر الخصوصيات التي يتوهّم تنافيها [4] .

ونضيف على ما قاله شيخنا المظفر رحمه الله فنذكر للقارئ مزيداً من شواهد الإختلاف في الخصوصيات لاختلاف الرواة، وذلك لا يعني كذب أصل الواقعة، فمن ذلك قضية الإسراء والمعراج، وهي قضية لابدّ أن يسلّم ابن تيمية بصحتها، وإلّا لم يكن مسلماً، فإنّ (الإسراء والمعراج آيتان من آيات الله الكبرى اختص بهما المولى جل جلاله فخر رسله صلوات الله وسلامه عليه (وآله) وعليهم أجمعين) .

فالأول: مسراه ﷺ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهذا ثابت بنص

١- الظاهر أنّ جميع الأخبار الواردة وليس بعضها قد صرحت بأنّ رد الشمس كان إلى وقت صلاة العصر.

٢- لم يرد لفظ (السماء) في أيّ من ألفاظ الحديث، ولعل مراده كناية عن (وسط المسجد) و (نصف المسجد) و(وقعت على الجبال) و (وقفت على الجبال) و (بيضاء نقية) كما جاءت به نصوص الروايات فلاحظ .

٣- تاريخ دمشق ٧٠: ٣٦ رقم ٩٤٠٩ .

٤- دلائل الصدق ٢: ٢٩٨ – ٢٩٩ ط الأولى و٦ : ٢١٧ ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام .

القرآن، فيكفر منكره .

وأما الثاني: فعروجه ﷺ إلى ما فوق السماوات العلى، وهذا ثابت بأحاديث صحيحة، فيعدّ منكره مبتدعاً لا كافراً[1]، إلّا أنّ الروايات في المعراج اختلفت، فمن العلماء من سلك طريق الترجيح، ومنهم من سلك طريق الجمع بينها بحملها على تعدد عروجه ﷺ حتى قال صاحب النونية الخضرية:

معراجه واقع يقظان في بدن   بآية ومشاهير ووحدان

وقوعه كان تكراراً وقد دفعوا   به تعارض ما دلّ الحديثان

وأسطورة أنّ السماوات لا تقبل الخرق والالتئام ذهبت أدراج الرياح، وإنكار المعجزات والخوارق لا يجتمع والإيمان بالنبوّة كما في دلالة الحائرين لموسى بن ميمون فيلسوف اليهود .

وقال ابن سيد الناس[2]: ذكر االسهيلي رحمه الله خلاف السلف في الإسراء هل كان يقظة أو مناماً، وحكى القولين وما يحتج به لكل قول منهما، ثم قال: وذهبت طائفة ثالثة منهم شيخنا أبو بكر بن العربي إلى تصديق المقالتين وتصحيح المذهبين، وانّ الإسراء كان مرّتين، إحداهما في نومه توطئة له وتيسيراً عليه، كما كان بدء نبوته الرؤيا الصالحة، ليسهل عليه أمر النبوة فإنّه عظيم، تضعف عنه القوى البشرية[3] .

١- لا بل كافراً، لأنّ الصلاة إنّما فرضت ليلة الإسراء في المعراج، فمن أنكر المعراج معناه أنكر فرض الصلاة وهي عمود الدين، فمن أنكرها جاحداً فهو كافر لا شك فيه .

٢- عيون الأثر ١ : ١٤٧ .

٣- قال ابن عباس: انّ رسول الله ﷺ أقام بمكة خمس عشرة سنة، سبع سنين يرى الضوء والنور ويسمع الصوت وثماني سنين يوحى إليه (طبقات ابن سعد السيرة النبوية).

وكذلك الإسراء، سهّله عليه بالرؤيا لأنّ هوله عظيم، فجاء في اليقظة على توطئة وتقدمة رفقاً من الله بعبده وتسهيلاً عليه، ورجح هذا القول أيضاً للجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك فإنّ في ألفاظها اختلافاً، وتعدّد الواقعة أقرب لوقوع جميعها، وحكى قولاً رابعاً فقال: كان الإسراء بجسده إلى بيت المقدس في اليقظة، ثم أسرى بروحه ﷺ إلى ما فوق سبع سموات، ولذلك شنّع الكفار قوله: أتيت بيت المقدس في ليلتي هذه، ولم يشنّعوا قوله فيما سوى ذلك، أ هـ[1] .

وقول البخاري: (باب كيف فرضت الصلاة ليلة الإسراء) يدلّ على أنّ الإسراء والمعراج في ليلة واحدة عنده، لأنّها إنّما فرضت ليلة المعراج اتفاقاً[2].

أرأيت أيها القارئ كيف الإختلاف في الخصوصيات لا ينفي أصل الواقعة، وقس على ما تقدّم ممّا يتعلّق بشخص النبي ﷺ بدءاً من حديث بدء النبوة، واعطف حديث الهجرة، واختم بحديث الوفاة، فكم ضمّت كتب السيرة من تفاوت في الخصوصيات مع ثبوت الواقعة، فما تشدّق به ابن تيمية من أنّ الإختلاف في الروايات يثبت كذب الواقعة، قول من لا يعقل ما يقول، أعماه الضلال وطبع على قلبه، وكان حقيقاً بما مرّ من قول ابن حجر فيه: (أن لا يقام لكلامه وزن، بل يرمي في كل وعر وحزن، ويعتقد فيه أنّه مبتدع ضال مضلّ غالٍ، عامله الله بعدله، وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله . آمين)[3].

رابعاً: ابن كثير الشامي من هو؟ وماذا قال في الحديث؟

لقد أطنب مترجموه في نضد جمل الثناء عليه، وهم كثيرون، إلا أنّهم اتفقوا على رأي

١- كما تجد تفصيل ذلك في الروض الأنف للسهيلي راجع حديث الإسراء.

٢- مقالات الكوثري : ٤١٦ .

٣- نقلاً عن الغدير ٣: ٢١٧ ط دار الكتب الإسلامية طهران .

واحد في أنّه كانت له خصوصية بشيخه ابن تيمية، ومناضلة عنه، واتباع له في كثير من آرائه، وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق، وامتحن بسبب ذلك وأوذي[1] .

فابن العماد الحنبلي[2] قال: وأخذ عن الشيخ تقي الدين فأكثر عنه، وابن قاضي شهبة قال: كانت له خصوصية بابن تيمية، ومناضلة عنه، واتباع له في كثير من آرائه، وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق، وامتحن بسبب ذلك وأوذي، وتوفي في شعبان ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية .

وقد عرفنا من قبل ماذا كان رأي شيخه في حديث ردّ الشمس، فهو أيضاً على شاكلته، حتى أنّه لم يستح من إعلان نُصبه المعلَن في أول صفحة بدايته، كما صنع من قبل شيخه في أول منهاجه، فهو على وتيرته حتى في ذكره الصلاة البتراء، فالشيخ قد ابتدأ منهاجه بعد الحمد والثناء، وذكر النبي ﷺ فقال: (صلّى الله عليه أفضل صلاة وأكمل تسليم) فلم يذكر الآل كما لم يذكر غيرهم من الصحابة، لكن التلميذ زاد في الطنبور نقمة، فقد افتتح كتابه البداية والنهاية بالحمد والثناء إلى أن قال في ذكر النبي ﷺ:

(صلّى الله عليه وعلى سائر إخوانه من النبيين والمرسلين، وشرف وكرم أزكى صلاة وتسليم، وأعلى تشريف وتكريم، ورضي الله عن جميع أصحابه الغر الكرام، والسادة النجباء الأعلام، خلاصة العالم بعد الأنبياء، ما اختلط الظلام بالضياء...) فهو ترضّى عن جميع الأصحاب ولم يذكر الآل بشيء، على أنّ في الأصحاب من لا يسوى شروى نقير

١- راجع أنباء الغمر١: ٣٩، والدرر الكامنة ١: ٣٧٧ ط حيدر آباد، وذيل تذكرة الحفّاظ ٥٧: ٣٦١، وشذرات الذهب ٦: ٢٣١، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، وطبقات المفسّرين للداوودي ١: ١١٠، والنجوم الزاهرة ١١: ١٢٣، وطبقات الحفّاظ للسيوطي وغيرها وغيرها .

٢- شذرات الذهب ٦: ٢٣١.

كالمنافقين والفاسقين الذين ندّدت بهم آيات الذكر الحكيم.

وليت ابن كثير كان كأُستاذه الآخر ابن قيم الجوزية، وهو أيضاً مثله معدود من تلاميذ ابن تيمية بل أظهر تلامذته حتى قال ابن حجر: (... وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ذلك، وهو الّذي هذّب كتبه ونشر علمه، واعتقل معه بالقلعة، فلما مات أفرج عنه...) إلى غير ذلك من أقوال يطول المقام بشرحها، فهو أيضاً ممّن ناقش في حديث ردّ الشمس في كتابه (المنار المنيف في الصحيح والضعيف) ولكنّه لم يبخس الآل حقهم في الصلاة عليهم في بداية كتابه أعلام الموقعين فقال: (فصلّى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله والصالحون من عباده عليه وآله كما وحّد الله وعرّف به ودعا إليه وسلّم تسليما) ج١ / ٦ ط دار الأرقم بيروت سنة ١٤١٨.

بل ذكر في ج٢ / ٥٢٦ فقال: وسئل ﷺ عن كيفية الصلاة عليه فقال: قولوا: (اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد) متفق عليه.

ومهما يكن من تفاوت الحال بين ابن كثير وبين أُستاذيه ابن تيمية وابن قيم الجوزية، فقد غلب عليه هواه مثلهما على تفاوت ما بينهما كما بيّنت، وناقش حديث ردّ الشمس فقال في ج٦ / ٧٧:

فأما حديث ردّ الشمس بعد مغيبها فقد أنبأني شيخنا المسند فذكر ابن عساكر... وساق الحديث بأسانيده في ذكر ما قاله هو فيه من تعقيب عليه، وما قاله ابن الجوزي وغيره، وحكى قول الحافظ ابن ناصر البغدادي: هذا الحديث موضوع، ثم قال: قال

شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي، وصدق ابن ناصر[1] وذكر عن ابن الجوزي ما قاله في رواية ابن مردويه للحديث بسنده عن أبي هريرة من مناقشة مرّت الإشارة إليه ثم قال ابن كثير: هذا الحديث ضعيف ومنكر من جميع طرقه، فلا تخلو واحدة منها عن شيعي ومجهول الحال وشيعي ومتروك، ومثل هذا الحديث لا يقبل فيه خبر واحد إذا اتصل سنده، لأنّه من باب ما تتوفّر الدواعي على نقله، فلابدّ من نقله بالتواتر والاستفاضة لا أقل من ذلك (؟) ثم قال:

ونحن لا ننكر هذا في قدرة الله تعالى، وبالنسبة إلى جناب رسول ﷺ فقد ثبت في الصحيح أنّها ردّت ليوشع بن نون، وذلك يوم حاصر بيت المقدس... ورسول الله ﷺ أعظم جاهاً، وأجلّ منصباً، وأعلى قدراً من يوشع بن نون، بل من سائر الأنبياء على الإطلاق.

ولكن لا نقول إلّا ما صحّ عندنا (عنه) ولا نسند إليه ما ليس بصحيح، ولو صحّ لكنّا من أول القائلين به، والمعتقدين له، وبالله المستعان.

١- من الغريب أن ينسب هذا إلى الذهبي في تصديقه قول ابن ناصر، مع أنّ الذهبي ذكر في ترجمته في تذكرة الحفّاظ ٤: ١٢٨٩ في مناقشة قول ابن الجوزي الحنبلي في الدفاع عن ابن ناصر الّذي قال فيه السمعاني: كان يحب أن يقع في الناس، فرد عليه ابن الجوزي، فقال الذهبي: ولا ريب أنّ ابن ناصر متعصّب في الحط على بعض الشيوخ فدع الانتصار، وحكى الذهبي قول السلفي في ابن ناصر وهو شافعي أشعري: ثم انتقل إلى مذهب أحمد في الأصول والفروع ومات عليه، وساق الذهبي كيفية انتقاله من مذهب الشافعي إلى مذهب الحنابلة بسبب رؤيا رآها فقصّها على أمه ثم على شيخه فأولها له بتغيير مذهبه، وذلك في رمضان سنة ٩٣، وختم الترجمة برؤيا أُخرى لمن رآه بعد موته أنّ الله غفر له ولعشرة من أصحاب الحديث في زمانه لأنّه رئيسهم، وهكذا تبقى أضغاث الأحلام في تاريخ المحدثين الأعلام عليها المعوّل يا سلام وبها مسك الختام . ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ المطففين ٤ ـ ٥ .

أقول: ونحن من حقنا أن نسأل ابن كثير، وأتباعه الناصبين من حاملي الهويّة، ما رأيكم في بعثة الرسول الكريمﷺ التي لا شك لمسلم فيها مكاناً، وأنّها كانت بمكة وعمره يومئذٍ أربعون سنة، فما بال الصحابة الكرام لم يتفقوا على جوانب مهمّة من سيرته العطرة، ممّا ينبغي نقله بالتواتر والاستفاضة لا أقل من ذلك كما قال ابن كثير.

ولئلا يطول المقام نذكر للقارئ شاهداً واحداً عن جانب واحد فقط، وعن صحابي واحد، وعنه تابعي واحد، وذلك في مصدر واحد لا يسع ابن كثير ولا أشياعه التطاول عليه، أو تناوله بالنقد، وذلك المصدر هو مسند أحمد، ومع ذلك التفاوت فيما لا ينبغي الإختلاف فيه، كيف يكون حال ما يروونه في أمير المؤمنينعليه السلام.

ماذا هو الشاهد ؟

هو ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده في (مسند ابن عباس ج٤) بتحقيق أحمد محمد شاكر:

١- في صفحة ١٢٨بتسلسل ٢٣٩٩ قال: حدّثنا حسن بن موسى، قال: حدّثنا حماد بن سلمة عن عمار ابن أبي عمار عن ابن عباس أنّ رسول اللهﷺ أقام بمكة خمس عشرة سنة، ثمان سنين أو سبعاً يرى الضوء ويسمع الصوت، وثمانياً أو سبعاً يُوحى إليه، وأقام بالمدينة عشراً[1].

٢- وأخرج أحمد أيضاً في صفحة ١٨٠ بتسلسل ٢٥٢٣ قال: حدّثنا عفّان، حدّثنا حماد بن سلمة، أخبرنا عمار ابن أبي عمار عن ابن عباس قال: أقام النبيﷺ بمكة خمس عشرة سنة، سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت، وثمان سنين يُوحى إليه، وأقام بالمدينة

١- قال شاكر: إسناده صحيح وانظر ٢٢٤٢.

عشر سنين[١] .

٣- وأخرج في صفحة ٢٣٦ بتسلسل ٢٦٨٠ قال: حدّثنا حسن، حدّثنا حماد بن سلمة، عن عمار ابن أبي عمار، عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ أقام بمكة خمس عشرة سنة، ثمان سنين أو سبعاً يرى الضوء ويسمع الصوت، وثمانياً أو سبعاً يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشراً[٢] .

٤- وأخرج في صفحة ٢٢٣ بتسلسل ٢٦٤٠ قال: حدّثنا عفان، حدّثنا يزيد بن زُريع، حدّثنا يونس، عن عمار مولى بني هاشم، قال: سألت ابن عباس: كم أتى لرسول الله ﷺ يوم مات؟ قال: ما كنت أرى مثلك في قومه يخفى عليك ذلك ؟ قال: قلت: إنّي قد سألت فاختلف عليَّ، فأحببت أن أعلم قولك فيه، قال: أتحسب ؟ قلت: نعم، قال: أمسك، أربعين بُعث لها، وخمس عشرة أقام بمكة يأمنُ ويخاف، وعشر مهاجراً بالمدينة[٣] .

أقول: فليقارن القارئ بين صور هذا الحديث الواحد المروي في مصدر واحد، عن تابعي واحد، عن صحابي واحد ليرى التفاوت في النقل، ففي الصورة الأولى والثالثة وسندهما واحد من أحمد إلى آخره نقرأ الترديد في سني الإقامة بمكة قبل الوحي وبعده (ثمان سنين أو سبعاً) يرى الضوء ويسمع الصوت، وثمانياً أو سبعاً يوحى إليه .

١- قال شاكر: إسناده صحيح وهو مكرر ٢٣٩٩ .

٢- قال شاكر: إسناده صحيح وهو مكرر: ٢٣٩٩، ٢٥٢٣، وهو في تاريخ ابن كثير ٥: ٢٥٨ وقال: (رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به) وانظر ٢٦٤٢.

٣- قال شاكر: إسناده صحيح، والحديث نقله ابن كثير في التاريخ ٥: ٢٥٨ - ٢٥٩ عن هذا الموضع وقال: (وهكذا رواه مسلم من حديث يزيد بن زريع وشعبة بن الحجاج، كلاهما عن يونس بن عبيد عن عمار عن ابن عباس بنحوه) وانظر ٢٢٤٢، ٢٣٩٩، وانظر أيضاً ١٨٤٦، وما أشرنا إليه من الأحاديث هناك (مهاجراً) في ج (مهاجرة) وأثبتنا ما في ك وابن كثير .

وفي الصورتين الثانية والرابعة تفاوتاً في الألفاظ خصوصاً في الرابعة، بينما الحديث بصوره هو حديث واحد وعن تابعي واحد عن صحابي واحد، فلماذا الإختلاف وتوفّر الدواعي على حفظه تستدعي ضبطه؟

ولو أغمضنا عن هذه الصور، ورجعنا إلى ما أشار إليه المحقق شاكر في الهوامش بقوله انظر (٢٢٤٢) نجد أحمد يروي بسنده عن عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل على النبيﷺ وهو ابن أربعين، وكان بمكة ثلاث عشرة وبالمدينة عشراً، فمات وهو ابن ثلاث وستين[1].

وحديث عكرمة هذا أيضاً لم يسلم من الإختلاف فقد سبق لأحمد في روايته ج٣ صفحة ٣١٧ بتسلسل ٢٠١٧ بسنده عن عكرمة عن ابن عباس: أنزل على النبيﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين، فمكث بمكة عشراً وبالمدينة عشراً، وقبض وهو ابن ثلاث وستين.

وأدهى من ذلك ما رواه أحمد في سنده أيضاً في ج٤ / ٢٤٤ بتسلسل ٢٦٩٦ بسنده عن أبي سلمة عن عائشة وابن عباس: أنّ رسول اللهﷺ لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشراً[2].

هذا جانب واحد من سيرة الرسولﷺ العطرة، أرأيتم كيف تفاوتت روايات المحدّثين المهرة، وقد روى بعضها ابن كثير في أخبار السيرة، فهل نمّ على ما فيها من تفاوت(؟) وهل لفت نظر ما في خبر عائشة وابن عباس: أنّ رسول اللهﷺ لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشراً، وهذا يعني أنّ النبيﷺ مات وعمره ستون سنة،

١- قال شاكر: إسناده صحيح وهو مكرر ٢٠١٧، وسبقت الإشارة إليه ١٨٤٦.

٢- قال شاكر: إسناده صحيح... والحديث في تاريخ ابن كثير ٥: ٢٥٧ أنّه رواه البخاري عن أبي نعيم عن شيبان قال: ولم يخرّجه مسلم ....

لأنّه بعث وهو ابن أربعين، وهذا خلاف ما عليه إجماع المسلمين، ولو أردت الإفاضة في أمثال هذا لاحتجت إلى كتابة مجلدات في ذلك، وكم في فوات المحقّقين وهفوات المحدّثين من شواهد مليئة بالفوائد.

ولنعد إلى ابن كثير ولنقرأ ماذا بعدُ لديه في تكذيب حديث ردّ الشمس، قال في ج٦/ ٧٩:

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن حاتم بن زنجويه البخاري في كتابه(إثبات إمامة أبي بكر الصديق) فإن قال قائل من الروافض: إنّ أفضل فضيلة لأبي الحسن وأدلّ (دليل) على إمامته ما روي عن أسماء بنت عميس قالت: كان رسول الله ﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي بن أبي طالب - ثم ساق الحديث إلى قولها: ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت - .

قيل له: كيف لنا لو صحّ هذا الحديث فنحتج على مخالفينا من اليهود والنصارى(؟) ولكن الحديث ضعيف جداً لا أصل له(؟) وهذا ممّا كسبت أيدي الروافض(؟) ولو ردّت الشمس بعد ما غربت رآها المؤمن والكافر، ونقلوا إلينا في يوم كذا من شهر كذا في سنة كذا ردّت الشمس بعد ما غربت(؟).

ثم يقال للروافض: أيجوز أن تردّ الشمس لأبي الحسن حين فاتته صلاة العصر، ولا تردّ لرسول الله ولجميع المهاجرين والأنصار وعليّ فيهم، حين فاتتهم صلاة الظهر والعصر والمغرب يوم الخندق(؟) قال: وأيضاً مرّة أُخرى عرّس رسول الله ﷺ بالمهاجرين والأنصار حين قفل من غزوة خيبر، فذكر نومهم عن صلاة الصبح وصلاتهم لها بعد طلوع الشمس، قال: فلم يردّ الليل على رسول الله وعلى أصحابه(؟) قال: ولو كان فضلاً أعطيه رسول الله، وما كان الله ليمنع رسوله شرفاً وفضلاً ـ يعني أعطيه علي بن أبي طالب ـ.

ثم قال: وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: قلت لمحمد بن عبيد الطنافسي: ما تقول فيمن يقول رجعت الشمس على علي بن أبي طالب حتى صلّى العصر؟ فقال: من قال

هذا فقد كذب، وقال إبراهيم بن يعقوب: سألت يعلى بن عبيد الطنافسي قلت: إنّ ناساً عندنا يقولون: إنّ علياً وصي رسول الله ﷺ ورجعت عليه الشمس، فقال: كذب هذا كله .

أقول: هذا بعض ما ذكره ابن كثير في تكذيب حديث ردّ الشمس، وقد استعان بأقوال ابن زنجويه، وأقوال الجوزجاني وسؤاله من الطنافسيَين، وقد وضعت بعض علامات الاستفهام وجعلتها بين قوسين لغرض التنبيه على سُخف القائلين المنكرين لردّ الشمس ونُصبهم، فإلى الجواب على تلك الاستفهامات قبل الإطراد بذكر جميع ما عند ابن كثير .

وقبل الجواب فلنعرّف هؤلاء الذين استعان ابن كثير بأقوالهم فنقول من هم ؟ ليعرفهم القارئ .

فأولهم الحافظ أبو بكر محمد بن حاتم بن زنجويه البخاري، صاحب كتاب (إثبات إمامة أبي بكر الصديق) ترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام[1]، فوصفه بالفقيه الفرائضي، وذكر شيوخه ومن روى عنه، وقال في آخر ترجمته: وكان إماماً في السنة.

وترجمه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق[2]، بأوسع ممّا ذكره الذهبي في ذكر الشيوخ والراوين عنه، وذكر وفاته لثمان خلون من ذي القعدة سنة ٣٥٩، وذكر عن عبد العزيز وكان إماماً في السنة .

وثانيهم: إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، وصفه الذهبي[3] بالحافظ الإمام... نزيل دمشق ومحدّثها... قال ابن عدي... وكان يتحامل على علي‌ﷺ، وقال الدارقطني... وفيه

١- تاريخ الإسلام ٢٦: ١٩٦ ط دار الكتاب العربي سنة ١٤٠٧ بتحقيق د. عمر عبد السلام تدمري.

٢- تاريخ دمشق ٥٢: ٢٤١ ط دار الفكر بيروت سنة ١٤١٥ تحـ علي شيري.

٣- تذكرة الحفّاظ ٢: ٥٤٩ ط حيدرآباد.

انحراف عن علي، وذكره ابن حبّان في الثقات وقال: كان حروري المذهب ولم يكن بداعية، وكان صلباً في السنـّة حافظاً للحديث، إلاّ أنّه من صلابته ربما كان يتعدى طوره (؟).

وقال ابن عدي: كان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق في الميل على علي، اجتمع على بابه أصحاب الحديث فأخرجت جارية له فرّوجة لتـذبحها فلـم تجـد مـن يـذبحها فقـال: سبحان الله فرّوجة لا يوجد من يذبحها وعلي يذبح في ضحوة نيّفاً وعشرين ألـف مـسلم. قال ابن حجر: وكتابه في الضعفاء يوضح مقالته. ثم قال: ورأيت في نسخة من كتـاب ابـن حبان حريزي المذهب ـ وهو بفتح الحاء المهملة وكسر الراء وبعد الياء زاي ـ نسبة إلى حريز بن عثمان المعروف بالنـُصب، وكلام ابن عدي يؤيّد هذا... .

أقول: وحريز بن عثمان المشار إليه هو من رجال البخاري والأربعة، وتوثيقه من أحمد بن حنبل وغيره كثير، ومع ذلك فقد بلغ من نصبه كان يقول: لا أحـب عليّـاً قتـل آبـائي، وكان يقول: لنا إمامنا ولكم إمامكم، وعنه تكذيب حديث المنزلة، وأنّ لفظه إنّما أنت منّـي بمنزلة قارون من موسى، فسئل عمّن ترويه؟ قال: سمعت الوليد ابـن عبـد الملـك يقولـه وهو على المنبر[1].

فهذا حريز وهذا مذهبه، والجوزجاني على مذهبه، فـما ظنـك بـما يرويـه الـرواة مـن حديث ردّ الشمس كيف يؤمل أن يصدّقه الجوزجاني، أضف إلى ذلـك معرفـة مـن حكـى تكذيب الحديث عنهما وهما:

محمد بن عبيد الطنافسي حسبنا قول ابن سعد فيه: ثقة كثير الحـديث صـاحب سنـّة، أتدرون ما هي السنـّة؟ يعني كان عثمانياً يقدم عثمان على علي، قـال الـذهبي[2]: وكـان ممّـن

١- راجع مخازيه في تهذيب التهذيب ٢٠: ٢٣٨ - ٢٤٠.

٢- تذكرة الحفّاظ ١/ ٣٣٣.

يقدّم عثمان، وقلّ من يذهب إلى هذا من الكوفيين، عامتهم يقدّم علياً أو يقف عند عثمان، ومع هذا يوثّقه القوم ويقولون كان يقول: خير هذه الأُمة بعد نبيّها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان. ويقول: اتقوا لا يخدعكم هؤلاء الكوفيون، أتدرون ماذا قال فيه أحمد بن حنبل؟ قال: كان محمد رجلاً صدوقاً، وكان يظهر السنّة، وكان يخطئ ولا يرجع عن خطائه[1].

فهذا حال محمد بن عبيد الّذي سأله الجوزجاني عن حديث ردّ الشمس فكذّبه، وليس أخاه يعلى بن عبيد بأحسن حالاً منه، فكلا الأخوين حالهما الخاطئة الكاذبة عاملة ناصبة .

ولنرجع البصر إلى موارد علامات الاستفهام، لنرى ماذا قال أولئك النُّصّاب اللئام، وهي:

١- قول ابن زنجويه الناصبي: فكيف لنا لو صحّ هذا الحديث فنحتج على مخالفينا من اليهود والنصارى ؟ والجواب يجده فيما احتج به أبو بكر ابن الباقلاني في مسألة انشقاق القمر، وقد تقدّم منّا ذكره، وإن كان في الإعادة إفادة إلا انّا نحيل القارئ على مراجعته، ثم نقول لابن كثير: هل هذّب تاريخه في سيرة الرسول ﷺ ممّا يفتح ثغرة أمام الأعداء، نحو ما رويته عن البيهقي عن العباس انّه قال للرسول ﷺ:

(رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه بإصبعك، فحيث أشرت إليه مال) ثم ذكرت موافقة الرسول ﷺ على ذلك، وهو حديث لم تعقّب عليه بغير قولك: (تفرّد به أحمد بن إبراهيم الحلبي وهو مجهول) فهل يغني ذلك شيئاً، وهل يصدّ عادية المستهزئين من أعداء الإسلام عن الهجوم على السيرة النبوية من باب أمثال هذا الحديث من الواهيات والموضوعات، وكم سار في سيرته شوطاً بعيداً ممتلئاً بالخرافات والأساطير، فهلا داويت

١- راجع تهذيب التهذيب ج٩ / ٣٢٨ - ٣٢٩.

جرحك يابن كثير .

لـو لم يكـن إبلـيس شـارك ناصـباً   في نـسله لم تـدع بـابن كثـير

٢- قول ابن زنجويه: ولكن الحديث ضعيف جداً لا أصل له (؟) .

وهذا موضع العجب ممّن يوصف بالعلم والأدب، ثم يحكي هذا عـن ابـن زنجويـه، فإنّ الحديث إن كان ضعيفاً فيعني له أصل، وإن كان لا أصل لـه فلـيس بـضعيف بـل هـو موضوع .

٣- قال ابن زنجويه: وهذا مما كسبت أيدي الروافض (؟) .

وأقرّه ابن كثير على ذلك إذ لم يعقّـب عليه بشيء، وقد كشف عن مبلغ حقـده لا عـن مبلغ علمه حين ذكر هذا، ثم ذكر بعد كلام لـه مـا كتبـه الحـسكاني في رسـالته (مـسألة في تصحيح ردّ الشمس وترغيم النواصب الشُمس) والحسكاني رجـل مـن الحفّـاظ الـذين ترجمهم الذهبي في تذكرة الحفّاظ، كما سيأتي مزيد تعريف عنه، فهو ليس من الـروافض ولا رجاله الذين روى عنهم من الروافض ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ .

٤- مطالبة ابن زنجويه لتصحيح الحديث رؤية المؤمن والكافر، ونقلهم ذلك في يـوم كذا في شهر كذا في سنة كذا... وهذا من الدفع بالصدر، فانشقاق القمر كذلك فهل يلغـى حديثه لأنّه لم ينقله الكافر في يوم كذا، إلى آخر ما مرّ من هذيان .

٥- قول ابن زنجويه للروافض: أيجوز أن تردّ الشمس لأبي الحسن حين فاتتـه صـلاة العصر، ولا ترد لرسول الله ﷺ ولجميع المهـاجرين والأنـصار وعـليّ فـيهم، حـين فـاتتهم صلاة الظهر والعصر والمغرب يوم الخندق، وهذا مرّ الجواب عنه في الـردّ عـلى ابـن تيميـة فراجع.

٦- ثم قال: وأيضاً مرة أخرى عرّس رسول الله ﷺ بالمهاجرين والأنصار حـين قفـل

من غزوة خيبر، فذكر نومهم عن صلاة الصبح... فلم يردّ الليل على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه .

وهذا محض هراء ومن قبيح الإفتراء على رسول الله ﷺ وعلى المهاجرين، إذ أنّه ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه، فكيف تفوته صلاة الصبح ؟ وما ورد من خبر في ذلك غير صحيح، حتى ولو ركّبوا له إسناداً مقبولاً، ولئلا يتهمنا من لا حريجة له في الدين بأنّا قلنا ذلك جزافاً، فسأنقل كلاماً للأُستاذ مصطفى عبد الواحد محقق السيرة النبوية لابن كثير قاله في مقدمته ج١ / ص١٥:

(فإذا تتبعنا نقول ابن كثير عن غيره وجدنا فيها ظاهرة عجيبة... .

هي: انّه يكاد لا يلتزم نصّ أيّ شيء ينقله... ! فنقوله عن ابن إسحاق أغلبها بالمعنى، وقد تتبعت ذلك في بعض الصفحات، ورأيت أنّ إثبات الفروق بين ابن كثير وابن إسحاق شيء يطول مداه، فابن كثير يقدّم ويؤخّر ويزيد ويُنقص، ويغيّر ويبدّل، ويفوت بهذا التغيير والتبديل كثير من جمال عبارة ابن إسحاق وتناسقها .

كذلك نجد روايات ابن كثير للأحاديث تختلف بعض الإختلاف عمّا في أيدي الناس من الكتب التي ينقل ابن كثير عنها... .

فأحاديث البخاري التي يرويها ابن كثير بقوله: (وقال البخاري) لا تنطبق حرفياً مع صحيح البخاري الّذي بأيدينا... .

كذلك القول في روايته عن صحيح مسلم، وعن مسند أحمد، وعن دلائل النبوة لأبي نعيم، وعن دلائل النبوة للبيهقي، وعن الشفا للقاضي عياض، وعن الروض الأنف للسهيلي... تكاد لا تجد خبراً مطابقاً بحروفه لما في الكتب المتداولة، فلا يخلو الأمر من تغيير أو نقص أو اختصار... .

وحين نقف أمام هذه الظاهرة نبحث عن أسبابها فإنّ هناك أحد احتمالين:

١- إما أن يكون ابن كثير ـ وهو الإمام الحافظ المتقن ـ كان يعتمد على حفظه وروايته، ولا ينقل عن النسخ المتداولة .

٢- وإما أنّه كانت هناك نسخ أخرى تختلف عمّا وصل إلينا من هذه الكتب .

وعلى كل فإنّ مثل ابن كثير حجة في باب الحديث، ولكنها على أيّ حال ظاهرة تستلفت النظر أن تكون روايات ابن كثير للأحاديث ونقوله عن الكتب مخالفة لما في أيدينا من هذه الكتب... وهي مخالفة لفظية يسيرة في بعض الأحيان) انتهى ما قاله الشاهد من أهله، وهو المستخرج لسيرته من كتاب تاريخه فهي من فعله، والفرع مرتهن بأصله .

وقبل أن أنهي الكلام مع ابن كثير فيما ذكرناه، فإنّه ساق ما كتبه الحسكاني في (مسألة في تصحيح ردّ الشمس وترغيم النواصب الشُمس) وتلاعب في النقل والتحوير، وختم ذلك بقوله: قلت: والأئمة في كل عصر ينكرون صحّة هذا الحديث، ويردّونه ويبالغون في التشنيع على رواته كما قدّمنا عن غير واحد من الحفّاظ، كمحمد ويعلى بن عبيد الطنافسيين، وكإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني خطيب دمشق، وكأبي بكر محمد بن حاتم البخاري المعروف بابن زنجويه، وكالحافظ أبي القاسم ابن عساكر، والشيخ أبي الفرج ابن الجوزي، وغيرهم من المتقدّمين والمتأخّرين.

وممّن صرّح بأنّه موضوع شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي، والعلامة أبو العباس بن تيمية، ثم ذكر قول ابن المديني خمسة أحاديث يروونها لا أصل لها وعدّ منها حديث ردّ الشمس، وهذا تقدم منّا تعريفه وتكذيبه.

ثم قال ابن كثير: والطحاوي رحمه الله وإن كان قد اشتبه عليه أمره، فقد روى عن أبي حنيفة رحمه الله إنكاره والتهكم بمن رواه، قال: أبو العباس بن عقدة، ثنا جعفر بن محمد بن

عمير، ثنا سليمان بن عباد، سمعت بشار بن ذراع قال: لقي أبو حنيفة محمد بن النعمان فقال: عمّن رويت حديث ردّ الشمس؟ فقال: عن غير الّذي رويت عنه يا سارية الجبل.

فهذا أبو حنيفة رحمه الله وهو من الأئمة المعتبرين، وهو كوفي لا يتهم على حب علي بن أبي طالب وتفضيله بما فضّله الله به ورسوله، وهو مع هذا ينكر على راويه، وقول محمد بن النعمان له ليس بجواب، بل مجرّد معارضة بما لا يجدي، أي أنا رويت في فضل علي هذا الحديث، وهو وإن كان مستغرباً فهو في الغرابة نظير ما رويته أنت في فضل عمر بن الخطاب في قوله: يا سارية الجبل، وهذا ليس بصحيح من محمد بن النعمان، فإنّ هذا ليس كهذا إسناداً ولا متناً .

وأين مكاشفة إمام (قد شهد الشارع له بأنّه محدّث) بأمر خير من ردّ الشمس طالعة بعد مغيبها الّذي هو أكبر علامات الساعة (؟) والّذي وقع ليوشع بن نون ليس رداً للشمس عليه، بل حُبست ساعة قبل غروبها بمعنى تباطأت في سيرها حتى أمكنهم الفتح، والله تعالى أعلم .

أقول: ولنقف وقفة عابرة عند تعقيبه على ما ذكره الحسكاني في رسالته، فكان منه ذكر جماعة من النواصب المنكرين للحديث، وقد تقدّم التعريف بهم جميعاً، فلا طائل في الحديث عنهم.

وأما ما ذكره عن الطحاوي وأنّه قد اشتبه عليه أمره ؟ وليتني أدري من أين بدا له اشتباه الأمر عليه، وسيأتي عن الطحاوي إصراره على صحّة الحديث، وإنّي في حيرة من أمر هذا الإنسان الّذي لا يستحي من الكذب.

فأمّا ما ذكره عن أبي حنيفة ومحمد بن النعمان، فليس كما نقل، بل الواقعة كما في لسان

الميزان لابن حجر[1]: ووقعت له مناظرة مع أبي حنيفة في شيء يتعلّق بفضائل علي، سمّي فيها محمد بن النعمان نسبة إلى جده، فقال أبو حنيفة كالمنكر عليه: عن من رويت حديث ردّ الشمس لعلي؟ فقال عن من رويت أنت عنه: يا سارية الجبل[2].

بينما ذكر ابن كثير أنّه قال له: عن غير الّذي رويت عنه يا سارية الجبل، وقد مرّ عن محقق كتاب السيرة النبوية الّذي استخرجه من البداية والنهاية، أنّ ابن كثير يغيّر ويبدّل وليس بمأمون في النقل.

ومهما يكن فإنّ خبر يا سارية الجبل لم يثبت، وحبّذا لو كان له سند صحيح أو مقبول، ولكن الخبر روي عن طريق سيف بن عمر الّذي قال عنه ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات، وقال: قالوا انّه كان يضع الحديث واتهم بالزندقة، وقال الحاكم: اتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط، وقال ابن عدي: بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكرة[3] .

فهل يُقبل الإحتجاج بمرويات إنسان كهذا ؟ وختام الكلام في المقام مع الأبناء الثمانية وأتباعهم، لا نريد منهم أن يتركوا أئمتهم ومذاهبهم ويتبّعوا ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى

١- لسان الميزان لابن حجر ٥: ٣٠١ ط حيدر آباد.

٢- وله كتاب مناظرات مع أبي حنيفة ذكره الطوسي في الفهرست، ومن نوادر مناظراته مع أبي حنيفة ما ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه ١٣: ٤٠٩ - ٤١٠ قال: كان أبو حنيفة يتهم شيطان الطاق بالرجعة، وكان شيطان الطاق يتهم أبا حنيفة بالتناسخ، قال: فخرج أبو حنيفة يوماً إلى السوق فاستقبله شيطان الطاق ومعه ثوب يريد بيعه، فقال له أبو حنيفة: أتبيع هذا الثوب إلى رجوع علي؟ فقال: إن أعطيتني كفيلاً أن لا تمسخ قرداً بعتك، فبهت أبو حنيفة .

قال: ولما مات جعفر بن محمد، التقى هو وأبو حنيفة، فقال له أبو حنيفة: أما أمامك فقد مات، فقال له شيطان الطاق: أما إمامك فمن المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم .

٣- ميزان الإعتدال، وتهذيب التهذيب في ترجمته .

شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلا﴾[1]، ولكن نريدهم أن يكونوا منصفين مع أنفسهم وأتباعهم قبل أن ينصفونا إن كانوا مهتدين، فلينظروا علياً كما ينظرون من تقدّمه في الحكم، فسموهم جميعاً بالخلفاء الراشدين، ولا يمنعونه ما يعطونه لسائر الصحابة من المنزلة والحصانة . مع ما فضّله الله ورسوله به عليهم.

فهم حين يتولّون أبا بكر وعمر وعثمان، ويتبرأون من أعدائهم كائناً من كان، حتى إذا صاروا إلى علي اختلفت الموازين، فقالوا نحبّه ولا نتبرأ من أعدائه، بل ونوثّق مَن كان يبرأ منه ويسبّه علانية، لأنّه كان إماماً في السنة، وكان صلباً في السنة، أو صاحب سنة، كما مرّت هذه كلها في تراجم النواصب الذين اعتمدهم ابن كثير في تفنيد حديث ردّ الشمس.

ثم ما ساقه ممّا جرى بين أبي حنيفة وبين محمد بن علي بن النعمان (مؤمن الطاق = شيطان الطاق) وسخرية الثاني بالأول حين سأله عمّن رويت حديث ردّ الشمس فقال: عمن رويت أنت عنه يا سارية الجبل، فانقطع أبو حنيفة عن الردّ عليه، فتنطع ابن كثير الكثير في التفسير مع التغيير، وفاته أنّ ما قاله محمد بن النعمان ليس مقايساً بين حديث ردّ الشمس وبين خبر يا سارية الجبل في الثبوت وعدمه، بل كان ساخراً من أبي حنيفة الّذي لم يستطع الردّ عليه ومناقشته في ذلك.

ولعلّ أبا حنيفة أدرك بقوة الصفعة التي تلقّاها أنّ ابن النعمان سخر منه إذ قايسه على مذهبه في القياس فهزأ به، إذ لا قياس بين حديث ردّ الشمس الّذي فيه دعاء الرسول ﷺ أن يردّها، فردّت ببركة دعائه لكرامته ﷺ على ربّه تعالى، ورواه الحفّاظ وصحّحوه، وبين خبر مداره على سيف بن عمر، فاقرؤوا عنه ما تيسّر .

١- الإسراء: ٨٤.

قال ابن كثير في البداية والنهاية[1]: (فتح فساودار أبجرد وقصة سارية بن زنيم).

ذكر سيف عن مشايخه أنّ سارية بن زنيم قصد فساودار أبجرد، فاجتمع له جموع ـ من الفرس والأكراد ـ عظيمة، ودهم المسلمين منهم أمر عظيم وجمع كثير، فرأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم في وقت من النهار، وأنّهم في صحراء وهناك جبل إن أسندوا إليه لم يؤتوا إلّا من وجه واحد، فنادى من الغد الصلاة جامعة، حتى إذا كانت الساعة التي رأى أنّهم اجتمعوا فيها، خرج إلى الناس وصعد المنبر، فخطب الناس وأخبرهم بصفة ما رأى، ثم قال: يا سارية الجبل الجبل، ثم أقبل عليهم وقال: إنّ لله جنوداً ولعل بعضها أن يبلغهم . قال: ففعلوا ما قال عمر، فنصرهم الله على عدوهم، وفتحوا البلد وغنموا شيئاً كثيراً.

فكان من جملة ذلك سفط من جوهر، فاستوهبه سارية من المسلمين لعمر، فلما وصل إليه مع الأخماس قدم الرسول بالخمس، فوجد عمر قائماً في يده عصا وهو يطعم المسلمين سماطهم، فلما رآه عمر قال له: اجلس ـ ولم يعرفه ـ، فجلس الرجل فأكل مع الناس، فلما فرغوا انطلق عمر إلى منزله واتبعه الرجل، فاستأذن فأذن له، وإذا هو قد وضع له خبز وزيت وملح، فقال: ادن فكل.

قال: فجلست فجعل يقول لامرأته: ألا تخرجين يا هذه فتأكلين؟ فقالت: إنّي أسمع حسّ رجل عندك، فقال: أجل، فقالت: لو أردت أن أبرز للرجال اشتريت لي غير هذه الكسوة. فقال: أو ما ترضين أن يقال أم كلثوم بنت علي وامرأة عمر، فقالت: ما أقلّ غناء ذلك عنّي.

١- البداية والنهاية ٧ : ١٣٠.

ثم قال للرجل: ادن فكل، فلو كانت راضية لكان أطيب مما ترى، فأكلا فلما فرغا قال: أنا رسول سارية بن زنيم يا أمير المؤمنين . فقال: مرحباً وأهلاً . ثم أدناه حتى مست ركبتُه ركبتَه، ثم سأله عن المسلمين، ثم سأله عن سارية بن زنيم، فأخبره ثم ذكر له شأن السفط من الجوهر، فأبى أن يقبله وأمر برده إلى الجند . وقد سأل أهل المدينة رسول سارية عن الفتح فأخبرهم، فسألوه: هل سمعوا صوتاً يوم الوقعة، قال: نعم، سمعنا قائلاً يقول: يا سارية الجبل، وقد كدنا نهلك فلجأنا إليه ففتح الله علينا.

ثم رواه سيف عن مجالد عن الشعبي بنحو هذا . قال عبد الله بن وهب عن يحيى بن أيوب، عن ابن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر أنّ عمر وجّه جيشاً ورأس عليهم رجلاً يقال له سارية، قال: فبينما عمر يخطب فجعل ينادي: يا ساري الجبل يا ساري الجبل ثلاثاً. ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر، فقال: يا أمير المؤمنين هزمنا فبينما نحن كذلك إذ سمعنا منادياً: يا سارية الجبل ثلاثاً، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله . قال: فقيل لعمر: إنّك كنت تصيح بذلك، وهذا إسناد جيد حسن .

وقال الواقدي: حدّثني نافع بن أبي نعيم، عن نافع مولى ابن عمر أنّ عمر قال على المنبر: يا سارية ابن زنيم الجبل، فلم يدر الناس ما يقول حتى قدم سارية بن زنيم المدينة على عمر، فقال: يا أمير المؤمنين كنّا محاصري العدو فكنّا نقيم الأيام لا يخرج علينا منهم أحد، نحن في خفض من الأرض وهم في حصن عال، فسمعت صائحاً ينادي بكذا وكذا يا سارية بن زنيم الجبل، فعلوت بأصحابي الجبل، فما كان إلا ساعة حتى فتح الله علينا.

وقد رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر بنحوه، وفي صحته من حديث مالك نظر .

وقال الواقدي: حدّثني أسامة بن زيد عن أسلم عن أبيه، وأبو سليمان عن يعقوب بن

زيد قالا: خرج عمر بن الخطاب يوم الجمعة إلى الصلاة، فصعد المنبر ثم صاح: يا سارية بن زنيم الجبل، يا سارية بن زنيم الجبل، ظلم من استرعى الذئب الغنم، ثم خطب حتى فرغ، فجاء كتاب سارية إلى عمر: إنّ الله قد فتح علينا يوم الجمعة ساعة كذا وكذا ـ لتلك الساعة التي خرج فيها عمر فتكلّم على المنبر ـ قال سارية: فسمعت صوتاً يا سارية بن زنيم الجبل، يا سارية بن زنيم الجبل، ظلم من استرعى الذئب الغنم، فعلوت بأصحابي الجبل، ونحن قبل ذلك في بطن واد، ونحن محاصروا العدو ففتح الله علينا، فقيل لعمر بن الخطاب: ما ذلك الكلام ؟ فقال: والله ما ألقيت له إلا بشيء ألقي على لساني . فهذه طرق يشدّ بعضها بعضاً .

بيان الخلل في قصة يا سارية الجبل:

لقد مرّت بنا صور لروايات القصة، وهي صور متهاوية سنداً، ومتنافية دلالة ومع ذلك قال عنها ابن كثير: فهذه طرق يشدّ بعضها بعضاً، فلا مناص لنا من بيان ما قلناه من تهاوي إسنادها، وتنافي متونها لنثبت للقارئ أنّ الهوى هو مصدر التعريف والتنكير عند ابن كثير، والآن نستعرض الصور كما رواها ابن كثير من ناحيتين:

الأُولى من ناحية السند فنقول: ذكر ابن كثير في البداية ثلاثة أخبار على النحو التالي:

الخبر الأول (ذكر سيف عن مشايخه)؟ فمن هم أولئك المشايخ الذين هم في بطون الأرحام، فلم يفصح بأسمائهم لنتعرّف أخبارهم في تراجم الأعلام .

الخبر الثاني: (ذكر سيف في رواية أخرى عن شيوخه)؟ وهذا كسابقه في جهالة الشيوخ .

الخبر الثالث: (ثم رواه سيف عن مجالد عن الشعبي بنحو هذا) فهذا الخبر سمى سيف شيخه مجالد، وهو عن الشعبي، فلنقرأ بعض ما قيل عنهم ممّا يكفي في تعريفهم،

ومن ثمّ نتبيّن كيف استحوذ الهوى المردي على ابن كثير فروى عنهم:

١- فمن هو سيف ؟ هو سيف بن عمر، وما أدراكم من هو ذلك السيف الكهام الّذي شهره ابن كثير في المقام، قال عنه ابن حجر[١]: وضّاع ليس بشيء، عامة حديثه منكر، اتهم بالزندقة .

وقال ابن عدي[٢] بعد أن ذكر عنه بعض الأحاديث المنكرة: ولسيفْ بن عمر أحاديث غير ما ذكرت، وبعض أحاديثه مشهورة، وعامتها منكرة لم يتابع عليها، وهو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق .

وفي رأي ابن حبان متروك بالاتفاق ومتهم بالزندقة، وسئل يحيى بن معين عنه فقال: فليس خيراً منه، يعني لا يأتي خيراً منه، فلا خير فيه، وذكره العقيلي في كتابه الضعفاء الكبير[٣].

٢- مجالد، قال ابن حجر في ترجمته في تهذيب التهذيب: ابن سعيد بن عمير بن بسطام... الهمداني روى عن الشعبي... قال البخاري كان يحيى بن سعيد يضعّفه، وكان ابن مهدي لا يروي عنه، وكان أحمد لا يراه شيئاً، وقال عمرو بن علي: سمعت يحيى بن سعيد يقول لبعض أصحابه: أين تذهب؟ قال: إلى وهب بن جرير أكتب السيرة عن أبيه عن مجالد، قال: تكتب كذباً كثيراً، لو شئت أن يجعلها إلى مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله فعل... وعن ابن معين: لا يحتج بحديثه... وقال ابن حبّان: لا يجوز الإحتجاج به .

٣- الشعبي، وما أدراكم من هو الشعبي ؟ هو عامر بن شراحيل... .

١- تهذيب التهذيب ٤: ٢٩٤.

٢- الكامل ٣: ٤٣٦ ط دار الفكر بيروت.

٣- الضعفاء الكبير ٢: ١٧٥ ط دار الكتب العلمية بيروت.

أما عن ما هويته فهو مؤدّب ولد عبد الملك بن مروان، وهو قاضيه في الكوفة أيام الحجاج ومن بعده، وكان جائراً في قضائه، وقد ذكرت له قضايا مجون تكفي في سقوطه، ذكره وكيع[١] وذكر مجيء الأحنف إليه فقال له: فاقض بينهما بما أراك الله، قال: لست برأي ربي أقضي، إنّما أقضي برأيي، كما ذكر الشعر الّذي شاع وذاع في الأصقاع حتى بلغ عبد الملك، وذلك في خصومة بين زوجين فتخاوصت له الزوجة ففتن بها وقضى لها، فقال الزوج عدّة أبيات أولها:

فتن الشعبي لمّا رفع الطرف إليها

ومن مجونه حضر وليمة فرأى أهلها سكوتاً، فقال: مالي أراكم كأنّكم في جنازة؟ أين الغناء؟ وأين الدفّ؟[٢] وفوق ذلك كان ناصبياً معلناً بنصبه، حتى كان يحلف بالله: لقد دخل علي حفرته وما حفظ القرآن .

قال الصاحبي في فقه اللغة: وهذا كلام شنيع جداً فيمن يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فما من آية إلاّ أعلم بليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل .

وكان كذّاباً لا يستحي من كذبه مضافاً إلى نُصبه حين قال: (لم يشهد الجمل من الصحابة إلا أربعة، فإن جاؤوا بخامس فأنا كذّاب، علي وعمار وطلحة والزبير) راجع بشأن هذا ما كتبته في كتابي علي إمام البررة[٣] ستجد أنّ الذين شهدوا الحرب مع الإمام عليه السلام من المهاجرين والأنصار أربعمائة صحابياً منهم سبعون بدريّاً، وأما من كان مع طلحة والزبير سوى عائشة فقد قتل ١٤ رجلاً معدودين من الصحابة، فعلى هذا ثبت أنّ الشعبي

١- أخبار القضاة ٢: ٤٢٢ – ٤٢٧.

٢- لطائف المعارف للثعالبي: ٢٩ ط مصر .

٣- علي إمام البررة ٢: ٣٢٣ – ٣٢٨.

من الكذّابين، فلا يجوز الأخذ بأخباره فضلاً عن أحاديثه.

لكن أتباع الأمويين من الشاميين اللاحقين كالسابقين رفعوا بضبعه، وأشادوا بذكره، مع أنّهم ذكروا فيه ما تقدّم وغيره، حتى حكوا عن إبراهيم النخعي قوله فيه: ذاك الكذّاب لم يسمع من مسروق شيئاً... .

فهذه هويّة الثلاثة الذين وردت أسماؤهم في رواية قصة سارية الجبل، فذكرها ابن كثير ولم يعقّب عليهم بشيء، ولنطوي صفحة هؤلاء الكذابين، وهم سلسلة الكذب الذين افتتح بهم ابن كثير حديثه عن (فتح فساو دارأبجرد وقصة سارية بن زنيم) .

وسنأتي في الناحية الثانية على ما في أخبارهم من تناقض عجيب وغريب، ولننظر الآن بقية الرجال الذين رووا قصة (يا سارية الجبل) وهم مجموعة ليسوا بدون من تقدّم في سوق الإعتبار، فلنقرأ عنهم ما قال أئمة الجرح والتعديل، ونذكرهم حسب ذكرهم في الأسانيد وهي أربعة:

السند الأول: (وقال عبد الله بن وهب، عن يحيى بن أيوب، عن ابن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر...).

قال ابن كثير: وهذا إسناد جيّد حسن(؟!) إنّها مكابرة وقحة ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ﴾[1].

هلمّوا معي نقرأ ما قاله في أولئك الرجال من لا يتهم عليهم، لنتبيّن كذب ابن كثير في تمشية حال السند .

فأولهم: عبد الله بن وهب، وهذا هو الفسوي، قال ابن حبان: دجّال يضع الحديث...

١- سبأ: ٢٠.

وكـأنّه اجتمع مع الجويباري واتفقا على وضع الحديث، فقلّ حديث رأيته للجويبـاري إلا رأيته لعبد الله هذا[١] .

وثانيهم: يحيى بن أيوب، وهذا هو الغافقي، قال ابـن سـعد: منكـر الحـديث، وقـال الإسماعيلي: لا يحتج به.... .

وقال أحمد: يخطئ خطأً كثيراً...، وذكره العقيلي في الضعفاء الكبير[٢].

وثالثهم: ابن عجلان، وهذا هو محمد بن عجلان المدني القرشي، وقد أطال ابن حجر ترجمته في تهذيبه[٣] بنقل أقوال الموثّقين لـه ومـع ذلـك فقـد قـال: إنّـما أخـرج لـه مـسلم في المتابعات ولم يحتج به... وحكى عن الواقدي انّه سمع عبد الله بن محمد بن عجلان يقـول: حُمِلَ بأبي أكثر من ثلاث سنين (؟) وهذا من باب المزايدات السخيفة، وقد ذكر ابـن قتيبـة في كتابه المعارف[٤] جماعة ممّن حُمل به أكثر مـن وقـت الحمـل، فـذكر مـنهم الـضحاك ابـن مزاحم، وشعبة بن الحجاج، ومحمد بن عجلان، ولما ولد كانت قد نبتت أسنانه، ومالك بن أنس، وهرم بن حيان[٥].

١- لسان الميزان ٣: ٣٧٥ ط حيدر آباد .

٢- راجع تهذيب التهذيب ١١: ١٨٧ .

٣- التهذيب ٩: ٣٤١ – ٣٤٢.

٤- المعارف: ٥٩٤ – ٥٩٥.

٥- من المزايدات السخيفة موضوع مَن حُمل به أكثر من وقت الحمل، وقد بحث هذا الموضوع في كتب التفـسير وكتـب الحديث وحتى كتب الأحكام، وتفاوتت فيه كلمات الأعلام، فاقرأوا بعض ما قاله المفسرون مـن العامـة في تفـسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ الرعد: ٨ .

وإلى القارئ ما قاله القرطبي في تفسيره (الجـامع لأحكـام القـرآن) ٩: ٢٨٧ – ٢٨٨ ط دار إحيـاء الـتراث العـربي بيروت قال:

←

← الخامسة: واختلف العلماء في أكثر الحمل ؛ فروى ابن جُرَيج عن جَميلة بنت سعد عن عائشة قالت: لا يكون الحمل أكثر من سنتين قدر ما يتحوّل ظِل المِغزَل ؛ ذكره الدَّار قُطْني . وقالت جَميلة بنت سعد - أخت عبيد ابن سعد، وعن الليث بن سعد -: إنّ أكثره ثلاث سنين . وعن الشافعي أربع سنين ؛ وروى عن مالك في إحدى روايتيه، والمشهور عنه خمس سنين ؛ وروى عنه لا حدّ له، ولو زاد على العشرة الأعوام ؛ وهي الرواية الثالثة عنه . وعن الزّهري ست وسبع . قال أبو عمر: ومن الصحابة من يجعله إلى سبع ؛ والشافعي: مُدَّةٌ الغاية منها أربع سنين . والكوفيون يقولون: سنتان لا غير . ومحمد بن عبد الحكم يقول: سنة لا أكثر . وداود يقول: تسعة أشهر، لا يكون عنده حمل أكثر منها . قال أبو عمر: وهذه مسألة لا أصل لها إلا الاجتهاد، والردّ إلى ما عُرف من أمر النّساء وبالله التوفيق.

رَوى الدَّارقُطْنيّ عن الوليد بن مسلم قال: قلت لمالك بن أنس: إنّي حدّثت عن عائشة أنّها قالت: لا تزيد المرأة في حملها على سنتين قَدْر ظِلّ المِغزَل، فقال: سبحان الله! مَن يقول هذا؟ ! هذه جارتنا امرأة محمد بن عَجْلان، تحمل وتضع في أربع سنين، امرأة صدق، وزوجها رجل صدق؛ حملت ثلاثة أبطن في اثنتي عشرة سنة، تحمل كل بطن أربع سنين. وذكره عن(*) المبارك ابنُ مجاهد قال: مشهور عندنا كانت امرأة محمد بن عجلان تحمل وتضع في أربع سنين، وكانت تسمى حاملة الفيل . وروى أيضاً قال: بينما مالك بن دينار يوماً جالس إذ جاءه رجل فقال: يا أبا يحيى! أدع لامرأة حبلى منذ أربع سنين قد أصبحت في كرب شديد؛ فغضب مالك وأطبق المصحف ثم قال: ما يرى هؤلاء القوم إلا أنّا أنبياء ! ثم قرأ، ثم دعا، ثم قال: اللهم هذه المرأة إن كان في بطنها ريح فأخرجه عنها الساعة، وإن كان في بطنها جارية فأبدلها (بها) غلاماً، فإنّك تَمْحو ما تشاء وتُثْبِت، وعندك أمّ الكتاب، ورفع مالك يده . ورفع الناس أيديهم، وجاء الرسول إلى الرجل فقال: أدرك امرأتك، فذهب الرجل ؛ فما حطّ مالك يده حتى طلع الرجل من باب المسجد على رقبته غلام جَعْد قَطَط (**)، ابن أربع سنين، قد استوت أسنانه، ما قُطِعت سراره(***) ؛ ورُوي أيضاً أن رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين ! إنّي غبت عن امرأتي سنتين فجئت وهي حبلى ؛ فشاور عمر الناس في رجمها، فقال معاذ بن جبل:

(*) من أ . وفي و: ابن المبارك .

(**) جعد قطط شديد الجعودة، وجَعدَ الشعر ضد السَبط، يكون بعضه فوق بعض .

(***) سُرار الصبي - بالضم -: ما تقطعه القابلة من سرّة الصبي . ←

وقد ذكر ابن حجر في ترجمته أنّ لمحمد بن عجلان تصرّف سوقي مع امرأة تزوجها بالأسكندرية، فكان يأتيها في دبرها فشكته إلى أهلها، فشاع ذلك فصاحوا به فخرج منها وتوفي بالمدينة سنة ٤٨، وختم ترجمته بقول العقيلي عنه: يضطرب في حديث نافع.

أقول: وما نحن فيه هو من حديث نافع، فتطويل البحث فيه غير نافع .

فتبيّن حال هؤلاء الثلاثة فهم بين دجّال يضع الحديث، وبين منكر الحديث لا يحتج به مسلم مع أنّه ساقط خلقياً في معاشرته الزوجية، ولا تنفعه كرامة بقائه حملاً أكثر من ثلاث

← يا أمير المؤمنين ! إن كان لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطنها سبيل ؛ فاتركها حتى تضع، فتركها، فوضعت غلاماً قد خرجت ثنيتاه ؛ فعرف الرجل الشبه فقال: ابني وربّ الكعبة! ؛ فقال عمر: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ؛ لولا معاذ لهلك عمر. وقال الضحّاك: وضعتني أمي وقد حملت بي في بطنها سنتين، فولدتني وقد خرجت سنّي . ويذكر عن مالك أنّه حمل به في بطن أُمه سنتين، وقيل: ثلاث سنين، ويقال: إنّ محمد بن عجلان مكث في بطن أمه ثلاث سنين، فماتت به وهو يضطرب اضطراباً شديداً، فشُقّ بطنها وأخرج وقد نبتت أسنانه . وقال حمّاد ابن سلمة: إنّما سمى هِرم بن حيان هَرِماً لأنّه بقى في بطن أُمه أربع سنين . وذكر الغـَزْنـَوي أنّ الضحّاك وُلد لسنتين، وقد طلعت سِنـّه فسُمّي ضحّاكاً . عبّاد بن العوّام: ولدت جارة لنا لأربع سنين غلاماً شعره إلى منكبيه، فمرّ به طير فقال: كش .

وهذا الّذي ذكره القرطبي تجده بصور متفاوتة في البسط والإجمال في كتب التفسير فراجع: تفسير الرازي ١٩: ١٥، وتفسير البغوي ٣: ٨، وتفسير الكشاف للزمخشري ٢: ٣٥١، وغيرها في تفسير الآية المذكورة، أما كتب الأحكام فقد تعرّضت بعضها لذلك في باب الرضاع وأقلّ الحمل وأكثره، فراجع حاشية رد المحتار ٢: ٥٥٤ مثلاً .

أما كتب التراجم فقد ذكرت ذلك في ترجمة مالك إمام المالكيه راجع وفيات الأعيان لابن خلكان في ترجمته، وأكثرت ذكره كتب المالكية كتنوير الحوالك للسيوطي ١: ٤، وعدّوه من مناقب مالك. فياللسخف الّذي يغلب عقول الناس، فيهرفون بما لا يعرفون، كيف يصدّقون بذلك والحال لو زاد الحمل على تسعة أشهر لقتل أمه، وهذا ما ذهب إليه الإمامية تبعاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام في ذلك(*) .

(*) راجع الوسائل باب أقل الحمل وأكثره .

حتى نبتت أسنانه.

فكيف يقول ابن كثير: (وهذا إسناد جيّد حسن) فأين هي الجودة فيهم ؟ وأين هو الحسن ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[1].

هذا حال السند الأول، فماذا عن السند الثاني: قال: وقال الواقدي، هو محمد بن عمر قاضي بغداد متهم قاله الساجي، وقال البخاري: الواقدي مدني سكن بغداد متروك الحديث، تركه أحمد وابن المبارك وابن نمير وإسماعيل بن زكريا... قال الشافعي: كتب الواقدي كلّها كذب(!)[2] قال الواقدي حدّثني:

نافع بن أبي نعيم: هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم القارئ المدني... وقد ينسب إلى جده... قال أحمد: كان يؤخذ عنه القرآن، وليس في الحديث بشيء... وقال: منكر الحديث[3].

ونافع هذا روى عن نافع مولى ابن عمر أنّ عمر قال:... وهذا ممّا ينطبق عليه قول أحمد بن حنبل: نافع عن عمر منقطع (كما في ترجمته في تهذيب التهذيب) ووجهه واضح، لأنّه كان مولى لابن عمر أصابه في بعض مغازيه، ولم يخرج إليها إلا بعد أبيه.

السند الثالث: قال ابن كثير: وقد رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي عن مالك عن نافع عن ابن عمر... قال: وفي صحته من حديث مالك نظر، أقول: ولم يكشف عن وجه ذلك النظر، وأظنه ستراً على اللالكائي فهو: هبة الله بن الحسن... الّذي قال فيه الذهبي في

١- لقمان: ٣٣.

٢- تهذيب التهذيب ٩: ٣٦٣ – ٣٦٨.

٣- تهذيب التهذيب في ترجمته.

تذكرة الحفّاظ[1] الإمام أبو القاسم... الحافظ الفقيه الشافعي محدّث بغداد... وصنّف كتاباً في السنة... .

قال الخطيب: حدّثني علي بن الحسين بن جد العكبري قال: رأيت هبة الله الطبري في المنام فقلت: ما فعل الله بك ؟ فقال: غفر لي، قلت: بماذا؟ قال ـ كلمة خفيّة ـ: بالسنّة.

أقول: هذا هو اللالكائي الّذي غفر الله بالسنة إن صدقت الإحلام، وهو مؤلف كتاب السنّة، ولا تسل كيف روى ذلك عن مالك وهو قد مات سنة ٤١٨ ومالك مات سنة ١٩٤ وبين الوفاتين قرابة قرنين من الزمان ولعل الرواية أيضاً في المنام، ما دامت رؤى الأحلام ترفع وتنصب الأعلام، وان أهدروا كرامة الإسلام .

السند الرابع: وقال الواقدي: حدّثني أسامة بن زيد عن أبيه، وأبو سليمان عن يعقوب بن زيد قال: خرج عمر... أما الواقدي فقد تقدّم تعريفه، وأما أسامة بن زيد فقد قال يحيى بن معين: أسامة وعبد الله وعبد الرحمن هؤلاء أخوة كلهم ليس حديثهم بشيء[2] وما دام أسامة حديثه ليس بشيء، فلا حاجة إلى معرفة أبيه زيد، فهو ابن اسلم مولى عبد الله بن عمر، ومولى القوم منهم .

وأما أبو سليمان فهو زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي قدم المدينة بعد وفاة النبيﷺ بأيام، قال فيه أبو يوسف يعقوب الفسوي[3]... حديث زيد به خلل كثير، ولم يقرّه الذهبي في التذكرة[4] فقال: ولا عبرة بكلام الفسوي فيه فإنّه قد احتج به أرباب الصحاح .

١- تذكرة الحفّاظ: ١٠٨٣ – ١٠٨٤.

٢- الضعفاء الكبير للعقيلي ١: ٢٢.

٣- المعرفة والتاريخ ٢: ٧٦٩ تحـ الدكتور أكرم ضياء العمري، ط أوقاف بغداد.

٤- التذكرة ١: ٦٧ ط حيدر آباد.

أقول: وهذا منه دفع بالصدر، ومهما يكن فيكفي في أول السند أسامة بن زيد وليس حديثه بشيء، وهذا من حديثه.

ونعود إلى ابن كثير الّذي ساق قصة سارية ـ كما سمّاها ـ بتلك الأسانيد المعلولة، وكل رجالها من المجروحين، ومع ذلك كابر كاذباً فقال: عن بعضها إسناده جيد حسن، وكشفنا حال رجاله وتبيّن كذبه، ومع هذا يقول بغير حياء: فهذه طرق يشدّ بعضها بعضاً. وليتني أعطيت صبراً فأغضيت عنه، أنّى وقد مرّ بنا قوله معقّباً على حديث ردّ الشمس الّذي أورده نقلاً عن الحسكاني وعن غيره بأسانيد عديدة فقال: قلت: هذا الحديث ضعيف ومنكر من جميع طرقه، فلا تخلو واحدة منها عن شيعي ومجهول الحال وشيعي ومتروك... إلى آخر ما قال.

فلماذا لم تشد جميع تلك الطرق بعضها بعضاً ليقبلها ابن كثير؟ إنّها لحسيكة الشنآن التي في صدرك، وليس ذلك منك بجديد، فقد جاهرت بنصبك من دون حياء، وكشفت عن باطن خبيئتك وسوء طويتك في أحاديث فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ففي حديث الطائر المشوي الّذي قلت أنت فيه: (وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات مفردة، منهم أبو بكر ابن مردويه، والحافظ الطبري المفسر صاحب التاريخ... وبالجملة ففي القلب من صحة هذا الحديث نظر وإن كثرت طرقه)[1].

لماذا من صحته في قلبك منه نظر أيّها الشامي، لأنّك لم تستمرئ حب علي عليه السلام الّذي حبّه إيمان وبغضه نفاق[2].

١- البداية والنهاية ٧: ٣٥٣.

٢- أنظر مصادر الحديث النبوي الشريف «لا يحبك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق، من أحبّك فقد أحبّني، ومن أبغضك فقد أبغضني، وحبيبي حبيب الله، وبغيضي بغيض الله، ويل لمن أبغضك بعدي» في كتاب علي إمام البررة ١: ٩٣- ١٠١.

وندعو القارئ إلى أن يعيد قراءة ما ساقه ابن كثير في قصة سارية الجبل ليرى بنفسه الخلل، ففي أول أخباره عن سيف: إنّ عمر رأى فيما يرى النائم معركة المسلمين، وعددهم في وقت من النهار وأنّهم في صحراء، وهناك جبل إن اسندوا إليه لم يؤتوا... فنادى من الغد الصلاة جامعة حتى إذا كانت الساعة التي رأى أنّهم اجتمعوا فيها، خرج إلى الناس وصعد المنبر فخطب وأخبرهم بصفة ما رأى ثم قال: يا سارية الجبل الجبل، ثم أقبل عليهم وقال: إن لله جنوداً ولعل بعضها أن يبلّغهم... .

وفي ثاني أخبار سيف انقلبت تلك الرؤيا بقدرة قادر إلى حال اليقظة، وأنّ عمر بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ قال:

يا سارية بن زنيم الجبل الجبل، فلجأ المسلمون إلى جبل هناك... وغنموا شيئاً كثيراً، فكان من جملة ذلك سفط من جوهر فاستوهبه سارية من المسلمين لعمر، فلما وصل إليه... فوجد الرسول عمر قائماً في يده عصا وهو يطعم المسلمين سماطهم، فلما رآه عمر قال له اجلس ـ ولم يعرفه ـ فجلس الرجل فأكل مع الناس.

فلما فرغوا انطلق عمر إلى منزله واتبعه الرجل، فاستأذن فأذن له، وإذا هو قد وضع له خبز وزيت وملح فقال: ادن فكل، قال: فجلست، فجعل يقول لامرأته، ألا تخرجين يا هذه فتأكلين ؟ فقالت: إنّي أسمع حسّ رجل عندك، فقال: أجل، فقالت: لو أردتَ أن أبرز للرجال اشتريت لي غير هذه الكسوة، فقال: أو ما ترضين أن يقال أم كلثوم بنت علي وامرأة عمر، فقالت: ما أقل غناء ذلك عنّي.

ثم قال للرجل: ادن فكل فلو كانت راضية لكان أطيب مما ترى، فأكلا، فلما فرغا، قال: أنا رسول سارية ابن زنيم يا أمير المؤمنين، فقال: مرحباً وأهلاً، ثم أدناه حتى مسّت ركبتُه ركبتَه... إلى آخر القصة المشكوكة غير المحبوكة، حيث سلبت عمر غيرَته العائلية،

فصار يستدعي زوجته أن تخرج فتأكل معه بحضور رجل أجنبي، فتمتنع لأنّها لا ترضى بكسوتها وتطلب غيرها أحسن منها.

وما أدري كيف رضي ابن كثير أن يذكرها على ما فيها من فجوات أخرى، مع روايته في تفسيره في سبب نزول آية الحجاب، وانّ عمر هو الّذي قال للنبي ﷺ في سترهنّ فنزلت الآية موافقة له، ثم لماذا قبل أن يذكر هذه الرواية المهلهلة بهذه الصورة المفصلة التي جعلت البيت خلواً من باقي زوجاته وأولاده وبناته، مع أنّ له أمتان له منهما أولاد وبعضهم كان معه، ثم ما بال ذلك الرسول يأكل مرّة ثانية مع عمر مع أنّه سبق أن أكل مع المسلمين وشبع، فهل كان ممّن له سبعة أمعاء أو في بطنه معاوية؟

ثم أين هذا كله ممّا ذكره من رواية الواقدي عن نافع... أنّ عمر قال على المنبر يا سارية بن زنيم الجبل، فلم يدر الناس ما يقول حتى قدم سارية بن زنيم المدينة على عمر فقال: كنّا محاصري العدو... فسمعت صائحاً ينادي بكذا وكذا يا سارية بن زنيم الجبل فعلوت بأصحابي الجبل... .

فأين صار الرسول ؟ وأين ضاع سفط الجوهر الّذي أرسله سارية ؟

وما بال ابن كثير يذكر كل هذا ويغفل عما بين رواياته من تنافي، ويزيد أيضاً ما رواه أخيراً، وفيه:

فجاء كتاب سارية إلى عمر: إنّ الله قد فتح علينا يوم الجمعة ساعة كذا وكذا... لتلك الساعة التي خرج فيها عمر فتكلّم على المنبر، قال سارية: فسمعت صوتاً يا سارية بن زنيم الجبل، يا سارية بن زنيم الجبل... فهذه الروايات التي يضرب بعضها بعضاً ومع ذلك يقول فيها ابن كثير (فهذه طرق يشدّ بعضها بعضاً) أما حديث ردّ الشمس مع اعترافه بكثرة طرقه وتصحيح كثير من الأعلام له كما سيأتي يقول فيه: هذا حديث ضعيف ومنكر

من جميع طرقه... إنّما أعماه الهوى عن طريق الحق وقول الحق.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[1] .

هكذا هو ابن كثير تلميذ ابن تيمية ذو القلب الزائغ عن الحق، فلم يذعن بصحة حديث ردّ الشمس، بل قال فيه ما تقدّم نافياً، لكنه في خبر يا سارية الجبل الّذي ساقه بأسانيد كلها مطعون في رجالها بلسان قومه قال: (فهذه طرق يشد بعضها بعضاً) .

فماذا يرجوه القارئ المنصف ممّن (كانت له خصوصية بابن تيمية ومناضلته عنه، واتباع له في كثير من آرائه... وامتحن بسبب ذلك وأوذي وتوفي في شعبان ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية)[2] حشره الله مع إمامه وحشرنا مع إمامنا يوم يدعى كل إناس بإمامهم.

والآن إلى معرفة مَن صحّح الحديث من علمائهم ممّن يعترفون له بإمامته في الفقه كأحمد بن صالح المصري الّذي هو من شيوخ البخاري .

وكأبي جعفر الطحاوي الّذي قال عنه ابن كثير نفسه: وهو أحد الثقات الأثبات والحفاظ الجهابذة، وكالقاضي عياض الّذي هو إمام وقته في الحديث وعلومه، والنحو واللغة وكلام العرب... وآخرين غيرهم من أمثالهم فإلى معرفتهم.

المسألة الخامسة: في تصحيح الحديث لدى المحدّثين:

لقد ذكر الحديث جماعة جزموا بصحته وهم من جهابذة المحدّثين فمنهم مَن صحّحه بنفسه، ومنهم من حكى ذلك عن غيره فأخبت خاشعاً طائعاً لصحته.

١- الجاثية: ٢٣.

٢- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة بواسطة شذرات الذهب ٦: ٢٣٢.

الأول: الحافظ أبو جعفر أحمد بن صالح المصري المتوفى سنة ٢٤٨ هـ، وهذا من شيوخ البخاري، وروى عنه في صحيحه في غير موضع، منها في أول التوحيد، وهو صاحب الكلمة القيّمة الذهبية وهي قوله: (لا ينبغي لمن كان سبيله العلم أن يتخلّف عن حفظ حديث أسماء الّذي رُوي لنا عنه صلّى الله عليه وسلّم، لأنّه من أجلّ علامات النبوّة).

الثاني: الحافظ أبو جعفر الطحاوي المتوفى سنة ٣٢١، وهذا هو ابن اخت المزني صاحب الشافعي، قال فيه الذهبي: كان ثقة ديّناً عالماً عاقلاً، وأثنى عليه كثيراً، كما أثنى عليه ابن كثير في ترجمته فقال: وهو أحد الثقات الأثبات والحفاظ الجهابذة ـ فهذا العالم العاقل الديّن الثقة ـ كما وصفه الذهبي ـ والحافظ الجهبذ الثبت الثقة ـ كما وصفه ابن كثير ـ صحّح الحديث بما لا مزيد عليه، وإلى القارئ عين ما قاله في كتابه مشكل الآثار[1].

ولا يفوتني تنبيه القارئ إلى أمر ذي بال، وهو أنّ كتاب مشكل الآثار قد اختصره الحافظ القاضي أبو الوليد الباجي المالكي المتوفى سنة ٤٧٤. وسماه بالمختصر، ثم أتى القاضي أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي المتوفى سنة ٨٠٣ فاعتصر المختصر في كتابه (المعتصر من المختصر من مشكل الآثار) فهذين العالمَين العلَمين ذكرا ما ذكره الطحاوي، وأقرّاه على ما فيه، فلم أر حاجة إلى ذكر ما فيهما، ومن أراد المزيد فليرجع إلى المعتصر[2]، والآن إلى قراءة فاحصة فيما كتبه الطحاوي الحنفي حيث قال:

(بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ في مسئلة الله ﷻ ردّ الشمس عليه بعد غيبوبتها، وردّ الله ﷻ إياها عليه وما روي عنه ممّا توهم مضادّ ذلك).

حدّثنا أبو أمية، حدّثنا عبيد الله بن موسى العبسي، حدّثنا الفضيل بن مرزوق، عن

١- مشكل الآثار ٢: ٨ – ١٢ طبع حيدر آباد.

٢- المعتصر: ٩ ط/ ٢ حيدر آباد.

إبراهيم ابن الحسن، عن فاطمة ابنة الحسين، عن أسماء ابنة عميس قالت: كان رسول الله ﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي، فلم يصلّ العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: صلّيت يا علي؟ قال: لا، فقال رسول الله ﷺ (اللهم إنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس)، قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت .

حدّثنا علي بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة، حدّثنا أحمد بن صالح، حدّثنا ابن أبي فديك، حدّثني محمد بن موسى، عن عون بن محمد، عن أمه أم جعفر، عن أسماء ابنة عميس أن النبي ﷺ صلّى الظهر بالصهباء، ثم أرسل عليّاً عليه السلام في حاجة فرجع وقد صلّى النبي ﷺ العصر فوضع النبي ﷺ رأسه في حجر علي فلم يحرّكه حتى غابت الشمس، فقال النبي ﷺ: (اللّهمّ انّ عبدك عليّاً احتبس بنفسه على نبيّك فردّ عليه شرقها) قالت أسماء: فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض، ثم قام علي فتوضّأ وصلّى العصر ثم غابت، وذلك في الصهباء .

قال أبو جعفر: فاحتجنا أن نعلم مَن محمد بن موسى المذكور في إسناد هذا الحديث؟ فإذا هو محمد بن موسى المدني المعروف بالفطري[1] وهو محمود في روايته، واحتجنا أن نعلم مَن عون بن محمد المذكور فيه؟ فإذا هو عون بن محمد بن علي بن أبي طالب، واحتجنا أن نعلم مَن أُمّه التي روى عنها في هذا الحديث؟ فإذا هي أُم جعفر[2] ابنة محمد بن جعفر بن أبي طالب[3].

١- الفطري بكسر الفاء وسكون الطاء المدني صدوق من السابعة ١٢ تقريب .

٢- في كنى التقريب أم عون بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب، ويقال لها أم جعفر مقبولة من الثالثة رحمة الله عليها ـ الحسن النعماني .

٣- حكى القاضي عياض في الشفاء عن الطحاوي قوله: هذان الحديثان ثابتان ورواتها ثقات، وما حكاه القاضي ذكره غيره عنه، راجع شرح الشفا للقاضي، ونسيم الرياض للخفاجي وغيرهما .

فقال قائل: كيف تقبلون هذا وأنتم تروون عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ما يدفعه فذكر (ما حدّثنا به) علي بن الحسين أبو عبيد، حدّثنا فضل بن سهل الأعرج، حدّثنا شاذان الأسود بن عامر، حدّثنا أبو بكر بن عياش، عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لم تحتبس الشمس على أحد إلا ليوشع.

وما حدّثنا يحيى بن زكريا بن يحيى النيسابوري أبو زكريا، حدّثنا فضل بن سهل الأعرج، حدّثنا شاذان الأسود بن عامر، حدّثنا أبو بكر بن عياش، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لم ترد الشمس منذ ردّت على يوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس.

فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله تعالى وعونه: إنّ هذا الحديث قد اختلف علينا راوياه لنا فيه على ما قد ذكرنا من كل واحد منهما مما قد رواه، فأما ما رواه لنا علي بن الحسين فهو أنّ الشمس لم تحتبس على أحد إلّا على يوشع، فإن كان حقيقة الحديث كذلك فليس فيه خلاف لما في الحديثين الأولين، لأنّ الّذي فيه هو حبس الشمس عن الغيبوبة، والّذي في الحديثين الأولين هو ردّها بعد الغيبوبة.

وأما ما رواه لنا يحيى بن زكريا فهو على أنّها لم تردّ منذ ردّت على يوشع بن نون إلى الوقت الّذي قال لهم فيه رسول الله ﷺ هذا القول، فذلك غير دافع أن يكون لم تردّ إلى يومئذٍ ثم ردّت بعد، هذا غير مستنكر من أفعال الله ﷻ، وقد روي في حبسها عن الغروب لمعنى احتاج إليه بعض أنبياء الله ﷻ أن يبقى عليه من أجله .

كما حدّثنا محمد بن اسمعيل بن سالم الصائغ، حدّثنا عبيد الله بن عمر بن ميسرة يعني القواريري، حدّثنا معاذ بن هشام، عن أبيه، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: أن نبيّاً من الأنبياء غزا بأصحابه فقال لهم: لا يتبعني رجل

بنى داراً لم يسكنها، أو تزوّج امرأة لم يدخل بها، أو له حاجة في الرجوع، فلقي العدوّ عند غيبوبة الشمس، فقال لهم إنّها مأمورة وإنّي مأمور حتى يقضي بيني وبينهم.

قال: فحبسها الله تعالى عليه ففتح عليه فغنموا الغنائم فلم يأكلها النار، وكانوا إذا غنموا الغنيمة بعث الله تعالى عليها النار فأكلتها، فقال لهم نبيهم: إنّكم قد غللتم فليأتيني من كل قبيلة رجل فليبايعني، فأتوه فبايعوه فالزقت يد رجل منهم بيده، فقال له: إنّ أصحابك قد غلّوا فليأتوني فليبايعوني، فأتوه فبايعوه فألزقت يد رجلين منهم بيده فقال لهما: إنّكما قد غللتما قالا: أجل غللنا صورة وجه بقرة من ذهب، فأتيا بها فألقياها في الغنايم، فبعث الله تعالى عليها النار، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: (إنّ الله أطعمنا الغنائم رحمة رحمنا بها وتخفيفاً لما علم من ضعفنا).

قال أبو جعفر: وكل هذه الأحاديث من علامات النبوة، وقد حكى علي بن عبد الرحمن بن المغيرة، عن أحمد بن صالح أنّه كان يقول: لا ينبغي لمن كان سبيله العلم التخلّف عن حفظ حديث أسماء الّذي روى لنا عنه، لأنّه من أجلّ علامات النبوة.

قال أبو جعفر: وهذا كما قال: وفيه لمن كان دعا رسول الله ﷺ الله ﷻ له بما دعا به له، حتى يكون ذلك المقدار الجليل والرتبة الرفيعة، لأنّ ذلك كان من رسول الله ﷺ ليصلّي صلاته تلك التي احتبس نفسه على رسول الله ﷺ حتى غربت الشمس في وقتها على غير فوت منها إياه[1]، وفي ذلك ما قد دلّ على التغليظ في فوات العصر، ومن ذلك ما قد روي عن رسول الله ﷺ.

حدّثنا عبد الغني بن أبي عقيل، حدّثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سالم، عن

١- واختصر صاحب المعتصر هذه العبارة أحسن اختصار لله دره، فقال: وفيه لعلي المقدار الجليل والرتبة الرفيعة، وفيه ما يدلّ على التغليظ في فوت العصر، فوقى الله علياً ذلك بدعاء النبي ﷺ لطاعته وكرامته لديه، الحسن النعماني.

أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: من فاتته صلاة العصر فكأنّما وتر أهله وماله.

قال أبو جعفر: فوقى الله ﷻ علياً ذلك لطاعته لرسول الله ﷺ، وفي هذا الحديث ممّا يجب أن يوقف عليه، وهو إباحة النوم بعد العصر إذا كان بعض الناس ذلك عنده مكروهاً.

الثالث: الحافظ المحدّث أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد القرشي الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨ هـ، ذكر الحديث في كتابه كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، وأطال في إثباته، وإلى القارئ ما قال فإنّه نافع جامع، قال:

فصل: في الحديث المروي في ردّ الشمس بدعاء النبي ﷺ حتى صلّى علي بن أبي طالب عليه السلام العصر.

نعتضد بالله ونقول: منكر ذلك إما أن ينكره من حيث الإمكان، أو من حيث صحة النقل من عدالة الرواة.

أما القسم الأول: فإنّ المتكلّم فيه أحد رجلين، إما من يثبت الشرائع أو ينفيها، أما نفاتها كالدهرية والفلاسفة والمنجّمين فلا كلام معهم، وأما مثبتوها فلا يتمكّنون من ذلك، للحديث الّذي خرّجه مسلم في صحيحه في حبس الشمس، كما أخبرنا الإمام الحافظ عثمان، والحافظ محمد بن محمود ـ عرف بابن النجار ـ ببغداد، قالا: أخبرنا أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل، أخبرنا أبو الحسين عبد الغافر، أخبرنا أبو أحمد محمد بن عيسى، أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن محمد، أخبرنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج، قال: وحدّثنا أبو كريب محمد بن العلا، حدّثنا ابن المبارك عن معمر، وحدّثنا محمد بن رافع واللفظ له، قال: أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن همام بن منبه.

قال: هذا ما حدّثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها، وقال رسول الله ﷺ: غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن، ولا آخر قد بنى بنياناً ولما يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو منتظر ولادها، قال: فغزا فأدنّا للقرية حين صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها عليّ شيئاً، فحُبست عليه حتى فتح الله عليه.

قال: فجمعوا ما غنموا فأقبلت النار لتأكله فأبت أن تطعمه، فقال: فيكم غلول فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه، فلصقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك فبايعته، فلصقت بيد رجلين أو ثلاثة فقال: أنتم أغللتم، قال: فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب، قال: فوضعوه في المال وهو بالصعيد، فأقبلت النار فأكلته، فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا، ذلك بأنّ الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيّبها لنا.

قلت: هذا حديث متفق على صحّته، رواه البخاري في الغلول، وأخرجه مسلم في الجهاد[1] كما سقناه .

ورواه أحمد بن حنبل في مسنده، وقال: إنّ الشمس حبست ليوشع ابن نون عليه السلام .

ورواه الطبراني في معجمه كذلك، ولا يخلو إما أن يكون ذلك معجزة لموسى عليه السلام أو ليوشع عليه السلام ، فإن كان لموسى عليه السلام فنبينا ﷺ أفضل، وعلي عليه السلام أقرب إليه من يوشع إلى موسى، وإن كان معجزة ليوشع عليه السلام فإن كان نبياً فعلي عليه السلام مثله، وإن لم يكن نبياً فعلي عليه السلام أفضل منه إذ قال النبي ﷺ: (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)، وفي لفظ آخر:

١- صحيح البخاري ٢: ١١٩ صحيح مسلم ٢: ٤٩ مسند أحمد بن حنبل ٢: ٣١٨ .

(أنبياء بني إسرائيل)، وحذف الكاف لقوة المشابهة .

والمعنى أنّ أنبياء بني إسرائيل دعاة إلى الله سبحانه بالوعظ والزجر والتحذير والترغيب والترهيب، وعلماء أمته ﷺ قائمون في هذا المقام، منخرطون في سلك هذا النظام، وعلي عليه السلام أولى الناس بهذا النص، لقوله ﷺ: (أقضاكم علي)[1].

وأما القسم الثاني: وهو الإنكار من حيث العدالة من نقل ذلك وذكره في كتابه فقد عدّه جماعة من العلماء في معجزاته ﷺ.

ومنهم ابن سبع ذكره في شفاء الصدور وحكم بصحته، ومنهم القاضي عياض ذكره في الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وحكى فيه عن الطحاوي أنّه ذكر ذلك في شرح مشكل الحديث، قال: روي من طريقين صحيحين .

وقال ابن خزيمة: كان أحمد بن صالح يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلّف عن حديث أسماء بنت عميس في ردّ الشمس، لأنّه من علامات نبوّة نبينا ﷺ .

وقد شفى الصدور الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلي في جمع طرقه في كتاب مفرد، ورواه الحافظ أبو عبد الله الحاكم في تاريخه في ترجمة عبد الله بن حامد بن محمد بن ماهان الفقيه الواعظ المحدّث وخرّجه عنه .

كما أخبرنا بقية السلف محمد بن سعيد بن الموفق بن علي بن جعفر النيسابوري ببغداد، عن أبي زرعة طاهر بن الحافظ أبي الفضل بن محمد بن طاهر المقدسي، عن أحمد بن علي بن عبد الله بن خلف الشيرازي، عن الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن نعيم بن الحكم النيسابوري، قال: حدّثني عبد الله بن حامد بن ماهان، حدّثنا أبو بكر محمد

١- راجع كتابي علي إمام البررة ١: ٢٣٤ - ٢٤١ .

بن جعفر، حدّثنا محمد بن عبيد الكندي، حدّثنا عبد الرحمان بن شريك، قال: حدّثني أبي، عن عروة، عن عبد الله قال: دخلت على فاطمة بنت علي عليه السلام فرأيت في عنقها خرزة، ورأيت في يدها مسكتين غليظتين، وهي عجوز كبيرة فقلت لها: ما هذا ؟ قالت: إنه يكره للمرأة أن تتشبّه بالرجال .

ثم حدّثتني عن أسماء بنت عميس حديثها أنّ علياً عليه السلام دفع إلى النبي صلى الله عليه وآله وقد أوحي إليه يجلله، بثوبه فلم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس ـ يقول: غابت أو كادت تغيب ـ ثم إنّ نبي الله سرّي عنه، فقال: أصلّيت يا علي؟ قال: لا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: (اللّهمّ ردّ الشمس على عليّ)، فرجعت الشمس حتى بلغت نصف المسجد[1] .

قال: أبي وحدّثني به موسى الجهني عن فاطمة بنت علي عليه السلام مثله .

قلت: هكذا ذكره الحاكم في تاريخ نيسابور في هذه الترجمة، وقد أملاه أبو منصور أحمد بن شعيب بن صالح البخاري ببغداد في جامع المنصور في ملأ من أهل الحديث .

أخبرنا عبد الله بن عمر الليثي، أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي، أخبرنا أبو عيسى سعيد بن أبي أحمد المعلم في سنة ثلاث وستين وأربعمائة، قال: أخبرنا الأمير أبو أحمد خلف بن أحمد بن محمد بن الليث بن خلف بن فرقد العرني مولى أمير المؤمنين ـ قدم علينا بهراة سنة ٣٤٣ ـ قال: أخبرنا الإمام أبو منصور البخاري، قال: حدّثنا حامد بن سهل، قال: حدّثنا يحيى بن سليمان بن نضلة، قال: حدّثني إبراهيم بن محمد، عن عبد الله بن الحسن، عن فاطمة بنت علي، عن أم حسن بنت علي، عن أسماء بنت عميس قالت:

١- قصص الأنبياء : ٣٤٠ ، مشكل الآثار ٢ : ٨ ، الرياض النضرة ٢ : ١٨٠ البداية والنهاية ٦ : ٨٠ ، لسان الميزان ٥ : ٧٦ .

أمر رسول الله ﷺ علياً يوم خيبر أن يقسّم الغنائم على الناس، فشغل عن الصلاة حتى كادت الشمس تغرب، فقال رسول الله ﷺ لعليّ: صلّيت العصر ؟ قال: لا يا رسول الله شغلني ما أمرتني، فدعا رسول الله ﷺ أن تردّ عليه الشمس حتى يصلّي علي عليه السلام، فأقبلت الشمس ولها حفيف كحفيف المنشار إذا وقع في الخشب حتى توسّطت مسجد خيبر، فقام علي عليه السلام فصلّى، فلمّا فرغ علي عليه السلام من صلاته غربت الشمس[1].

قلت: هكذا رواه أبو الوقت في الجزء الأول من أحاديث الأمير أبي أحمد، وضعّفه بعض المتأخّرين، وذكره فيما جمعه من الموضوعات، واحتج على ضعفه بحجة داحضة، وقال: فيه اضطراب واختلاف في الروايات وقال: لا يجوز رواية مثل هذا النص لأنّ فيه خرقاً للعادة، والعجب ممّن يذكر مثل هذا في مصنفاته ولا يعلم أنّه مردود عليه .

أما قوله: فيه اضطراب واختلاف، قلنا: حديث الشفاعة، وحديث المعراج متفق على صحتهما، وهما كذلك .

وأما قوله: فيه خرق للعادة فدليل على عدم معرفته ما قدمناه من حديث ردّ الشمس ليوشع من المتفق عليه أيضاً .

وقال الحافظ أبو نعيم في كتاب تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة: فان احتج بأنّ علياً عليه السلام ردّت عليه الشمس بعد أن غابت حتى صلاها لوقتها، قيل: لو كان ذلك لعلي كان لرسول الله ﷺ أولى وأحرى، فقد فاتته يوم الخندق الظهر والعصر ولم ترد عليه الشمس .

قلت: ولم يطعن فيه من جهة النقل، قلنا: الرسول ﷺ مشرّع فلو لم تفته صلاة لاختلّ

---

١ - كنز العمال ٦ : ٢٧٧، الرياض النضرة ٢ : ١٧٩ .

على الأمة أمر القضاء، فتفويته للصلاة تشريع في حق الأمة، ولا كذلك علي عليه السلام فافترقا.

وروي عن عامر بن واثلة أبي الطفيل قال: كنت يوم الشورى على الباب، وعليّ يناشد عثمان وطلحة والزبير وسعيداً وعبد الرحمان، يعدّ من فضائله منها ردّ الشمس.

كما أخبرنا أبو بكر بن الخازن، أخبرنا أبو زرعة، أخبرنا أبو بكر بن خلف، أخبرنا الحاكم، أخبرنا أبو بكر بن أبي دارم الحافظ بالكوفة من أصل كتابه، حدّثنا منذر بن محمد بن منذر، حدّثنا أبي، حدّثني عمّي، حدّثنا أبي عن أبان بن تغلب، عن عامر بن واثلة قال: كنت على الباب يوم الشورى وعليّ في البيت فسمعته يقول: إستخلف أبو بكر وأنا في نفسي أحق بها منه فسمعت وأطعت، واستخلف عمر وأنا في نفسي أحق بها منه، فسمعت وأطعت، وأنتم تريدون أن تستخلفوا عثمان إذاً لا أسمع ولا أطيع، جعل عمر في خمسة أنا سادسهم لا يعرف لهم فضل، أما والله لأحاجنّهم بخصال لا يستطيع عربيّهم ولا عجميّهم، المعاهد منهم والمشرك، أن ينكر منها خصلة، أنشدكم بالله أيها الخمسة أمنكم أخو رسول الله غيري ؟ قالوا: لا .

قال: أمنكم أحد له عم مثل عمي حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله غيري ؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد له أخ مثل أخي المزين بالجناحين يطير مع الملائكة في الجنة؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة سيدة نساء الأمة غيري ؟ قالوا: لا .

قال: أمنكم أحد له سبطان مثل الحسن والحسين سبطي هذه الأمة ابني رسول الله صلى الله عليه وآله غيري؟ قالوا: لا .

قال: أمنكم أحد قتل مشركي قريش قبلي؟ قالوا: لا .

قال: أمنكم أحد ردّت عليه الشمس بعد غروبها حتى صلّى العصر غيري؟ قالوا: لا .

قال: أمنكم أحد قال له رسول الله ﷺ حين قرب إليه الطير فأعجبه: (اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير) فجئت وأنا لا أعلم ما كان من قول النبي ﷺ فدخلت، قال: وإليّ يا رب وإليّ يا رب، غيري ؟ قالوا: لا .

هكذا رواه الحاكم في كتابه بجميع طرقه حديث الطير وناهيك به راوياً[1]، قلت: ولهذا الحديث حكاية عجيبة حكاها جماعة من أهل التواريخ .

أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار، اخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن الأخضر، قال: سمعت القاضي محمد بن عمر بن يوسف الأرموي يقول: جلس أبو منصور المظفر بن اردشير القباوي العبادي / صح الواعظ بمدرسة التاجية بباب ابرز ببغداد بعد صلاة العصر، وذكر حديث ردّ الشمس وشرع في فضائل أهل البيت، فنشأت سحابة غطت الشمس حتى ظن الناس أنّها قد غابت، فقام أبو منصور على المنبر قائماً وأومى إلى الشمس وارتجل:

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي ... مدحي لآل المصطفى ولنجله

واثني عنانك إن أردت ثناهم ... أنسيت إذ كان الوقوف لأجله

أنسيت إذ كان الوقوف لأجله ... هذا الوقوف لخيله ولرجله

قال: فطلعت الشمس فلا يدرى ما رمي عليه من الأموال في ذلك اليوم[2]، وفي ردّ الشمس يقول الصاحب بن عباد:

١- قال الحاكم: أما حديث الطير فله طرق كثيرة جداً قد أفردتها بمصنف ومجموعها وهو يوجب أن يكون الحديث له أصل، مستدرك الصحيحين ٣: ١٣٠ ليس في هذه الصفحة حديث رد الشمس بل حديث الطير وأحاديث أخرى، تاريخ بغداد ٥: ٤٧٣، طبقات الشافعية ٣: ٦٤ .

٢- سيأتي تحقيق حول هذا الخبر فانتظر .

مَـــن كمـــولاي علـــــي	والـــوغى[1] تحمـــي لظاهـــا
مَـــن يـــصيد الـــصيد فيهـــا	بـالظبـــى حـــين انتـــضاهـا
مَـــن لـــه فـــي كـــل يـــوم	وقـــعـــات لا تـــضاهـــى
كـــم وكـــم حـــرب ضروس	ســدّ بالمرهـــف فـــاهـــا
اذكـــروا أفـــعـــال بـــدر	لـــست أبغـــي مـــا سواهـــا
اذكـــروا غـــزوة أُحـــد	إنّـــه شـــمس ضحـــاهـــا
اذكـــروا حـــرب حـــنين	إنّـــه بـــدر دجـــاهـــا
اذكـــروا الأحـــزاب قـــدماً	انّـــه لـــيـــث شـــراهـــا
اذكـــروا مهجـــة عـــمرو	كيـــف أفنـــاها تجـــاهـــا
اذكـــروا أمـــر بـــراة	واصـــدقوني مـــن تـــلاهـــا
حـــالـــه حالـــة هـــارو	ن لـمـــوسى فافهـمـاهـــا
أعـــلـــى حـــبّ عـــلـــي	لامنـــي القـــوم سفـــاهـــا
أول الـــنـــاس صـــلاة	جـعـــل الـتـقـــوى حلاهـــا
ردّت الـــشـــمس عـليـــه	بعـــد مـــا غـــاب سناهـــا[2]

الرابع: القاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ، ترجمه ابن خلكان في وفيات الأعيان فقال: كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب

١- في نسخة، في الوغى.

كـــم وكـــم حـــرب عقـــام	قـــد بالصمـــصام فاهـــا

٢- القصيدة ٧٨ بيت ديوان الصاحب: ١١٤ - ١١٩ .

وأيامهم وأنسابهم، وصنّف التصانيف المفيدة .

فهذا الإمام ذكر الحديث في كتابه[١] من حديث أسماء بنت عميس، نقلاً عن الطحاوي في تصحيحه وتوثيق رواته، وذكر قول أحمد بن صالح المتقدّم ذكره أولاً، وقد عدّه من علامات النبوة مثل انشقاق القمر .

قال الشهاب الخفاجي في نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عيّاض[٢]: وهذا الحديث صحّحه المصنّف رحمه الله تعالى، وأشار إلى أنّ تعدّد طرقه شاهد صدق على صحته، وقد صحّحه قبله كثير من الأئمّة كالطحاوي، وأخرجه ابن شاهين، وابن مندة، وابن مردويه، والطبراني في معجمه وقال: إنّه حسن، وحكاه العراقي في التقريب.

وحكى الملا علي القاري في شرحه على الشفا[٣] تصحيح القاضي عياض للحديث، وللقاري أيضاً كلام حول الحديث قاله في كتابه مرقاة المفاتيح[٤] وإلى القارئ نصّه:

صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمسِ: إنّكِ مأمورةٌ وأنا مأمورٌ، اللهُمّ احْبِسها علينا، فحُبستْ حتى فتحَ اللهُ عليه، (فجمع) الغنائم، فجاءَتْ ـ يعني النار ـ لتأكُلها، فلم تطعمْها، فقال: إنّ فيكم غُلولاً، فلْيُبايِعني منْ كلِّ قبيلةٍ رجلٌ، فلَزقتْ يدُ رجلٍ بيدِه، فقال: فيكُم الغُلولُ، فجاؤوا برأسٍ مثلِ رأسِ بقرةٍ منَ الذَّهبِ، فوضعَها، فجاءَتِ النّارُ فأكلتْها، فلم تحلّ الغنائِمُ لأحدٍ قبلَنا، ثمّ أحلَّ اللهُ لنا الغنائمَ، رأى ضَعفنا وعجْزَنا فأحلّها لنا. متفق عليه .

١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١ : ٢٤٠.

٢- نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عيّاض ٣ : ١١.

٣- شرح الشفا ٣: ١٣ بهامش نسيم الرياض.

٤- مرقاة المفاتيح ٧: ٥٤٤ ط دار الكتب العلمية.

بمعنى حان أي حان فتحها من قولهم: أنت الناقة إذا حان وقت نتاجها، ولم يقل في غير الناقة، في النهاية فأدنى بالقرية، هكذا جاء في مسلم وهو افتعل من الدنو، وأصله أدتني فأدغم التاء في الدال ا هـ، فيكون من قبيل قوله ادّان من الدين، وحاصله أنّه قرب من القرية . (صلاة العصر) أي وقتها، والمراد آخر أجزائه لقوله: (أو قريباً من ذلك) أي من آخر العصر، فأو للترديد احتياطاً ويمكن أن يكون الشك من الراوي.

(فقال) أي ذلك النبي، (للشمس: إنّك مأمورة) أي بالسير (وأنا مأمور) أي بفتح القرية في النهار، وذلك أنّه قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم، ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه، فدعا الله (وقال: اللهم احبسها علينا فحبست) أي الشمس (حتى فتح الله عليه) .

قال القاضي عياض: اختلفوا في حبس الشمس . فقيل: ردت على أدراجها، وقيل: وقفت بلا ردّ، وقيل: بطؤ تحركها، قلت: أوسطها لأنّه الظاهر في معنى الحبس، وكل ذلك من معجزات النبوة، قال: وقد روي أنّ نبيناﷺ حبست له الشمس مرّتين: إحداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس، فردّها الله عليه حتى صلّى العصر قاله الطحاوي، وقال رواته ثقات .

والثانية صبيحة الإسراء حين انتظر العير التي أخبر بوصولها مع شروق الشمس .

وفي المواهب، وأما ردّ الشمس لحكمهﷺ، فروي عن أسماء بنت عميس أنّ النبيﷺ كان يوحى إليه ورأسه في حجر عليﷺ، فلم يصلّ العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول اللهﷺ: أصلّيت يا عليّ قال: لا. فقال رسول اللهﷺ: (اللهم إنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس) قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت، ووقعت على الجبال والأرض وذلك بالصهباء في خيبر .

ورواه الطحاوي في مشكل الحديث كما حكاه القاضي في الشفاء، وقال شيخنا يعني العسقلاني: قال أحمد: لا أصل له، وتبعه ابن الجوزي فأورده في الموضوعات، ولكن قد صحّحه الطحاوي والقاضي عياض، وأخرجه ابن منده، وابن شاهين وغيرهم . وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي، عن ابن اسحاق مما ذكره القاضي عياض في الشفاء لما أسري بالنبي ﷺ، وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا: متى تجئ قال: يوم الأربعاء . فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولي النهار ولم تجيء، فدعا رسول الله ﷺ فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس .

وروى الطبراني أيضاً في معجمه الأوسط بسند حسن عن جابر﵁ أن رسول الله ﷺ أمر الشمس فتأخّرت ساعة من النهار ا هـ . وبهذا يعلم أنّ ردّ الشمس بمعنى تأخيرها، والمعنى (أنّها) كادت أن تغرب فحبسها، فيندفع بذلك ما قال بعضهم . ومن تغفل واضعه أنّه نظر إلى صورة فضيلة ولم يلمح إلى عدم الفائدة فيها، فإنّ صلاة العصر بغيبوبة الشمس تصير قضاء ورجوع الشمس لا يعيدها أداء ا هـ، مع أنّه يمكن حمله على الخصوصيات، وهو أبلغ في باب المعجزات والله أعلم بتحقيق الحالات.

قيل: يعارضه قوله في الحديث الصحيح: (لم تحبس الشمس على أحد إلا ليوشع بن نون)[1] ويجاب بأنّ المعنى لم تحبس على أحد من الأنبياء غيري إلا ليوشع، والله أعلم . (فجمع الغنائم فجاءت يعني النار) تفسير من بعض الرواة (لتأكلها) متعلق بجمع (فلم تطعمها) أي لم تأكلها، ففيه تفنن في العبارة، والمعنى فلم تحرقها ولم تعدمها . قال النووي: وكانت عادة الأنبياء﵈ أن يجمعوا الغنائم فتجيء نار من السماء فتأكلها علامة لقبولها وعدم الغلول فيها (فقال): أي ذلك النبي ﷺ لقومه (انّ فيكم) أي فيما بينكم إجمالاً

١- أحمد في المسند ٢: ٣٢٥ .

(غُلولاً) بالضم، ويحتمل الفتح بمعنى غال (فليبايعني) بسكون اللام ويسكن[1] (من كل قبيلة رجل فلزقت) بكسر الزاي أي ففعلوا فلصقت (يد رجل بيده فقال: فيكم) أي على الخصوص (الغلول فجاؤوا برأس مثل رأس بقرة) بجر مثل على الوصف، وفي نسخة بالنصب على أنّه حال أي مماثلاً لرأس بقرة.

وقوله: (من الذهب) بيان لرأس الأول فتأمل (لموضعها) أي النبي الرأس، وأنّث لأنّ المراد به الغنيمة (فجاءت النار فأكلتها زاد) أي أبو هريرة (في رواية) أي لهما أو لأحدهما أو لغيرهما (فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا ثم أحلّ الله لنا الغنائم) أي ستراً علينا وتوسعة للدنيا، وهو تصريح بما علم ضمنا (رأى ضعفنا وعجزنا) استئناف بيان (فأحلها لنا) إعاده لترتب الحكم، والأوّل لمجرد الأخبار. (متفق عليه).

الخامس: الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ قال في فتح الباري[2]: وروى الطحاوي والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي في الدلائل عن أسماء بنت عميس أنّه ﷺ دعا لما نام على ركبة علي ففاتته صلاة العصر، فردّت الشمس حتى صلّى عليّ ثم غربت، وهذا أبلغ في المعجزة، وقد أخطأ ابن الجوزي بايراده له في الموضوعات، وهكذا ابن تيمية في كتاب الرد على الروافض في زعم وضعه .

السادس: الحافظ شمس الدين السخاوي الحنفي المتوفى سنة/ ٩٠٢، قال في المقاصد الحسنة[3] حديث: ردّ الشمس على عليّ، قال أحمد: لا أصل له، وتبعه ابن الجوزي، فأورده في الموضوعات، ولكن قد صحّحه الطحاوي، وصاحب الشفاء، وأخرجه ابن منده، وابن

١- في المخطوطة (ويكسر) .

٢- فتح الباري ٦: ٢٢١.

٣- المقاصد الحسنة: ٢٢٦، بتحقيق عبدالله بن محمد الصدّيق وتقديم عبدالوهاب عبداللطيف برقم ٥١٩.

شاهين من حديث أسماء ابنة عميس، وابن مردويه من حديث أبي هريرة، وكذا ردّت للنبي ﷺ حين أخبر قومه بالرفقة التي رآها في ليلة الإسراء، وأنّها تجيء في يوم كذا، فأشرفت قريش ينظرون، وقد ولّى النهار ولم تجئ، فدعا النبي ﷺ فزيد له في النهار ساعة، وحبست عليه الشمس، قال راويها فلم تحبس على أحد إلا على النبي ﷺ يومئذٍ، وعلى يوشع بن نون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحلّ له قتالهم فيه، فدعا الله فردّ عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم .

السابع: الإمام العالم الفقيه المحدّث شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي نزيل مكة المكرمة ت ٨٩٩، ذكر الحديث في كتابه (الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة)[١] فقال: ومن كراماته الباهرة أنّ الشمس ردّت عليه لما كان رأس النبي ﷺ في حجره، والوحي ينزل عليه وعلي لم يصلّ العصر، فما سرى عنه ﷺ إلا وقد غربت الشمس، فقال النبي ﷺ: (اللهم انّه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس) فطلعت بعد ما غربت.

وحديث ردّها صحّحه الطحاوي والقاضي في الشفاء، وحسّنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره، وردّوا على جمع قالوا انّه موضوع، وزعم فوات الوقت بغروبها فلا فائدة لردها في محل المنع، بل نقول كما أنّ ردّها خصوصية كذلك إدراك العصر الآن أداء خصوصية وكرامة، على أنّ في ذلك أعني أنّ الشمس إذا غربت ثم عادت هل يعود الوقت بعودها تردداً حكيته مع بيان المتجه منه في شرح العباب في أوائل كتاب الصلاة .

قال سبط ابن الجوزي: وفي الباب حكاية عجيبة حدّثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق، أنّهم شاهدوا أبا منصور المظفر بن أردشير القباوي (كذا والصواب العبادي)

١- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة: ٧٦ – ٧٧، ط الميمنية بمصر سنة ١٣١٢ هـ .

الواعظ ذكر بعد العصر هذا الحديث، ونمقه بألفاظه وذكر فضائل أهل البيت، فغطّت سحابة الشمس حتى ظنّ الناس أنّها قد غابت، فقام على المنبر وأوما إلى الشمس وأنشدها:

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي   مدحي لآل المصطفى ولنجله

واثني عنانك إن أردت ثناءهم   أنسيتِ إذ كان الوقوف لأجله

إن كان للمولى وقوفك فليكن   هذا الوقوف لخيله ولرجله

قالوا: فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت .

الثامن: الحافظ السيوطي المتوفى سنة ٩١١ ذكر الحديث في كتابه الخصائص الكبرى[1] وفي كتابه الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة[2] وقال: أخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس، وابن مردويه من حديث أبي هريرة، فإسنادهما حسن، وممّن صحّحه الطحاوي والقاضي عيّاض، وقد ادعى ابن الجوزي أنّه موضوع فأخطأ كما بيّنته في مختصر الموضوعات وفي التعقيبات.

وقال في مقدمة رسالته كشف اللبس عن حديث ردّ الشمس: صحّحه الإمام أبو جعفر الطحاوي وغيره، وأفرط الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي فأورده في كتاب الموضوعات، وهذا جزء في تتبع طرقه وبيان حاله .

وقال في آخر الرسالة: وممّا يشهد لصحّة ذلك قول الإمام الشافعي وغيره: ما أوتي نبيّ معجزة إلا أوتي نبينا نظيرها، أو أبلغ منها، وقد صحّ أن الشمس حُبست على يوشع ليالي قاتل الجبّارين، فلابد أن يكون لنبيّناﷺ نظير ذلك، فكانت هذه القصة نظير ذلك، والله أعلم بالصواب.

١- الخصائص الكبرى٢: ٨٢.

٢- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ٢٦٦: ٤٨٨.

التاسع: الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة ٩٤٢ في كتابه سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد[1].

الباب الرابع حبس الشمس له ـ ﷺ ـ: روى الطبراني وحسنه الحافظ أبو الحسن الهيثمي في مجمع الزوائد، وأبو الفضل بن حجر في فَتْح البَارِي، وأبو زُرْعة العراقي في شرح تقريب والده عن جابر بن عبد الله أنَّ النبي ﷺ أمر الشمس أن تتأخّر ساعة في النهار فتأخّرت ساعة من النهار .

روى البيهقي من طريق يونس بن بكير، عن أسباط بن نصر، عن اسماعيل بن عبد الرحمن القرشي قال: لما أسري برسول الله ﷺ وأخبر قومه بالرفقة والعلامة في العير، قالوا: فمتى يجيء قال: يوم الأربعاء، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولّى النهار ولم يجئ، فدعا النبي ﷺ فزيد له في النهار ساعة، وحبست عليه الشمس فلم تُرَدّ الشمس على أحد إلا على رسول الله ﷺ يومئذٍ، وعلى يوشع بن نون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس فخاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه، فدعا الله فردّ عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم. وقد قال الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس في قَصيدة من كتابه بشرى اللبيب بذكرى الحبيب:

وقفت له شمس النهار كرامةً كما وقفت شمس النَّهار ليوشعا

وردَّت عليه الشمس بعد غروبها وهذا من الايقان أعظم مَوقعا

والعلّامة بهاء الدين بن السبكي رحمهما الله تعالى في قصيدته المسماة بهدية المسافر إلى النور السافر فقال شعراً:

١- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٩: ٤٣٤ – ٤٣٩ ط ١ بدار الكتب العلمية بيروت.

وشمس الضحى طاعتك وقت مغيبها فما غربت بل وافقتك بوقفةٍ
وردّت عليك الشمس بعد مغيبها كما أنّها قدماً ليوشع رُدتِ

الباب الخامس في ردّ الشمس بعد غروبها ببركة دعائه ـ ﷺ ـ: قال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في معجمه الكبير: حدّثنا جعفر بن أحمد بن سنان الواسطي، حدّثنا أبو العباس أحمد بن يحيى الجرادي بالموصل، حدّثنا علي بن المنذر، حدّثنا محمد بن فضيل، حدّثنا الفضيل بن مرزوق، عن إبراهيم بن الحسن، عن فاطمة بنت الحسين بن علي، عن أسماء بنت عميس قالت: كان رسول الله ﷺ إذا نزل الوحي يكاد يغشى عليه، فأنزل عليه يوماً ورأسه في حجر علي، فقال له رسول الله ﷺ: صلّيت العصر يا عليّ؟ قال: لا يا رسول الله فدَعا الله ﷻ فردّ عليه الشمس حتى صلّى العصر قالت: فـرَأَيْتُ الشمس طلعت بعدما غابت حين رُدّت حتى صلَّى العصر .

قال الحافظ أبو الحسن الهَيْثَمي: ورِجَالـه رِجال الصحيح غير إبراهيم بن الحسن وهو ثقة وثـَّقـَهُ ابن حِبَّان .

قلت: وذكره ابن أبي حاتم فلم يذكر فيه جرحاً، وأورده الذهبي في المغنى في الضعفاء، وقال الحافظ ابن حجر في (تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة) ولم يذكر لذكره فيه مستنداً، قلت: إنـَّما ذكره لأجل الحديث، ولـَمْ ينفرد به إبراهيم بَلْ تابعه عليه عروة بن عبد الله بن قشير عن فاطمة بنت علي كما سيأتي .

وقال الهيثمي: وفاطمة بنت علي بن أبي طالب لا أعرفها، قلت: فاطمة هذه روى لها النسائي وابن ماجة في التفسير، ووثـّقها الحافظ ابن حجر في (تقريب التهذيب) وتابعها أبو جعفر محمد بن جعفر بن أبي طالب .

وقال الطبراني: حدّثنا الحسين بن اسحاق التستري، حدّثنا عثمان بن أبي شيبة (ح)

وحدّثنا عبيد بن سنام، حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة قالا: حدّثنا عبيد الله بن أبي موسى، عن فضيل بن مرزوق، عن إبراهيم بن الحسن، عن فاطمة بنت الحسين، عن أسماء بنت عميس فذكر نحوه .

الحسين بن إسحاق قال الذهبي في تاريخ الإسلام: محدثٌ ثقة، وعبيد بن غنام وهو ابن حفص بن غياث وثـَّقه مسلم بن قاسم، وأبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة مِنْ رجال الصحيحين، وعبيد الله بن موسى من رجال الصحيحين وثقوه، وفضيل بن مرزوق روى له مسلم والأربعة .

قال الحافظ ابن حجر في تقريبه صدوقٌ يهم، وإبراهيم بن الحسن ثقةٌ وأنَّ ابن حِبّان وثـَّقه، وفاطمة بنت الحسين روى لها أبو داود في المراسيل وثقها الحافظ في التقريب .

تنبيه: قال في الرواية السابقة عن إبراهيم بن الحسن، عن فاطمة بنت علي، عن أسماء، وفي هذه عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها، وقد جمع كل مِنْ فاطمة بنت علي وفاطمة بنت الحسين عن أسماء، وفاطمة بنت الحسين هي أم إبراهيم بن الحسن بن الراوي عنهما، فكأنّه سمعه من أُمّه وعمته فاطمة بنت عليّ، فرواه مرّة عن أُمّه ومرّة عن عمتها، وقد عدّ ذاك ابن الجوزي وغيره اضطراباً وليس كذلك .

وقال الطبراني: حدّثنا اسماعيل بن الحسن الخفاف، حدّثنا شاذان بن الفضل، حدّثنا أبو الفضل محمد بن عبيد الله القصار بمصر، حدّثنا يحيى بن أيوب العلاف، قال: حدّثنا أحمد بن صالح، عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، أخبرني محمد بن محمد بن موسى الفطري، عن عون بن محمد، عن أمه أم جعفر، عن أسماء بنت عميس فذكر نحوه .

وقال شاذان: حدّثنا أبو الحسن أحمد بن عمير، حدّثنا أحمد بن الوليد بن برد الأنطاكي، حدّثنا محمد بن اسماعيل بن أبي فديك به عن اسماعيل بن الحسن بن الخفاف

وثَّقَهُ ابن يونس، ويحيى بن أيوب من رجال النسائي قال الحافظ في (التقريب): صدوق وأحمد بن صالح من رجال البخاري وأبو داود، وقال في التقريب: ثقة حافظ، تكلّم فيه النسائي بلا حجة، وأبو الحسن أحمد بن عمير بن جوصاء وثقّه الطبراني، وقال أبو علي الحافظ: كان ركناً من أركان الحديث، وإماماً من أئمة المسلمين قد جاز القنطرة، وقال الحافظ في الكشاف: صدوق، وقال الدارقطني: ليس بالقوي، قال الذهبي في (تاريخ الإسلام): هو ثقة ليست له غرائب فما للضعف عليه من علّة .

أحمد بن الوليد بن برد وثَّقَهُ ابن حِبّان وذكره ابن أبي حاتم فلم يذكر فيه جُرْحا وقال كتب عن أبي محمد بن اسماعيل بن أبي فديك نعم القاص روى عنه الأئمة والأربعة وذكره البخاري في التاريخ ولم يجرحه، وقال الحافظ في التقريب: صدوقاً رمي بالتشيع .

وعون بن محمد بن علي بن أبي طالب وثّقه ابن حِبَّان، وذكره البخاري في (التاريخ) ولم يضعّفه، وأم جعفر ويقال لها أم عون بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب من رجال ابن ماجة في (التقريب) مقبولة، ولهذا أورد الذهبي هذا الطريق في مختصر الموضوعات، وابن الجوزي قال: غريب عجيب تفرّد به ابن أبي فُديك وهو صدوق، شيخه الفطري صدوق واعترض على هذا فذكر حديث (لم تحبس الشمس لأحد إلا ليوشع بن نون) وسيأتي الجواب عنه، ولم يذكر علّة غير ذلك .

وقال شاذان الفضلي: حدّثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن إسماعيل بن كعب الدقاق بالموصل، ثنا علي بن جابر الأودي، حدّثنا عبد الرحمن بن شريك، حدّثنا أُبيّ، حدّثنا عروة بن قشير: دخلت على فاطمة بنت علي الأكبر فقالت: حدّثتني أسماء بنت عميس، فذكره .

علي بن إبراهيم وثَّقه الأزدي نقله الخطيب في التاريخ، وعلي بن جابر الأودي ـ بفتح الألف وسكون الواو ودال مهملة ـ وثَّقه ابن حِبَّان، وعبد الرحمن بن شريك روى له

البخاري في الأدب المفرد، قال الحافظ في التقريب: صدوق وأبوه من رِجَالِ مسلم والأربعة، وروى له البخاري تعليقاً، قال في (التقريب): صدوق يخطئ كثيراً، وعروة بن قُشَير - بضم القاف وفتح الشين المعجمة - من رجال أبي داود والترمذي في الشمائل، ووثقَّه الحافظ في التقريب، وفاطمة بنت علي تقدّمت .

ولهذا الحديث طرق أخرى عن أسماء أوردت بعضها في كتابي (مزيل اللبس عن حديث رَدِّ الشمس)[1]، وورد من حديث علي ورواه شاذان، ومن حديث ابنه الحسين بن علي رواه الدولابي في (الذرية الطاهرة)، والخطيب في (تلخيص المتشابه) ومن حديث أبي سعيد رواه الحافظ أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن حسكان - بمهملتين وفتح أوله - الفقيه الحنفي القاضي النيسابوري فيما أملاه من طرق هذا الحديث، نقله الذهبي في موضوعات ابن الجوزي من حديث أبي هريرة، وابن مردويه وابن شاهين وابن منده، وحسّنه شيخنا في (الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة) وقد سبقت أحاديثهم، وتكلّمت على رجالها في كتابي (مزيل اللبس من حديث ردّ الشمس) وحديثاً مما رواه الطحاوي من طريقين في كتابه (مشكل الآثار) وقال: هذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات، ونقله عن القاضي عياض في الشفاء، والحافظ ابن سيد الناس في كتابه (بشرى اللبيب) .

وقال في قصيدة ذكرها في شعره:

وردّت عليه الشمس بعد غروبها ... وهذا من الإيقان أعظم مَوْقِعَا

والحافظ علاء الدين بن مغلطاي في كتابه (الزهر الباسم)، واللاذُري في (توثيقه عرى الإيمان) والنووي في (شرح مسلم) في باب حل الغنائم لهذه الأمة، ونقله عنه الحافظ ابن

١- طبعه المرحوم العلامة الشيخ محمد باقر المحمودي في كتابه كشف اللبس عن حديث ردّ الشمس من ص١٠٩ إلى ص١٦٤ ط مؤسسة المعارف الإسلامية بقم سنة ١٤١٩ .

حجر في تخريج أحاديث الرافعي في باب الآذان، كما في النسخ المعتمدة، وأقرّه وصحّحه الحافظ أبو الفتح الأزدي، ونقله ابن العديم في تواريخ حلب، وحسّنه الحافظ أبو زرعة ابن الحافظ أبي الفضل العراقي في تكملته لشرح تقريب والده .

وقال الإمام أحمد - وناهيك - ولا ينبغي لمن سبيله العلم التخلّف عن حديث أسماء، لأنّه من أجل علامات النبوة رواه الطحاوي، فقد أنكر الحفّاظ على ابن الجوزي إيراده لهذا الحديث في الموضوعات، فقال الحافظ ابن حجر: في باب قول النبي ﷺ: (أحلت لكم الغنائم) من فتح الباري بعد أن أورد الحديث: أخطأ ابن الجوزي بإيراده له في الموضوعات، انتهى . ومن خَطّه نقلت، وقال الحافظ مغلطاي في الزهر الباسم بعد أن أورد الحديث من عند جماعة لا يلتفت إليهم لما أعل به ابن الجوزي من حيث أنَّه لم يقع له الإسْنَاد الّذي وقع لهؤلاء، وقال شيخنا في مختصر الموضوعات أفرط بايراده له هنا .

تنبيهات: **الأول**: نقل ابن كثير عن الإمام أحمد وجماعة من الحفّاظ أنّهم صرّحوا بوضع هذا الحديث، قلت: والظاهر أنّه وقع له من طريق بعض الكذّابين، ولم يقع له من الطرق السابقة، وإلا فالطرق السابقة يتعذّر معها الحكم عليه بالضعف فَضلاً عن الوضع، ولو عرضت عليهم أسانيدها لاعترفوا بأنّ للحديث أصلاً وليس هو بموضوع، وما مهّدوه من القواعد وذكر جماعة من الحفّاظ في كتبهم المعتمدة أو تقوية منْ قواه كما تقدّم ويردُّ على من حكم عليها بالوضع .

التنبيه الثاني: قد علمت ـ رحمني الله وإياك ـ ما أسلفنا من كلام الحفّاظ في حكم هذا الحديث، وتَبَيَّن لك ثقات رجاله، وأنّه ليس فيهم متهم ولا من أجمع على تركه، ولاح لك ثبوت الحديث وعدم بطلانه، فلم يبق إلاّ الجواب عمّا أعلّ به وقد أعلّ بأمور:

الأمر الأول: من جهة بعض رجال طرقه، فرواه ابن الجوزي من طريق فضيل بن

مرزوق، وأعلّه به ثم نقل عنه ابن معين تضعيفه، وانّ ابن حبان قال فيه: كان يخطئ على الثقات ويأتي بالموضوعات انتهى، وفضيل من رجال مسلم ووثّقه السفيانيين (كذا والصواب السفيانان) وابن معين كما نقله عن ابن أبي خيثمة، وقال عبد الخالق بن منصور أنّه قال فيه: صالح الحديث، وقال الإمام أحمد: لا أعلم إلا خيراً، وقال العجلي: جائز الحديث صدوق.

وقال ابن عدي: أرجو أنّه لا بأس به، وذكره البخاري في التاريخ ولم يصفه، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: صالح الحديث صدوق يهم كثيراً، نقل جميع ذلك شيخ الإسلام ابن حجر في (تهذيب التهذيب) ومن قيل فيه ذلك لا يحكم على حديثه بالوضع.

ثم ذكر ابن الجوزي ان ابن شاهين رواه عن شيخه ابن عبده من طريق عبد الرحمن شريك قال: وعبد الرحمن قال فيه أبو حاتم: واهي الحديث، انتهى، وعبد الرحمن هذا ذكره ابن حِبَّان في الثقات وقال: ربما أَخْطَأَ، وقال الحافظ ابن حجر في التقريب: صدوق، ثم قال ابن الجوزي: وأنا لا أتهم بهذا إلا ابن عقدة إنّه كان رافضياً، انتهى.

فإن كان يتهمه بأصل الحديث فالحديث معروف قبل وجود ابن عقدة، وقال الذهبي في مختصر مِنْهاج الإعتدال لشيخه ابن تيمية: لا ريب أنّ ابن شريك حَدَّثَ به وجاء من وجه آخر قوي عنه، انتهى . أرادَ الطريق الّذي رواه ابن شاهين منه، فابن عقدة لم ينفرد به بل تابعه غيره، قال شاذان: حَدَّثنا أبو الحسن عليّ بن سعيد بن كعب الدقاق بالموصل، حدّثنا عليّ بن جابر الأودي، حدّثنا عبد الرحمن بن شريك به حدّثنا علي بن سعيد، وعلي بن سعيد، وعليّ بن جابر ثقتان، وثّق الأول أبو الفتح الأسدي، والثاني ابن حبان .

الأمر الثاني: قال الجوزقاني وابن الجوزي وغيرهما: يقدح في صحة هذا الحديث ما في الأحاديث الصحيحة أنّ الشمس لم تحبس إلاّ ليوشع بن نون، انتهى.

وأجاب الطحاوي في مشكل الآثار، وأقرّه ابن رشد في مختصره بأنّ حبسها غير ما في حديث أسماء من ردّها بعد الغروب، وقال الحافظ: في باب قول النبي ﷺ: (أحلت لكم الغنائم) من فتح الباري بعد أن أورد حديث حبس الشمس صبح ليلة الإسراء: ولا يعارضه ما رواه أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة (لم تحبس الشمس إلا ليوشع بن نون) إلى آخره، ووجه الجمع أنّ الحصر محمولٌ على ما مضى للأنبياء قبل نبيناﷺ، وقوله: لم تحبس الشمس إلا ليوشع بن نون فيه نفي، إنّما قد تحبس بعد ذلك لنبيناﷺ.

الأمر الثالث: في الإضطراب، وتقدّم ردُّ ذلك في التنبيه المتقدّم أول الكتاب.

الأمر الرابع: قال الجوزقاني ومن تبعه: لو رُدّت الشمس لكان ردّها يوم الخندق للنبيﷺ بطريق الأولى. قلت: ردّ الشمس لعليّ إنّما كان بدعاء النبيﷺ، ولم يجئ في خبر قط أنّ النبيّ ﷺ دعا في واقعة الخندق أن تُردّ فلم تُردّ، بل لم يدع، على أنّ القاضي عياض ذكر في الإكمال أنّ الشمس ردّت على النبيّﷺ في واقعة الخندق فالله أعلم، وقد بيّنت ضعفه في كتاب (مزيل اللبس).

الأمر الخامس: أعلّ ابن تيمية حديث أسماء بأنّها كانت مع زوجها بالحبشة، وقلت: هو وهم بلا شك، وبلا أدنى خلاف أنّ جعفر قدم من الحبشة هو وامرأته أسماء على رسول اللهﷺ وهو بخيبر بعد فتحها، وقسم لهما ولأصحاب سفينتهما.

الأمر السادس: قال ابن الجوزي: ومن تغفيل وضع هذا الحديث أنّه نظر إلى صورة فضيلة ولم يتلمح إلى عدم الفائدة، فإنّ صلاة العصر لغيبوبة الشمس صارت قضاءً ورجوع الشمس لا يعيدها أداء. انتهى.

قلت: لثبوت الحديث على أنّ الصلاة وقعت أداءً، بذلك صرّح القرطبي في التذكرة قال: فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً، وأنّه لا يتجدّد الوقت لما ردّها عليه، ذكره في باب ما

يُذْكِرُ المَوت والآخرة من أوائل التذكرة، ووجهه أنّ الشمس لما عادت كأنّها لم تغب، والله سبحانه وتعالى أَعْلَم .

التنبيه الثالث: ليحذر من يقف على كلامي هنا أن يظن بي أنّي أميل إلى التشيع، والله يعلم أنّ الأمر ليس كذلك، والحَامِلُ لي على هذا الكلام أنّ الذهبي ذكر في ترجمة الحافظ الحسكاني أنَّه كان يميل إلى التشيّع؛ لأنّه أملى جزءاً في طرق حديث ردّ الشمس، وهذا الرجل ترجمه تلميذه الحافظ عبد الغفار بن اسماعيل الفارسي في (ذيل تاريخ نيسابور) فلم يضعفه بذلك بل أثنى عليه ثناءً حسناً، وكذلك غيره من المؤرخين، نسأل الله تعالى السلامة من الخوض في أعراض الناس بما نعلم وبما لا نعلم .

العاشر: الشيخ الإمام العلامة عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر ابن الديبع الشيباني الشافعي المتوفى سنة ٩٤٤ ذكر الحديث في كتابه (تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث) ص٨١ فقال:

حديث ردّ الشمس على عليّ قال أحمد: لا أصل له وتبعه ابن الجوزي في الموضوعات، ولكن قد صحّحه الطحاوي وصاحب الشفاء، وأخرجه ابن منده وابن شاهين وغيرهما من حديث أسماء بنت عميس وغيرها .

الحادي عشر: ابن عراق الكناني المتوفى سنة ٩٦٣ في كتابه (تنزيه الشريعة)[1]، ذكر الحديث وذكر مَن غمز فيه ومن صحّحه، وأطال في استعراض النقض والإبرام وختم كلامه بالتنبيه، وهو في جميع ذلك بحق كان هو العالم الفقيه النبيه هاؤم اقرأوا ما كتب .

١٠٤ - حديث أسماء بنت عميس: كان رسول الله ﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي، ولم يصلّ العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ لعلي: أصلّيت؟ قال: لا،

١- تنزيه الشريعة: ٣٧٨ - ٣٨٢ بتحقيق عبد الله محمد الصدّيق ط ١ مكتبة القاهرة.

قال رسول الله ﷺ: (اللهم إنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس) قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت.

(ابن الجوزي) من طريق فضيل بن مرزوق وقد ضعفه يحيى (شا) من طريق ابن عقدة، وهو رافضي رمى بالكذب، وفيه أيضاً عبد الرحمن بن شريك، قال فيه أبو حاتم: واهي الحديث، وجاء أيضاً من حديث أبي هريرة أخرجه (مر) من طريق داود بن فراهيج وقد ضعّفه شعبة (تعقب) بأنّ فضيلاً ثقة صدوق احتج به مسلم والأربعة، وعبد الرحمن بن شريك وثّقه غير أبي حاتم، وروى عنه البخاري في الأدب وابن عقدة من كبار الحفّاظ، والناس مختلفون في ذمه ومدحه . وكذّب الدارقطني من اتهمه بالوضع، وقال حمزة السهمي: ما يتهمه بالوضع الاطبل، وداود وثّقه قوم.

ثم الحديث صرّح بتصحيحه جماعة من الأئمة والحفّاظ منهم الطحاوي، وللسيوطي جزء في تتبع طرق هذا الحديث وبيان حاله سماه (كشف اللبس في حديث ردّ الشمس، وختمه بقوله: وممّا يشهد لصحة ذلك قول الشافعي﵁ وغيره: ما أوتي نبي معجزة إلا أوتي نبيناﷺ نظيرها أو أبلغ منها، وقد صحّ أنّ الشمس حبست على يوشع ليالي قاتل الجبارين، فلابد أن يكون لنبيناﷺ نظير ذلك، فكانت هذه القصة نظير تلك.

قلت: وممّن صرّح بذلك جازماً به الإمام حازم القرطاجني فقال في مقصورته:

والشمس ما ردّت لغير يوشع لما غزا ولعلي إذ غفا

وقال الذهبي في تلخيص الموضوعات: أملى أبو القاسم الحسكاني مجلساً في ردّ الشمس فقال: روي ذلك عن أسماء بنت عميس وعلي وأبي هريرة وأبي سعيد بأسانيد متصلة، قلت: لكنها ساقطة ليست بصحيحة، ثم ساقه من طرق منها أحمد بن صالح الحافظ وابن برد الأنطاكي وغيرهما عن ابن أبي فديك، أخبرني محمد بن موسى الفطري،

عن عون بن محمد، عن أمه أم جعفر، عن جدّتها أسماء بنت عميس أنّ رسول الله ﷺ صلّى الظهر ثم أرسل علياً في حاجة فرجع، وقد صلّى رسول الله ﷺ العصر، فوضع رأسه في حجر علي، ولم يحرّكه حتى غابت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: (إنّ عبدك علياً احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه شرقها) قالت أسماء: فطلعت الشمس حتى وقفت على الجبال والأرض، فقام علي وتوضّأ وصلّى العصر، ثم غابت الشمس وذلك في الصهباء في غزوة خيبر.

قال الحسكاني: أم جعفر هذه هي بنت محمد بن جعفر ابن أبي طالب وابنها عون بن محمد بن الحنفية، هذا حديث غريب عجيب انفرد به ابن أبي فديك، وهو صدوق، وشيخه الفطري صدوق، واعترض على هذا بما صحّ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: أنّ الشمس لم تحبس إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس، وقال شيعي: انّما نفى عليه السلام وقوفها، وحديثنا فيه الطلوع بعد المغيب فلا تضاد بينهما.

قلت: لوردّت لعلي لكان ردّها يوم الخندق للنبي ﷺ أولى، فإنّه حزن وتألّم ودعا على المشركين لذلك، ثم نقول: لو ردّت لعلي لكان بمجرد دعاء النبي ﷺ، ولكن لما غابت خرج وقت العصر، ودخل وقت المغرب، وأفطر الصائمون وصلّى المسلمون المغرب، فلو ردّت الشمس للزم تخبيط الأمة في صومها وصلاتها، ولم يكن في ردّها فائدة لعلي إذ رجوعها لا يعيد العصر أداء، ثم هذه الحادثة العظيمة لو وقعت لاشتهرت وتوفّرت الهمم والدواعي على نقلها، إذ هي في نقض العادات جارية مجرى طوفان نوح، وانشقاق القمر، انتهى كلام الذهبي.

وأقول ـ والقائل هو ابن عراق ـ: قوله قال شيعي إنّما نفى عليه السلام وقوفها إلى آخره في نسبته هذا الجواب لشيعي نظر، فإنّ المجيب له الطحاوي في مشكل الآثار، وللحافظ ابن

حجر في فتح الباري جواب آخر، هو أنّ الحصر محمول على ما مضى للأنبياء قبل نبيناﷺ، وقوله: لو ردّت الشمس لعلي لكان ردّها يوم الخندق للنبيﷺ أولى، قد سبقه إليه الجوزقاني، وجوابه أنّ ردّ الشمس لعلي إنّما كان بدعاء النبيﷺ، ولم يثبت أنه دعا في وقعة الخندق أن تردّ عليه الشمس فلم تردّ، بل لم يدع.

على أنّ القاضي عياضاً ذكر في الإكمال نقلاً عن مشكل الآثار للطحاوي، ونقله عن القاضي عياض أئمة وأقروه منهم النووي في شرح مسلم، والحافظ مغلطاي في الزهر الباسم، والحافظ ابن حجر في تخريج الرافعي أنّ النبيﷺ دعا الله يوم الخندق أن يردّ الشمس عليه فردّها حتى صلّى العصر، لكن في هذا نظر من وجهين أحدهما: انّ الّذي صحّ في وقعة الخندق أنّهﷺ صلّى العصر بعد ما غربت الشمس، وثانيهما: أنّ الموجود في مشكل الآثار إنّما هو حديث أسماء في قصة خيبر .

وقوله: ورجوعها لا يعيد العصر أداء جوابه: انّ في تذكرة القرطبي ما يقتضي أنّها وقعت أداء، قال رحمه الله: فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً وأنّه لا يتجدد الوقت لما ردّها عليه الصلاة والسلام، وفي كتاب المنتقى في عصمة الأنبياء للإمام نور الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر الصابوني الحنفي ما يقتضي ذلك أيضاً، فإنّه قال: والمقصود بردّ الشمس ردّ الوقت حتى تؤدّى الصلاة في وقتها انتهى.

ورأيته في تعليق لبعض معاصري أشياخنا من الشافعية من أهل حضرموت مجزوماً به، ورتب عليه لغزاً، فقال: وعلى ذلك يقال رجل أحرم بصلاة قضاء عالماً بفوات الوقت فوقعت أداء، وصورته أحرم بصلاة العصر بعد ما غربت الشمس فطلعت قبل أن يفرغ منها بركعة، انتهى. ورأيت في كتاب لبعض أشياخي في هذه القصة أنّ الشيخ تقي الدين الشافعي ابن دقيق العيد حكى قولين للعلماء في أنّ هذه الصلاة كانت أداء أم قضاء .

تنبيه: تحصّل ممّا مرّ أنّ الشمس وقفت ثلاثمرّات إن ثبتت قصة الخندق، وورد وقوفها في ثلاث مرّات أخرى، فنذكرها تتميماً للفائدة.

أحدها: لنبيناﷺ، ذكر القاضي عياض في الشفا عن زيادة المغازي ليونس بن بكير أنّه لما أسرى برسول اللهﷺ، وأخبر قومه بالرؤيا والعلامة التي في العير، قالوا: متى تجيء؟ قال: يوم الأربعاء، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولّى النهار ولم تجئ فدعا رسول اللهﷺ فزيد له في النهار ساعة، وحبست عليه الشمس حتى دخلت العير.

والثانية لداود عليه السلام إن ثبت ما أخرجه الخطيب في كتاب النجوم عن عطاء، قال: قيل لعلي بن أبي طالب: هل كان للنجوم أصل؟ قال: نعم كان نبي من الأنبياء يقال له يوشع بن نون فقال قومه: إنّا لا نؤمن بك حتى تعلمنا بدء الخلق وآجاله ؛ فأوحى الله تعالى إلى غمامة فأمطرتهم، واستنقع على الجبل ماء صافياً، ثم أوحى الله تعالى إلى الشمس والقمر والنجوم أن تجرى في ذلك الماء، ثم أوحى إلى يوشع بن نون أن يرتقى هو وقومه على الجبل ؛ فارتقوا الجبل، فقاموا على الماء حتى عرفوا بدء الخلق وآجاله بمجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار، فكان أحدهم يعلم متى يموت ومتى يمرض، ومن الّذي يولد له. ومن الّذي لا يولد له.

قال: فبقوا كذلك برهة من زمان دهرهم، ثم إنّ داود عليه السلام قاتلهم على الكفر، فأخرجوا إلى داود في القتال من لم يحضر أجله، ومن حضر أجله خلّفوه في بيوتهم، فكان يقتل من أصحاب داود، ولا يقتل من هؤلاء أحد، فقال داود: رب أقاتل على طاعتك ويقاتل هؤلاء على معصيتك، فيقتل أصحابي ولا يقتل من هؤلاء أحد، فأوحى الله إليه إنّي كنت علمتهم بدء الخلق وآجاله، وإنّما أخرجوا إليك من لم يحضر أجله ومن حضر أجله خلّفوه في بيوتهم، فمن ثَمّ يقتل من أصحابك ولا يقتل منهم أحد.

قال داود: يا رب على ماذا علمتهم، قال: على مجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار، قال: فدعا الله فحبست الشمس عليهم فزاد في النهار، فاختلطت الزيادة بالليل فلم يعرفوا قدر الزيادة فاختلط عليهم حسابهم، قال علي: فمن ثَمّ كره النظر في النجوم.

قال الخطيب: في إسناده غير واحد مجهول، وما ذكر فيه من علم القوم بأوقات آجالهم وغير ذلك من غائب أحوالهم غير مقبول، وحبس الشمس على داود ليس بصحيح، وقد صحّ عنه ﷺ أنّ الشمس لم تحبس على أحد إلّا على يوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس، انتهى.

والثالثة لسليمان بن داود عليهما السلام، روى الطحاوي والطبراني عن ابن عباس قال: قال علي: ما بلغك في قول الله تعالى حكاية عن سليمان: (ردّوها علي) فقلت: قال لي كعب: كانت أربعة عشر فرساً عرضها فغابت الشمس قبل أن يصلّي العصر، فأمر بردها فضرب سوقها وأعناقها بالسيف فقتلها، فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوماً لأنّه ظلم الخيل بقتلها، فقال علي: كذب كعب، وإنّما أراد سليمان جهاد عدوّه، فتشاغل بعرض الخيل حتى غابت الشمس، فقال للملائكة الموكلين بالشمس باذن الله لهم: ردّوها علي، فردّوها عليه حتى صلّى العصر في وقتها، وإنّ أنبياء الله لا يظلمون فلا يأمرون الناس بالظلم.

قال الحافظ ابن حجر الشافعي في فتح الباري: هذا لا يثبت عن ابن عباس ولا غيره، وإن أورده جماعة من المفسّرين ساكتين عليه جازمين به، والثابت عن جمهور أهل العلم بالتفسير من الصحابة ومن بعدهم أنّ الضمير المؤنّث في قوله (ردوها) للخيل، والله أعلم.

الثاني عشر: ملك المحدّثين محمد طاهر الفتني المتوفى سنة ٩٨٦ في تذكرة

الموضوعات[1] قال: حديث أسماء في ردّ الشمس فيه فضيل بن مرزوق ضعيف، وله طريق آخر فيه ابن عقدة رافضي رمي بالكذب، ورافضي كاذب .

قلت ـ والقائل هو الفتني ـ: فضيل صدوق احتج به مسلم والأربعة، وابن عقدة من كبّار الحفّاظ وثّقه الناس، وما ضعّفه إلا عصري متعصّب، والحديث صرّح جماعة بتصحيحه منهم القاضي عيّاض، وفي اللئالي ـ ثم ذكر الحديث عن أسماء بنت عميس، وتعقيب السيوطي عليه، ثم قال:- قلت: وفي المقاصد ردّ الشمس على علي قال أحمد: لا أصل له وتبعه ابن الجوزي، ولكن صحّحه الطحاوي وصاحب الشفا، وكذا ردّت للنبي ﷺ .

الثالث عشر: العلامة المحدّث محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة ١٠٣١، ذكر الحديث في كتابه فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي[2].

فقال: (ما حُبست الشمس على بشر قطّ إلا على يوشع) يقال: بالشين وبالسين (ابن نون) مجرور بالإضافة منصرفٌ على الأفصح، وإن كان أعجمياً لسكون وسطه كنوح ولوط (ليالي سار إلى بيت المقدس) قيل في هذا الحبس إنّها رجعت على أبراجها، وقيل وقفت فلم ترد، وقيل هو بطوء حركتها.

قال بعض شراح مسلم: والشمس أحد الكواكب السيارة، وحركتها مترتبة على حركة الفلك بها، فحبسها المذكور على التفاسير المذكورة إنّما هو لحبس الفلك لا لحبسها في نفسها.

ثم إنّ هذا لا يعارضه خبر ردّ الشمس على عليّ لأنّ هذا في خبر صحيح، وخبر علي

١- تذكرة الموضوعات: ٩٦ ط مصر.

٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي ٥: ٤٣٩ – ٤٤١، ط مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٥٦.

قال ابن الجوزي موضوع لاضطراب رواته، لكن انتصر المصنف لتصحيحه، وعمدته نقله عن عياض في الشفاء، وقد أقاموا عليه القيامة، وذكر عظماء شراحه أنّه غير صحيح نقلاً ومعنى، وتعجبوا منه مع جلالة قدره في سكوته عليه، وابن تيمية له تأليف في الردّ على الرافضة ذكر فيه الخبر بطرقه ورجاله وحكم بوضعه، وعلى التنزّل وفرض صحّة الخبرين فلا معارضة، لأنّ خبر يوشع في حبسها قبل الغروب، وخبر عليّ في ردّها بعده، أو أنّ إخباره بأنّها لم تحبس إلا ليوشع قبل ردّها على عليّ.

ثم رأيت الحافظ قد أوضح تقرير هذه القصة فقال: أخرج الخطيب في كتابه ذم النجوم عن علي كرم الله وجهه قال. سأل قوم يوشع أن يطلعهم على بدء الخلق وآجالهم فأراهم ذلك في ماء من غمامة أمطرها الله عليهم، فكان أحدهم يعلم متى يموت فبقوا على ذلك إلى أن قاتلهم داود على الكفر، فأخرجوا إلى داود من لم يحضر أجله، فكان يقتل من أصحاب داود ولا يقتل منهم فشكى إلى الله ودعاه فحبست عليهم الشمس فزيد في النهار، فاختلطت الزيادة بالليل والنهار فاختلط عليهم حسابهم أ هـ.

قال ابن حجر: إسناده ضعيف جداً، وحديث أحمد الآتي رجاله محتج بهم في الصحيح، فالمعتمد أنّها لم تحبس إلا ليوشع، وقد اشتهر حبس الشمس ليوشع حتى قال أبو تمام:

فوالله لا أدري أأحلام نائم ألمت أم كان في الركب يوشع

ولا يعارضه ما في السير أنّ المصطفى ﷺ لما أخبر قريشاً بالاسراء أنّه رأى عيرهم تقدم مع شروق الشمس فدعا الله فحبست حتى قدمت، وهذا منقطع، لكن في الأوسط للطبراني عن جابر أنّ المصطفى ﷺ أمر الشمس فتأخّرت ساعة من نهار وسنده حسن، ويجمع بأنّ الحصر على الماضي للأنبياء قبل نبينا، وليس فيه أنّها لا تحبس بعده.

وفي الكبير للطبراني والحاكم والبيهقي في الدلائل عن أسماء بنت عميس أن المصطفى ﷺ دعا لما نام على ركبة عليّ ففاتته العصر، فردّت حتى صلّى عليّ ثم غربت، وهذا أبلغ في المعجزة؛ وأخطأ ابن الجوزي في إيراده في الموضوع.

وجاء أيضاً أنّها حبست لموسى لما حبس تابوت يوسف، ففي المبتدأ عن عروة أنّه تعالى أمر موسى أن يأمر بني إسرائيل أن تحمل تابوت يوسف، فلم يدل عليه حتى كاد الفجر يطلع، وكان وعدهم بالسير عند طلوع الفجر، فدعا ربه أن يؤخّر الفجر حتى يفرغ ففعل، وتأخير طلوع الفجر يستلزم تأخير طلوع الشمس لأنّه ناشئ عنها، فلا يقال: الحصر إنّما وقع في حق يوشع بطلوع الشمس فلا يمنع حبس الفجر لغيره، وجاء أيضاً في خبر أنّها حبست لسليمان ابن داود لكنه غير ثابت أهـ. ملخصاً (خط عن أبي هريرة) وظاهر اقتصار المؤلف على عزوه للخطيب أنّه لا يعرف لأشهر منه ولا أحق بالعزو أنّه ليس ثَمّ ما هو أمثل سنداً منه، وإلا لما عدل إليه واقتصر عليه وهو عجب.

لقد قال الحافظ ابن حجر: ورد من طرق صحيحة خرّجها أحمد من طريق هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (إنّ الشمس لا تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس) إهـ.

وقد ذكر المناوي الحديث باقتضاب في كتابه الآخر التيسير بشرح الجامع الصغير[1].

وما مرّ منه في كتابه (فيض القدير) فقد أفاض القول، وهو وإن ذكر المناقشة في ردّها للإمام مع تسليمه في خبر يوشع، فقال في خبر يوشع خبر صحيح، وفي خبر ردّها لعلي موضوع نقلاً عن ابن تيمية، ومع ذلك فقد حكى اختصار السيوطي لتصحيحه وساقه

١- الجامع الصغير ٢: ٣٤٨ ط المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بالأفست.

بلفظه ولم يعقّب عليه بردّ ممّا دلّ على موافقته وإخباته بصحته .

الرابع عشر: الشيخ المحدّث المفسّر اسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي المتوفى سنة ١١٦٢ هـ، ذكر الحديث في كتابه (كشف الخفا)[١] فقال:

٦٧٠ - (أنّ الشمس ردّت على عليّ بن أبي طالب) قال الإمام أحمد: لا أصل له وقال ابن الجوزي موضوع، لكن خطّؤوه ومن ثَمّ قال السيوطي: أخرجه ابن مندة وابن شاهين عن أسماء بنت عميس، وابن مردويه عن أبي هريرة وإسنادهما حسن، وصححه الطحاوي والقاضي عياض، قال القاري: ولعل المنفي ردّها بأمر علي، والمثبت بدعاء النبي ﷺ.

وأقول: في عمدة القاري للعيني كفتح الباري للحافظ ابن حجر، أن الطبراني والحاكم والبيهقي في الدلائل أخرجوا عن أسماء بنت عميس أنّ النبي ﷺ نام على فخذ علي حتى غابت الشمس، فلما استيقظ رسول الله ﷺ قال علي؏: يا رسول الله إنيّ لم أصلّ العصر، فقال النبي ﷺ: (اللهم إنّ عبدك علياً احتسب بنفسه على نبيك فردّها عليه). قالت أسماء: فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض، ثم قام علي فتوضّأ وصلّى العصر وذلك بالصهباء.

قال الطحاوي: وكان أحمد بن صالح يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم أن يتخلّف عن حفظ حديث أسماء لأنّه من أجلّ علامات النبوة، قال: وهو حديث متصل ورواته ثقات، واعلال ابن الجوزي له لا يلتفت إليه، انتهى.

وأقول: قد ذكرنا في الفيض الجاري في باب قول النبي ﷺ: (أحلت لكم الغنائم) إنّ قصة علي في ردّ الشمس بعد مغيبها، وإنّها ردّت لنبينا أيضاً في وقعة الخندق حين شغل عن صلاة العصر حتى صلاها، وكذا ردّت لسليمان بن داود؈ على قول بعضهم، وأما

١- كشف الخفا ١: ٢٢٠ ط القدسي بمصر سنة ١٣٥١.

حبسها عن المغيب فقد وقع ليوشع بن نون وقبله لموسى بن عمران، ووقع بعدهما لسليمان بن داود، وأيضاً لنبينا عن الطلوع ليلة الإسراء، وان كان في بعضها مقال، فراجعه فقد ذكرناه هناك مبسوطاً .

أقول: ولقد أعاد الحديث في الحديث مرّة ثانية[1] فقال:

١٣٧٩ـ (ردّ الشمس على علي‌ﷺ) قال الإمام أحمد: لا أصل له، وتبعه ابن الجوزي فأورده في الموضوعات، ولكن صحّحه الطحاوي وصاحب الشفاء، وأخرجه ابن مندة وابن شاهين عن أسماء بنت عميس، وابن مردويه عن أبي هريرة، وروى الطبراني في الكبير والأوسط بسند حسن: أنّ النبي‌ﷺ أمر الشمس فتأخّرت ساعة من نهار، وكذلك ردّت الشمس للنبي‌ﷺ حين أخبر بالرفقة الذين رآهم ليلة الإسراء، وأنّهم يجيئون يوم كذا، فأشرفت قريش تنظر وقد ولى النهار، ولم يجيئوا فدعا النبي‌ﷺ فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس .

قال الراوي لهذه: فلم تحبس على أحد إلا على النبي‌ﷺ يومئذٍ، وعلى يوشع حين قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم، ويدخل السبت فلا يحلّ له قتالهم فيه، فدعا الله تعالى فردّ عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم، كذا في المقاصد، وفيه أنّ هاتين الصورتين وقفت الشمس فيهما وحبستها عن الغيبوبة، إلا أن يقال إنّه ردّ مجازاً، فتأمل .

الخامس عشر: المحدّث الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني المتوفى سنة ١٣٥٠ .

ذكر الحديث مرّتين في الجزء الأول من كتابه[2] (جواهر البحار في فضائل المختار‌ﷺ).

١- ١: ٤٢٨.

٢- جواهر البحار في فضائل المختار‌ﷺ ط مصر سنة ١٣٧٩.

فقال في المرة الأُولى[1]: وأما سليمان عليه السلام فإنّ الله تعالى ردّ له الشمس مرّة، وفعل ذلك أيضاً للرسول صلى الله عليه وآله حين نام ورأسه في حجر علي، فانتبه وقد غربت الشمس فردّها حتى صلّى، وردّها مرّة أخرى لعلي فصلّى العصر في وقته[2].

وقال في المرة الثانية[3]: وأما (القابض) و (الباسط) فإنّه صلى الله عليه وآله كان متصفاً بهاتين الصفتين، والدليل على ذلك ما روت أسماء بنت عميس رضي الله عنها أنّه قبض على الشمس فوقفت حتى صلّى علي عليه السلام، ففي رواية صحيحة الإسناد عنها أنّه صلى الله عليه وآله كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي عليه السلام، فلم يصلّ العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أصلّيت يا علي؟ فقال: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (اللهمّ إنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس) قالت: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والأرض، وذلك بالصهباء في خيبر، أخرجه الطحاوي في مشكل الحديث، فهذا دليل عظيم على اتصافه بالقبض والبسط، فإنّه قبض على الشمس أن تغيب، وبسط في النهار حتى زاد، ووقعت الشمس على الجبال والأرض.

ثم عاد في الجزء الرابع[4] فذكر في الحديث كلاماً كثيراً، نقل فيه كلمات الحفّاظ في تخطئة ابن الجوزي، فعن الحافظ مغلطاي قوله في (الزهر الباسم) بعد أن أورد الحديث من عند الطحاوي والطبراني وغيرهما: ولا يلتفت لما علّله به ابن الجوزي من حيث انّه لم يقع الإسناد الّذي وقع لهؤلاء.

١- جواهر البحار في فضائل المختار صلى الله عليه وآله ١: ١٧٧ ط مصر سنة ١٣٧٩.

٢- يشير إلى ردّ الشمس على الإمام ببابل كما سيأتي بيان ذلك في المرّة الثانية.

٣- جواهر البحار في فضائل المختار صلى الله عليه وآله ١: ٢٦٢ ط مصر سنة ١٣٧٩.

٤- جواهر البحار في فضائل المختار صلى الله عليه وآله ٤: ٤٢٣ ط مصر سنة ١٣٧٩.

وعن الحافظ ابن حجر العسقلاني قوله بعد أن أورد الحديث من عند البيهقي وغيره: وهذا أبلغ في المعجزة، وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده في الموضوعات .

وعن الحافظ السيوطي قوله في (الدرر) بعد أن ذكر أبيات ابن سيد الناس وأبيات السبكي: وهذا من هذين الإمامين الجليلين ممّا يقوي صحة الحديث، ولا يلتفت لإيراد ابن الجوزي الحديث في الموضوعات، وقد خطّأه الحفّاظ في ذلك .

إلى غير هؤلاء من الحفّاظ الذين حكموا بصحّة الحديث وتخطئة ابن الجوزي، وفيما نقلناه عنه كفاية .

السادس عشر: العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري الحنفي المتوفى سنة ١٣٧١هـ قال في جواب سؤال منه سأله تلميذه الأستاذ أحمد خيري كما في كتاب مقالات الكوثري ص٥٥ فقال:

ففي الخطاب رقم ١٧ المؤرّخ ٢٦ من رجب سنة ١٣٥٨ قال: وأما حديث ردّ الشمس فهو صحيح باعتبار الصناعة، وحكمه حكم أخبار الآحاد الصحيحة، ولست ممّن يجعل لقدرة الله حداً، انتهى .

وقال الشيخ محمد زاهد الكوثري أيضاً في مقالاته ص ٤٧٠: وما ذكره ابن تيمية في حقه عند توهين حديث أسماء[1] أنّها هو مجازفة من مجازفاته، وليس أدلّ على ذلك من

١- حديث أسماء هو حديث ردّ الشمس لعلي كرّم الله وجهه، وقد جمع أهل العلم بالحديث طرق هذا الحديث وحكموا عليه بالصحة، منهم أبو القاسم العامري، والحاكم النيسابوري، والسيوطي، ومحمد بن يوسف الصالحي، وصحّحه القاضي عياض، والإعتراف بصحة هذا الحديث ينافي انحراف ابن تيمية عن علي، وتبدو على كلامه آثار بغضه إياه في كل خطوة من خطوات تحدّثه عنه (هامش مقالات الكوثري: ٤٧٠ نقلاً عن الحاوي في سيرة الطحاوي للكوثري: ٣٦).

الإطلاع على كتبه، وما كتبه كثير من الحفّاظ في حديث أسماء يرغم ابن تيمية الّذي ألّف في أغلاطه في الرجال خاصة أبو بكر الصامت الحنبلي جزءاً، وحق لمثله أن يقبع ولا يتكلّم في مثل ذلك .

ولا كلام في صحة الحديث من حيث الصناعة، لكن حكمه حكم أخبار الآحاد الصحيحة في المطالب العلمية .

ومعرفة الطحاوي بالعلل لا يتجاهلها إلا من اعتلّ بعلل لا دواء لها، نسأل الله السلامة .

السابع عشر: الأستاذ أحمد خيري، قال تعقيباً على ما مرّ من نقله خطاب شيخه العلامة الكوثري: قلت: والفقير يؤمن به ويرثي لحضرات الذين يتشككون فيه وفي انشقاق القمر، لتعارض ذلك مع نواميس الطبيعة، لأنّ الاشتغال بالجاذبية وجعلها ممّا يعارض قدرة الله، يؤدّي إلى مذاهب النشؤ والإرتقاء والتطور، وردّ الإنسان إلى قرد، وردّ القرد إلى سمكة، وردّ السمكة إلى ما تتسع له عقولهم الفاسدة وعلومهم الجاحدة، والله الّذي خلق الكون على ما يشاء، وأجرى الكواكب كما يشاء، قدير على أن يردّ الشمس ثم يعيدها، وعلى أن يشق القمر ثم يعيده دون أن يتأثّر شيء من نظام الكون، لأنّ الكون لا يقوم بنفسه، وإنّما هو قائم بالله الفعّال لما يريد .

تحقيق لعابر الطريق:

لقد مرّ بنا ما ذكره سبط ابن الجوزي في كتابه تذكرة الخواص[1] بعد ذكره كرامة ردّ الشمس للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فعقّب عليها بقوله:

١- تذكرة الخواص: ٣٨، ط حجرية سنة ١٢٨٥ .

وفي الباب حكاية عجيبة، حدّثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق قالوا: شاهدنا أبا منصور المظفر بن أردشير العبادي الواعظ وقد جلس بالتاجية ـ مدرسة بباب أبرز محلّة ببغداد ـ وكان بعد العصر، وذكر حديث ردّ الشمس لعلي عليه السلام، وطرّزه بعبارته، ونمّقه بألفاظه، ثم ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام، فنشأت سحابة غطّت الشمس، حتى ظنّ الناس أنّها غابت، فقام أبو منصور على المنبر قائماً، وأومأ إلى الشمس وأنشد:

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي ... مدحي لآل المصطفى ولنجله

واثني عنانك إن أردتِ ثناءهم ... أنسيتِ أن كان الوقوف لأجله

إن كان للمولى وقوفك فليكن ... هذا الوقوف لخيله ولرجله

قالوا: فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت.

وهذا الّذي ذكره سبط ابن الجوزي، ذكره أيضاً غيره وبعضهم بعين ألفاظه بتغيير يسير، فمنهم الذهبي: ٨٤٩ في سير أعلام النبلاء[1] في ترجمة أبي منصور المظفر بن أدرشير، فقد ذكر الخبر بعد ما غمز قناة الرجل بما ينافي وصفه بالوعظ وذكره في كتابه[2] أيضاً وذكر عنه ما يجرحه نقلاً عن السمعاني وغيره، وذكر خبر وعظه بالتاجية وشعره، فقال: فأومأ إلى الشمس وارتجل: لا تغربي يا شمس... .

ومنهم عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي في كتابه معاهد التنصيص[3].

ومنهم ابن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤) في كتابه الصواعق المحرقة[4] نقلاً عن سبط

١- سير أعلام النبلاء ١٥: ٤٨ - ٤٩ ط دار الفكر بيروت.

٢- تاريخ الإسلام ٢٧: ٢٩٠ ط دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٤٠٧هـ.

٣- معاهد التنصيص ٢: ١٩٠ ط البهية بالقاهرة.

٤- الصواعق المحرقة: ١٢٦ ط مكتبة القاهرة بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف.

ابن الجوزي، وسمى الشاعر بالقباوي وهو غلط والصحيح العبادي .

ومنهم القندوزي الحنفي المتوفى سنة ١٢٩٤ في كتابه[1]، فذكر ذلك الخبر عن سبط ابن الجوزي في التذكرة .

ومنهم البدخشي ـ من القرن الثاني عشر ـ في كتابه مفتاح النجا نقلاً عن سبط ابن الجوزي .

ومنهم الشهاب الخفاجي في نسيم الرياض[2].

ومنهم السمهودي في آخر كتابه جواهر العقدين[3].

ومنهم محمد بيّومي مهران في كتابه الإمامة وأهل البيت[4].

وغيرهم، وليس في ذلك أيّ بأس في أن ينقل جماعة من أعلام المؤلفين ذلك الخبر بعينه نقلاً عن سبط ابن الجوزي، ولكن الّذي يثير الإهتمام، وينصب علامة الاستفهام، هو أنّ الحافظ الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨ في كتابه كفاية الطالب[5] ذكر الخبر فقال: (أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار، أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن الأخضر قال: سمعت القاضي محمد بن عمر بن يوسف الأرموي يقول: جلس أبو منصور المظفر بن أردشير القباوي الواعظ بمدرسة التاجية بباب أبرز ببغداد بعد صلاة العصر، وذكر حديث ردّ الشمس وشرع في فضائل أهل البيت، فنشأت سحابة غطّت

١- ينابيع المودة: ٢٨٧ ط اسلامبول و ٣٤٥ ط الحيدرية بتقديمي.

٢- نسيم الرياض ٣: ١٤ ط دار الفكر.

٣- جواهر العقدين ٣: ٤٨١ ط بغداد.

٤- الإمامة وأهل البيت ٢: ٢٢٢.

٥- كفاية الطالب: ٣٨٧ ط الحيدرية.

الشمس حتى ظن الناس أنّها قد غابت، فقام أبو منصور على المنبر قائماً وأومى إلى الشمس وارتجل:

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي　　مدحي لآل المصطفى ولنجله

واثني عنانك إن اردت ثناءهم　　أنسيتِ اذ كان الوقوف لأجله

إن كان للمولى وقوفك فليكن　　هذا الوقوف لخيله ولرجله

قال: فطلعت الشمس، فلا يدري ما رُمي عليه من الأموال في ذلك اليوم؟

وهذا الّذي حكاه برواية شيخه ابن النجار، يتفاوت عمّا ذكره ابن النجار نفسه في ذيل تاريخ بغداد[1]. حيث قال ابن النجار:

ذكر لي ولده أبو عبد الله الحسين أنّه دخل بغداد حاجاً عدّة مرّات، وأنّه أقام ببغداد سنة، وعقد بها مجلس الوعظ بالمدرسة التاجية، أنشدني أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله بن هبة الله باصبهان، أنشد والدي ببغداد على المنبر في المدرسة التاجية مرتجلاً لنفسه، وقد دنت الشمس للغروب، وكان ساعتئذٍ قد شرع في ذكر مناقب علي بن أبي طالب ﷺ:

لا تعجلي يا شمس حتى ينتهي　　فضلاً لمدح المرتضى ولنجله

يثني عنانك إن غربت ثناؤه　　أنسيتِ يومكِ إذ رُددتِ لأجله

إن كان للمولى وقوفك فليكن　　هذا الوقوف لخيله ولرجله

وعنه رواه القرشي ت سنة ٧٧٥ في الجواهر المضيئة[2].

١- تاريخ بغداد ١٠: ورقة ١٠٣ / أ نسخة مصوّرة بمكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة عن نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق و(ج٢ ١٥٤ ج١٧ ط المكتبة العلمية) في ترجمة عبيد الله بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن حمزة القزويني.

٢- الجواهر المضيئة ١: ٣٤١ – ٣٤٢.

ولدى المقارنة بين الروايتين نجدهما يتشابهان سبباً ومكاناً وشعراً، ويختلفان رموزاً، ففي رواية سبط ابن الجوزي ومن تابعه: الخبر للمظفر بن أردشير، كما هو في رواية الكنجي عن شيخه ابن النجار، بينما نجد ابن النجار يروي الخبر عن الحسين بن عبيد الله بن هبة الله أنّ ذلك كان مع أبيه القزويني، فأيهما هو صاحب الخبر والشعر على الصحيح ؟ وهل أنّ الواقعة تكرّرت مع كل منهما ؟ وهل أن الشعر كان لكل منهما بناءاً على توارد الخاطر، إذ ورد في الروايتين أنّ كلاّ من العبادي والقزويني قال مرتجلاً، وزاد ابن القزويني فقال عن أبيه قال مرتجلاً لنفسه ؟

فهذه جملة علامات استفهام تحتاج إلى معرفة الإجابة الصحيحة، فأقول: إنّ السبيل الأمثل في مثل المقام ملاحظة ترجمتي الرجلين العبادي والقزويني، ولمعرفة زمانيهما فيكون الأول هو صاحب الخبر على الصحيح، فلنقرأ ما قيل عنهما .

١ - أبو منصور المظفر بن أردشير العبادي ـ كما في جلّ المصادر ـ القباوي - كما في كفاية الطالب وهو غلط لم ينتبه عليه من قبل ـ وهذا ترجمه ابن الأثير وابن الجوزي وابن كثير في تواريخهم، وقالوا توفى سنة ٥٤٧ بعسكر مكرم، والذين ذكروا له الخبر هم الذين تقدّم ذكرهم بعد ذكر قول سبط ابن الجوزي .

وأما الثاني فهو أبو الوفاء عبيد الله بن هبة الله القزويني الحنفي الواعظ المتوفى سنة ٥٨٥، وهذا لم ينسب إليه الخبر والشعر إلا ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد[١] على أنّ الكنجي حكى عنه نسبة الخبر إلى المظفر بن أردشير، ونتيجة لهذا الإختلاف فقد ذكرت بعض المصادر الخبر من دون تعيين ذلك الواعظ اسماً كما في نور الأبصار[٢] ففيه بعض

١- تاريخ بغداد ٢: ١٥٤.

٢- نور الأبصار: ١٢٨.

الوعاظ، وفي رشفة الصادي لأبي بكر شهاب الدين العلوي[١]، حكى الخبر عن درر الأحداث كذلك .

ومن الغريب العجيب ما ذكره سبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الزمان[٢] فقد نسب الخبر والشعر إلى رجل علوي وقال انّه ارتجل مع انّه في تذكرة الخواص نسبه إلى المظفر بن أردشير، ولما كان هذا العلوي مجهول الهويّة زماناً فلا تهمّنا معرفته كثيراً، وكذلك معرفة المجهولين كبعض الوعاظ، ويبقى الخبر والشعر منسوباً إلى الاثنين المذكورين آنفاً، العبادي والقزويني، ولما كان العبادي أسبق زماناً حيث توفى ٥٤٧ والقزويني توفي سنة ٥٨٥، فهو صاحب الشعر والخبر .

المسألة السادسة: في ذكر المؤلّفين في إثبات الحديث:

لقد خصّ غير واحد من الحفّاظ حديث ردّ الشمس على عهد النبي ﷺ بتأليف خاص، جمع فيه طرقه وصحّحه، وإلى القارئ أسماء بعضهم:

١ - الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله الورّاق له كتاب في طرق من روى ردّ الشمس، وقد سمعه منه الحسين بن عبيد الله الغضائري بقراءة الشيخ ابن جلّين عليه، كما ذكر ذلك الشيخ الطوسي[٣]، وذكره الحافظ ابن شهرآشوب[٤].

٢ - الحافظ أبو عبد الله الحسين بن علي المعروف بجُعل البصري البغدادي الكاغدي المعتزلي الحنفي المتوفى سنة ٣٦٩، له مصنف في جواز ردّ الشمس ردّ فيه على من أنكره،

---

١ - رشفة الصادي (لأبي بكر شهاب الدين العلوي): ٢٢٠، تحقيق السيد عاشور ط دار الكتب العلمية بيروت .

٢ - مرآة الزمان: ١٤٩ ط حيدرآباد.

٣ - الفهرست: ٣١ ط سبرنجر.

٤ - المناقب ١: ٤٥٩، ط حجؤسة شنة ١٣١٦ هـ .

ذكره في الذريعة[1].

٣- الحاكم أبو القاسم الحسكاني الحنفي، له رسالة في ذلك سمّاها (مسألة في تصحيح ردّ الشمس، وترغيم النواصب الشُّمس) ذكر منها ابن تيمية في منهاج السنة[2]، وكذلك تلميذه ابن كثير في البداية والنهاية[3]، وقد لعبا بالنص كما شاء لهما الهوى، وذكرها الذهبي في تذكرة الحفّاظ[4].

٤- الحافظ أبو الحسن شاذان الفضلي له كتاب (بيان ردّ الشمس على أمير المؤمنين عليه السلام) ذكر شطراً منه السيوطي في اللئالي المصنوعة[5] وقال: أورد طرقه بأسانيد كثيرة وصحّحه بما لا مزيد عليه، ونازع ابن الجوزي في بعض من طعن فيه من رجاله، كما ذكره الشهاب الخفاجي في شرح الشفا[6] وأثنى عليه وأطراه .

٥- الحافظ أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلي المتوفى سنة ٣٧٧، فقد جمع طرقه في كتاب مفرد باسم (حديث ردّ الشمس) ذكره الحافظ الكنجي في كفاية الطالب، وقال في الباب المائة: وقد شفى الصدور الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلي المتوفى سنة ٣٧٧ في جمع طرقه في كتاب مفرد (حديث ردّ الشمس) .

٦- الحافظ ابن مردويه له مؤلّف في ردّ الشمس، ذكره البياضي في كتابه الصراط المستقيم .

١- الذريعة ٥: ٢٤٤.

٢- منهاج السنة ٤: ١٨٨ ط بولاق.

٣- البداية والنهاية ٦: ٨٠.

٤- تذكرة الحفّاظ ٣: ٣٦٨.

٥- اللئالي المصنوعة ٢: ١٧٥.

٦- شرح الشفا ٣/ ١١.

٧- ضياء الدين الحنفي له حديث (ردّ الشمس) ذكره ابن خلكان في ترجمته[1].

٨- الشريف النسابة محمد بن أسعد الجواني المتوفى سنة ٥٨٨، قال ابن حجر[2]: (له جزء في جمع طرق ردّ الشمس لعلي، أورد فيه أسانيد مستغربة.

أقول: وليت ابن حجر ذكر لنا بعض تلك الأسانيد لنرى مدى غرابتها، ولما لم يذكر شيئاً فأحسن الظنّ به أنّه أعرض عنها روماً للإختصار، ولا يلام من ظن به غير ذلك، ومهما يكن فابن أسعد أسمى من أن يظن به سوءاً، راجع ترجمته لدى معاصرَيه . العماد الأصبهاني في خريدة القصر[3]، والقفطي في كتابه (المحمدون من الشعراء)[4]. كما ترجمه الصابوني في التكملة[5] وكذلك المنذري في وفيات النقلة[6].

٩- الحافظ الخوارزمي الحنفي أخطب خوارزم المتوفى سنة ٥٦٨ صاحب كتاب المناقب ومقتل الحسين عليه السلام له كتاب (ردّ الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام) ذكره له معاصره الحافظ ابن شهرآشوب في المناقب، وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة[7].

١٠- الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الغيطي الدمشقي الصالحي المتوفى سنة ٦٤٢ له جزء باسم (مزيل اللبس عن حديث ردّ الشمس) ومنه نسخة في مكتبة الأوقاف المركزية بالموصل في مجموع رقم (٩٥/ ٢٠) كما في فهرس المكتبة المذكورة ج٢/ ٩٢ وهذا

١- ترجمة ابن خلكان ٣: ١٧ بتحقيق الدكتور احسان عباس .

٢- لسان الميزان ج٥: ٧٦.

٣- خريدة القصر قسم مصر ١: ١١٧.

٤- المحمدون من الشعراء:٢٠٦، برقم ١١٦.

٥- التكملة ١: ١٠٠، برقم ١١٦.

٦- وفيات النقلة ١: ١٧٧، برقم ١٨٠.

٧- الصواعق المحرقة ١٣٦ ط سنة ١٣٧٥، والصبان في إسعاف الراغبين: ١٦١ بهامش نور الأبصار.

هو الرسالة الثالثة من المجموع أوله: (الحمد لله الّذي أيد رسوله محمداً بالآيات الباهرات والمعجزات العظام...) نسخها موسى بن عبد القادر السنبلاديني الأزهري سنة/ ٩٠٨، وقد طبع مؤخّراً ضمن كتاب المرحوم العلامة الشيخ المحمودي كشف الرمس .

١١- الحافظ السيوطي المتوفى سنة ٩٩١ له رسالة سماها (كشف اللبس عن حديث ردّ الشمس) وقد طبعه المرحوم الشيخ المحمودي في كتابه الآنف الذكر، كما أنّ السيوطي أدرجه في كتابه اللئالي المصنوعة .

١٢- الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني المتوفى سنة ١٣٥٠ في كتابه (جواهر البحار في فضائل النبي المختار)[١]:

بعد ذكره للحديث في مختصره من السيرة الشامية: وقد عثرت على أشياء تتعلق بالحديث، لم يتعرض لها الشيخ ـ يعني به السيوطي ـ في واحد من الكتابين ـ يعني بهما مختصر كتاب الموضوعات وكتاب النكت البديعات ـ ومن ذلك غالب ما هنا، وقد جمعتها مع ما ذكره الشيخ في جزء سميته (مزيل اللبس والخفا عن حديث ردّ الشمس لسيدنا المصطفى) فليراجعه من أراده.

المسألة السابعة: في مصادر حديث ردّ الشمس في التراث الإسلامي السني[٢]:

قال صديقنا المرحوم المحقق الطباطبائي: هو أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يوحى إليه، وكان رأسه في حجر علي عليه السلام حتى غابت الشمس، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه، وقال: (صلّيت العصر يا

١- جواهر البحار في فضائل النبي المختار ٤: ٤٢٤، ط محمود نصار بمصر.

٢- لقد بحث الموضوع صديقنا المرحوم العزيز العلامة السيد عبد العزيز الطباطبائي رحمه الله، وقد نشره في كتابه (قبسات من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام) فآثرت إعادة نشره هنا رعاية لصداقته وإحياءً لذكره مع إضافات ما عندي إليه، جاعلاً له بين قوسين .

علي؟) قال: لا، فقالﷺ: (اللهمّ كان في طاعتك وطاعة نبيك فاردد عليه الشمس) .

قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت . وكان هذا بالصهباء من أرض خيبر من غزاة خيبر .

أخرجه جمع من الحفّاظ والمحدّثين بأسانيد متعدّدة، وطرقه كثيرة، وفيها طرق صحيحة ثابتة، نصّ على ذلك غير واحد منهم، وهي تنتهي إلى علي، والحسينعليهما السلام، وابن عبّاس، وجابر، وأبي هريرة، وأبي رافع، وأبي سعيد الخدري، وأسماء بنت عميس .

أخرجه الحفّاظ عن هؤلاء بطرقهم فمنهم:

١- الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة العبسي الكوفي، المتوفّى سنة ٢٣٥ .

٢- الحافظ عثمان بن أبي شيبة العبسي الكوفي، المتوفّى سنة ٢٣٩ .

أخرجه عنهما الحافظ الطبراني في المعجم الكبير في مسند أسماء بنت عميس[١].

٣- الحافظ ابن أبي عاصم المتوفى سنة ٢٨٧ ذكر الحديث في كتابه السنّة [٢] .

٤- أحمد بن صالح المصري، المتوفى سنة ٢٤٨، شيخ البخاري في صحيحه، وأبو داود، وهذه الطبقة، قال البخاري: ثقة صدوق .

روى الحديث بطريقين صحيحين وقال: لا ينبغي لمن كان سبيله العلم التخلّف عن حفظ حديث أسماء، الّذي روي لنا عنهﷺ، لأنّه من أجلّ علامات النبوّة حكاه عنه الطحاوي[٣].

٥- الحافظ أبو بشر الدولابي، المتوفّى سنة ٣١٠، في كتاب الذرية الطاهرة الورقة ٢٨ ب من نسخة مكتبة كوبرلي .

١- مسند أسماء بنت عميس ٢٤: ١١٧، ط الموصل.

٢- السنّة: ٥٥٧ ج١٣٢٣، ط ٥ المكتب الإسلامي.

٣- مشكل الآثار ٢: ١١.

٦- الحافظ أبو جعفر الطحاوي الحنفي، المتوفّى سنة ٣٢١، في مشكل الآثار[1] (وكلامه في الموضع الثاني غير تامّ بزعم عدم تمام النسخة كما ذكره المعلّق في الهامش، وقد مرّت الإشارة إلى هذا فيما تقدّم عند ذكر الطحاوي في المصححين لحديث ردّ الشمس فراجع).

٧- الحافظ الطبراني، المتوفّى سنة ٣٦٠، في معجم الكبير في مسند أسماء بنت عميس[2] بطريقين. وقد ذكر محقق الكتاب حمدي عبد المجيد السلفي كلاماً في تفنيد صحة الحديث تبعاً لما قاله شيخ إسلامه ابن تيمية وتلميذه ابن كثير، وجلّه تهويش وتلبيس، من أثر النُصب ووحي إبليس، وحسبنا في ردّه ما قاله الشيخ محمد زاهد الكوثري ت١٣٧١ــ الّذي كان وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية وأُستاذ العلوم القرآنية في معهد التخصص في التفسير والحديث، وأُستاذ الفقه وتاريخه في القسم الشرعي من الجامعة العثمانية، واستاذ العربية في دار الشفقة الإسلامية ـ فقد قال في كتاب مقالاته ص٤٧٠ في جملة كلامه عن الإمام الطحاوي:

(وما ذكره ابن تيمية في حقه عند توهين حديث أسماء إنّما هو مجازفة من مجازفاته، وليس أدلّ على ذلك من الإطلاع على كتبه، وما كتبه كثير من الحفاظ في حديث اسماء[3]: برغم أنف ابن تيمية الّذي ألّف في أغلاطه في الرجال خاصة أبو بكر الصامت الحنبلي

١- مشكل الآثار ٢: ٨ و ٤: ٣٨٨.

٢- مسند أسماء بنت عميس ٢٤: ١١٧.

٣- هو حديث ردّ الشمس لعليّ كرّم الله وجهه، وقد جمع أهل العلم بالحديث طرق هذا الحديث وحكموا عليه بالصحة منهم: أبو القاسم العامري، والحاكم النيسابوري، والسيوطي، ومحمد بن يوسف الصالحي، وصححه القاضي عيّاض، والاعتراف بصحة هذا الحديث ينافي انحراف ابن تيمية عن علي ﷺ، وتبدو على كلامه آثار بغضه إياه في كل خطوة من خطوات تحدثه عنه عن هامش المصدر. (الحاوي: ٢٦).

جزءاً، وحق لمثله أن يقبع ولا يتكلّم في مثل ذلك .

ولا كلام في صحة الحديث من حيث الصناعة، لكن حكمه حكم أخبار الآحاد الصحيحة في المطالب العلمية ، ومعرفة الطحاوي بالعلل لا يتجاهلها إلا من اعتل بعلل لا دواء لها ، نسأل الله السلامة) .

٨- الحافظ أبو حفص (عمر) بن شاهين ، المتوفّى سنة ٣٨٥ (كما في وسيلة النجاة لمحمد مبين صاحب الحنفي[١]) .

٩- الحاكم النيسابوري ، المتوفّى سنة ٤٠٥، في تاريخ نيسابور .

١٠- الحافظ ابن مردويه الاصفهاني ، المتوفّى سنة ٤١٦ (في مناقبه[٢]) .

١١- أبو إسحاق الثعلبي ، المتوفّى سنة ٤٢٧ ، في قصص الأنبياء: ٣٤٠ .

١٢- أبو الحسن الماوردي ، أقضى القضاة ، المتوفّى سنة ٤٥٠ ، في أعلام النبوة[٣].

١٣- الحافظ البيهقي ، المتوفّى سنة ٤٥٨ ، في دلائل النبوة .

١٤- الخطيب البغدادي ، المتوفّى سنة ٤٦٣ ، في تلخيص المتشابه في الرسم[٤].

١٥- (القاضي أبو الوليد الباجي المالكي المتوفّى سنة ٤٧٤ في كتابه مختصر مشكل الآثار للطحاوي) .

١٦- الفقيه ابن المغازلي ، المعروف بابن الجلابي المالكي ، المتوفّى سنة ٤٨٣ ، في كتاب

١- وسيلة النجاة لمحمد مبين صاحب الحنفي: ١٦٧، ط الهند لكنهو.

٢- المناقب للحافظ ابن مردويه الأصفهاني: ١٤٥، نقلاً عن الخصائص الكبرى للسيوطي ٢: ١٣٧ وأرجح المطالب: ٦٨٦ ط الهند.

٣- أعلام النبوة: ٧٩.

٤- تلخيص المتشابه في الرسم ١: ٢٢٥ ط دمشق.

مناقب أمير المؤمنين عليه السلام[1].

١٧- الحافظ ابن مندة الاصفهاني، المتوفّى سنة ٥١٢، نقله عنه السيوطي.

١٨- القاضي عياض المالكي، المتوفّى سنة ٥٤٤، في كتاب الشفاء[2].

١٩- الخطيب الخوارزمي الحنفي، المتوفّى سنة ٥٦٨، في كتاب مناقب أمير المؤمنين عليه السلام[3].

٢٠- الحافظ ابن عساكر الدمشقي، المتوفّى سنة ٥٧١، في تاريخ دمشق[4] بثلاثة طرق.

٢١- أبو الخير الطالقاني أحمد بن إسماعيل القزويني، المتوفّى سنة ٥٩٠، في كتاب الأربعين المنتقى[5] المنشور في (تراثنا) العدد الأول.

٢٢- الفخر الرازي، المتوفّى سنة ٦٠٦ في تفسيره[6] قال: وأما سليمان فإن الله تعالى ردّ له الشمس مرّة، وفعل ذلك أيضاً للرسول حين نام ورأسه في حجر علي فانتبه وقد غربت الشمس، فردّها حتى صلّى، وردّها مرّة أخرى لعلي فصلّى العصر لوقتها[7] التزام عبد الرحمن محمد بميدان الجامع الأزهر بمصر.

٢٣- الرافعي القزويني، المتوفّى سنة ٦٢٣، في كتاب التدوين في ذكر أهل العلم بقزوين[8].

١- مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ٩٦ و ١٤٠.

٢- الشفاء: ٢٤٠.

٣- مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ٣٣٠ و ٣٤٩ ط حجرية.

٤- تاريخ دمشق في ترجمة علي عليه السلام ٢: ٢٨٣.

٥- كتاب الأربعين المنتقى الباب ١٨.

٦- تفسير الفخر الرازي ٣٢: ١٢٦.

٧- تفسير الفخر الرازي ٣٢: ١٢٦ ط ١.

٨- التدوين في ذكر أهل العلم بقزوين ٢: ٢٣٦، ط حيدرآباد.

٢٤- الحافظ ابن النجار البغدادي ، المتوفّى سنة ٦٤٢، في ذيل تاريخ بغداد[١].

٢٥- أبو المظفر يوسف بن قزغلي ، سبط ابن الجوزي ، المتوفّى سنة ٦٥٤، في تذكرة خواص الأمة[٢].

٢٦- الحافظ الكنجي الشافعي ، المتوفّى سنة ٦٥٨، في كفاية الطالب[٣].

٢٧- القرطبي ، المتوفّى سنة ٦٧١، في التذكرة[٤].

٢٨- المحبّ الطبري ، المتوفّى سنة ٦٩٤ ، في الرياض النضرة[٥].

٢٩- صدر الدين الحموّئي الجويني ، المتوفّى سنة ٧٢٢ ، في فرائد السمطين[٦].

٣٠- شهاب الدين النويري ، المتوفّى سنة ٧٣٢ ، في نهاية الإرب[٧].

(٣١- الحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ في ميزان الاعتدال[٨]) .

(٣٢- ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ في البداية والنهاية[٩]).

(٣٣- القاضي أبو المحاسن يوسف بن موسى الجمال الملطي الحنفي المتوفى سنة ٨٠٣ في كتابه المعتصر من المختصر من مشكل الآثار) .

١- ذيل تاريخ بغداد ٢: ١٥٤.

٢- تذكرة خواص الأمة: ٥٥.

٣- كفاية الطالب: ٣٨١ – ٣٨٨ .

٤- التذكرة: ١٥.

٥- الرياض النضرة ٢: ١٧٩.

٦- فرائد السمطين الباب ٣٧ ح ١٥٧.

٧- نهاية الإرب ١٨: ٣١٠.

٨- ميزان الاعتدال ٢: ٢٤٤.

٩- البداية والنهاية ٦: ٢٨٢، وفي تفسيره ٥: ٧٥.

٣٤- نور الدين الهيثمي ، المتوفّى سنة ٨٠٧ ، في مجمع الزوائد[١].

٣٥- الحافظ أبو زرعة العراقي ، المتوفّى سنة ٨٢٦ ، في طرح التثريب .

٣٦- الحافظ ابن حجر العسقلاني ، المتوفّى سنة ٨٥٢ ، في فتح الباري[٢].

٣٧- الحافظ العيني الحنفي المتوفّى سنة ٨٥٥ ، في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري[٣].

(٣٨- الباعوني (ت ٨٧١) في جواهر المطالب ط قم ١٤١٥) .

٣٩- شمس الدين السخاوي الحنفي ، المتوفّى سنة ٩٠٢ ، في المقاصد الحسنة[٤].

٤٠- الحافظ السيوطي ، المتوفّى سنة ٩١١ ، في الخصائص الكبرى[٥].

٤١- نور الدين السمهودي الشافعي ، المتوفّى سنة ٩١١ ، في وفاء الوفا[٦].

٤٢- الحافظ القسطلاني ، المتوفّى سنة ٩٢٣ ، في المواهب اللدنيّة[٧].

٤٣- شمس الدين الدمشقي ، المتوفّى سنة ٩٤٢ ، في سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد ، المعروف بالسيرة الشامية ، المطبوع في القاهرة .

٤٤- الحافظ ابن الديبع الشيباني ، المتوفّى سنة ٩٤٤ ، في تمييز الطيب من الخبيث[٨].

١- مجمع الزوائد ٨: ٢٩٦.

٢- فتح الباري ٦: ١٦٨.

٣- شرح صحيح البخاري ٧: ١٤٦.

٤- المقاصد الحسنة: ٢٢٦.

٥- الخصائص الكبرى ٢: ٨٢، واللئالي المصنوعة ، ورسالته كشف اللبس.

٦- وفاء الوفا ٢: ٣٣.

٧- المواهب اللدنيّة ١: ٣٥٨.

٨- تمييز الطيب من الخبيث: ٨١.

٤٥- عبد الرحيم العباسي، المتوفّى سنة ٩٦٣، في معاهد التنصيص[1].

٤٦- ابن حجر الهيتمي، المتوفّى سنة ٩٧٤، في الصواعق المحرقة[2].

٤٧- المتقي الهندي، المتوفّى سنة ٩٧٥، في كنز العمّال[3].

٤٨- المولى علي القاري الحنفي، المتوفّى سنة ١٠١٤، في كتاب المرقاة في شرح المشكاة[4].

٤٩- نور الدين الحلبي الشافعي، المتوفّى سنة ١٠٤٤ في السيرة النبويّة[5].

٥٠- الشهاب الخفاجي الحنفي، المتوفّى سنة ١٠٦٩، في كتابه نسيم الرياض في شرح الشفا[6].

(٥١- المحدّث محمد بن محمد بن سليمان الروداني المغربي ت ١٠٩٤ في كتابه جمع الفوائد)[7].

٥٢- الزرقاني المالكي، المتوفّى سنة ١١٢٢، في شرح المواهب اللدنية[8].

٥٣- (الشيخ سليمان القندوزي الحنفي ت ١٢٩٤ ذكر الحديث في الباب / ٤٧ في ردّ الشمس ص١٦٢ ط الحيدرية بتقديمي).

١- معاهد التنصيص ٢: ١٩٠.

٢- الصواعق المحرقة: ٧٦، وفي شرح همزية البوصيري: ١٢١.

٣- كنز العمّال ١٢: ٣٤٩ رقم ٣٥٣٥٣.

٤- المرقاة في شرح المشكاة ٤: ٢٨٧، وفي شرح الشفا ٣: ١٢.

٥- السيرة النبويّة ١: ٣٩٥، ط البهية بمصر سنة ١٣٢٠هـ.

٦- شرح الشفا ٣: ١١.

٧- شرح الشفا ٣: ١١ ٢ / ٣١٣، باب معجزات متنوعة له ﷺ، ط المكتبة الجامعة مكة المكرمة.

٨- شرح المواهب اللدنية ٥: ١١٣.

٥٤- (العلامة أحمد بن زيني دحلان المكي الشافعي المتوفّى سنة ١٣٠٤ ذكر الحديث في السيرة النبوية المطبوعة على هامش السيرة الحلبية)[١].

إلى غير هؤلاء ممّن ذكروا الحديث، ولم نذكرهم اكتفاءً بمن ذكرناهم وقد نيّفوا على الخمسين، أكثر من عدد القسامة في اللوث لبراءة الذمم ، لكن ابن حنبل يقول لا أصل له ، وتبعه ابن الجوزي فذكره في الموضوعات، وما ذلك إلا لأنّ الحديث فيه فضيلة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام . ولو كانت

لغيره لطبّلوا لها وزمّروا .

المسألة الثامنة: في أهازيج الشعراء الذين ذكروا الآيتين:

آية شقّ القمر وآية ردّ الشمس في المرتين .

قد يخطر ببال القارئ سؤال لماذا ضمّت هذه المسألة أهازيج مختلفة المقاصد زماناً ومكاناً فيستغرب ذلك ، بينما كان الأولى أن تذكر مصنّفة حسب أغراض قائليها في الزمان والمكان؟ وهو سؤال وجيه لو كانت تلك الأشعار التي ذكرت تلك الآيات من المعاجز والكرامات ، مقتصرة على ذكر كل منها لوحدها في بيت شعر أو أبيات ، وحينئذٍ أمكن تفريقها حسب المكان المناسب لكل واحدة منها .

ولكن الشعراء تفاوتت أشعارهم ، فمنهم من ذكر آية شق القمر في بيت وآية ردّ الشمس في المرّة الأولى بالصهباء من أرض خيبر في بيت آخر من نفس القصيدة أو في غيرها ، ومنهم من جمع بينهما في بيت واحد ، ومنهم من لم يذكرهما معاً وإنّما ذكر آية ردّ الشمس ببابل في المرّة الثانية ، فرأيت الجمع بينها جميعاً في مكان واحد خيراً من التفريق ،

١- السيرة الحلبية ٣: ١٢٦، ط محمد مصطفى سنة ١٣٢٠ بمصر.

تجنّباً عن التكرار لبعض الأشعار كلاً في مكانها عند ذكر الآية، لأنّها كلها إنّما هزج أصحابها بمديح النبي ﷺ وابن عمه الوصي عليه السلام، وهما نور واحد[1] وقد قال ﷺ: (علي منّي وأنا من علي)[2] وقبل ذلك كله آية المباهلة التي جعلت من علي عليه السلام نفس رسول الله ﷺ فقال تعالى:

﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

ورحم الله الشاعر العلوي الحِمّاني حيث يقول:

بين الوصيّ وبين المصطفى نسبٌ ... تختال فيه المعالي والمحاميد

كانا كشمس نهار في البروج كما ... أدارها ثمَّ إحكام وتجويد

كسيرها انتقلا من طاهرٍ عَلَمٍ ... إلى مطهرة آباؤها صيد

تفرّقا عند عبد الله واقترنا ... بعد النبوة توفيق وتسديد

وذرّ ذو العرش ذراً طاب بينهما ... فانبثّ نور له في الأرض تخليد

فلا غرابة إذن لو جمعت المدائح كلها هنا، إذ اخترت لها مكاناً وسطاً بين أحاديث الآيتين، وليس في الوسطية ما يعاب إذ هي الإعتدال بين السابق واللاحق، يفيء إليها المتقدّم السابق ويلحق بها المتأخّر اللاحق، وقد اقتبست من المديح المناسب البيت الواحد أو أكثر ممّا يناسب شعره وذكره من الشاهد مع اسم الشاعر، ومصدر الشعر، وضممت جميع ذلك في طاقة واحدة كباقة أزهار، في كل ورد رائحة يعبق شذاها،

١- كتاب علي إمام البررة ١: ١١٥ – ٤٠٩.

٢- ن م ٢: ٨٠.

ويستاف أريجها من فحواها[1] .

ولما كانت تلك المدايح كثيرة تعسر الإحاطة بجميعها ، وأنّى لمثلي مع قلّة البضاعة ودنوّ الساعة ، أن يحيط بها جميعاً خُبرا ، وأصحابها فيهم الشيعي الأثنا عشري وغيره إلى جانب السني، كما تجد فيهم من السنة الشافعي والمالكي والحنفي والحنبلي ، فجميعهم تغنّوا بالسحر الحلال، إذ بهرتهم روعة الجلال والجمال ، فجزاهم الكمال بالحسنى وقبول الأعمال ، على قدر نياتهم إذ لكل امرئ منهم ما نوى، جعلنا الله سبحانه ممّن سعى فأحسن سعيه بالحسنى .

فهذا مبلغ جهدي ، ويبقى الباب مفتوحاً لمن أتى بعدي ، فأكمل الشوط ، وله الفضل والفخر ، كما له الذكر والأجر، فإنّي أرى في متابعة هذا الموضوع متعة الباحث ، ودلالة للقارئ على رحاب تلك العظمة في تاريخ المسلمين .

وقد رتبت تلك الشوارد من الشواهد على حسب الحروف الهجائية في ترتيب القوافي، وهو نهج يسهل المراجعة على الباحث والقارئ ، وهو بالغرض شاف كاف، والحمد لله أولاً وآخراً .

حرف الهمزة والألف المقصورة

١ - قال الوزير أبو عبد الله بن زمرك الغرناطي تلميذ لسان الدين بن الخطيب قصيدة في مولد النبي ﷺ عام ٧٦٧ جاء فيها[2]:

ذو المعجزات الغرّ والآي الأَلى ... أكبرنَ عن عدٍّ وعن إحصاء

وكفاك ردّ الشمس بعد مغيبها ... وكفاك ما قد جاء في الإسراء

١- كتاب علي إمام البررة ١: ٤٢٥ .

٢- المجموعة النبهانية ١: ١٦٤ – ١٦٥ .

والبـدر شُـقَّ لـه وكـم مـن آيـة كأنامـلٍ جـادت بنبـع المـاء

٢- وقال شيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٧٢ من قصيدة له في مدح النبي ﷺ[١]:

واخدمـه العيـون فعـين مـاء جـرت مـن كفّـه للإرتـواء

وعـين المـال جـاد بهـا سـخاء فلـيس يخـاف فقـراً مـن عطـاء

وعـين الـشمس رُدّت بعـد سـحب لـذي الحـسنين منـه بالـدعاء[٢]

وعـين قتـادة سـالت فـرُدّت ومُـدّت مـن يديـه بالـضياء

وعـين القلـب مـا لبست هجـورا فـما عنهـا لـشيء مـن غطـاء

وعـين الفكـر منـه أسـدَّ رأيـا نعـم وأشـدّ مـرأى في المرائـي

وأعمـى عـين حاسـده فكـادت مـن الرمـيّ المـصوّب كالهبـاء

٣- وقال الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني رئيس محكمة الحقوق في بيروت في إحدى معشراته السابقات الجياد في مدح سيد العباد ﷺ[٣] في انشقاق القمر بدعائه ﷺ:

كلّفـوه بـشقّه القمـر الـزا هـر لـيلاً تكليـف مـا لا يـشاء

فـدعا فاسـتبان شـقين في الحـا ل وبـين الـشقّين حـراء

فاسـترابوا بأنـه الـسحر حتـى جـاء مـن كـل واردٍ أنبـاء

أخـبروهم بـصدقه فاسـتمرّوا والعمـى لا تفيـده الأضـواء

١- ن م ١: ١٦٨.

٢- عين الشمس قرصها، وذو الحسنين أبوهما سيدنا علي ﷺ (هامش المصدر).

٣- ن م ١: ٢٢٧.

وقال أيضاً في تلك القصيدة[١]:

ودعــا الله أن تعــود لــه الــشمـ ـــس فعــادت كــما روت أســماء

وقال ابن حماد كما في المناقب لابن شهرآشوب[٢]:

فــردّ حــين أظلمــت شــمسَ الــضحى وســلّمت

عليــــه إذ تكلّمـــت بكــل مــا يجلــو الغــشا

٤- وقال السيد حسين الأمير رشيد الرضوي المتوفى بعد سنة ١١٥٦ كما في الغدير ١١ / ٣٩٢:

يــا أبــا القاســم المؤمّــل يــا مــن خـــضعت لاقتـــداره العظـــماء

قــاب قوســين قــد رقيــت عــلاه (كيــف ترقــى رقيّــك الأنبيــاء)

ولــك البــدر شــقّ نــصفين جهــرا (يــا ســماء مــا طاولتهــا ســماء)

ودعــوت الــشمس المنــيرة قــد رُدّت لعـــــلي تمـــــدّها الأضـــــواء

٥- وقال الإمام جمال الدين يحيى الصرصري رحمه الله تعالى[٣] من قصيدة طويلة في مدحه ﷺ جاء فيها:

والقمـــر المنـــشق شـــقاً ظـــاهراً وحــسبك المعــراج فــضلاً وكفــى

٦- وقال الإمام عبد الرحمن المكودي شارح الألفية المتوفى سنة ٨٠١ في مقصورته في

١- ن م: ٢٦٤.

٢- المناقب لابن شهرآشوب ٢: ١٥٠.

٣- المجموعة النبهانية ١: ٢٩٥.

مدح النبي ﷺ[1]:

وفي انشقاق البدر أيّ آية بانت وما كانت حديثاً يفترى

٧- وقال العلامة شهاب الدين أحمد الخفاجي المصري المتوفى سنة ١٠٦٩ رحمه الله تعالى[2]:

تكلّف البدر لأن يشبهه فانشقّ من غرامه لما بدا

٨- وقال أمين الدين المحبي الدمشقي صاحب خلاصة الأثر المتوفى سنة ١١١١هـ[3]:

شُقّ له البدر المنير جهرةً وسبّحت في كفّه خُرس الحصى

٩- وقال حازم القرطاجي في مقصورته كما في نسمة السحر[4]:

وكم رأت عيني نقيض ما رأت من اطلاع نورها تحت الدجى

فيا لها من آية مبصرة أبصرها طرف الرقيب فامترى

فاغترته شبهة فضل عن تحقيق ما أبصره فما اهتدى

فظنّ أنّ الشمس قد عادت له فانجاب جنح الليل عنها وانجلى

والشمس ما رُدّت لغير يوشع لما غزا ولعليّ إذ غفا

١٠- قال الشيخ عبدالرضا المقري الكاظمي المتوفى حدود سنة ١١٢٠ كما في الغدير

١- ن م ١: ٣٢٩.

٢- ن م ١: ٣٥٠.

٣- ن م ١: ٣٥٨.

٤- نسمة السحر ١: ٣٨٧، ط بيروت دار المؤرّخ، تحقيق كامل سلمان الجبوري.

١١/ ٣٦٠:

جـــاد بـــالقرص وصـــلّى العـــصر إذ ردّه لّمـــــا لـــــه غـــــشّى العـــــشا

قافية الباء

١- قال السيد الحميري المتوفى سنة ١٧٣ كما في مناقب ابن شهرآشوب[١]:

رُدّت عليـــه الـــشمس لمـــا فاتـــه وقـــت الـــصلاة وقـــد دنـــت للمغـــرب

حتـــى تـــبلّج نورهـــا في وقتهـــا للعـــصر ثـــم هـــوت هـــويّ الكوكـــب

وعليـــه قـــد حُبـــست ببابـــل مـــرّة أخـــرى ومـــا حُبـــست لخلـــق مُغـــرب

إلا ليوشـــع أولـــه مـــن بعـــده ولردّهـــا تأويـــل أمـــر معجـــب

وقال أيضاً:

عـــليّ عليـــه رُدّت الـــشمس مـــرّة بطيبـــة يـــوم الـــوحي بعـــد مغيـــب

ورُدّت لـــه أخـــرى ببابـــل بعـــدما أفلـــت وتـــدلّت عينهـــا لغـــروب

٢- وقال أبو محمد سفيان بن مصعب العبدي الكوفي من معاصري الحميري في قصيدته الغديرية العصماء[٢]:

لـــك المناقـــب يعيـــا الحاســـبون بهـــا عـــدّاً ويعجـــز عنهـــا كـــل مكتتـــب

كرجعة الشمس إذ رمـت الـصلاة وقـد راحت توارى عـن الأبـصار بالحجـب

رُدّت عليك كأنّ الـشهب مـا اتـضحت لنـــاظر وكـــأنّ الـــشمس لم تغـــب

١- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٤٥.

٢- الغدير ٢: ٢٩٠.

٣- قال الشاعر العلوي الحماني الكوفي المتوفى سنة ٣٠١ كما في مجموعة شعره جمع الفقير:

أين الّذي رُدّت عليه الشمس في يوم الحجاب؟

وأين القسيم النار في يوم المواقف والحساب؟

مولاهم يوم الغدير برغم مرتاب وآبي

٤- وقال الصاحب اسماعيل بن عبّاد المتوفى سنة ٣٨٥ كما في ديوانه:

لا تقبل التوبة من تائب   إلا بحب ابن أبي طالب

أخي رسول الله بل صهره   والصهر لا يُعدل بالصاحب

يا قوم من مثل علي وقد   رُدّت عليه الشمس من غائب[1]

وقال الصاحب أيضاً يمدح الإمام عليه السلام كما في ديوانه:

كان النبي مدينة العلم التي   حوت الكمال وكنت أفضل باب

رُدّت عليك الشمس وهي فضيلة   بهرت فلم تُستَر بألف نقاب

لم أحك إلا ما روته نواصب   عادتك فهي مباحة الاسلاب

٥- وقال العوني مناقب ابن شهرآشوب[2]:

ذاك الّذي رجعت شمس النهار له   بعد الأفول كأنّ الشمس لم تغب

٦- وقال الإمام البوصيري رحمه الله تعالى من قصيدة له في مدح النبي صلى الله عليه وآله[3]:

١- في ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ١٦٣، ط الحيدرية بتقديمي ورد البيتان الثاني والثالث منسوبين لحسان بن ثابت، ولعل الصاحب ضمّنها شعره إن صحت النسبة .

٢- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٤٧، ط الحيدرية.

٣- ن م ١: ٣٧٠.

ودان البــــدر منـــــشقاً إليــــــه وأفــــصح ناطقــــاً عـــير وذيـــب

٧- وقال العالم المحقق الشاعر المفلق الشيخ عمر أفندي الانسي البيروتي المتـوفى سـنة ١٢٩٣ في قصيدته في مدح النبي ﷺ[١]:

نبـي هــدى بــالمعجزات لقــد أتــى وأعجـب أربـاب العقـول فـأعجبوا

أراهـا انـشقاق البـدر نـصفين واحـدٌ إلى الــشرق ميّــال وثــان مغــرّب

٨- وقال الشهاب محمود الحلبي المتوفى سنة ٧٢٥ من قصيدة له في مدح النبي ﷺ[٢]:

وكم رأوا من معجـزات منـه أيـسرها كاف لهم في الهدى شـاف مـن الريـب

ألم يكــن في انـشقاق البــدر معجــزةٌ عــن غــيّهم وعنـاد الحـق بالكـذب

٩- وقال شيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بـن حجـر العـسقلاني من قصيدة في مدح النبي ﷺ[٣]:

وانــشق بــدر الــتمّ معجــزةً لــه وبــه أتــاه النــصر قبــل معيــب

وقال:

والعــين أوردهــا وجــاد بهــا كــما قــد ردّهــا كالــشمس بعــد غــروب

١٠- وقال شمس الدين النواجي في سنة ٨٤٩ من قصيدة في مدح النبي ﷺ[٤]:

وشــق لــه المنــير البــدر حتــى بــــدا نــــصفين في شرق وغــــرب

١- ن م ١: ٣٨٨.

٢- ن م ١: ٤٢٤.

٣- ن م ١: ٤٦٠.

٤- ن م ١: ٤٦٩.

١١- وقال سيدي محمد البكري الكبير المتوفى سنة ٩٩٢ من قصيدة في مدح النبي ﷺ[١]:

ألست الّذي قد شُقّ بدر السما له   ووافاه قرص الشمس بعد غروبه

قافية التاء

١- قال ابن علوان الشيباني الحلي الفقيه المقرئ الأديب المتوفى سنة ٧٠٦ في قصيدته الغديرية[٢]:

وفي غد عند شدة العطش الأكبر يسقي عطاشى أمته

كأساً روياً من حوض كوثره   يشفى الصدى من زلال نطفته

بكف هارونه وآصفه   يوشعه في قيام حجته

إلى أن قال:

ومُطلع الشمس بعد ما غربت   صلّى أداءً ماضي فريضته

٢- قال جمال الدين يحيى الصرصري من قصيدة ذكر فيها منازل الحج من بغداد إلى أن قال[٣]:

وانشقاق الهلال ثم رقيّ   السبع من معجزاته الباهراتِ

٣- وقال الإمام تقي الدين علي السبكي المتوفى سنة ٧٥٦ من قصيدة طويلة في

١- ن م ١: ٤٧٨.

٢- مجلة تراثنا ٩: ١٥٩.

٣- ن م ١: ٥٠٢.

مدحه ﷺ[١]:

وبدر الدياجي انشق نصفين عندما   أرادت قريش منك إظهار آية

إلى أن قال[٢]:

وشمس الضحى طاعتك وقت مغيبها   فما غَرُبت بل وافقتك بوقفة

وقال أيضاً[٣]:

ورُدّت عليك الشمس بعد مغيبها   كما أنها قِدما ليوشع رُدّت

٤- وقال شمس الدين النواجي رحمه الله توفي سنة ٨٣٢ في قصيدته التائية[٤]:

ولاح فشق البدر طوعاً لأجله   وبانت له في الأفق أعظم آية

قافية الجيم

١- وقال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر الأندلسي الضرير رحمه الله[٥]:

والشمس بعد غروبها رُدّت له   والبدر بين يديه شُقّ وأُفرجا

٢- وقال ابن الرومي المتوفى سنة ٢٨٣ كما في مناقب ابن شهرآشوب:

وله عجائب يوم سار بجيشه   يبغي لقصد النهروان المخرجا

ردّت عليه الشمس بعد غروبها   بيضاء تلمع وقدةً وتأججا

١- ن م ١: ٥٢٣.

٢- ن م ١: ٥٢٥.

٣- ن م: ٥٢٩.

٤- ن م ١: ٥٤٠.

٥- ن م ١: ٥٧٥.

قافية الحاء

قال الشريف الرضي المتوفى ٤٠٦ في ديوانه[1]:

من قصيدة له في الافتخار هي:

وأبي الـذي حـصد الـرؤس بـسيفه   في كـل يـوم تـصادم ونطـاح

رُدّت عليه الـشمس يُحدث ضوءها   صـبحاً عـلى بُعـد مـن الأصـباح

قافية الدال

١- قال الملك الصالح طلائع بن رزّيك المتوفى سنة ٥٥٦ ه كما في ديوانه ص٧٣ جمع محمد هادي الأميني من قصيدة في مدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

من رُدّت الشمس من بعد مغيب لـه   فـأدرك الفـضل والأمـلاك تـشهده

٢- قال الإمام تقي الدين المعروف بابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢ من قصيدة له في مدحه صلى الله عليه وآله[2]:

وأتـى بانـشقاق بـدر الـدياجي   خـبرٌ عنـه ثابـتٌ إسـنادُه

٣- وقال الشيخ محمد بن فرج السبتي، وأظنه من أهل القرن السابع كذا قال الشيخ النبهاني في مجموعته ج٢ / ٣٠ ، وهو يذكر قصيدته في المديح النبوي جاء فيها قوله:

له المعجزات الـلاّءِ لُحنَ لطرف مَـن   نهـى نومَـه سـعدٌ وأثبـت سُـهدَه

فمنهـا انـشقاق البـدر ثـم نزولُـه   رآه الّـذي التوفيـقُ وافـق رَصـدَه

١- ديوان الشريف الرضي: ١١٤، ط ١٣٠٦هـ.

٢- مجلة تراثنا ٢: ٢٦.

ومنهـا حنـين الجـذع بالمسجد الّـذي　　بطيبـــة لمـــا آنـــس الجـــذعُ فقــدَه

ومنهـا طلـوع القـرص بعـد غروبـه　　ومـا بـسوى دعـوى دعاهـا استردَّه

٤- وقال النواجي المتوفى سنة ٨٥٩ وذلك في سنة ٨٤٢ من قصائده النبوية التي سمّاها المطالع الشمسية في المدائح النبوية، وهي سبع عشرة قصيدة، كان ينظم واحدة منها في كل عام ويرسلها تنشد بين يدي النبي ﷺ، ولما حج أنشد كثيراً منها بنفسه أمام حجرته الشريفة عليه الصلاة والسلام، وقد ذكرها النبهاني في مجموعته مفرّقة في حروفها، ومنها ما جاء في قافية الدال في الآيتين شق القمر وردّ الشمس قوله من قصيدة طويلة:

ولكـم لـه مـن معجـزات في الـورى　　جلّــت عـــن الإحـصاء والتعــداد

منهـا انـشقاق البـدر لمـا أن بـدا　　وبنـــاك يـشهد حــاضر والبـادي

وعليـه في الأفـق الغزالـة سـلّمت　　ولوقتهـــا عـــادت إلى الــصيّاد[1]

٥- وقال علاء الدين الحلي من القرن الثامن من قصيدته الطويلة التي ذكر فيها جملة من فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقال في البيتين ٩٤ - ٩٥ كما في الغدير[2]:

وعليـــه قـــد رُدّت ذكـــاءُ وأحمـــدٌ　　مـن فـوق ركبتـه اليمـين موسّـد

وعليـــه ثانيـــة بـــساحة بابـــل　　رجعـت كـذا ورد الحـديث المسند

قافية الراء

١- قال السيد الحميري كما في مناقب ابن شهرآشوب[3]:

١- الغزالة الشمس، وأعاد عليها الضمير بمعنى الظبية ففيه استخدام وحسن تورية.

٢- الغدير ٦: ٣٦٠.

٣- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٤٨.

أم مـن عليـه الـشمس كـرّت بعـدما　　غربــت وألبــسها الظــلام شــعارا

حتــى تــلاقى العــصر في أوقاتهــا　　والله آثــــره بهــــا إيثــــارا

ثمــت تــوارت بالحجــاب حثيثــة　　جعــل الالــه لــسيرها مقــدارا

٢- وقال علي بن أحمد الجرجاني الجوهري المتوفى حدود سنة ٣٨٠ كما في مناقب ابن شهرآشوب[١]:

مـن ذا عليـه الـشمس بعـد مغيبهـا　　رُدّت ببابــل نبّــئن يــا حــار

وعليـه قـد ردت ليـوم المـصطفى　　يومــاً وفي هــذا جــرت أخبــار

حــاز الفــضائل والمناقــب كلهــا　　أنّــى تحــيط بمدحــه الأشــعار

٣- وقـال الحسين بـن الحجاج البغـدادي المتـوفى سـنة ٣٩١ كـما في مناقـب ابـن شهرآشوب[٢]:

سـيدي الّـذي رجعـت لـه　　شــمس النهــار كــما أمــر

ودعــا فطــار بــه اللسان　　كــــما روينــــا في الخــــبر

٤- وقال السروجي كما في مناقب ابن شهرآشوب[٣]:

والــشمس لم تعــدل بيــوم بابــل　　ولا تعــدّت أمــره حــين أمــر

جاءت صلاة العـصر والحـرب عـلى　　ســاق فــأومى نحوهــا ردّ النظــر

فلــم تــزل واقفــة حتــى قــضى　　صــلاته ثــم هــوت نحــو المقــرّ

١- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٤٥، ط الحيدرية، والغدير ٤: ٨٢.

٢- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٤٦.

٣- نفس المصدر.

٥- وقال العوني من القرن الرابع[1]:

أمـامي كلـم الـشمس بعـد غروبهـا فردّت له من بعـد مـا غربـت عـصرا

وله أيضاً كما في الغدير[2]:

كلـــيم شـــمس الله والراجعهـــا من بعـد مـا انجـاب ضـياها واسـتتر

٦- وقال ابن حماد العبدي من القرن الرابع كما في الغدير[3]:

وأبـــوهم قـــد رد للـــشمس بيـــضا وهـــي كـــادت لوقتهـــا أن تغـــورا

وقـــضى فرضـــه أداءً وعـــادت لغـــروب وكـــوّرت تكـــويرا

٧- وقال ابن مكي النيلي كما في الغدير[4]:

رُدّت لـــه الـــشمس بـــأرض بابـــل والليـــل قـــد تجللـــت أســـتاره

٨- قال الإمام عبد الرحيم البرعي رحمه الله من قصيدة طويلة[5]:

وجعلـت شـق البـدر معجـزة لمـن في الحـــي مـــن بـــدو رأوه وحُـــضّر

٩- وقال الشيخ شمس الدين محمد بن جابر الأندلسي المتوفى سنة ٧٨٠ مورّيا بأسماء السور القرآنية ومنها في الآيتين قوله[6]:

في الطـور أبـصر موسـى سـؤدَدِه والافـق قـد شـقّ إجـلالاً لـه قَمـره

١- ن م ٢: ١٤٧.

٢- الغدير ٤: ١٢٦.

٣- الغدير ٤: ١٦٥.

٤- الغدير ٤: ٣٩٤.

٥- ن م ٢: ٩٩.

٦- ن م ٢: ٢١٠.

إلى أن قال[١]:

ألم تـر الـشمس تـصديقاً لـه حبست   عـلى قـريش وجـاء الـروح إذ أمـرَه

١٠ - وقال العلامة محمد بدر الدين ابن الدماميني الاسكندري المتوفى سنة ٨٢٨[٢]:

وأوقف شمس الأفق عـن جريهـا لـه   وشق كما قد صحّ مـن أجلـه البـدرا

١١ - وقال شمس الدين النواجي سنة ٨٣٨[٣]:

وانـشقّ بـدر الـسما طوعـاً وصـار لـه   مثـل القلامـة قـد قُـدّت مـن الظُفُـر

١٢ - وقال الشيخ عبد الغني النابلسي في تشطيره قصيدة عمر بن الفارض:

مـــن جاءنـــا بـــالمعجزات بـــواهرا   منـــا العقـــول وحقهـــا أن تبهـــرا

منهـا انـشقاق البـدر شـاهده المقـيم   بعينــــه وبـــــه المـــــسافر أخـــــبرا

١٣ - وقال السيد علي خان المدني المتوفى سنة ١١٢٠ صاحب سلافة العصر وأنوار الربيع وغيرها في قصيدته الغديرية كما في الغدير[٤]:

والـــشمس إذ أفلـــت لمـــن رجعـــت   كـــيما يقـــيم فريـــضة العـــصر

قافية الطاء

قال أبو القاسم علي بن اسحاق بن خلف القطّان البغدادي الشهير بالزاهي المتوفى سنة ٣٥٢ في قصيدته الطائية التي أولها:

١- ن م ٢: ٢١١.

٢- ن م ٢: ٢١٦.

٣- ن م ٢: ٢٢٨.

٤- الغدير ١١: ٣٤٥.

يـا سـادتي يـا آل ياسـين فقـطّ   علـيكم الـوحي مـن الله هـبط

إلى أن قال:

مكلّـم الـشمس ومَـن رُدّت لـه   ببابـل والغـرب منهـا قـد قـبط

أقول: وقد أشار بقوله (مكلّم الشمس) إلى ما رواه من العامة الحمويني في فرائد السمطين باب ٣٨، والخوارزمي الحنفي في المناقب/ ٦٨، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة/ ١٤٠ ط استانبول وغيرهم، فقد رووا أنّ النبي ﷺ قال لعلي: يا أبا الحسن كلّم الشمس تكلّمك، قال علي عليه السلام: السلام عليك أيّها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله، فقالت الشمس: وعليك السلام يا أمير المؤمنين، وامام المتقين، وقائد الغرّ المحجّلين، يا علي أنت وشيعتك في الجنة، يا علي أول من تنشق عنه الأرض محمد ثم أنت، وأول من يُحيى محمد ثم أنت، وأول من يكسى محمد ثم أنت، فسجد علي عليه السلام لله تعالى وعيناه تذرفان بالدموع، فانكبّ عليه النبي فقال: يا أخي وحبيبي إرفع رأسك، فقد باهى الله بك أهل سبع سماوات.

قافية العين

١- قال السيد الحميري المتوفى سنة ١٧٣ كما في ديوانه[1]:

فلـما قـضى وحـي النبـي دعـا لـه   ولم يك صلى العصر والشمس تنزع

فـردّت عليـه الـشمس بعـد غروبهـا   فـصار لهـا في أول الليـل مطلـع

٢- وقال أبو تمام الطائي المتوفى سنة ٢٣١ في قصيدته التي يمدح بها أبا سعيد الثغري:

١- ديوان السيد الحميري: ٢٨٢، تحقيق هادي شكر.

فردّت علينا الشمس والليل راغم بشمس لها من جانب الخدر تطلع

نضا ضوؤها صبغ الدجنّة فانطوى لبهجتها ثوبُ السماء المرجّع

فوالله ما أدري علي بدا لنا فردّت أم كان في الركب يوشع

هكذا رواها ابن كثير في البداية والنهاية[1] وقال: هكذا أورده ابن حزم في كتابه ، وهذا الشعر تظهر عليه الركة والتركيب وأنه مصنوع والله أعلم .

أقول: ولما كان ابن حزم وابن كثير قد مرّ منّا الكلام عنهما مع المنكرين، فلا حاجة إلى الوقوف عندهما في هذا المقام ، ولكن هلمّ الخطب في أساتذة الثقافة في النهضة الأدبية ممّن تولّوا تحقيق ودراسة وشرح ديوان أبي تمام ، كيف غيّروا وبدّلوا بل وتجاهلوا فأهملوا ، فمن الذين غيّروا وبدلوا الدكتور خلف رشيد نعمان الّذي تولى دراسة وتحقيق شرح الصولي لديوان أبي تمام فقال[2]:

وقد اشتهر حبس الشمس ليوشع حتى قال أبو تمام في قصيدته يمدح بها أبا سعيد الثغري:

فردّت علينا الشمس والليل راغم بشمس لها من جانب الخدر تلمع

نضا ضوؤها صبغ الدجنّة فانطوى لبهجتها ثوبُ السماء المجزّع

فوالله ما أدري أأحلام نائم ألّمت بنا أم كان في الركب يوشع

ومن الذين تجاهلوا فأهملوا الدكتور ملحم إبراهيم الأسود في بدر التمام في شرح ديوان أبي تمام[3]. فلم يعلق على الأبيات في شرحه سوى إشارة عابرة بقوله: يوشع هو

١- البداية والنهاية ٦ : ٨٧، ط السعادة بمصر.

٢- شرح الصولي لديوان أبي تمام ٢ : ٦، منشورات وزارة الثقافة والفنون ـ الجمهورية العراقية سنة ١٩٧٨ م.

٣- شرح ديوان أبي تمام ١ : ٤٢٠، ط بيروت سنة ١٩٢٨م في مطابع قوزما.

يشوع بن نون وقصته مشهورة بتوقيف الشمس .

أما ثالث القوم الّذي جاء نافجاً حضنيه فهو محمد عبده عزام الّذي تولى تحقيق شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي فلم ينثر كنانته في ج٢ / ٣٢٠ ط دار المعارف بمصر عند تغير البيت بشرح الخطيب التبريزي بقوله:

فوالله ما أدري أأحلام نائم ألّمت بنا أم كان في الركب يوشع

فقال الخطيب التبريزي: هذا المعنى محمول على ما يحكيه أهل الكتاب أنّ الشمس ردّت ليوشع بن نون ، وقد رُوي أنّ الطائي غيّر هذا البيت لما سمع أنّ الشيعة تزعم أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام ردّت له الشمس فقال: (فوالله ما أدري علي بدا لنا) يريد (أعليٌ) فحذف همزة الاستفهام .

ويبدو أنّ عزّام رضي بهذا الكلام فلم يعلّق عليه بشيء في هذا المقام ، بينما كان عليه التحقيق في صحة ما قاله الخطيب التبريزي، وقد روي أنّ الطائي غيّر هذا البيت الخ فمن هو الراوي؟، ومتى سمع أبو تمام أنّ الشيعة تزعم... فغيّر في البيت ، فهل سماعه قبل أن يرسل القصيدة لممدوحه أم بعدُ ، فإن كان قبل ذلك فقد رضي هو بالتغيير، ومهما كانت الدواعي فلا غضاضة عليه في ذلك، وإن كان بعد ما أرسل القصيدة فلا ينفعه ذلك التغيير شيئاً وشعره عند ممدوحه بلا تغيير، ثم كيف نصدّق الراوي في ذلك وأبو تمام هو أحد رؤساء الإمامية كما عن الجاحظ ، وقصيدته الرائية التي ذكرها المرحوم الشيخ الأميني في الغدير[1] وفيها يذكر الإمام وصيّاً ويذكر مواقفه بأحد وبدر وحنين والنضير وخيبر والخندق تأبى علينا تصديق الراوي في زعمه ، كيف وهو يقول:

١- الغدير ٢: ٣٢٩، ط ٢.

مـشاهد كـان الله كاشـف كربهـا	وفارقـه والأمـر ملتـبس إمـر

ويـوم الغـدير استوضـح الحـق أهلـه	بـضحياء لا فيهـا حجـاب ولا سـتر

أقـام رسـول الله يـدعوهم بهـا	ليقـربهُم عُـرف وينـآهُم نكـر

ويحسن للقارئ أن يرجع إلى كتاب الغدير[1] فيقرأ ما كتبه المرحوم الحجة الشيخ الأميني ﷺ عن أبي تمام وما قيل فيه وكتب عنه فجزاه الله خيراً .

٣- وقال العوني كما في مناقب ابن شهرآشوب[2]:

ولا تنس يوم الشمس إذ رجعت لـه	بمنتـشر وادي مـن النـور ممتـع

فـذلك بالـصهباء وقـد رجعـت لـه	ببابـل أيـضاً رجعـة المتطـوع

٤- وقال ابن حماد كما في مناقب ابن شهر آشوب[3]:

قـرن الإلـه ولاءه بولائـه	لّمـا تزكّـى وهـو حـان يركـع

سـماه رب العـرش نفـس محمـد	يـوم البهـل وذاك مـا لا يـدفع

فالـشمس قـد رُدّت عليـه بخيـبر	وقـد ابتـدت زهـر الكواكـب تطلـع

وببابـل ردّت عليـه ولم يكـن	والله خـير مـن علـيّ يوشـع

مـن كلّمتـه الـشمس لمـا سـلّمت	جهـراً عليـه وكـل شيء يـسمع

يـا أولاً يـا آخـراً يـا ظـاهراً	يـا باطنـاً في الحجـب سراً مـودَع

٥- وقال أبو الفضل الإسكافي كما في مناقب ابن شهرآشوب[1]:

١- الغدير ٢: ٣٢٠ – ٣٤٢.

٢- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٤٦.

٣- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٤٥ – ١٥٠.

مـن ذا لـه شـمس النهـار تراجعـت بعـد الأفـول وقـد تقـضّى المطلـع

حتـى إذا صـلّى الـصلاة لوقتهـا أفلـت ونجـم عـشا الأخـيرة يطلـع

في دون ذلـك للأنـام كفايـة من فضله وبهـم لـذي البـصيرة مقنـع

٦- وقال عمارة اليمني يمدح الملك العادل رزيك ابن الملك الصالح طلائع بن رزيك (من القرن الخامس):

ملـوك دعـوا لي حرمـة صـار نبتهـا هـشيما رعتـه النائبـات ومـا رُعـي

وردّت بهم شـمس العطايـا لوفـدهم كـما قـال قـوم في عـلي وتوسـع

قال الشيخ الأميني رحمه الله: كذا يوجد البيت الأخير في مختار ديوانه المطبوع في ألمانيا / ٢٨٨ وهو تصحيف غريب مع التشكيل لحروفه، والصحيح: (كما قال قوم في علي ويوشع).

٧- وقال جمال الدين ابن نباتة المصري المتوفى سنة ٧٦٨ كما في ديوانه الكبير[٢]:

والبـدر شُـقّ لقربـه بتهلـل والجـذع حـنّ لبعـده بتفجّـع

٨- وقال شمس الدين النواجي المتوفى سنة ٨٣٦[٣]:

وردّت عليـه الـشمس بعـد مغيبهـا فعـاد سـناها وهـو في الأفـق سـاطع

٩- وقال النواجي أيضاً من قصيدة نظمها في سنة ٨٣٩[٤] وفيها:

١- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٤٨.

٢- ن م ٢: ٣٤٤.

٣- ن م ٢: ٣٥٤.

٤- ن م ٢: ٣٦١.

والبـدر شُـقّ لأجلـه والـشمس قـد   رُدّت وكانــت منــه آيــة يوشــع

١٠- وقال الحافظ ابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤ من قصيدة لـه ذكرهـا في كتابـه بشرى اللبيب:

لـه وقفـت شـمس النهـار كرامـة   كـما وقفـت شـمس النهـار ليوشـعا

ورُدّت عليـه الـشمس بعـد غروبهـا   وهــذا مــن الإيقــان أعظـم موقعـا

قافية الفاء

١- قال العوني (المتوفى في القرن الرابع) كما في مناقب ابن شهرآشوب[١]:

إني أنــا عبـــدٌ لمـــن ردّت لـــه   شمس الضحى عنـد الغـروب فـانحرف

ردّت لـــه حتـــى أقـــام فريـــضة   للعـــصر صـــلى والـــضيا لم ينكـــشف

٢- وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله كما في ديوانه[٢]:

كـم بـين إيـوان كـسرى مـن مناسـبةٍ   وبـين بـدر الـسما والكفـر إذ خـسفا

همـا انـشقاقان هـذا يـوم مولـده   وذا بمبعثـه الزاكـي هُـدىً سـلفا

قافية القاف

١- وقال شمس الدين محمد بن جابر الأندلسي المتوفى في البيرة من أعمال حلب سنة ٧٩٠، وذكر أوصاف المدينة المنورة وهي من مشهور قصائده رحمه الله تعالى[٣]:

١- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٤٧.

٢- ن م ٢: ٣٨٩.

٣- ن م ٢: ٤٣٧.

وشـــقّ عـــلى أعدائـــه أنّ ربّـــه　　لتعجيـزهم بَـدر الـسماء لـه شـقاً

٢- وقال عبد الحليم شلبي الشهير باللوجى الدمشقي (ترجم له معاصره المرادي في سلك الدرر) من قصيدة ذكرها النبهاني في مجموعته[١]:

وعلـــت معجزاتـــه وبـــدا للبـــدر　　لمّـــا أومـــى إليـــه بانـــشقاق

قافية الكاف

قال ابن جبر المصري من القرن الخامس في قصيدة له مذكورة في الغدير[٢]:

مـــن معجـــزات لا يقـــوم بمثلهـــا　　إلا نبـــــي أو وصي زاكـــــي

كالـــشمس إذ ردّت عليـــه ببابـــلٍ　　لقـــضاء فـــرض فائـــت الإدراك

قافية اللام

١- قال قدامة السعدي كما في مناقب ابن شهرآشوب[٣]:

ردّ الوصي لنـا الـشمس التـي غربـت　　حتـى قـضينا صـلاة العـصر في مَهَـل

لا أنـــسه حـــين يـــدعوها فتتبعـــه　　طوعـاً بتلبيـة هاهـا عـلى عجـل

فتلـــك آيتـــه فينـــا وحجتـــه　　فهـل لـه في جميـع النـاس مـن مثـل

حـسبي أبـو حـسن مـولى أديـن بـه　　ومـــن بـــه دان رســـل الله في الأول

٢- وقال شاعر آخر: كما في المناقب لابن شهرآشوب[٤]:

١- النبهاني في مجموعته ٢: ٤٧٠.

٢- الغدير ٤: ٣١٦.

٣- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٤.

٤- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٤٨.

مـن لـه آخَـى النبـي المـصطفى يـوم خـمّ بالوفـا دون الأهـالي

ولـه معجـزة مـشهورة حـين ردّ الـشمس مـن بعـد الـزوال

٣- وقال العوني: كما في المناقب لابن شهرآشوب:

أمامي كلـيم الـشمس راجـع نورهـا فهل لكليم الـشمس في القـوم مـن مِثـل

٤- وقال الملك الصالح طلائع بن رزّيك كما في ديوانه / ١٠٦ من قصيدة لـه يمـدح فيها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومنها قوله:

ومـن سـوى حيـدر رُدّت ذكـاء لـه مـن بعـد جنحـت مَـيلا إلى الطَفَـل[1]

٥- وقال الصاحب ابن عباد في قصيدته اللامية العصماء التي ضمّنها جملة وافرة مـن فضائل الإمام عليه السلام :

قالت فمن ذا الّـذي آخـاه عـن مقـة؟ فقلت من حـاز ردّ الـشمس في الطَفَـلِ

٦- وقال كشاجم المتوفى سنة ٣٦٠ كما في مناقب ابن شهرآشوب[2]:

ومـن ردّ خالقنـا شمـسه عليـه وقـد جنحـت للطَفَـلِ

ولـو لم تعـد كـان في رأيـه وفي وجهـه مـن سـناها بـدل

٧- وقال ابن هاني المغربي كما في ديوانه مناقب ابن شهرآشوب[3]:

والـشمس حـاسرة القنـاع وردّهـا لـو تـستطيع الأرض التقبـيلا

١- ذكاء من أسماء الشمس غير منصرف، والطَفَل المراد به دنت للغروب واحمرّت عند الغروب (قطر المحيط) .

٢- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٤٧ .

٣- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٥٠ .

٨- وقال ابن حمّاد العبدي (القرن الرابع) كما في الغدير[1]:

له الشمس رُدّت حين فاتت صلاته   وقد فاته الوقت الّذي هو أفضل

فصلّى فعادت وهي تهوي كأنها   إلى المغرب نجمٌ للشياطين مرسل

وقال أيضاً كما في مناقب ابن شهرآشوب[2]:

يا إماماً ماله إلّا   رسول الله شكلُ

لم يزل شأنك   عند الله يعلو ويُجلُّ

وعليك الشمس ردّت   ودجى الليل مطلّ

٩- قال الإمام يحيى الصرصري المتوفى سنة ٦٥٦ رحمه الله من قصيدة بارى بها قصيدة كعب بن زهير (البرءة) التي أولها (بانت سعاد)[3]:

وجاء بالمعجزات الباهرات فلم   يرُدّها في البرايا من له جولُ

فكان في القمر المنشق معجزة   ما في حقيقتها للعين تخييل

١٠- وقال الإمام أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي نزيل مصر المتوفى سنة ٦٨٤ رحمه الله وسماها (المورد العذب في معارضة قصيدة كعب)[4]:

وكم له معجز غير القرآن أتى   فيه تضافر منقول ومعقول

فللرسول انشقاق البدر نشهده   كما لموسى انفلاق البحر منقول

١- الغدير ٤: ١٤٢.

٢- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٤٧.

٣- ن م ٣: ٢٧.

٤- ن م ٣: ٥٨.

وعاد بعد أبيات فقال في ص ٦٤:

وفي انشقاق أخيه البدر حين بدا　　فرقين واختلفت فيه التعاليل

فمنهم فئة فاءت برشدهم　　ومنهم فئة عن رشدهم غيلوا

تقول سحرا وما بالسحر معتبرٌ　　وإنما هو تخييل وتشكيل

وذو الحجا منهمُ قال اصبروا فمتى　　لم تخبر السّفر عنه فهو معلول

فجاء من كل قطر كل ذي سفرٍ　　مخبراً وجحود الحق مرذول

فقيل سِحر أتاه يستمر وما　　يحلّ عانٍ بقيد الكفر مكبول

وجاء في آية ردّ الشمس قوله بعد أبيات كثيرة في ص ٦٧:

والشمس رُدّت عليه بعد ما حُبست　　له وذو الشرك عما رام مخذول

١١- وقال الإمام محي الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي صاحب القاموس المتوفى سنة ٨١٧ قصيدة وسماها (زاد المعاد في معارضة بانت سعاد) وشرحها كما في كشف الظنون[1]:

والبدرُ شُقّ له نصفين قد شهدت　　له بذلك أخبار وتأويل

وعاد في أواخر قصيدته فقال في ص ١٤٢:

من شُقّ بدر الدجى ليلاً لطلعته　　حتى رآه الورى ما فيه تخييل

١٢- وقال الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني في قصيدته التي عارض بها قصيدة كعب المشار إليها آنفاً فقال[2] وقد جمع ذكر الآيتين في بيت واحد هو:

١- ن م ٣: ١٣٥.

٢- ن م ٣: ١٧٠.

والشمس رُدّت وشُق البدر حين دعا بـــدر لـــه بظـــلا الغـــيم تظليـــل

١٣- وقال الإمام الرئيس أبو الحسن علي بن الحباب الأنصاري الأندلسي الغرناطي أحد مشايخ لسان الدين ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٤٩ في قصيدته في المديح النبوي[١]:

وبدر السماء انشق طوعاً لأمره وقـــد كلمتـــه الـــشاة تكلـــيم عاقـــل

ثم قال بعد عدة أبيات كما في ص ٢٢٠:

وقـــد ردّ جـــرم الـــشمس بعـــد أفولهـــا بنقـــل الثقـــات الحـــافظين الأفاضـــل

فقـــد اشرقـــت منهـــا بطـــون تهـــائم بخيـــبر فـــضلاً عـــن رؤوس المجـــادل

١٤- وقال الإمام البرعي رحمه الله[٢]:

وبالبـــدر منـــشقا وبالـــضب ناطقـــا وبالجـــذع وجـــداً والـــسحاب المُظلّـــل

١٥- وقال الشهاب محمود الحلبي المتوفى سنة ٧٢٥ رحمه الله[٣]:

ورأى انـــشقاق البـــدر كـــلٌ مـــنهمُ فعمـــوا وزادوا بالهـــدى تـــضليلا

١٦- وقال الشهاب محمود الحلبي[٤]:

وانشقاق البدر الّذي صار في مرآه شطرين ظاهر الإنفصال

١٧- وقال أبو عبد الله محمد الشرّاف الأندلسي ـ كما في زهر الرياض للمقرى

١- ن م ٣: ٢١٨.

٢- ن م ٣: ٢٣٧.

٣- ن م ٣: ٢٨٢.

٤- ن م ٣: ٣٠٨.

صاحب نفح الطيب ـ[1]:

وكانشقاق البدر مرّ نوره أبدى انشقاق وهو تغيير حال

شُقّ هلالين على صفحتي ظلماته في كل شق هلال

والشطر منه لاستلام الثرى بين يديه بالسلام استمال

بل أخجل البدر لنقصانه فانحطّ منشقا لبدر الكمال

هم سألوه آية أعرضوا عنها وقد جاءت وفاق السؤال

قالوا وقد مانوا بسحر أتى فقلت هذا السحر سحر حلال

بل عجبوا من نكتة الكون أن أعطاه رب الكون ما منه نال

١٨- وقال ابن جابر الأندلسي المتوفى سنة ٧٨٠ وهي من نظم العقدين في مدح سيد الكونين[2]:

أليس انشقاق البدر كان لأجله فشق على نفس الشقي المجهّل

١٩- وقال الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني في قصيدته التي سماها (القول الحق في مدح سيد الخلق ﷺ)[3] وقد جمع بين الآيتين في بيت واحد وقد أجاد في التورية حيث قال:

دعا المولى فشق البدر وحيا وردّ الشمس للمولى فصلى[4]

١- ن م ٣: ٣٤٣.

٢- ن م ٣: ٣٥٥.

٣- ن م ٣: ٤١١.

٤- المولى هو الله تعالى، ووحياً سريعاً وفيه تورية بالوحي بمعنى الإلهام الّذي يوحى به إلى الأنبياء، والمولى الثاني سيدنا علي؏، ففي الحديث (من كنت مولاه فعلي مولاه) عن هامش المصدر.

٢٠- وقال علاء الدين الحلي (من القرن الثامن) كما في الغدير[1] في قصيدته التي هي إحدى قصائده العلويات الطوال، والتي يقول في أولها:

نمّ العذارُ بعارضيه وسلسلا   وتضمنّت تلك المراشف سلسلا

إلى أن يقول في ١٢٦:

وبردّك الشمس المنيرة بعدما   أفلت وقد شهدت برجعتها الملا

٢١- وقال ابن العرندس الحلي (من القرن التاسع) كما في الغدير[2] في قصيدته التي بلغت آبياتها ١٢٦ بيتاً جاء فيها قوله في الأبيات / ١٠٢ـ١٠٣:

والمعجزات الباهرات النيّرات   المشرقات المعذرات لمن غلا

منها رجوع الشمس بعد غروبها   نبأ تصير له البصائر ذهّلا

٢٢- وقال الشيخ حسن آل أبي عبد الكريم - (من القرن الثامن) - كما في الغدير[3] في غديريته البالغة ١٧٦ بيتاً ـ في البيت / ٦٠:

تصدّق بالقرص الشعير لسائل   وردّ عليه القرص وهو أفول

٢٣- وقال الشيخ عبد الرضا المقري الكاظمي المتوفى سنة ١١٢٠ كما في الغدير[4] من قصيدة له يمدح بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تبلغ ١١٨ بيتاً:

والشمس من بعد الغروب ببابل   رُدّت له والليل داجٍ مسبل

١- الغدير ٦: ٣٨٨، ط ٢.

٢- الغدير ٧: ٨، ط ٢.

٣- ١١: ٢٠٤، ط ٢.

٤- الغدير ١١: ٣٥٤، ط ٢.

٢٤- وقال محمد طاهر القمي الشيرازي صاحب كتاب الأربعين المتوفى سنة ١٠٩٨ في قصيدته العصماء التي بارى فيها اللاميات الشهيرة (لامية العرب للشنفري، ولامية العجم للطغرائي، ولامية الهند وكلها مطبوعة) فقال مجارياً لامية الطغرائي خاصة في براعة استهلاله:

سلامة القلب نحّتني عن الزلل ... وشعلة العلم دلتني على العمل

طهارة الأصل قادتني إلى كرم ... كرامتي ثبتت في اللوح في الأزل

قلبي يحب علياً ذا العلى فلذا ... أدعو لأمي في الإبكار والأصُل

محبة المرتضى نورٌ لصاحبها ... يمشي بها آمناً من آفة الزلل

لزمت حب علي لا أفارقه ... وداده من جناني قط لم يزل

أخو النبي إمأمي قوله سندي ... لقوله تابع ما كان من عملي

أطعت حيدرة ذا كل مكرمة ... إمأم كل تقي قاصر الأمل

حزمت في حب آل المصطفى عمري ... من مال عنهم إليه قط لم أمل

باب المدينة منجانا وملجأنا ... ما انحل مشكلنا إلا بحل علي

لولا محبة طه للوصي لما ... أتى يشاركه في طيّب الأكل

ولاية المصطفى في خم قد ثبتت ... بنصّ أفضل خلق الله والرسل

نص النبي عليه فوق منبره ... عليه أشهد أهل الدين والدول

قد نص في الدار عند الأقربين على ... خلافة المرتضى جداً بلا هزل

إن الإمامة عهد لم تنل أحدا ... سوى المصون من الزلات والخطل

أطعتُ من ثبتت في الكون عصمته ... وعفتُ كل جهول سيّء العمل

قد ردّت الشمس للمولى أبي حسن روحي فدا المرتضى ذي المعجز الجلل

طوبى له كان بيت الله مولده كمثل مولده ما كان للرسل[1]

قافية الميم

١- قال الإمام البوصيري المتوفى سنة ٦٩٦ في قصيدته البردة (الكواكب الدرية في مدح خير البرية)[2]:

أقسمتَ بالقمر المنشق إنّ له من قلبه نسبةً مبرورة القَسَم

٢- وقال الشهاب احمد بن أبي القاسم الخلوف التونسي القيرواني المشهور بذي الصناعتين في قصيدة له في المديح النبوي جاء فيها[3]:

نبيّ أعاد الشمس بعد غروبها وأبقى عليها بالجلالة ميسما

نبي له بدر السما انشق طائعا وحنّ إليه الجذع شوقاً وكلّما

٣- وقال ابن مليك الحموي المتوفى سنة ٩١٧ كما في ديوانه[4]:

وشمس الضحى في الأفق رُدّت لأجله وفي النصف إجلالاً له البدر يُقسم

قافية النون

١- قال أبو بكر محمد بن احمد الصنوبري المتوفى سنة ٣٣٤ كما في تتمة ديوان

١- عن مقدمة كتابه الأربعين ط قم .

٢- ن م ٤: ٨.

٣- ن م ٤: ١٢٨.

٤- ن م ٤: ١٤٦.

الصنوبري جمعها وحققها لطفي الصقال ودرية الخطيب، نشر كنوز الشعر العربي ط دار الكتاب العربي بحلب:

ألـيس مـن حـلّ منـه في أخوتـه ... محل هـارون مـن موسـى بـن عمـران

رُدّت لـه الشمس في أفلاكها فقضى ... صـلاته غـير مـا سـاهٍ ولا وانِ

وقال ابن حماد كما في مناقب ابن شهرآشوب[1]:

رُدّت لـه الـشمس وهـو شـان ... لـو علـم النـاس أيّ شـأن

٢- وقال الصفي الحلي المتوفى سنة ٧٥٠ رحمه الله تعالى في قصيدته في المديح النبـوي[2] وقد جمع ذكر الآيتين في بيت واحد هو:

والبدر شُق وأشرقت شمس الضحى ... بعـد الغـروب ومـا بهـا نقـصان

٣- وقال شمس الدين النواجي رحمه الله ت ٨٤٨ قصيدة في المديح النبوي جاء فيها[3]:

سـألت قـريش أن يـريهم آيـةً ... كـبرى فأظهرهـا لهـم في الحـين

وأشـار للبـدر المنـير فـشق في ... كبـد الـسماء وعـاد كـالعرجون

٤- وقال الشيخ يوسف المشهور بالحكيم الرشيدي الأسلمي رحمه الله نظمها سنة ٨٠٤ وهي من بحر السلسلة[4]:

مـن شُـق لـه البـدر غـير أحمـد طـه ... مـن شُـق لـه ليلـة الـولادة الأيـوان

١- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٤٧.

٢- ن م ٤: ٣٠٢.

٣- ن م ٤: ٢١٥.

٤- ن م ٤: ٢٢٣.

٥- وقال الأصفهاني كما في مناقب ابن شهرآشوب[1]:

أمــن عليــه الــشمس رُدّت بعــدما كــسى الظــلام معــاطف الجــدران

حتـى قـضى مـا فـات مـن صـلواته في دبــر يــوم مــشرق ضــحيان

والنـاس مـن عَجَـب رأوه وعـاينوا يترجحــون تــرجّح الــسكران

ثــم انثنــت لمغيبهــا منحطّــة كالــسهم طــار بريــشة الظهــران

٦- وقال السريجي الأوالي المتوفى سنة ٧٥٠ تقريباً كما في الغدير[2] في قصيدته الغديرية التي أولها:

إن لم أفـض في المغـاني مـاء أجفـاني فــما أفــظَّ إذن قلبــي وأجفــاني

إلى أن قال:

وآيــة الــشمس إذ رُدّت مبــادرةً غــرّاء أقــصر عنهــا كــلُّ إنــسان

٧- وقال المولى مسيحاً المتوفى سنة ١١٢٧ كما في الغـدير[3] مـن قـصيدة غديريـة جـاء البيت ٢١ في ص٣٧٠:

هل رُدّت الشمس يوماً لابـن حنتمـة أو هل هـوى كوكـب في بيت عـثمان

قافية الهاء

١- قال شاعر مبدع في قوله:

لا ومــن أمــري ونهيــي وحيـــاتي في يديـــه

١- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٤٨.

٢- الغدير ٦: ٢٠، ط ٢.

٣- الغدير: ج١١/ ١٣٦٩.

لا تواليت سوى من رُدّت الشمس عليه[١]

٢- ذكر السبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص ٣١ فقال: وفي وقوف الشمس يقول الصاحب كما في الكفاة:

مَن كمولاي علي والوغى تحمي لظاها
مَن يصيد الصيد فيها بالظبى حين انتضاها
مَن له في كل يوم وقعات لا تضاهى
كَم وكم حرب ضروس سدّ بالمرهف فاها
اذكروا أفعال بدر لستُ أبغي ما سواها
اذكروا غزوة أحد إنه شمس ضحاها
اذكروا حرب حنين إنه بدر دجاها
اذكروا الأحزاب قدما انه ليث شراها
اذكروا لهجة عمرو كيف أفناها شجاها
اذكروا أمر براةٍ واصدقوني من تلاها
اذكروا من زوجه زهراء قد طاب ثراها
حاله حالة هرون لموسى فافهماها
أعلى حبّ علي لامني القوم سفاها
أول الناس صلاة جعل التقوى حلاها
ردت الشمس عليه بعد ما غاب سناها

١- مناقب ابن شهرآشوب.

وقال ابن حمّاد كما في مناقب ابن شهرآشوب[١]:

ورجعت الشمس حين تكلّمت   وأبدت من اسماء الإمام حامها

قافية الياء

١ - قال جمال الدين يحيى الصرصري من قصيدة طويلة في المديح النبوي:

وبإيماء كفّه القمر انشقّ   بنصفين في الحمى الحرميّ

٢- وقال الشهاب محمود الحلبي من قصيدة طويلة في المديح النبوي:

فمنها انشقاق البدر كيف يكتمه   وكل له في الأفق أصبح رائيا

وقال المفجّع البصري كما في المناقب لابن شهرآشوب[٢]:

وعليّ إذ نال رأس رسول   الله من حجره وساداً وطيّا

إذ يُخال النبي لما أتاه   الوحي مغمى عليه أو مغشيّا

فتراخت عنه الصلاة ولم يوقظه   إلى أن كان شخصه مَنحيّا

فدعا ربّه فأنجزه الميعاد   مَن كان وعدهُ مأتيّا

قال هذا أخي بحاجة ربي   لم يزل شطر يومه مغشيّا

فاردد الشمس كي يصلّي في الـ   ـوقت فعاد العشيّ قضيّا

إلى آخر ما هنالك من شواهد شعرية ، تضمّنت ذكر تلك الآيات الباهرات ، والكرامات الزاهرات ، وما تضمّنته هذه الإضمامة العبقة من الأشعار الشيّقة ، إلا هو قطف الأنوار، من تلك الرياحين والأزهار التي فاح شذاها، وهي في حدّ ذاتها دالّة على شهرة

١- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٥٠.

٢- مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٤٤، ط الحيدرية.

حدوث تلك الكرامات حتى تغنّى الشعراء بها، ولم ينقل عن أحد أنّه أنكر عليهم نظمها، فهي دعمٌ إلى ما مرّ من أقوال المثبتين، ودحض لزعم المشككين، من النواصب المعاندين.

لو تسنّى لأحد أن يذكر جميع ما قيل في هذا المضمار من أشعار لوجد الأضعاف المضاعفة، ومن ذا يحيط بجميع ما قاله المادحون في كل عصر ومصر، وهم لا يحصيهم عدّ، ولا يحيط بهم حدّ، إلا في علم الله تعالى الواحد الأحد .

وإنّ في تفنّنهم في أساليب النظم النظيم ، في مدح النبي الكريم ووصيّه العظيم عليهما وآلهما أسنى آيات الصلاة والتسليم ، ممّا يحمل النفس على أن تشارك في هذا الروض الأريض الطويل العريض، ولو بأدنى ما يمكن ممّن دنا منه الحريض فحال عن القّريض ، فإنّ النفس تطنح بما فيها من خوافيها ، وإنّ الهدايا على مقدار مهديها ، والتوفيق من الله موهبة ، لمن أعانه على نظم بعض تلك المناقب ، لسيد الكائنات وابن عمّه علي بن أبي طالب ، صلّى الله عليهما وآلهما ما ذر في شارق وغارب، فقلت متطفّلاً وبهم متوسلاً ، ومن الله متسولاً ، أرجو العفو والزلفى لديه ، ومتوكّلاً عليه:

فأعجبني قول ابن فارض مادحا ... وإنّي لبيتيه أقول مشطّرا

(أرى كل مدح في النبي مقصرا) ... إذا لم يُشفّع بالوصي قد امترى

فليس ثناء للنبي لوحده ... (وإن بالغ المثني عليه وأكثرا)

(إذا الله أثنى بالذي هو أهله) ... وفي آية التطهير والآل طهّرا[1]

وفي ضمهم تحت الكساء دلالة ... (عليه فما مقدار ما تمدح الورى)

وأبلغ من مدح ابن فارض واصف ... وقد أبدع الوصف البليغ فأبهرا

١- علي إمام البررة ١: ٣٧١ .

فتركــتُ تــصدير الكــلام لقولــه وأعجــازه مــن نظــم فــجّ فــأثمرا

(عــليّ مــع الهــادي كــشقيّ يراعــة) يخطّــان حــرف المكرمــات منــوّرا

(همــا واحــد في العــدّ لــيس بــإثنين) وإن رأت العينــان إثنــين مــا تــرى

(فــنفس عــلي نفــس طــه وإن يكــن) هما في افتراق الجسم قــد وطــأ الثــرى

(هنالــك مِــن فــرق تخلــل في البــين) لأنّ رســـول الله جـــاء مبـــشّرا

(فــذلك مــن شــأن النبــوة وحــدها) وأبقــى لنــا الثقلَــين عنــه معــبّرا[1]

(ولا فرق في الجفنــين في طرفــة العــين) عــــليّ وطــــه في الكتــــاب تكثّــــرا

همـــا أنـــسلا والله بـــارك فـــيهما وأنــزل في القــرآن آعطــاك كــوثرا[2]

وشـــاركه في كـــل فـــضل مواخيـــا كهــرون بــن موســى شــبيهاً منظّــرا

وكم قــال فيــه المــصطفى فــوق منــبرٍ فهــروني عــلي وهــو منــي مــوزّرا

عــلي وصــيّي وهــو منّــي خليفتــي فكــم مــرّة قــال النبــيّ مــذكّرا[3]

عــلي أخــي مــن ســبّه فهــو ســبّني ومــن ســبّني ســبّ الإلــه محــذّرا[4]

فــلا بــدع لــو ســاواه فــضلاً ومحتــدا وقاســمه في البــدء نــوراً وعنــصرا

وإنّ الّـــذي شـــقّ المنـــير بـــأمره أعاد له شــمس الأصــيل لكــي تُــري

إليــك رســـول الله أبلـــغ مـــدحتي فكن لي شفيعاً حــين أدعــى فأحــشرا

١- علي إمام البررة ١: ٢٩٢ و٣: ٣٤٧.

٢- شواهد التنزيل ٢: ٣٧٥.

٣- علي إمام البررة ٢: ٨٠.

٤- ن م ١: ١٦٠.

فـما لي مــن زاد ليوصــلني الـسُرى فهب لي نـوالاً منـك أطلـب للقـرى

وإلى هنا نختم الكلام في هذه المسألة ، ولـو أردنـا الاسـتيعاب لاحتجنـا إلى تـأليف كتاب، وقد قلت فيما سبق إنّ الباب مفتوح للراغبين ، والمصادر ميسّرة للبـاحثين ، وقـدرة الله تعالى على إعانة الطالبين موجودة في كل حين ، ومحمد سيد الكونين حبيب إله العالمين ، وله المقام المحمود عنده ، واليه الشفاعة يوم الدين ، فكل ما كتب ويكتب لا يبلغ مدح إلـه العالمين له بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وقال تعالى مخاطباً إيّاه ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْـكَ عَظِيمًا﴾ وما أصدق قول البوصيريﷺ:

كــل البلاغــة عــيّ في مناقبــه إذا تفكّــرت والتكثــير تقليــل

لـو أجمـع الخلـق أن يحصوا محاسنه أعيــتهم جملــةٌ منهــا وتفــصيل

وما دون هذا قول ذي الصناعتين القيرواني:

ألــيس بــأن الله ســوّاه مــثلما بقدرتــه سـوّى مــن الـتُرب آدمـا

جليل سما عن خلق شيء كذاته ولكــن بطـه أبـدع الكـون محكـما

جـواد كـريم غـافر الـذنب سـاتر حليم عظيم مالـك الأرض والـسما

ســميع بــصير عــالم ذو إرادة إذا شـا أضـاء الكـون أو شـاء أظلـما

هـدانا بنـور المـصطفى بعـد ضِـلّةٍ ووقّـى بـه أبـصارنا فتنـة العمـى

وأرســله بــالحق للخلــق داعيــاً فزلــزل أركــان الــضلال وهـدّما

وأظهــر آيــات الكتــاب شــواهداً عـلى مـا ادعـاه حـين أبـدى المكـتّما[1]

* * *

١- من قصيدة لذي الصناعتين التونسي القيرواني كما في المجموعة النبهانية ٤ : ١٣٩ .

الكلام في ردّ الشمس في المرّة الثانية زماناً ومكاناً:

لقد ردّت الشمس للإمام أمير المؤمنين عليه السلام مرّة ثانية زماناً بعد العهد النبوي الشريف، ومكاناً ببابل من أرض العراق، وسنبحث المسائل التالية:

المسألة الأولى: في زيغ البخاري في كتابه الجامع الصحيح في عدم التصريح، مع ذكره الحديث بالتلميح.

المسألة الثانية: في أسماء العلماء الذين ذكروا ردّ الشمس للإمام عليه السلام مرّة ثانية ببابل.

المسألة الثالثة: في شواهد شعرية خاصّة بهذه المرّة.

المسألة الرابعة: مسجد الشمس في بابل ـ الحلة ـ معلم قائم خالد وخير شاهد.

المسألة الخامسة: نواصب يريدون ليطفئوا نور الله.

ثم الخاتمة في مطارفة أدبية بين عالمَين علمَين شيعيّ وسني حول معجزة ردّ الشمس، وتسليم الثاني وإذعانه لما قاله الأول مخبتاً بالصحة.

المسألة الأولى: في زيغ البخاري عن الحق، ومراوغته في كتابه الجامع الصحيح لعدم التصريح مع ذكره الحديث بالتلميح.

إنّ من أعجب العجب أن لا يُروى كما هو حديث مرور الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأرض بابل ولم يصلّ بها وقال: إنّها أرض ملعونة أو خسف بها ونحو ذلك، والّذي يرويه جملة من أصحاب الصحاح والسنن والتفسير من المؤرّخين أيضاً، وحتى اتخذوه مصدراً لحكم شرعي في كراهة الصلاة بأرض الخسف والعذاب، لكنهم يتلجلجون في روايته، فيروونه مغمغمين في ذكر آخره، لا لشيء إلا لأنّه يتضمّن ذكر كرامة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لا تقوى النفوس المراض على ذكرها.

ومن الخير أن نذكر الحديث كما رواه أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد أولاً، ثم نعقبه ثانياً بذكره عند من رواه بتمامه المشتمل على تلك الكرامة، والتي هي ردّ الشمس على الإمام حتى أدّى صلاة العصر، فمن الفريق الأول:

١- البخاري ذكره في صحيحه[١] فقال:

ويذكر أنّ علياً ﷺ كره الصلاة بخسف بابل .

فهذا كل ما ذكره البخاري معلّقاً ، وتحامى شرّاح صحيحه عن الإفاضة في ذكر الحَدَثِ الّذي من أجله ورد الحديث، وكل ما ذكروه هو تفسير الخسف ، أو تعيين بابل ، ومن زاد منهم على ذلك فقد ذكر أنّ هذا الأثر عن علي عليه السلام رواه غير البخاري كابن أبي شيبة وأبي داود وغيرهما . ثم ذكروا ألفاظهم كما سيأتي نقلها عنهم مباشرة .

٢- أبو داود ذكر في سننه في كتاب الصلاة ، باب المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة كما في ج٤ / ١١٣ من المنهل العذب المورود بسنده عن أبي صالح الغفاري أنّ علياً مرّ ببابل وهو يسير ، فجاءه المؤذّن يؤذنه لصلاة العصر ، فلما برز منها أمر المؤذّن فأقام الصلاة، فلما فرغ قال: انّ حِبي ـ حبيبي ـ ﷺ نهاني أن أصلي في المقبرة ، ونهاني أن أصلّي في أرض بابل فإنّها ملعونة .

٣- ابن أبي شيبة ذكر في المصنف[٢] بسنده عن عبد الله بن أبي المحلّ: إنّ علياً مرّ بجانب من بابل فلم يصل بها .

وأخرجه ثانياً بسنده عن حجر بن عنبس الحضرمي قال: خرجنا مع علي إلى النهروان حتى إذا كنّا ببابل حضرت صلاة قلنا: الصلاة ، فسكت ، ثم قلنا: الصلاة فسكت، فلما

١- صحيح البخاري ١: ٩٠، ط بولاق كتاب الصلاة ، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب.

٢- المصنف ٢: ٣٧٧.

خرج منها صلّى ثم قال: ما كنت أصلّي بأرض خسف بها، ثلاث مرّات.

٤- البيهقي ذكر في السنن الكبرى[1] وذكر الحديث عن أبي صالح الغفاري بنحو ما تقدّم، كما ذكر حديثي عبد الله بن أبي المحل وحجر الحضرمي، وقد مرّا عن ابن أبي شيبة.

٥- السيوطي ذكر في الدر المنثور[2] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ فقال: أخرج أبو داود وابن أبي حاتم، والبيهقي في سننه عن علي قال: إنّ حبيبي ﷺ نهاني أن أصلّي بأرض بابل فإنّها ملعونة.

٦- القرطبي ذكر في تفسيره الجامع لأحكام القرآن[3] قول الإمام عليه السلام: نهاني رسول الله ﷺ أن أصلّي بأرض بابل فإنّها ملعونة، وعاد في ص٥٠ فقال: وقد روي عن علي بن أبي طالب قال: نهاني حبيبي ﷺ أن أصلّي في المقبرة، ونهاني أن أصلّي في أرض بابل فإنها ملعونة، وإسناده ضعيف مجتمع على ضعفه، وأبو صالح الّذي رواه عن علي هو سعيد بن عبدالرحمن الغفاري، بصري ليس بمشهور، ولا يصح له سماع عن علي، ومن دونه مجهولون لا يُعرفون.

قال أبو عمر: وفي الباب عن علي من قوله غير مرفوع حديث حسن الإسناد، رواه الفضل بن دكين قال: حدّثنا المغيرة بن أبي الحر الكِندي قال: حدّثني أبو العنبس حُجر بن عنبس قال: خرجنا مع علي إلى الحرورية، فلما جاوزنا سُوريا وقع بأرض بابل، قلنا: يا أمير المؤمنين أمسيت الصلاة الصلاة، فأبى أن يكلّم أحداً، قالوا: يا أمير المؤمنين قد أمسيت، قال: بلى، ولكن لا أصلّي في أرض خسف الله بها.

١- السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٤٥١.

٢- الدر المنثور ١: ٩٦.

٣- الجامع لأحكام القرآن ١٠: ٤٨.

والمغيرة بن أبي الحر كوفي ثقة قاله يحيى بن معين وغيره ، وحُجر بن عنبس من كبّار أصحاب علي .

٧- ابن تيمية قال في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم[1]: فنهى رسول الله ﷺ عن الدخول إلى أماكن المعذّبين إلا مع البكاء ، خشية أن يصيب الداخل ما أصابهم ، ونهى عن الإنتفاع بمياههم حتى أمرهم ـ مع حاجتهم في تلك الغزوة وهي غزوة العُسرة ، وهي أشدّ غزوة كانت على المسلمين ـ أن يعلفوا النواضح بعجين مائهم ، وكذلك أيضاً روي عنه ﷺ أنّه نهى عن الصلاة في أماكن العذاب .

فروى أبو داود بسنده عن أبي صالح الغفاري ـ وذكر الحديث الآنف الذكر عند أبي داود ثم قال ـ : وقد روى الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله بإسناد أصح من هذا ـ يعني إسناد أبي داود في الحديث المتقدّم ـ عن علي ؓ نحواً من هذا ، إنّه كره الصلاة بأرض بابل وأرض الخسف .

قال: وكره الإمام أحمد الصلاة في هذه الأمكنة اتباعاً لعلي ؓ ، انتهى .

وهناك آخرون رووا نحو ذلك نعرض عنهم ونكتفي بمن ذكرنا ، والآن إلى ما رواه الفريق الثاني .

المسألة الثانية: لقد ذكر الخبر بردّ الشمس للإمام أمير المؤمنين مرّة ثانية ببابل جماعة من علماء المسلمين من محدثين ومؤرخين ، فإلى القارئ أحاديثهم بألفاظهم حسب التسلسل التاريخي لهم:

١- اقتضاء الصراط المستقيم: ٨٠ – ٨١.

١- نصر بن مزاحم المنقري المتوفى سنة ٢١٢ ذكر في كتابه وقعة صفين[1]:

عن أبي مخنف عن عمه ابن مخنف قال: إنّي لأنظر إلى أبي مخنف بن سُليم وهو يساير علياً ببابل وهو يقول: إنّ ببابل أرضاً قد خُسف بها ، فحرِّك دابتك لعلنا نصلي العصر خارجاً منها .

قال: فحرّك دابّته وحرّك الناس دوابّهم في إثره ، فلما جاز جسر الصراة نزل فصلى بالناس العصر .

وأخرج نصر بن مزاحم أيضاً في صفحة / ١٥٤ من كتابه بسنده عن عبد خير قال: كنت مع علي أسير في أرض بابل ، قال: وحضرت الصلاة صلاة العصر ، قال: فجعلنا لا نأتي مكاناً إلا رأيناه أفيح[2] من الآخر ، قال: حتى أتينا على مكان أحسن ما رأينا ، وقد كادت الشمس أن تغيب، قال: فنزل علي ونزلت معه ، قال: فدعا الله فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر . قال: فصلّينا العصر ، ثم غابت الشمس .

٢- محمد بن الحسن الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ ذكر في كتابه بصائر الدرجات في أول الباب الثاني من الجزء الخامس[3]: بسنده عن جويرية بن مسهر قال: أقبلنا مع أمير المؤمنين عليه السلام من قبل الخوارج حتى إذا قطعنا في أرض بابل حضرت صلاة العصر ، قال: فنزل أمير المؤمنين عليه السلام ونزل الناس، فقال أمير المؤمنين: يا أيها الناس إنّ هذه الأرض ملعونة وقد عُذّبت من الدهر ثلاث مرّات ، وهي إحدى المؤتفكات ، وهي أول أرض عَبد فيها وثن ، إنّه لا يحلّ لنبي ولا وصي نبيّ أن يصلّي فيها .

١- وقعة صفين: ١٥١، بتحقيق عبد السلام محمد هارون، ط القاهرة سنة ١٣٦٥ هـ.

٢- أفيح: يعني أوسع، من قولهم: فاح الوادي اتسع فهو أفيح على غير قياس (المصباح المنير فيح) .

٣- بصائر الدرجات ب٢/ ج٥ : ٥٨، ط حجرية و ١: ٤٢٣ و ٤٣٦ ط الحيدرية بقم.

فأمر الناس فمالوا عن جنبي الطريق يصلّون ، وركب بغلة رسول الله ﷺ فمضى عليها، قال جويرية: فقلت: والله لأتبعنّ أمير المؤمنين عليه السلام ولأقلدنّه صلاة ـ صلاتي ـ اليوم، قال: فمضيت خلفه فوالله ما جزنا جسر سورا حتى غابت الشمس .

قال: فسببتهُ أو هممتُ أن أسبّه ، قال: فقال: يا جويرية أذّن، قال: فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فنزل ناحية فتوضّأ ثم قام فنطق بكلام لا أحسبه إلا بالعبرانية ، ثم نادى بالصلاة، فنظرت والله إلى الشمس قد خرجت من بين جبلين لها صرير ، فصلّى العصر وصلّيت معه .

قال: فلما فرغنا من الصلاة عاد الليل كما كان .

فالتفت إليّ وقال: يا جويرية بن مسهر إنّ الله يقول: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ فردّ عليّ الشمس.

٣- الشيخ ابن بابويه محمد بن علي الصدوق المتوفى سنة ٣٨٠ ذكر حديث جويرية هذا في كتابيه من لا يحضره الفقيه[١].

٤- السيد الشريف محمد بن الحسين الرضي المتوفى سنة ٤٠٦ ذكر حديث جويرية هذا في كتابه خصائص أمير المؤمنين عليه السلام[٢] مرتين مسنداً ومرسلاً .

٥- الشيخ المفيد المتوفى سنة ٤١٣[٣].

٦- الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ ذكر حديث جويرية في كتابه الأمالي[٤].

١- من لا يحضره الفقيه ١: ١٣٠، وعلل الشرائع ٢: ٤١.

٢- خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: ٢٤، ط الحيدرية في النجف الأشرف.

٣- الإرشاد: ١٨١ – ١٨٢، ط الحيدرية.

٤- الأمالي ٢: ٢٨٤، ط النعمان.

٧- الفتال النيسابوري الشهيد في سنة ٥٠٨ ذكر الخبر في روضة الواعظين[1].

٨- القطب الراوندي المتوفى سنة ٥٧٣ ذكر حديث جويرية في كتابه الخرائج والجرائح.

٩- الشيخ ابن ادريس الحلي المتوفى ٥٩٨ ذكر ذلك في كتاب الصلاة ج١ / ٣٨٠ بتحقيقي فقال: وكذلك تكره الصلاة في كل أرض خسفٍ، ولهذا كره أمير المؤمنين عليه السلام الصلاة في أرض بابل، فلما عبر الفرات إلى الجانب الغربي، وفاته لأجل ذلك أول الوقت، ردّت له الشمس إلى موضعها في أول الوقت، وصلّى بأصحابه صلاة العصر ثم قال:

ولا يحلّ أن يعتقد أنّ الشمس غابت ودخل الليل، وخرج وقت العصر بالكلية وما صلّى الفريضة عليه السلام، لأنّ هذا مِن مُعتَقِده جهل بعصمته عليه السلام، لأنّه يكون مخلاً بالواجب المضيّق عليه، وهذا لا يقوله مَن عرف بإمامته واعتقد عصمته عليه السلام.

١٠- العلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ ذكر ذلك في التذكرة[2] فقال: (وكذا كل موضعٍ خُسف به وبه قال أحمد، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه يوم مرّ بالحجر: (لا تدخلوا على هؤلاء المعذّبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم) وعبر عليّ عليه السلام من أرض بابل إلى موضع ردّت له الشمس فيه فصلّى. ومرّ ما ذكره في كشف اليقين من الكرامة لمشهد الشمس، وهو الموضع الّذي صلّى فيه أمير المؤمنين عليه السلام.

١١- الشيخ ابن فهد الحلي المتوفى سنة ٨٤١ ذكر حديث جويرية في كتابه عدة الداعي في شرائط استجابة الدعاء[3].

أقول: ولم يقتصر حديث رد الشمس ببابل على رواية جويرية بن مسهر، بل رواه

١- روضة الواعظين: ١٢٩، ط الحيدرية سنة ٣٨٦.

٢- التذكرة ٢: ٤١٠.

٣- عدة الداعي في شرائط استجابة الدعاء: ٦٨ - ٦٩، ط حجرية سنة ١٢٧٤ في إيران.

آخرون فذكر منهم أبو رافع كما في كتاب الصراط المستقيم للبياضي[1] .

ويكفينا في صحّة الحديث رواية إمامين من أئمة أهل البيت عليهم السلام : وهما الإمام زين العابدين، وابنه الإمام محمد الباقر كما في المصدر الآنف الذكر .

المسألة الثالثة: في شواهد شعرية خاصة بهذه المرّة:

لقد مرّت في (المسألة الثامنة) من الباب الأول ضمن أهازيج الشعراء بعض الشواهد الخاصة بهذه المرّة ، ولعل أقدم شاهد على ذلك ما ذكره الشيخ زين الدين علي بن محمد بن يونس العاملي النباطي البياضي المتوفى سنة ٨٧٧ في كتابه الصراط المستقيم، هو قول قدامة السعدي فقد قال يومئذٍ:

ردّ الوصيّ لنا الشمس التي غربت ... حتى قضينا صلاة العصر في مَهَلِ

لم أنسه حين يدعوها فتتبعه ... طوعاً تلبّيه مهلاً ها بلا عَجَلِ

وتلك آياته فينا وحجّته ... فهل له في جميع الناس مِن مَثَلِ

أقسمت لا ابتغي يوماً به بدلاً ... وهل يكون لنور الله من بَدَلِ

حسبي أبا حسنٍ مولىً أدين به ... ومن به دان رُسل الله في الأوَلِ

وحسبنا في إثباته مضافاً إلى ما تقدّم ، شهرته المتسالم عليها بين الشعراء ، حتى جعلوه لدة الحديث عن ردّ الشمس في المرّة الأولى، قال الشيخ البياضي رحمه الله : وبالجملة فهذان الموضعان ـ يعني الصهباء من أرض خيبر في المرّة الأولى ، وبابل في المرّة الثانية ـ أمران شايعان ، قال السيد الحميري:

ردت عليه الشمس لما فاته ... وقت الصلاة وقد دنت للمغرب

١- الصراط المستقيم للبياضي ١: ٢٠٢، مط الحيدري سنة ١٣٨٤.

وعليه قد ردّت ببابل مرّة أخرى وما ردّت لخلق مغرب

وقال ابن حماد:

والشمس قد ردّت عليه بخيبر وقد انبدت زهر الكواكب تطلع

وببابل رُدّت عليه ولم يكن والله خير من علي يوشع

وقال العوني:

ولا تنسَ يوم الشمس إذ رجعت له بمنتشر واد من النور مقنع

كذلك بالصهباء وقد رجعت له ببابل أيضاً رجعة المتطوع

وقال ابن الرومي:

وله عجائب يوم سار بجيشه يبغي لقصر النهروان المخرجا

رُدت عليه الشمس بعد غروبها بيضاء تلمع وقدة وتأجّجا

دفع إشكال في هذا المجال:

كثير ممّن أنكر حدوث المعجزتين شق القمر وردّ الشمس، يتشدّق بأنّه لو صحّ ذلك لرآه جميع الناس في مشارق الأرض ومغاربها ، غافلاً عن كروية الأرض ، واختلاف الجهة المقابلة للقمر أو للشمس في حال صدور المعجزتين عن باقي جهات الأرض ، وقد مرّ منّا الكلام في ذلك ، ونبّهنا على عدم لزوم الرؤية لتلك المعجزة حال حدوثها في جميع أقطار الأرض ، وذكرنا مسألة الخسوف والكسوف التي قد تكون في أفق جانب من الأرض ولا ترى في الجانب الآخر .

وما لنا نذهب بعيداً واليوم نعيش على الأرض ، ونرى اختلاف الآفاق في طول النهار وقصره تبعاً لطلوع الشمس وغيابها، فهل يعقل أن يطلب ممّن يعيش في الدول

الاسكندنافية أن يرى ما حدث بمكة ليلاً كشق القمر أو نهاراً كردّ الشمس ، وفي بعض تلك البلاد يكاد انعدام الليل بالمرة أو يكون قليلاً جداً، كما في بودن شمال السويد حيث الليل فيها لا يتجاوز الساعة والنصف، أي من الساعة الثانية عشرة تقريباً إلى الثانية مع وجود الحمرة المشرقية بشكل واضح وجليّ ، ولا دليل لأيّ ظلمة أو عتمة بالليل .

زيادة إيضاح في ردّ الشمس:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[1].

وبهذه الآية قد احتج الأوائل بظاهرها على كون الحركة المحسوسة طلوعاً وغروباً إنّما هي للشمس ، واضطربوا في ﴿لِمُسْتَقَرٍّ﴾ فأخذوا اللام تارة بمعنى (إلى) وفسّروا المستقر بمبدأ البروج ، وأخرى بمعنى (في) وفسّروا المستقر بفلكها .

وقد ناقش ذلك المرحوم العلامة الحجة السيد هبة الدين الشهرستاني في كتابه الهيئة والإسلام[2] وقال: بحمل الجريان على الحركة الانتقالية للشمس في أعماق الفضاء تائهة المأوى ، وحمل المستقر على زمان الاستقرار لا مكان الاستقرار فيكون المعنى ـ والله أعلم ـ والشمس تجري إلى أن يأتي وقت القرار وهو يوم القيامة ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ .

وقال في ص١٨٣ : هذا كله بناءاً على القراءة المعروفة المتداولة ـ أعني قراءة عاصم برواية حفص ـ وأما على القراءة المروية عن أئمة آل النبي ﷺ ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لا مُسْتَقَرَّ لَهَا﴾ بـ(لا) النافية فتنطبق على الحركة الإنتقالية المنقولة عن المتأخرين انطباقاً ظاهراً لا

١- يس: ٣٨.

٢- الهيئة والإسلام: ١٨٢، ط الآداب سنة ١٣٨١.

يحتاج إلى تجشم التفسير ، وهذه القراءة الأخيرة رواها المفسّرون عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وسبطه زين العابدين، والإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق، وابن عباس، وابن مسعود، وعكرمة، وعطاء وغيرهم.

واختار هذه القراءة شيخنا (شيخ) الشريعة الاصفهاني كما سمعته منه ورأيته أيضاً في كتابه (إنارة الحالك في قراءة ملك ومالك) ونقل هذه الأقوال عن مجمع البيان[١] والدر المنثور[٢]، وهي تدلّ على أنّ الشمس ليس لها مركز محسوس تدور حوله كما يحسبه (كمبل) الإمريكي ، أو تدلّ على أنّها لا استقرار لها كما هو الحق ، إذ الـ (مستقر) مصدر ميمي .

وبناء على هذه القراءة لا يكون أيّ اختلال في الكون ، عند توقف أو تأخر جريانها ، إذ لا مستقر لها ترتبط به فعلاً، فلو وقعت دونه لأحسّ بها الناس ، إذ هي في حركة دائبة فلا يستشعر برجعتها إلا من كان راصداً لها كما هو خبر جويرية وقد مرّ .

ومسك الختام في المقام حديث أبي جعفر الباقر عليه السلام كما رواه الفتال النيسابوري في روضة الواعظين[٣] .

١- مجمع البيان ١ : ٤٢٣، ط صيدا .

٢- وجاء في تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥ : ٢٨: وقرأ ابن مسعود وابن عباس ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لا مُسْتَقَرَّ لَهَا﴾ أي أنّها تجري في الليل والنهار لا وقوف لها ولا قرار إلى أن يكوّرها الله يوم القيامة، وفي معجم القراءات القرآنية ٥ : ٢٠٨ ط الثانية سنة ١٤٠٨ : وردت قراءات ثلاث غير ما ورد في المصحف إحداها ﴿لا مُسْتَقَرَّ لَهَا﴾ وقال: قرأ بها عبد الله بن مسعود ـ ابن عباس ـ عكرمة ـ عطاء بن رياح ـ علي بن الحسين ـ زين العابدين (كذا والفصل بين الإسمين وهم) أبو جعفر الباقر ـ جعفر الصادق ـ ابن أبي عبيدة . ناقلاً ذلك عن البحر المحيط ٧ : ٣٣٦، والجامع لأحكام القرآن ١٥ : ٢٨، والكشاف ٣ : ٣٢٢، ومجمع البيان ٨ : ٤٢٣، والمحتسب لابن جني ٢ : ٢١٢ .

٣- روضة الواعظين: ٢٦٤، بتقديمي ط الحيدرية سنة ١٣٨٦ هـ.

قال أبو جعفر عليه السلام في حديث طويل قال: إذا قام القائم عج سار إلى الكوفة يهدم بها أربعة مساجد ، ولم يبق على وجه الأرض مسجد له شُرُف إلا هدمها وجعلها جمّا ، ووسع الطريق الأعظم ، وكسر كل جناح خارج في الطريق ، وأبطل الكُنُف والميازيب إلى الطرقات، ولا يترك بدعة إلا أزالها ، ولا سنّة إلا أقامها ، ويفتتح قسطنطنية والصين وجبال الديلم، فيمكث على ذلك سبع سنين مقدار كل سنة عشرين سنة من سنيّكم هذه ، ثم يفعل الله ما يشاء، قيل له: جعلت فداك فكيف يطول السنون ؟

قال: يأمر الله الفلك باللبوث وقلّة الحركة فتطول الأيام لذلك والسنون، قال: قلت له: إنّهم يقولون: إن الفلك إنّ تغيّر فسد ، قال: ذلك قول الزنادقة ، فأما المسلمون فلا سبيل لهم إلى ذلك ، وقد شق الله القمر لنبيه صلى الله عليه وآله وردّ الشمس من قبله ليوشع بن نون ، وأخبر بطول يوم القيامة وقال: كألف سنة مما تعدّون .

المسألة الرابعة: مسجد الشمس ببابل ـ الحلة ـ معلَمٌ قائم خالد وخير شاهد:

وموقعه على يسار الخارج من الحلة إلى كربلاء على ربوة عالية وعليه قبة مثلها ، قال الحافظ ابن شهرآشوب السروي (ت ٥٨٨) في كتابه مناقب آل أبي طالب[١] : (ما وجدنا لعظماء الخلف والسلف في الأرض أثراً مذكوراً ، أو خبراً مشهوراً ، يتقرب الناس إليها ، كما لم نجد في الأمم الماضية نحو كسرى وانوشروان ، وفرعون وهامان ، وشدّاد ونمرود ، ووجدنا أهل البيت عليهم السلام امتلأت أقطار الأرض بآثارهم ، وبنوا المشاهد والمساجد بأسمائهم ، واتفق لسكان الأمصار من إجلال مشاهدهم بعد خمول شاهدهم ، وعن معاندهم ، وقصدهم في الآفاق البعيدة تقرّباً إلى الله بجاه تُربَهم ، وكلما تطاولت الدهور

١- مناقب آل أبي طالب ٢: ٤٤ – ٤٥، ط الحيدرية سنة ١٣٧٦ هـ.

زاد محلها سموّاً ، وذكرها نموّاً ، ويرى الناس فيها العجايب عياناً ومناماً ، كما نجد في آثار الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، مثل الحطيم ، ومقام إبراهيم ، وميزاب اسماعيل ، وربوة موسى، وصخرة عيسى ، وباب حطة بني إسرائيل ، وعند موالدهم ومحاضرهم ومجالسهم ، فظهر الحق وزهق الباطل ، قال الزاهي:

هـل لكـم مـشهد يـزار كـما ... مـشاهد التـابعين متبعـه

يـسطع نـور لهـا عـلى بُعـدٍ ... يطـرف مـن زارهـا إذا سـطعه

وقال الحصفكي:

قـوم أتـى في هـل أتـى مـديحهم ... مـا شـك في ذلـك إلا ملحـد

قـوم لهـم في كـل أرضٍ مـشهد ... لا بـل لهـم في كـل قلـب مـشهد

وقال غيره:

عمـروا بـأطراف الـبلاد مقـابرا ... إذ خربـوا مـن يثـرب أوطانـا

هذا أمير المؤمنين اليوم أكبر مشاهده اليوم مسجد ، ولد في الكعبة، ورُبي في دار خديجة وهي اليوم مسجد ، ومصلاهم عند باب مولد النبي صلى الله عليه وآله في شعب بني هاشم... إلى أن قال: ومشهد الشمس في الحلة من معجزاته... .

ولقد ذكره العلامة المجلسي رحمه الله المتوفى سنة ١١١١ في البحار [١]: أنه مسجد معمور ومعروف ، وفي كشف اليقين للعلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ ذكر كرامة ظهرت من مجلس ردّ الشمس بالحلة قال: وكان بالحلة أمير، فخرج يوماً إلى الصحراء فوجد على قبة مشهد الشمس طيراً، فأرسل عليه صقراً يصطاده فانهزم الطير منه ، فتبعه حتى وقع في دار الفقيه

١- بحار الأنوار ١٠٢: ٢٩ – ٣٠.

ابن نما ، والصقر يتبعه حتى وقع عليه ، فتشنّجت رجلاه وجناحاه وعطل ، فجاء بعض أتباع الأمير فوجد الصقر على تلك الحال فأخذه وأخبر مولاه بذلك ، فاستعظم هذه الحال وعرف علوّ منزلة المشهد ، وشرع في عمارته .

وفي تاريخ الحلة لكركوش[1]: في سنة ٩٦١ هجـ دخل الحلة أمير قبطانية مصر سيد علي رئيس ، وزار مقام صاحب الزمان ، ومقام عقيل أخي الإمام علي عليه السلام ، وزار مشهد الشمس... .

وذكر المرحوم الخطيب اليعقوبي في البابليات[2] في ترجمة العلامة السيد محمد القزويني المتوفى سنة ١٣٣٥ جانباً من اهتماماته بعمارة الآثار التاريخية ـ وذكر جملة منها إلى أن قال: ـ وكذلك سعى لترميم بناية مشهد الشمس ، وقد أرخه الخطيب الشيخ يعقوب بقوله:

مع القول بالخيرات كم لك أرخوا مشاهد أفعال بها مشهد الشمس

وذكر المرحوم الخاقاني في شعراء الحلة (البابليات)[3] في ترجمة السيد المشار إليه سنة / ١٣٢٠ آنفاً: فقال: (واتجه إلى احياء كثير من القبور والآثار التي مضى على اندراسها كثير من السنين... وتجديده مشهد الشمس الّذي أقام له ذكرى في اليوم الخامس عشر من شوال من كل عام ، حيث يقيم فيه الصلاة وخلفه جماهير الحليين... .

أقول: وقد جاء في ديوان السيد نصر الله الحائري رحمه الله كما في ديوانه المطبوع وله، وقد كتبه على مقام الإمام علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام:

مقام مولانا علي المرتضى في الحلة الفيحاء نعم الملتجا

١- تاريخ الحلّة لكركوش ١: ١١٥.

٢- البابليات لليعقوبي ج٣ ق٢ / ٦.

٣- البابليات لليعقوبي ج٥: ٢٤٢.

مـــا اكتحلـــت عيوننـــا بميلـــه إلا جـــلا عنهـــا قـــذاها والعمـــى

وله وقد كتبه على مشهد الشمس الشريف في الحلة الفيحاء:

ذا مـشهد الـشمس الّـذي فـاق الـسما إذ حـــسدُت حـــصباءه النجـــومُ

وكيـــف لا وهـــو محـــلّ المرتـــضى شـــمسُ العـــلى والماجـــدُ الحلـــيمُ

لاحـــت بـــه منـــارةٌ ســـاميةٌ مـــؤذّن الفخـــر بهـــا مقـــيم

تهتـــزّ عنـــد ذكـــره مـــن طـــرب كغـــصن بـــانٍ هـــزّه النـــسيمُ

وكان الشيخ عبد الله بن الشيخ حمزة بن الشيخ محمود الطريحي النجفي الحلي متولياً على مسجد ردّ الشمس ، وهذا له مجموعة بخطه كانت في مكتبة المرحوم الشيخ محمد السماوي فيها جواب المدنيات الأولى كما في الذريعة[١].

لبس أم دسّ حول مشهد ردّ الشمس[٢]:

كتاب (تاريخ الحلة) لمؤلّفه العلامة المتتبع الشيخ يوسف كركوش الحلي كما طبع على ظهره ، ولا يسعني تجاوز ما فيه ممّا له تعلّق بالمقام، إذ من الطبيعي أن يكون في الكتاب ذكر (مشهد الشمس) ولدى المراجعة تبخّرت عندي صفة المتابعة التي كتبت لمؤلّفه على ظهر كتابه ، فقد خبط في المقام خبط عشواء في الظلماء ، إذ ورد ذكر (مشهد الشمس) في القسم الأول في الحياة السياسية في ستة موارد، هي كما يلي:

١- في ص١١٥: في سنة ٩٦١ هج دخل الحلّة أمير قبطانية مصر سيد علي رئيس، وزار مقام صاحب الزمان، ومقام عقيل أخي الإمام علي عليه السلام ، وزار مشهد الشمس ثم عاد إلى بغداد.

١- الذريعة ٥: ٢٣٣.

٢- دس الشيء تحت التراب وغيره أدخله ودفنه تحته وأخفاه وزجّه .

٢- في ص١٢٦ : نقل عن نيبور ما كتبه في رحلته إذ دخل الحلّة في سنة ١٧٦٦م، فكتب عنها فقال: تقع مدينة الحلة على خط العرض (٣٠، ٣٢)... وفي داخل المدينة جامع ذو منارة واحدة فقط ، بينما تشاهد في خارج المدينة جوامع أخرى متعدّدة منها المسمّى بمشهد الشمس الشهير لدى الشيعة ، وربما كان ذلك هو السبب في المحافظة عليه ، وحسب رواياتهم ، فإنّ الشمس ذات مرّة طلعت بعد ميعادها بساعتين مجاملة للإمام علي الّذي تأخّر عن موعد صلاة الصبح ذلك اليوم (؟) وقد شيّد بعدها مشهد الشمس أو جامع الشمس في نفس الموضع الّذي أدّى الإمام علي صلاته فيه آنذاك.

وهذا الّذي قاله الرحالة الألماني نيبور عن مشهد الشمس فهو هراء ، إذ لم يرد ذلك في أيّ مصدر من المصادر التاريخية التي روت السبب في تسمية المكان بمشهد الشمس ، وأقبح منه نقل المؤلف المتتبع لذلك من دون أيّ تعليق عليه، لتصحيح ذلك الخطأ الفظيع ممّا يجعلنا نسيء الظن بتتبعه ، إذ لا يغتفر له إقرار الرحالة على ما ذكره بخبطه وخلطه ، من دون أيّ تعقيب .

٣- في ص١٤٩ نقل عن السائحة الفرنسية (ديولافوا) التي دخلت الحلة سنة ١٨٨١م قولها:

لم نر في مدينة الحلة بناية مهمة تلفت النظر قد شيدت في العصر الإسلامي البتة ، اللهم إلا مسجداً صغيراً شيّدوه في ذلك الوقت في الطريق الّذي يصلها بمدينة كربلاء ، وهذا المسجد يعرف بمشهد الشمس ومسجد علي، وتذكر الروايات المشهورة أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام قد أشار إلى الشمس لتقف في هذا المكان لإكمال نصره في إحدى حروبه (؟) .

ولكن الرجوع إلى كتاب تاريخي قديم (؟) يبحث هذا الموضوع نجد أنّ بختنصّر قد

شيّد في هذا المكان معبداً لعبادة الشمس لا غير، وتوجد في هذا الكتاب رواية عن بختنصر هكذا تقول: «إنّني شيّدت في بابل معبداً بالآجر والقار للشمس التي تعدّ صاحبة السلطة المطلقة، والحاكمة الناهية في بلاطي، والمرجع الأعلى في المنازعات والاختلافات على مختلف أنواعها أي لرب شمّاس الّذي يعدّ أكبر القضاة وكبير حكام العالم».

ولم يعقّب المؤلّف العلامة المتتبع على كلام السائحة بشيء يشعر بعدم موافقته عليه، وهذه الغفلة أو التغافل لا يتسامح معه فيه مع كثرة علامات الاستفهام في الكلام.

هذه ثلاثة موارد التي اقتضى البحث تنبيهي عليها، أما الموارد الثلاثة الباقية فهي فيما يتعلّق بحملة عاكف التدميرية، وليس فيها ما يتعلّق بخصوص مشهد الشمس نفياً أو إثباتاً أمراً يُذكر، وكذلك ما جاء في القسم الثاني من كتابه تاريخ الحلة، حيث ورد ذكر مشهد الشمس ثلاث مرّات، في اثنتين منها ذكر بيت الشيخ يعقوب في تاريخ تعميره بمسعى العلامة السيد محمد القزويني كما في ص١٨٧ و ص ٢٠٤ وقد مرّ ذكر البيت.

والمورد الثالث في ص١٦٧ في ترجمة الشيخ صالح الكواز، وترفّعه متعفّفاً عمّا في أيدي الناس، وانّ أحد ذوي الجاه والسلطة طلب منه أن ينظم له أبياتاً في رثاء أبيه مؤرخاً عام وفاته لتنقش على صخرة تبنى على ضريحه في مقبرة مشهد الشمس، وبذل له على ذلك ما يقارب (٤٠) ليرة عثمانية فأبى، وهذا أيضاً ممّا لا يعنينا كثيراً أمرُه.

ويبقى من الموارد الثلاثة التي ذكرتها اثنان كان على المؤلف العلامة المتتبع أن يتتبع جيداً، فيعقّب عليهما بما يدفع عنه إصر المؤاخذة، فهو حين يكتب تاريخ الحلة، وفي التراث الفكري الحلي ما يتعلّق بمشهد الشمس وسببه، فالشيخ ابن ادريس الحلي ذكره في السرائر وقد تقدّم قوله، والشيخ العلامة الحلي ذكره في التذكرة وقد تقدّم قوله، والشيخ ابن فهد الحلي ذكره في عدة الداعي وقد تقدّم قوله.

وغيرهم من غير الحليين كثيرون وقد ذكرنا أسماء أكثر من عشرة فراجع ، فلا يغفر له الإغضاء عمّا ذكره الرحالتان الألماني والإفرنسية من دون تعقيب، ولعل السائحة في البلاد السارحة في كل واد فهي إذ لم تذكر اسم الكتاب الّذي نقلت عنه، أرادت ما قيل بأنّ مشهد الشمس في الحلة وهو الموضع الّذي ردت فيه الشمس للإمام ، بني هذا الأثر القديم ، وفيه قبر يوشع النبي عليه السلام كما ذكره المرحوم السيد مهدي القزويني في فلك النجاة مشعراً بتمريضه حيث نسبه إلى القيل .

المسألة الخامسة: نواصب ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ﴾:

ألا فقل للنواصب الذين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

ما رأيهم لو قرأوا أنّ الشمس ستكون معه مطيعة إذا أقسموا عليها بمن اسمه منقوش على وجهها المنير؟ وإلا عصت وتمرّدت ؟ أتريد أن تعرف من هو صاحب ذلك الاسم؟ فهلمّ واقرأ ما ذكره الشيخ إبراهيم العبيدي المالكي في كتابه عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق ، وهو مطبوع على هامش كتاب روض الرياحين لليافعي سنة ١٣١٥ بمصر .

فقد ذكر في ص ١٨٤ نقلاً عن كتاب العقائق، وما ذكره العبيدي ـ كما سيأتي ـ فقد ذكره الصفوري في نزهة المجالس[2] نقلاً عن عيون المجالس بصورة مختصرة، فقال الصفوري:

عن النبي صلى الله عليه وآله: يا عائشة ألا أمنحك ألا أحبوك ؟ قالت: بلى يا نبي الله ، قال: إنّ اسم

١- الصف: ٨.

٢- نزهة المجالس٢ : ١٨٤ .

أبيك مكتوب على قلب الشمس ، وانّ الشمس لتقابل الكعبة كل يوم فتمتنع من العبور عليها، فيزجرها الملك الموكّل بها ويقول: بحق ما فيك من الاسم إلا ما عبرتِ فتعبر . هذا ما ذكره الصفوري ، وهذا ليس بشيء أزاء ما ذكره العبيدي ، ألا هلمّ فاقرأ واعجب ولا تنصب فتمتع .

فقد روي أنّ النبي ﷺ قال يوماً لعائشة: إنّ الله تعالى لما خلق الشمس خلقها من لؤلؤة بيضاء بقدر الدنيا مائة وأربعين مرّة وجعلها على عجلة، وخلق للعجلة ثمانمائة وستين عروة ، وجعل في كل عروة سلسلة من الياقوت الأحمر ، وأمر ستين ألفاً من الملائكة المقرّبين أن يجرّوها بتلك السلاسل مع قوّتهم التي اختصهم الله بها، والشمس مثل الفلك على تلك العجلة، وهي تدور في القبة الخضراء ، وتجلو جمالها على أهل الغبراء.

وفي كل يوم تقف على خط الاستواء فوق الكعبة لأنّها مركز الأرض وتقول: يا ملائكة ربّي إنّي لأستحي من الله ﷻ إذا وصلت إلى محاذاة الكعبة التي هي قبلة المؤمنين أن أجوز عليها، والملائكة تجرّ الشمس لتعبر على الكعبة بكل قوّتها، فلا تقبل منهم وتعجز الملائكة عنها ، فالله تعالى يوحي إلى الملائكة وحي إلهام فينادون: أيها الشمس بحرمة الرجل الّذي اسمه منقوش على وجهك المنير إلاّ رجعت إلى ما كنتِ فيه من السير، فإذا سمعت ذلك تحركت بقدرة المالك .

فقالت عائشة: يا رسول الله من هو الرجل الّذي اسمه منقوش عليها؟ قال: هو أبو بكر الصديق، يا عائشة قبل أن يخلق الله العالم علم بعلمه القديم أنّه يخلق الهواء، ويخلق على الهواء هذه السماء، ويخلق بحراً من الماء، ويخلق عليه عجلة مركباً للشمس المشرقة على الدنيا ، وإنّ الشمس تتمرّد على الملائكة إذا وصلت إلى الاستواء ، وانّ الله تعالى قدّر أن

يخلق في آخر الزمان نبياً مفضّلاً على الأنبياء ـ وهو بعلك يا عائشة على رغم الأعداء ـ ونقش على وجه الشمس اسم وزيره ـ أعني أبا بكر صدّيق المصطفى ـ فإذا أقسمت الملائكة عليها به زالت الشمس وعادت إلى سيرها بقدرة المولى ، وكذلك إذا مرّ العاصي من أمتي على نار جهنم وأرادت النار على المؤمن أن تهجم ، فلحرمة محبة الله في قلبه ونقش اسمه على لسانه ترجع النار إلى ورائها هاربة ولغيره طالبة أ هـ .

هذا ما ذكره العبيدي المالكي في (عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق) وإنّها لبشارة ، لولا أنّها توحي بأكثر من إشارة ، كيف للشمس أن تتمرّد كما في كتاب (عمدة التحقيق) وفي كتاب الله سبحانه: ﴿تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾؟ وكيف للشمس أن تتمرّد ما دامت هي محمولة على عَجَلة ـ والعجلة هي الآلة التي تحمل عليها الأثقال كالعَرَبة ـ وأمر حركتها لمن بيده تسييرها من قائد أو سائق؟

ثم ما بال الملائكة لم يتعلّموا درساً فيحفظوا تلك الآلية من القَسَم العظيم من بداية عملهم حتى صاروا يحتاجون كل يوم إلى أن يوحي إليهم ربّهم تعالى وحي إلهام بذلك القَسَم؟

وأخيراً لا آخراً ما بال نار جهنم لم تتمرد فتهجم على العاصي من الأمة، وهو لم يُقسم عليها بذلك القَسَم لمجرد محبة الله في قلبه ، ونقش اسمه على لسانه؟

وأعجب من ذلك أنّ الشمس نفسها كانت تتوسّل بالنبي ﷺ وبأبي بكر فيما روته من حالها للنبي ليلة المعراج، فاقرأ واعجب وما علينا أن لا تصدق ، فقد روى الصفوري في نزهة المجالس[1]:

١- نزهة المجالس ٢ : ١٨٤ .

قال النبي ﷺ: عُرض عليّ كل شيء ليلة المعراج حتى الشمس، فإنّي سلّمت عليها وسألتها عن كسوفها فأنطقها الله تعالى وقالت: لقد جعلني الله على عجلة تجري حيث يريد، فأنظر إلى نفسي بعين العجب فتزل بي العجلة فأوقع في البحر فأرى شخصين أحدهما يقول: أحد أحد والآخر يقول: صدق صدق ، فأتوسل بهما إلى الله تعالى فينقذني من الكسوف ، فأقول: يا ربّ من هما ؟ فيقول الّذي يقول: أحد أحد هو حبيبي محمد ﷺ ، والّذي يقول: صدق صدق هو أبو بكر الصدّيق.

أقول: فما رأي علماء الفلك في هذا، وهم يرون أنّ الكسوف إنّما يحدث لحيلولة القمر بين الأرض والشمس عند المحاق، فيقع ظله على سطح الأرض فيحجب عنها الشمس كلها أو بعضها؟ وليس بغمس الشمس في بحر ظلمات الترهات كما روى الصفوري .

وما رأي علماء الحديث في هذا، وهم يرون ويروون أنّ الشمس كسفت على عهد رسول الله ﷺ يوم مات ابنه إبراهيم عليه السلام فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم فصلّوا وادعوا الله[1]؟

وما رأي الذين يؤمنون بمثل تلك الترهات، وهم يعلمون أنّ الكسوف ليس مخصوصاً بالزمان الّذي عاش فيه أبو بكر ، فمن كان ينجي الشمس من تلك العقوبة (الكسوف) في سائر أزمنة حدوثه قبل وبعد أيام أبي بكر الّذي كان يقول صدق صدق ؟ وما دام أبو بكر ليس موجوداً فلابدّ أن تبقى الشمس في تلك العقوبة وهي الكسوف ؟

وما لنا في طرح السؤال بعد السؤال ، والقصة كلها من نسج الخيال والخبال ، وإن

---

١ - البخاري ٢: ٣٤، باب الصلاة في كسوف الشمس.

تعجب من ذلك ، وتزدري المصادر التي ذكرتها لأنّها من كتب الأدب والرقائق، فهلمّ الخطب فيما ذكرته كتب التراجم والتاريخ كحقائق:

فقد ذكر السبكي في طبقات الشافعية[1]، واليافعي في مرآة الجنان[2] وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب[3] وابن حجر في الفتاوي الحديثية[4] واللفظ للأول قال:

مما حكي من كرامات الحضرمي واستفاض: أنّه قال يوماً لخادمه وهو في سفر: قل للشمس تقف حتى نصل إلى المنزل ، وكان في مكان بعيد وقد قرب غروبها ، فقال لها الخادم: قال لك الفقيه إسماعيل قفي، فوقفت حتى بلغ مكانه ، ثم قال للخادم: أما تطلق ذلك المحبوس؟ فأمرها الخادم بالغروب فغربت ، وأظلم الليل في الحال .

وأشار إلى هذه الواقعة اليافعي كما في كتابه مرآة الجنان بعد ذكرها بقوله:

هو الحضرمي نجل الولي محمد　　إمام الهدى نجل الإمام الممجّد

ومن جاهه أومى إلى الشمس أن قفي　　فلم تمش حتى أنزلوه بمقصد

فهذه القضية ـ إن صدقت الأحلام عند ذوي الأوهام ـ تدلّ على أنّ مكانة الشيخ إسماعيل الحضرمي أعظم عند الله سبحانه من مكانة نبيّه الكريم ووصي نبيّه العظيم ، فهما دعوا الله تعالى فردّت لهما الشمس، وإسماعيل الحضرمي لم ينبس ببنت شفة لا دعاءاً ولا هراءً ولا رغاءاً ولا غثاءاً، وإنّما أمر خادمه بأن يأمرها بالوقوف فوقفت ، ثم أمره بفكّ أسارها من حبسها فغربت ـ يا سلام ـ هكذا يروون ، لا يشككّون ، ويريدون من الناس

١- طبقات الشافعية ٥: ٥١.

٢- مرآة الجنان ٤: ١٧٨.

٣- شذرات الذهب ٥: ٣٦٢.

٤- الفتاوي الحديثية: ٢٣٢.

أن يصدّقون وهم لا يعقلون ألا ساء ما يزرون، ورحم الله شيخنا المرحوم العلامة السماوي حيث يقول في (العجب اللزومي):

واعجبــاً مـــن فرقــة قــد غلــتْ   مـــن دَغَـــل في جوفهـــا مـــضرّم

تنكـــر ردّ الـــشمس للمرتـــضى   بـــأمر طاهـــا العـــيلم الخـــضرَم

وتـــدّعي أن ردّهـــا خـــادم   لأمـــر اســـماعيل الحـــضرمي



الخاتمة

في المطارفة الأدبية بين العالِمَين العلَمين الشيعي والسني حول معجزة ردّ الشمس ببابل، وتلك المطارفة كانت ببغداد، وقد جرى فيها ما جرى بين السيد القزويني والنقيب حول الحديث المذكر ، فلنقرأ ما جرى فيها:

ذكر أبو المعزّ السيد محمد القزويني المتوفى سنة ١٣٣٥ في كتابه طروس الإنشاء وسطور الإملاء[1] فقال: اتّفق لي سفر إلى (بغداد) في سنة ١٣١٢ هـ فكنت يوماً ذاهباً إلى زيارة نقيب الأشراف المرحوم ذي السماحة والسيادة ، السيد سلمان [2] أفندي في داره المعلومة ، ومعي جماعة ، فبينما نحن عنده إذ حضر المجلس أخوه العالم الفاضل ذو السيادة والفضيلة السيد عبد الرحمن[3] أفندي (الّذي هو الآن نقيب بغداد ومتولي أوقاف القادرية) فأنس بنا وأنسنا به ، وجعلتُ أتذاكر معه في الأدبيات وجملة من التواريخ الإسلامية ، وفي النوادر الشعرية حتى أفضى بنا الحديث إلى ذكر الصاحب بن عبّاد الوزير ، فجعلتُ أتلو عليه من فرائد نثره وغرائب توقيعاته وعجائب مراسلاته، فقال لي: إنّي يعجبني من شعر الصاحب أبيات في مدح سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقلت له: إنّ الصاحب

١- طروس الإنشاء وسطور الإملاء: ١٣٨، تحـ د . جودت القزويني.

٢- السيد سلمان النقيب ولد سنة ١٢٥٠ هـ وتوفى سنة ١٣١٥ هـ .

٣- السيد عبد الرحمن النقيب الكيلاني نقيب أشراف بغداد وأول رئيس وزراء العراق في عهد الاحتلال سنة ١٩٢٠م ولد سنة ١٢٦١ هـ وتوفى سنة ١٣٤٥ هـ .

معروف بحسن النثر ، فقال: نعم ولكني أعجبتني أبياته تلك .

فقلت له: إن رأيت أن تنشدها فقال: نعم ، يقول:

مَـــن كمــــولاي (عـــلي) والـــوغى شـــبّت لظاهـــا

أذكـــروا في يـــوم بـــدر إنّـــه ليـــث وشراهـــا

فقلت له: إنّ هذا ليس من الشعر الّذي يعجب منه مثلك وهو قدر الممـدوح ، ودون شأن الشاعر المعروف المنسوب إليه ، وأين هو من قول الشاعر:

طالمــا للأمـــلاك كنـــتَ دلـــيلا ولناموســـهم[1] هـــديت ســـبيلا

يـــوم نـــادى رب الـــسما جبرئـــيلا قـــائلاً مـــن أنـــا فـــروّى قلـــيلا

وهـــو لـــولاك فاتـــه الإهتـــداء

شُـدت في ذي الفقـار للـدين أصـلا فتـــسامى قـــدراً وعـــزّ وجـــلاّ

وعـــلى مـــا أسّـــست قـــولاً وفعـــلا بُنـــي الـــدين فاســـتقام ولـــولا

ضرب ماضـيك مـا اسـتقام البنـاء

فقال: لمن الشعر؟ فقلت: الأصل للتميمي والتخميس للعمري[2] .

ثم قلت له: أنشدني باقي أبيات الصاحب ، فأنشدها ، وسكتَ عن بيت في أخرها .

١- ناموس الرجل: صاحب سرّه الذي يطلعه على باطن أمره ويخصُّه بما يستره عن غيره. وأهل الكتاب يسمّون جبريل عليه السلام : الناموس، وفي الحديث: (ان ورقة بن نوفل قال لخديجة رضي الله عنها - وهو ابن عمها وكان نصرانيا-: لئن كان ما تقولين حقّاً إنّه ليأتيه الناموس الذي كان يأتي موسى عليه السلام عن الصحاح) (نمس).

٢- نشر الأصل والتخميس في ديوان الشاعر الشيخ صالح التميمي المطبوع سنة ١٩٤٨ بتحـ السيد محمد رضا السيد سلمان والشيخ علي الخاقاني .

قلت: لم لا تنشد آخر الأبيات . قال: لأنّ في نفسي منه شيئاً ، فأقسمت عليه الإنشاد .

فقال: يقول:

مَــن كمــولاي (عــلي)   مَــن لــه رُدّت ذكاهــا

فقلت: لم كان في نفسك شيء من هذا البيت ؟ فقال: إنّي لا أعتمد ردّ الشمس .

فقلت له: كيف يكون في نفسك من ردّ الشمس لجدك (علي) شيء ، وأنت عَجَل[1] من العلم والفضل .

فقال: لأنّه تصّرف في الأفلاك ، فقلت له: هذه مسألة شريفة عقلية سمعية فلنتذاكر فيها أنا وأنت، فقال: بلى .

قلت: إنّي مورد عليك مقدّمات متى سلّمتها لابد أن تُسلّم النتيجة . فقال: قل .

فقلت: أليس معنى المعجزة ما كان خارقاً للعادة ؟ فقال: نعم .

فقلت: هل في ذلك تفصيل من كون الخارق للعادة سماويّاً أم أرضياً؟ فقال: لا .

فقلت: أتقول بظهور المعجزات للأنبياء ؟ فقال: نعم .

فقلت: أتقول بجواز ظهور الكرامات للأولياء ؟ فقال: نعم .

فقلت: عند الجميع قاعدة مسلّمة (كلّما صحّ أن يكون معجزة لنبي صحّ أن يكون كرامة لولي) تقول بها أم لا ؟ فقال: نعم .

فقلت: أتقول بانشقاق القمر لحضرة الرسالة انّه معجزة نبوية؟ فقال: نعم .

قلت: وردّ الشمس ليوشع؟ فقال: نعم .

فقلت: إذن حصلت النتيجة وهي صحة وجواز ردّ الشمس كرامة لسيد الأولياء ،

١- العَجَل: السابق .

كما أنّ انشقاق القمر معجزة للنبي فهذه كرامة للولي .

نعم لك أن تقول هل هو واقع مرويّ مدوّن مذكور أم لا ؟ فنقول: أما عندنا ـ معاشر الإمامية ـ فهو كالمتواتر ، وأما عندكم فانا آتيك به من كتب الحديث المعوّل عليها عندكم إن شاء الله تعالى .

إلى هنا بلغ البحث ، والمرحوم أخوه السيد سلمان يستمع مجادلتنا ، فالتفت إليه وقال: أخي لَمَ تنكر كرامات سيدنا أمير المؤمنين، فقال: أستغفر الله ، لكن هذه مسألة شخصية ، فالتفت إلي المشار إليه وقال: ألم يُخبر سيدنا (علي) عن كربلاء قبل وقوع وقعتها ؟

فقلت: نعم، فقال: أذكر لي الحديث ، فذكرته فبكى وبكى معه الجمع ، وانقطعت مذاكرتنا ببكاء المرحوم النقيب وتفرّقنا من المجلس .

ولما كان اليوم الثاني جاء رسول من آل النقيب إلى المحل الّذي نحن فيه في بغداد وهو دار فخر الحاج ، الحاج مصطفى كبة يقول: إنّ جناب السيد عبد الرحمن يريد أن يُشرّف زائراً لكم ، فقلنا: على الرحب والسعة ، فجاء وحيّيناه وقلت له حين لقياه: إنّ مجيئك اليوم إلينا بمنزلة ردّ الشمس على مولانا علي ، فضحك عند ذلك ، والتفت إلى الحاضرين وقال: اشهدوا أنّي قلّدت فلاناً (يعنيني بالقول) بردّ الشمس، فقلت له: إنّما يجديني اجتهادك في ذلك وأنت غنيّ عن التقليد.

ثم عند انقضاء مجلسنا هذا لما قام ذاهباً، أرسلت إليه رقعةً فيها هذه الأبيات:

قد قلت للعلوي المحض كيف ترى ... حديث رد (ذكاء) للوصيّ (علي)

فقال في النفس شيء منه قلت له ... الأمر في ذاك ما بين الرواة جلّي

فقال قد قلت تقليداً فقلت له ... أنت المقلّد في قولٍ وفي عمل

فكــن بــه يــا عــديم المثــل مجتهــدا (فيوشــع) مثلــه في الأعــصر الأول

كــل مــا صــحّ أن تلقــاه معجــزة للأنبيـــاء غـــدا أكرومـــةً لـــولي

ومشهد الـشمس في (الفيحـاء) إن تـره كأنّـــه في العـــلى نـــارٌ عـــلى جبـــل

فكتب لي في الجواب: قسماً بشرفك يا شمس المعـارف والعلـوم ، الفـائق في المنطـوق والمفهوم ، إنّه لقد أطربني بل أعجبني ما أحكمه فكرك المتين من الأبيات التـي لا يـستطيع الأدباء مباراتها ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وكيف لا تردّ الـشمس لـسيد الأوليـاء ، الممدوح في الأرض والسماء وهو في خدمة سيد الأنبيـاء ، والـسلام علـيكم أهـل البيـت ورحمة الله[1] .

ثم أنّي في ذلك اليوم اجتمعت مع العالم الفاضل المرحوم السيد نعمان أفنـدي آلـوسي زاده في جامع (مرجان) في الكتابخانة المعدّة له ، فأخـذت منـه مـن كتـب الحـديث كتـاب (المقاصد الحسنة) واستخرجنا منه رواية ردّ الشمس لأمير المـؤمنين مـن روايـة الطحـاوي وابن مندة من حديث أسماء بنت عميس، فقال لي الأفندي المشار إليه: ألحق تلـك الأبيـات

١- جاء في هامش المصدر ما يلي: ذكر السيد قاسم الخطيب في كتابه (الكلم اللامع) ـ المخطوط ـ نصاً يختلـف قلـيلاً عمّا أورده السيد ابو المعزّ وهو كالآتي: قسماً بشرفك يا شمس المعارف والعلوم التـي أنـارت الـسُبل والفجـاج، واهتدى بها السالكون في كل منهاج، لقد أعجبني بل أطربني، وبهرني بل أنعشني ما أحكمه فكـرك المتـين، مـن الأبيات الأبيّات، بل الآيات البيّنات، التي يعجز الفصحاء عن الاتيان بمثلها، والبلغاء عن مباراتها، ولـو كـان بعضهم لبعض ظهيراً، فيا لله درك، لقد أقمت في تشييد بنيانها برهاناً على المدّعَى، حتى صار لدى الداعي عياناً لا ريب فيه، واطمأنت له النفس بلا شك يعتريه، ولا بدع ولا ريب، فحـضرة مولانـا أمـير المـؤمنين (كـرّم الله وجهه) باب مدينة علم الرسول، وأسد الله الغالب في ميدان تحجم عن الدخول فيه أبطال الفحـول، فلـذلك لا ينبغي لذوي الألباب أرباب العقول أن يستبعدوا طلـوع (ذُكـاء) لأجلـه بعـد الأفـول، لاسـيما وهـو في طاعـة مولاه، ومن كان في طاعته لابدّ أن يخصّه ويتولاّه، والـسلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته .

بيتاً شعراً بهذه الرواية ، وأرسله تأكيداً إلى حضرة النقيب . فأرسلت إليه هذا البيت:

وما رواه (الطحاوي) و (ابن مندة) من حديث (أسما) شفاءٌ فيه للعلل .

فأرسل إليّ: ألم يكفك الاعتراف السابق والاذعان اللائق ؟

وبهذه المطارفة الشائقة تكون هي الخاتمة اللائقة والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين .

تم تحريراً في يوم الخميس ٢٣ ذي الحجة الحرام سنة ١٤٢٨ هـ على يد مؤلّفه.

الراجي عفو ربّه المنّان

محمد مهدي السيد حسن الموسوي

الخرسان

فهرس المصادر

١ -أبو هريرة شيخ المضيرة للشيخ المغفور له محمود أبو رية، ط الثالثة دار المعارف بمصر.

٢- إتحاف المهرة بزوائد المسانيد العشرة لابن حجر العسقلاني.

٣- إثبات الهداة للحر العاملي.

٤- الآثار الباقية للبيروني ط أفست ليدن.

٥-أحكام القرآن للجصاص،ط مصورة عن طبعة دار الخلافة العثمانية سنة ١٣٢٥ هجـ.

٦- أخبار مكة للأزرقي، ط دار خضر بيروت سنة ١٤١٤ هجـ.

٧- أخبار مكة للفاكهي، ط دار خضر بيروت سنة ١٤١٤ هجـ.

٨- الأدب المفرد للبخاري، طبعة إسلامبول سنة ١٣٠٩ هـ، و ط السلفية بمصر سنة ١٣٧٥ هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٩- الأربعين لمحمد طاهر القمي الشيرازي ط قم.

١٠- أرجح المطالب للآمرتسري ط الهند.

١١- الإرشاد للشيخ المفيد، ط الحيدرية في النجف الأشرف.

١٢- الأزمنة والأنواء تحقيق الدكتور عزة حسن، ط وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق سنة ١٩٦٤م.

١٣- الأزمنة والأمكنة للمرزوقي، ط حيدر آباد سنة ١٣٣٢ هجـ.

١٤- اسعاف الراغبين للصبان بهامش نور الأبصار ط مصر.

١٥- الإسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده ط مصر.

١٦- الإسلام روح المدنية.

١٧- الإسلام والعلم الحديث لعبد الرزاق نوفل ط مصر.

١٨- الإسلام على ضوء التشيع.

١٩- الاستيعاب لابن عبد البر، تحـ البجاوي.

٢٠- اشراق اللاهوت في نقد شرح الياقوت للسيد عميد الدين الحسيني العبيدلي، ط ايران.

٢١- الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ط مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٥٨ هـ و ط تحـ البجاوي، و ط الأولى بنفقة عبد الحفيظ في ترجمة جندب بن عمرو بن حممة.

٢٢- أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، ط استانبول سنة ١٣٤٦هـ.

٢٣- الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية للدكتور محمد الخالدي، ط الأولى سنة ١٤٠٤ هـ.

٢٤- اظهار الحق للملا رحمة الله الهندي، ط سنة ١٣١٧ هـ.

٢٥- الإعلان بالتوبيخ للسخاوي، ط مصر.

٢٦-أعلام النبوة لأبي الحسن الماوردي الشافعي، ط البهية بمصر سنة ١٣١٩هـ.

٢٧- أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية، ط دار الأرقم بيروت سنة ١٤١٨ هـ.

٢٨- إعلام الورى للطبرسي، ط الحيدرية و ط إيران.

٢٩- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، ط مصر.

٣٠- الأم للشافعي نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

٣١- أمالي الشريف المرتضى، ط مصر سنة ١٣٧٣ هـ تحـ محمد أبو الفضل إبراهيم.

٣٢- أمالي الشيخ الطوسي، ط حجرية سنة ١٣١٣ هـ و ط النعمان في النجف.

٣٣- الإمامة وأهل البيت لمحمد بيّومي مهران، ط مصر.

٣٤- أنباء الغمر بأنباء أبناء العمر لابن حجر، ط مصر .

٣٥- أنوار التنزيل للبيضاوي، ط مصر.

٣٦- البابليات للمرحوم الخطيب اليعقوبي في ترجمة العلامة السيد محمد القزويني.

٣٧- الباعث الحثيث لابن كثير، ط مصر.

٣٨- البحر المحيط لأبي حيان، ط دارالفكر.

٣٩- بحار الأنوار للمجلسي، ط المكتبة الإسلامية بطهران.

٤٠- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ط المنيرية بمصر وعنه أفست دار الكتاب العربي بيروت.

٤١- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الشامي الشافعي، ط السعادة بمصر.

٤٢- بدر التمام في شرح ديوان أبي تمام للدكتور ملحم إبراهيم الأسود، ط بيروت سنة ١٩٢٨ في مطابع قوزما.

٤٣- البردة للبوصيري، ط مصر.

٤٤- بشرى اللبيب بذكرى الحبيب للحافظ أبي الفتح ابن سيد الناس، ط مصر.

٤٥- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار، ط حجرية و ط الحيدرية بقم.

٤٦- بلوغ الأرب للآلوسي. ط الثالثة مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

٤٧- تاج العروس للزبيدي، ط افست بيروت.

٤٨- تاريخ الإسلام للذهبي، ط القدسي بمصر سنة ١٣٦٨ هـ و ط دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٤٠٧ هـ بتحقيق د . عمر عبد السلام تدمري.

٤٩- تاريخ ابن الأثير، ط بولاق.

٥٠- تاريخ الحلة للعلامة الشيخ يوسف كركوش الحلي، ط الحيدرية.

٥١- التاريخ الكبير للبخاري، ط حيدرآباد أفست وعنها ط أفست المكتبة الإسلامية ديار بكر تركيا.

٥٢- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ط السعادة بمصر.

٥٣- تاريخ الخميس للديار بكري، ط مصر.

٥٤- تاريخ دمشق لابن عساكر الدمشقي (ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) تحـ الشيخ المحمودي، ط دار الفكر بيروت سنة ١٤١٥ هـ.

٥٥- تاريخ الفكر العربي لعمر فرّوخ، ط دار العلم للملايين بيروت.

٥٦- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، ط مصر.

٥٧- تأويل الآيات.

٥٨- التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفرايني، ط عزت العطار سنة ١٣٥٩ هـ مصر.

٥٩- التبيان في تفسير القرآن للشيخ أبي جعفر الطوسي رحمه الله، ط النعمان النجف الأشرف تحـ أحمد القصير.

٦٠- التبيين لأسماء المُدَلِّسِيْنَ لسبط ابن العجمي، ط الأولى حلب سنة ١٣٥٠ هـ.

٦١- تتمة ديوان الصنوبري جمعها وحققها لطفي الصقال ودرية الخطيب نشر كنوز

الشعر العربي، ط دار الكتاب العربي بحلب.

٦٢- تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار المعتزلي تحـ الدكتور عبد الكريم عثمان، ط دار العربية بيروت سنة ١٣٨٦ هـ.

٦٣- تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة للحافظ أبي نعيم.

٦٤- التحبير للسمعاني، ط أوقاف بغداد.

٦٥- تحفة الأحوذي، ط الثانية الفجالة بمصر سنة ١٣٨٥ هجـ.

٦٦- تحفة الطالب لابن الأثير، ط مكة المكرمة سنة ١٤٠٦هـ تحـ محمد محمود الطناحي.

٦٧- تدريب الراوي للسيوطي، ط مصر.

٦٨- التدوين في ذكر أهل العلم بقزوين للرافعي القزويني، ط حيدر آباد.

٦٩- التذكرة للعلامة الحلي، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام بقم.

٧٠- تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي، ط حجرية سنة ١٢٨٥ هـ و ط منشورات الشريف الرضي بقم وط المطبعة العلمية في النجف الأشرف سنة١٣٦٩هـ.

٧١- التذكرة للقرطبي، ط دار المنار سنة ١٤١٨ هـ.

٧٢- تذكرة الحفاظ للذهبي، ط الهند حيدر آباد.

٧٣- تذكرة الموضوعات لملك المحدثين محمد طاهر الفتني، ط مصر .

٧٤- تخريج أحاديث الرافعي لابن حجر .

٧٥- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، ط مصر سنة ١٣٥٥ هـ.

٧٦- تصحيح ردّ الشمس وترغيم النواصب الشُمس للحاكم أبي القاسم الحسكاني الحنفي.

٧٧- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة للحافظ ابن حجر، حيدرآباد.

٧٨- التعقيبات لابن الجوزي.

٧٩- تفسير ابن كثير، ط دار الفكر بيروت و ط الاستقامة بمصر.

٨٠- تفسير البرهان، ط ايران.

٨١- تفسير البغوي، ط مصر.

٨٢- تفسير الجواهر للشيخ طنطاوي جوهري، ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ٢٠٠٤م.

٨٣- تفسير الخازن، ط الميمنية سنة ١٣١٧ هـ بمصر.

٨٤- تفسير الزمخشري، ط مصر و ط دار الفكر.

٨٥- تفسير الفخر الرازي، ط مصطفى محمد وأولاده بمصر و ط الاستانة و ط العامرة التزام عبد الرحمن محمد بميدان الجامع الأزهر بمصر.

٨٦- تفسير روح المعاني لأبي الثناء الآلوسي، ط المنيرية الثانية.

٨٧- تفسير القرطبي، ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

٨٨- التفسير والمفسرون، ط مصر سنة ١٣٨١ هجـ.

٨٩- تفسير الشيخ محمد مصطفى المراغي، ط مصر.

٩٠- تفسير الطبري، ط الثانية شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٧٣ هـ.

٩١- تفسير الميزان للطباطبائي، ط بيروت و ط قم.

٩٢- تفسير النسفي، ط دار احياء الكتب العربية بمصر ، وعنها ط دار الفكر بيروت.

٩٣- التفسير الواضح للشيخ محمد محمود حجازي من علماء الأزهر، ط الثانية دار الكتاب العربي بمصر.

٩٤- تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ط مصر.

٩٥- التكملة لوفيات النقلة للمنذري، مط النعمان.

٩٦- تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني تحـ مصطفى جواد، ط بغداد.

٩٧- تلخيص المتشابه في الرسم للخطيب البغدادي، ط دمشق.

٩٨- التمهيد لابن عبد البر، ط دار الكتب العلمية بيروت.

٩٩- تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث للعلامة عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر ابن الديبع الشيباني الشافعي، ط مصر.

١٠٠- تنزيه الشريعة لابن عراق الكناني تحـ عبدالله محمد الصدّيق، ط الأولى مكتبة القاهرة.

١٠١- تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبدالجبار المعتزلي، ط الجمالية بمصر سنة ١٣٢٩هـ.

١٠٢- تنوير الحوالك بشرح موطأ مالك للسيوطي، ط مصطفى محمد بمصر.

١٠٣- تهذيب الأزهري ط مصر.

١٠٤- تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ط المنيرية بمصر.

١٠٥- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ط حيدرآباد أفست و ط دار الفكر.

١٠٦- تاريخ حلب لابن العديم.

١٠٧- التيسير بشرح الجامع الصغير، ط المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بالأفست للمناوي.

١٠٨- ثاقب المناقب، ط قم.

١٠٩- الجامع الصحيح للبخاري، ط بولاق سنة ١٣١٤ هـ.

١١٠- جمع الفوائد لمحمد بن محمد بن سليمان الروداني المغربي، ط المكتبة الجامعة مكة المكرمة.

١١١- جواهر البحار في فضائل النبي المختار ليوسف بن اسماعيل النبهاني ، ط محمود نصار بمصر سنة ١٣٧٩ هـ.

١١٢- جواهر العقدين للسمهودي، ط بغداد.

١١٣- الجواهر المضيئة للقرشي الحنفي، ط حيدرآباد.

١١٤- جواهر المطالب للباعوني، ط قم.

١١٥- الجياد في مدح سيد العبادﷺ للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني رئيس محكمة الحقوق في بيروت.

١١٦- الحاوي في الفتاوي للسيوطي الشافعي، ط مصر.

١١٧- الحديقة الهلالية للشيخ البهائي رحمه الله، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام .

١١٨- حكمة التشريع وفلسفته للشيخ علي احمد الجرجاوي الطبعة الخامسة سنة ١٣٨١ هـ.

١١٩- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، ط السعادة بمصر.

١٢٠- حياة محمد لمحمد حسين هيكل، ط مصر.

١٢١- الحيوان للجاحظ ط مصر تحـ محمد عبد السلام هارون.

١٢٢- خاتمة مستدرك الوسائل، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام .

١٢٣- خبيئة الأكوان لصديق حسن خان القنوجي، ط الجو ائب سنة١٢٩٦هـ.

١٢٤- الخرائج والجرائح، ط حجرية.

١٢٥ - خريدة القصر للعماد الأصبهاني قسم مصر، ط بغداد.

١٢٦ - خصائص أمير المؤمنين للسيد الشريف محمد بن الحسين الرضي ط الحيدرية في النجف الأشرف.

١٢٧ - الخصائص الكبرى للسيوطي، ط حيدرآباد و ط تحـ د . محمد خليل هراس بمصر.

١٢٨ - خلاصة الأثر لأمين الدين المحبي الدمشقي، ط مصر.

١٢٩ - الخلاف للشيخ الطوسي رحمه الله، ط الثانية مطبعة رنكين في طهران سنة ١٣٧٧ هـ و ط حجرية و ط مؤسسة النشر الإسلامي بقم.

١٣٠ - دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي عن ط مصر أفست دار الفكر بيروت.

١٣١ - الدر المختار على الدليل المحتار لابن عابدين، ط الثالثة بولاق سنة ١٢٨٩ هـ.

١٣٢ - الدر المنثور للسيوطي الشافعي، ط مصر أفست الإسلامية.

١٣٣ - الدرر الكامنة، ط حيدرآباد.

١٣٤ - الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي.

١٣٥ - دلائل الصدق، ط الأولى و ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

١٣٦ - دلائل النبوة لأبي نعيم، ط حيدرآباد.

١٣٧ - دلائل النبوة للبيهقي، ط بيروت.

١٣٨ - دليل السماء والنجوم للدكتور عبد الرحيم بدر، ط منشورات وزارة الثقافة والأعلام العراقية، السلسلة العلمية/ ٩ . دار الرشيد للنشر سنة ١٩٨١ م، ط دار الهلال بغداد.

١٣٩ - دول الإسلام للذهبي، ط حيدرآباد.

١٤٠ - ديوان ابن هاني المغربي تحـ محمد زاهد الكوثري.

١٤١- ديوان السيد الحميري تحـ هادي شكر

١٤٢- ديوان الصاحب بن عباد.

١٤٣- ديوان الشاعر الشيخ صالح التميمي المطبوع سنة ١٩٤٨ بتحـ السيد محمد رضا السيد سلمان والشيخ علي الخاقاني.

١٤٤- ديوان الملك الصالح طلائع بن دزّيك جمع هادي الأميني.

١٤٥- الذرية الطاهرة لأبي بشر الدولابي صورة من نسخة مكتبة كوبرلي

١٤٦- ذيل تاريخ بغداد نسخة مصورة بمكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة عن نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق في ترجمة عبيد الله بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن حمزة القزويني.

١٤٧- ذيل تاريخ نيسابور (السياق) للحافظ عبد الغفار بن اسماعيل الفارسي

١٤٨- ذيل تذكرة الحفاظ، ط مصر

١٤٩- ذيل طبقات ابن أبي يعلى، ط مصر.

١٥٠- راموز الأحاديث، ط الاستانة سنة ١٢٧٥ هـ.

١٥١- رشفة الصادي لأبي بكر شهاب الدين العلوي تحقيق السيد عاشور، ط دار الكتب العلمية بيروت.

١٥٢- الرفع والتكميل للكنوي، ط مصر.

١٥٣- الرواة الثقات للذهبي، ط مطبعة الظاهر بمصر سنة ١٣٢٤ هـ.

١٥٤- الروضة لشاذان بن جبرائيل القمي.

١٥٥- الروض الأنف للسهيلي، ط مصر.

١٥٦- روضة الواعظين للفتال النيسابوري، ط الحيدرية سنة ١٣٨٦هـ بتقديمي.

١٥٧- الرياض النضرة للمحب الطبري، ط بدرالدين النعساني بمصر سنة ١٣٢٧هـ.

١٥٨- زغل العلم للذهبي، ط دمشق.

١٥٩- زاد المسير لابن الجوزي، ط دار الكتب العلمية.

١٦٠- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد المعروف بالسيرة الشامية لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي الدمشقي، ط الأولى دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٤ هـ و ط القاهرة.

١٦١- السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي للمؤلف، ط الحجري القديم، وبتحقيقي.

١٦٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة لناصر الدين الألباني، ط مكتبة المعارف الرياض الطبعة الرابعة نشر المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٥ هـ.

١٦٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني أيضاً.

١٦٤- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي، ط أفست مكتبة المثنى ببغداد.

١٦٥- سمط النجوم العوالي للعصامي المكي، ط السلفية بمصر.

١٦٦- السنة للحافظ ابن أبي عاصم، ط الخامسة المكتب الإسلامي.

١٦٧- سنن أبي داود لأبي داود السجستاني، ط دار الفكر مصر تحـ محمد محي الدين عبد الحميد و ط دار الحديث حمص و ط هندية.

١٦٨- السنن الكبرى للبيهقي، ط دار الفكر افست بيروت سنة ١٤١١ هـ عن ط حيدرآباد و ط دار الباز بمكة المكرمة.

١٦٩- سير أعلام النبلاء للذهبي، ط مصر و ط دار الفكر بيروت و ط مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٤١٣ هـ.

١٧٠- السير والمغازي لمحمد بن إسحاق تحـ د. سهيل زكار، ط دار الفكر بيروت.

١٧١- السيرة النبوية لأبن كثير تحقيق مصطفى عبد الواحد مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر سنة ١٣٨٤ هجـ.

١٧٢- السيرة النبوية (الحلبية) لبرهان الدين الحلبي، ط البهية بمصر سنة ٣٢٠ هـ.

١٧٣- السيرة النبوية المطبوعة على هامش السيرة الحلبية لأحمد بن زيني دحلان المكي الشافعي، ط محمد مصطفى سنة ١٣٢٠ بمصر.

١٧٤- السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل لتقي الدين السبكي.

١٧٥- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ط مصر.

١٧٦- شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي بتحقيق محمد عبده عزام، ط دار المعارف بمصر.

١٧٨- شرح الشفاء بهامش نسيم الرياض للشهاب الخفاجي، ط مصر.

١٧٩- شرح الشفا لابن التلمساني.

١٨٠- شرح الصولي لديوان أبي تمام دراسة وتحقيق الدكتور خلف رشيد نعمان منشورات وزارة الثقافة والفنون ـ الجمهورية العراقية سنة ١٩٧٨ م

١٨١- شرح المختصر لابن السبكي.

١٨٢- شرح مسلم للنووي، ط مصر.

١٨٣- شرح معاني الآثار للطحاوي ـ وهو من الأحناف ـ تحقيق محمد زهري

النجار، ط دار الكتب العلمية سنة ١٣٩٩ هـ بيروت.

١٨٤- شرح المواقف في علم الكلام للسيد الشريف الجرجاني، ط افست دار الكتب العلمية بيروت.

١٨٥- شرح المواقف للقاضي العضد الآيجي، ط دار الكتب العلمية بيروت.

١٨٦- شرح المواهب اللدنية للزرقاني المالكي، ط مصر.

١٨٧- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ط دار الكتب العربية مصر الأولى والطبعة الحديثة بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٨٨- شرح همزية البوصيري لابن حجر الهيتمي، ط مصر.

١٨٩- شعر الحماني العلوي جمع المؤلف.

١٩٠- الشفاء للقاضي عياض المالكي، ط اسلامبول سنة ١٣٠٤ هـ.

١٩١- شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني، ط بيروت.

١٩٢- صحيح مسلم بن الحجاج القشيري، ط محمد علي صبيح بمصر و ط بولاق.

١٩٣- الصراط المستقيم للبياضي، ط الحيدري طهران.

١٩٤- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة لأبن حجر المكي الهيتمي، ط الميمنية سنة ١٣١٢ هـ بمصر الأولى و ط مكتبة القاهرة تحـ عبد الوهاب عبد اللطيف.

١٩٥- الضعفاء الكبير لأبي جعفر العقيلي، ط دار الكتب العلمية بيروت.

١٩٦- طبقات الحفاظ للسيوطي، ط مصر.

١٩٧- طبقات الشافعية لابن هداية الله تحقيق الجبوري، ط أوقاف بغداد.

١٩٨- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة.

١٩٩- طبقات الشافعية لابن السبكي، ط مصر سنة ١٣٢٤ هـ الأولى و ط تحـ عبد الفتاح الحلو.

٢٠٠- الطبقات الكبير لابن سعد، ط افست ليدن و ط لجنة الثقافة القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ و ط الطائف سنة ١٤١٤ هـ تحـ د محمد بن صامل السُلمي و ط الخانجي بمصر.

٢٠١- طبقات المفسرين للداوودي، ط مصر.

٢٠٢- طرح التثريب للحافظ أبو زرعة العراقي، ط مصر.

٢٠٣- طروس الإنشاء وسطور الإملاء لأبي المعزّ السيد محمد القزويني تحـ د. جودت القزويني.

٢٠٤- الطريق إلى الله لعبد الرزاق نوفل، ط الأولى مؤسسة الخانجي.

٢٠٥- العبر للذهبي، ط بيروت.

٢٠٦- عدة الداعي للشيخ ابن فهد الحلي، ط حجرية سنة ١٢٧٤ هـ في إيران.

٢٠٧- العقائد النسفية المطبوع بآخر شرحه للتفتازاني باستانبول سنة ١٣٢٦هـ.

٢٠٨- علوم الحديث لابن الصلاح ط مصر.

٢٠٩- علل الشرائع للشيخ الصدوق ابن بابويه.

٢١٠- العلل المتناهية لابن الجوزي ط مصر.

٢١١- علي إمام البررة للسيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، ط الأولى دار الهادي بيروت.

٢١٢- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري للحافظ العيني الحنفي. ط مصر.

٢١٣- عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق للشيخ إبراهيم العبيدي المالكي وهو

مطبوع على هامش كتاب روض الرياحين لليافعي سنة ١٣١٥ بمصر.

٢١٤- عيون الأثر لابن سيد الناس، ط مصر.

٢١٥- عيون المعجزات، ط الحيدرية.

٢١٦- الغدير في الكتاب والسنة والأدب لشيخنا المغفور له الأميني ﷺ، ط دار الكتب الإسلامية طهران و ط بيروت الأولى و ط الثانية.

٢١٧- فتاوى ابن تيمية، ط مطبعة كردستان العلمية بمصر سنة ١٣٢٦ هـ.

٢١٨- الفتاوي الحديثية لابن حجر، ط مصر.

٢١٩- فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط مصطفى البابي الحلبي بمصر.

٢٢٠ - فتح القدير للشوكاني، ط البابي الحلبي سنة ١٣٥٠ هـ.

٢٢١- فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي، ط مصر.

٢٢٢- فرائد السمطين للحمويني الشافعي، ط بيروت.

٢٢٣- الفَرقُ بين الفِرق لعبد القاهر البغدادي، ط عزت العطار سنة ١٣٦٧هـ.

٢٢٤- الفرق بين المعجزة والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات لابن الباقلاني منشورات جامعة الحكمة في بغداد سلسلة علم الكلام.

٢٢٥- الفِصَل لابن حزم، ط مصر.

٢٢٦- الفصول الأربعة مقتبس من مواقع الانترنيت.

٢٢٧- فقه السيرة لمحمد الغزالي، ط مصر.

٢٢٨- فقه اللغة للصاحبي، ط مصر.

٢٢٩- فلسفة تاريخ محمد لمحمد جميل بيهم.

٢٣٠- الفهرست لابن النديم، ط مصر و ط ايران تحـ رضا تجدد.

٢٣١- الفهرست للشيخ الطوسي رحمه الله، ط سبرنجر.

٢٣٢- في ظلال القرآن للسيد قطب، ط الأولى بمصر.

٢٣٣- فيض القدير لعبد الرؤوف المناوي، ط مصطفى محمد سنة ١٣٥٦ هـ بمصر.

٢٣٤- قبسات من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام للعلامة السيد عبد العزيز الطباطبائي رحمه الله، ط قم.

٢٣٥- قبول الأخبار ومعرفة الرجال لأبي القاسم الكعبي، ط دار الكتب العلمية بيروت.

٢٣٦- القرآن والعلم الحديث لعبد الرزاق نوفل ط، دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٨هـ.

٢٣٧- قصص الأنبياء لأبي إسحاق لثعلبي، ط مصطفي محمد بمصر سنة ١٣٧١هـ.

٢٣٨- قطر المحيط للمعلم بطرس البستاني، ط بيروت سنة ١٨٦٩م.

٢٣٩- القول المسدد في الذب عن مسند أحمد لابن حجر العسقلاني، ط مكتبة ابن تيمية بالقاهرة سنة ١٤٠١ هـ.

٢٤٠- الكافي للكليني، ط حجرية ١٣١٢ هـ و ط دار الكتب الإسلامية طهران.

٢٤١- الكامل في التاريخ لأبن الأثير الجزري، ط بولاق بمصر.

٢٤٢- الكامل لابن عدي، ط الثالثة دار الفكر بيروت.

٢٤٣- كبرى اليقينات الكونية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ط الثانية نقلاً عن كتاب موقف العقل والعلم.

٢٤٣- الكتاب المقدس، ط بيروت سنة ١٩٥١م وكتب عليه: وقد ترجم من اللغات

الأصلية ، نشر جمعيات الكتاب المقدّس المتحدة.

٢٤٤- الكشاف للزمخشري، ط مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٦٧ هـ .

٢٤٥- كشف الخفاء ومزيل الإلباس لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، ط القدسي بمصر سنة ١٣٥١ هـ .

٢٤٦- كشف الرمس للمحمودي رحمه الله .

٢٤٧- كشف الظنون للجلبي، ط وزارة المعارف التركية.

٢٤٨- الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد.

٢٤٩- كشف اللبس عن حديث رد الشمس للسيوطي.

٢٥٠- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي مطبعة الحكمة بقم.

٢٥١- كشف اليقين للعلامة الحلي، ط حجرية.

٢٥٢- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام للحافظ الكنجي الشافعي، ط الحيدرية في النجف سنة ١٣٩٠ هـ و ط الغري.

٢٥٣- الكلم اللامع ـ مخطوط ـ للسيد قاسم الخطيب.

٢٥٤- الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي، ط صيدا و ط الحيدرية.

٢٥٥- كنز العمال للمتقي الهندي، ط حيدرآباد الأولى و ط مؤسسة الرسالة بيروت.

٢٥٦- الكون الغامض لحجة الفلك العالمي السير جيمس جينز.

٢٥٧- اللئالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي، ط الأدبية سنة ١٣١٧ هـ الأولى بمصر بولاق.

٢٥٨- اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير، ط دار صادر.

٢٥٩- لسان العرب لابن منظور، ط أوفست مصر بولاق و ط دار صادر بيروت.

٢٦٠- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني، ط افست حيدرآباد.

٢٦١- لطائف المعارف للثعالبي، ط مصر.

٢٦٢- المبسوط للسرخسي، ط بيروت أوفست دار المعرفة بيروت سنة ١٣٩٨ هجـ.

٢٦٣- مجلة الذكرى السنة الأولى عدد / ٣.

٢٦٤- مجلة تراثنا.

٢٦٥- مجمع البيان للطبرسي، ط صيدا.

٢٦٦- مجمع الزوائد لنور الدين الهيثمي، ط القدسي سنة ١٣٥٣ هـ بمصر.

٢٦٧- المجموعة النبهانية للعلامة يوسف بن إسماعيل النبهاني، ط دار المعرفة بيروت.

٢٦٨- المحتسب لابن جني.

٢٦٩- محمد المثل الكامل تأليف محمد أحمد جاد المولى بك، ط الاستقامة بمصر سنة ١٣٧١هجـ.

٢٧٠- المحمدون من الشعراء للقفطي، ط حيدرآباد.

٢٧١- المختصر في أخبار البشر لابي الفداء، ط بيروت افست عن بولاق.

٢٧٢- مختصر مشكل الآثار للطحاوي، ط حيدرآباد.

٢٧٣- مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني، ط حجرية.

٢٧٤- مرآة الجنان لليافعي، ط بيروت.

٢٧٥- مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، ط حيدرآباد.

٢٧٦- مرقاة المفاتيح للملا علي القاري، ط دار الكتب العلمية بيروت.

٢٧٧- مزيل اللبس عن حديث ردّ الشمس لأبي عبد الله محمد بن يوسف الغيطي الدمشقي الصالحي، نسخة في مكتبة الأوقاف المركزية بالموصل في مجموع رقم (٩٥/ ٢٠) كما في فهرس المكتبة المذكورة ج٢ / ٩٢.

٢٧٨- مزيل اللبس عن حديث ردّ الشمس طبعه المرحوم العلامة الشيخ محمد باقر المحمودي في كتابه كشف اللبس عن حديث ردّ الشمس ط مؤسسة المعارف الإسلامية بقم سنة ١٤١٩ هـ

٢٧٩- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، ط دمج افست بحلب عن حيدرآباد و ط دار الكتب العلمية تحـ مصطفى عبد القادر.

٢٨٠- مسند أحمد بن حنبل، ط مصر الأولى و ط تحـ أحمد محمد شاكر و ط أفست صادر.

٢٨١- مسند ابن عباس لأحمد بن حنبل بتحقيق أحمد محمد شاكر.

٢٨٢- مسند أبي داود الطيالسي، ط حيدرآباد.

٢٨٢- مشكل الآثار للطحاوي، ط حيدرآباد.

٢٨٣- المصباح المنير للفيّومي، ط بولاق سنة ١٩٢١ والنسخة المطبوعة على الحجر سنة ١٣٣٨ هـ.

٢٨٤- مصابيح السنة للبغوي، ط الخيرية بمصر.

٢٨٥- المصنف لابن أبي شيبة، ط نشر إدارة القرآن والعلوم الإسلامية كراتشي باكستان سنة ١٤٠٦هـ و ط مكتبة الرشد في الرياض سنة ١٤٠٩ هـ.

٢٨٦- المطالع الشمسية في المدائح النبوية للنواجي.

٢٨٧- مع الله .. في السماء للدكتور أحمد زكي مدير جامعة القاهرة، ط دار الهلال.

٢٨٨- المعارف لابن قتيبة تحـ ثروت عكاشة، ط مصر الأولى و ط مصر سنة ١٩٦٠م.

٢٨٩- معاهد التنصيص لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي، ط البهية بالقاهرة.

٢٩٠- المعتصر من المختصر من مشكل الآثار للقاضي أبي المحاسن يوسف بن موسى الحنفي، ط الثانية حيدرآباد.

٢٩١- معجم القراءات القرآنية، ط الثانية سنة ١٤٠٨هـ.

٢٩٢- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ط الترقي بدمشق سنة ١٣٧٨هجـ.

٢٩٣- المعجم الكبير للحافظ الطبراني، ط الثانية بمطبعة الزهراء بالموصل تحـ السلفي و ط الأولى بمطبعة الوطن العربي.

٢٩٤- المعرفة والتاريخ للفسوي تحـ الدكتور أكرم ضياء العمري، ط أوقاف بغداد.

٢٩٥- المغني في الضعفاء للذهبي، ط مصر.

٢٩٦- مفتاح النجا للبدخشي، ط حجرية.

٢٩٧- المقاصد الحسنة لشمس الدين السخاوي، ط مصر تحقيق عبد الله بن محمد الصدّيق وتقديم عبد الوهاب عبد اللطيف.

٢٩٨- مقالات الكوثري للشيخ محمد زاهد الكوثري الحنفي.

٢٩٩- مقدمة التفسير للراغب الإصفهاني، ملحقة طباعة بكتاب (تنزيه القرآن) للقاضي عبد الجبار المعتزلي، ط الجمالية بمصر سنة ١٣٢٩ هجـ.

٣٠٠- المفاوضات السرية بين العرب واسرائيل والأسطورة والامبراطورية والدولة اليهودية لمحمد حسنين هيكل، ط مصر.

٣٠١- مفردات الراغب الاصبهاني، ط الميمنية بمصر سنة ١٣٢٤ هـ.

٣٠٢- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق أبو جعفر ابن بابويه القمي تحـ المرحوم الحجة السيد حسن الموسوي الخرسان تدّبُّ ط دار الكتب الإسلامية في النجف الأشرف سنة ١٣٧٧ – ١٣٧٨ هـ.

٣٠٣- المنار لرشيد رضا، ط مصر.

٣٠٤- المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية، ط مكتب المطبوعات الإسلامية في حلب.

٣٠٥- مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لابن المغازلي المالكي المعروف بابن الجلابي، ط الإسلامية إيران.

٣٠٦- مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للخوارزمي الحنفي، ط الحجرية سنة ١٢٢٦ هـ و ط الحيدرية.

٣٠٧- مناقب ابن شهرآشوب السروي، ط حجرية سنة ١٣١٦هـ و ط الحيدرية.

٣٠٨- مناقب الشافعي.

٣٠٩- المنتظم لابن الجوزي، ط حيدرآباد و ط دار الكتب العلمية بيروت.

٣١٠- المنتقى في عصمة الأنبياء للإمام نور الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر الصابوني الحنفي.

٣١١- منتهى الطلب للعلامة الحلي، ط حجرية.

٣١٢- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لابن تيمية الحراني الحنبلي، ط افست بولاق سنة ١٣٢٢ هـ.

٣١٣- منهاج الكرامة للعلامة الحلي.

٣١٤- المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود، ط الاعتصام بالخيمية سنة ١٣٧٥هـ.

٣١٥- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، ط عالم التراث بيروت.

٣١٦- الموضوعات لابن الجوزي، ط الأولى سنة ١٣٨٦هـ نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

٣١٧- ميزان الاعتدال للذهبي تحـ البجاوي، ط مصر الأولى و ط محققة.

٣١٨- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ط افست مصر و ط تراثنا بمصر.

٣١٩- نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث لإسماعيل الكردي، ط دار الأوائل سنة ٢٠٠٢م.

٣٢٠- نزهة المجالس ومنتخب النفائس للشيخ عبدالرحمن الصفوري،ط مصر.

٣٢١- نسمة السحر فيمن تشيع وشعر، ط بيروت دار المؤرخ تحقيق كامل سلمان الجبوري.

٣٢٢- نسيم الرياض بشرح الشفاء للقاضي عياض للشهاب الخفاجي، ط دار الفكر.

٣٢٣- نصب الراية لأحاديث الهداية لجمال الدين عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي، ط المجلس العلمي سنة ١٣٥٧ هـ مصر و ط دار الحديث بمصر سنة ١٣٥٧ هـ الأولى.

٣٢٤- نظرات في القرآن لمحمد الغزالي رحمه الله.

٣٢٥- نظم السيرة لأبي الفضل العراقي تحـ التاج السبكي.

٣٢٦- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير تحـ الزاوي و محمود محمد الطناحي، ط مصر و ط بمط الخيرية بمصر سنة ١٣٢٢ هـ الأولى.

٣٢٧- نهاية الإرب للنويري، ط دار الكتب المصرية.

٣٢٨- نهج البلاغة بشرح محمد عبده، ط مؤسسة دار الهجرة و ط الاستقامة الأولى بمصر.

٣٢٩- نور الأبصار للشبلنجي، ط مصر الأولى.

٣٣٠- النور المسافر للعلامة بهاء الدين السبكي.

٣٣١- هامش مقالات الكوثري نقلاً عن الحاوي في سيرة الطحاوي للكوثري، ط مصر.

٣٣٢- الهيئة والإسلام للمرحوم العلامة الحجة السيد هبة الدين الشهرستاني، ط الآداب سنة ١٣٨١هـ.

٣٣٣- وفيات الأعيان لابن خلكان، ط تحـ د. إحسان عباس ط دار صادر بيروت في ترجمة يزيد بن زياد بن مفرغ ط حجرية بإيران و ثالثة ببولاق.

٣٣٤- الوافي بالوفيات للصفدي، ط النشرات الإسلامية برعاية جمعية المستشرقين الألمانية.

٣٣٥- الوحي لمحمد رشيد رضا ط مصر.

٣٣٦- وسائل الشيعة للحر العاملي ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

٣٣٧- وسيلة النجاة لمحمد مبين، ط الهند لكنهو.

٣٣٨- وفاء الوفاء لنور الدين السمهودي، ط مصر.

٣٣٩- وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري تحـ عبد السلام محمد هارون، ط عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة سنة ١٣٦٥ هـ.

٣٤٠- ينابيع المودة للقندوزي الحنفي، ط اسلامبول سنة ١٣٠٢ هـ و ط الحيدرية بتقديمي.

* * *

فهرس الكتاب

الباب الأول

الباب الثاني

الباب الثالث

